ألف ليلة وليلة

الجزء الثاني

جمعه
طه عبد الرءوف سعد

الناشر
دار الحرم للتراث
٤٥ سوق الكتاب الجديد بالعتبة- القاهرة
ت - ٥٩١٦٠٢١

- اسم الكتـــاب: ألف ليلة وليلة
- الناشـــــر: دار الحرم للتراث
- جمع وتحقيق: طه عبد الرءوف سعد
- الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م
- كـمـبـيـوتر: السندس لخدمات الكمبيوتر
ت: ٥٨٩٧٥٢٩ - ٠١٢/٢٥٩٢٤٦٧

رقم الإيداع بدار الكتب
٣٦٨٦ /٢٠٠٣
الترقيم الدولى
977-6038-02-6

الطبعة الأولى
٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ

حكاية الطيور والوحوش مع ابن آدم

قالت شهرزاد: «بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان، وسالف العصر والأوان، طاووس يأوى إلى جانب البحر مع زوجته، وكان ذلك الموضع كثير السباع وفيه من سائر الوحوش، غير أنه كثير الأشجار والأنهار وذلك الطاووس هو وزوجته يأويان إلى شجرة من تلك الأشجار ليلاً من خوفهما من الوحوش، ويغدوان فى طلب الرزق نهارًا، ولم يزالا كذلك حتى كثر خوفهما، فسارا يبغيان موضعًا غير موضعهما يأويان إليه، فبينا هما يفتشان على موضع إذا ظهرت لهما جزيرة كثيرة الأشجار والأنهار فنزلا فى تلك الجزيرة وأكلا من أثمارها وشربا من أنهارها، فبينما هما كذلك وإذا ببطة أقبلت عليهما وهى فى شدة الفزع، ولم تزل تسعى حتى أتت إلى الشجرة التى عليها الطاووس هو وزوجته فاطمأنت، فلم يشك الطاووس فى أن تلك البطة لها حكاية عجيبة، فسألها عن حالها وسبب خوفها، فقالت: «إننى مريضة من الحزن وخوفى من ابن آدم، فالحذر ثم الحذر من بنى آدم»، فقال لها الطاووس: «لا تخافى حيث وصلت إلينا»، فقالت البطة: «الحمد لله الذى فرج عنى همى وغمى بقربكما وقد أتيت راغبة فى مودتكما».

فلما فرغت من كلامها نزلت إليها زوجة الطاووس وقالت لها: «أهلاً وسهلاً ومرحبًا لا بأس عليك، ومن أين يصل إلينا ابن آدم ونحن فى هذه الجزيرة التى فى وسط البحر؟ فمن البر لا يقدر أن يصل إلينا، ومن البحر لا يمكن أن يطلع علينا، فأبشرى وحدثينا بالذى نزل بك واعتراك من ابن آدم»، فقالت البطة: «اعلمى أيتها الطاووسة أننى فى هذه الجزيرة طول عمرى آمنة لا أرى مكروهًا، فنمت ليلة من الليالى فرأيت فى منامى صورة ابن آدم ولا تغترى بكلامه ولا بما يدخله عليك فإنه كثير الحيل والخداع فالحذر كل الحذر من مكره فإنه مخادع ماكر كما قال فيه الشاعر:

«يعطيك من طرف اللسان حلاوة   ويروغ منك كما يروغ الثعلب»

«واعلمى أن ابن آدم يحتال على الحيتان فيخرجها من البحار، ويرمى الطير ببندقة من طين، ويوقع الفيل بمكره، وابن آدم لا يسلم أحد من شره، ولا ينجو منه طير ولا وحش، وقد بلغتك ما سمعته عن ابن آدم»، فاستيقظت من منامى خائفة مرعبة وأنا إلى الآن لا ينشرح صدرى خوفًا على نفسى من ابن آدم لئلا يدهمنى بحيلته ويصيدنى بحبائله، ولم يأت علىَّ آخر النهار إلا وقد ضعفت قوتى وبطلت همتى، ثم إنى اشتقت إلى الأكل والشرب فخرجت أتمشى وخاطرى مكدر وقلبى مقبوض. فلما وصلت إلى ذلك الجَبل وجدت على باب مغارة شبلاً أصفر اللون، فلما رآنى ذلك الشبل فرح بى فرحًا شديدًا وأعجبه لونى وكونى لطيفة الذات، فصاح علىَّ وقال لى: «اقتربى منى»، فلما قربت منه قال لى: «ما اسمك وما جنسك؟» فقلت له: «اسمى بطة وأنا من جنس الطيور»، ثم قلت له: «ما سبب قعودك إلى هذا الوقت فى هذا المكان؟» فقال الشبل: «سبب ذلك أن والدى الأسد له أيام وهو يحذرنى من ابن آدم، فاتفق أنى رأيت فى هذه الليلة فى منامى صورة ابن آدم»، ثم إن الشبل حكى لي نظير ما حكيته لك، فلما سمعت كلامه قلت له: «يا أسد إنى قد لجأت إليك فى أن تقتل ابن آدم وتحزم رأيك فى

قتله، فإنى أخاف على نفسى منه خوفًا شديدًا وازددت خوفًا على خوفى من خوفك من ابن آدم مع أنك سلطان الوحوش». وما زلت يا أختى أحذر الشبل من ابن آدم وأوصيه بقتله حتى قام من وقته وساعته من المكان الذى كنا فيه وتمشى وتمشيت وراءه ففرقع بذنبه على ظهره، ولم يزل يتمشى وأنا أمشى وراءه إلى مفرق الطريق، فوجدنا غبرة طارت، وبعد ذلك انكشفت الغبرة فبان من تحتها حمار شارد عريان وهو تارة يقمص ويجرى وتارة يتمرغ، فلما رآه الأسد صاح عليه، فأتى إليه خاضعًا، فقال له: «أيها الحيوان الخفيف العقل ما جنسك وما سبب قدومك إلى هذا المكان؟» فقال له: «يا ابن السلطان أنا جنسى حمار وسبب قدومى إلى هذا المكان هروبى من ابن آدم»، فقال له الشبل: «وهل أنت خائف من ابن آدم أن يقتلك؟» فقال له الحمار: «لا يا ابن السلطان وإنما خوفى أن يعمل حيلة علىَّ ويركبنى، لأن عنده شيئًا يسميه البردعة فيجعلها على ظهرى وشيئًا يسميه الحزام فيشده على بطنى، وشيئًا يسميه الطفر فيجعله تحت ذنبى، وشيئًا يسميه اللجام فيجعله فى فمى، ويعمل لى منخاسا ينخسنى به ويكلفنى ما لا أطيق من الجرى، وإذا عثرت لعننى، وإذا نهقت شتمنى، بعد ذلك إذا كبرت ولم أقدر على الجرى يجعل لى رحلاً من الخشب ويسلمنى إلى السقائين فيحملون الماء على ظهرى من البحر فى القرب ونحوها كالجرار، ولا أزال فى ذل وهوان وتعب حتى أموت فيرموننى فوق التلال للكلاب، فأى شىء أكبر من هذا الهم، وأى مصيبة أكبر من هذه المصائب».

فلما سمعت أيتها الطاووسة كلام الحمار اقشعر جسدى من ابن آدم، وقلت للشبل: «يا سيدى إن الحمار معذور وقد زادنى كلامه رعبًا علي رعبى»، فقال الشبل للحمار: «إلى أين أنت سائر؟» فقال له الحمار: «إنى نظرت ابن آدم قبل طلوع الشمس من بعيد ففررت هربًا وها أنا أريد أن أنطلق ولم أزل أجرى من شدة خوفى منه فعسى أجد لى موضعًا يأوينى من ابن آدم الغدار»، فبينما ذلك الحمار يتحدث مع الشبل فى ذلك الكلام وهو يريد أن يودعنا ويروح، إذ ظهرت لنا غبرة، فنهق الحمار وصاح ونظر بعينيه إلى ناحية الغبرة وبعد ساعة انكشفت الغبرة عن فرس أدهم، بغرة كالدرهم، وهو ظريف الغرة، مليح التحجيل، حسن القوائم والصهيل. ثم إن ذلك الفرس لم يزل يجرى حتى وقف بين يدى الشبل ابن الأسد، فلما رآه الشبل استعظمه وقال له: «ما جنسك أيها الوحش الجليل وما سبب شرودك فى هذا البر العريض الطويل؟» فقال له: «يا سيد الوحوش أنا فرس من جنس الخيل وسبب شرودى هروبى من ابن آدم»، فتعجب الشبل من كلام الفرس وقال له: «لا تقل هذا الكلام فإنه عيب عليك وأنت طويل غليظ، وكيف تخاف من ابن آدم مع عظم جثتك وسرعة جريك؟، وأنا مع صغر جسمى قد عزمت على أن التقى مع ابن آدم فأبطش به وآكل لحمه وأسكن روع هذه البطة المسكينة وأقرها فى وطنها، وها أنت لما أتيت فى هذه الساعة قطعت قلبى بكلامك وأرجعتنى عما أردت أن أفعله، فإذا كنت أنت مع عظمك قد قهرك ابن آدم ولم يخف من طولك وعرضك مع أنك لو رفسته برجلك لقتلته ولم يقدر عليك بل تسقيه كأس الردى».

فضحك الفرس لما سمع كلام الشبل وقال: «هيهات هيهات أن أغلبه يا ابن الملك فلا يغرك طولى ولا عرضى ولا ضخامتى مع ابن آدم لأنه من شدة حيله ومكره يصنع لى شيئًا

يقدّم له الشكال ويضع فى أربع قوائمى شكالين من حبال الليف الملفوفة باللباد ويصلبنى من رأسى فى وتد عال وأبقى واقفًا وأنا مصلوب لا أقدر أقعد ولا أنام، وإذا أراد أن يركبنى يعمل لى شيئًا فى رجليه من الحديد اسمه الركاب، ويضع على ظهرى شيئًا يسميه السرج ويسده بحزامين من تحت إبطى، ويضع فى فمى شيئًا من الحديد يسميه اللجام، ويضع فيه شيئًا من الجلد يسميه الصرع، فإذا ركب فوق ظهرى على السرج يمسك الصرع بيده ويقودنى به، ويهمزنى بالركاب فوق خواصرى حتى يدميها، ولا تسأل يا ابن السلطان عما أقاسيه من ابن آدم، فإذا كبرت وانحل ظهرى ولم أقدر على سرعة الجرى يبيعنى للطحان ليدورنى فى الطاحون، فلا أزال دائرًا فيها ليلاً ونهارًا إلى أن أهرم فيبيعنى للجزار فيذبحنى ويسلخ جلدى وينتف ذنبى ويبيعهما للغرابلى والمناخلى، ويسلى شحمى».

فلما سمع الشبل كلام الفرس ازداد غيظًا وغما وقال له: «متى فارقت ابن آدم؟» قال: «فارقته نصف النهار وهو فى أثرى»، فبينما الشبل يتحدث مع الفرس فى هذا الكلام وإذا بغبرة ثارت، وبعد ذلك انكشفت الغبرة وبان من تحتها جمل هائج وهو يبعبع ويخبط برجليه فى الأرض، ولم يزل يفعل كذلك حتى وصل إلينا.

فلما رآه الشبل كبيرًا غليظًا ظن أنه ابن آدم فأراد الوثوب عليه، فقلت له: «يا ابن السلطان إن هذا ما هو ابن آدم وإنما هذا جمل وكأنه هارب من ابن آدم»، فبينما أنا يا أختى مع الشبل فى هذا الكلام وإذا بالجمل تقدم بين أيادى الشبل وسلم عليه، فرد عليه السلام وقال له: «ما سبب مجيئك إلى هذا المكان؟» قال: «جئت هاربًا من ابن آدم»، فقال له الشبل: «وأنت مع عظم خلقتك وطولك وعرضك كيف تخاف من ابن آدم ولو رفسته برجلك رفسة لقتلته؟». فقال له الجمل: «يا ابن السلطان، اعلم أن ابن آدم له دواهى لا تطاق وما يغلبه إلا الموت، لأنه يضع فى أنفى خيطًا ويسميه خزامًا ويجعل فى رأسى مقودًا ويسلمنى إلى أصغر أولاده فيجرنى الولد الصغير بالخيط مع كبرى وعظمى ويحملوننى أثقل الأحمال ويسافرون بى الأسفار الطوال ويستعملوننى فى الأشغال الشاقة آناء الليل والنهار، وإذا كبرت وشخت أو انكسرت فلا يحفظ صحبتى بل يبيعنى للجزّار ويبيع جلدى للدباغين ولحمى للطباخين ولا تسأل عما أقاسى من ابن آدم».

فقال له الشبل: «أى وقت فارقت ابن آدم؟» قال: «فارقته وقت الغروب وأظنه يأتى عند انصرافى فلا يجدنى فيسعى فى طلبى، فدعنى يا ابن السلطان حتى أهج فى البرارى والقفار»، فقال الشبل: «تمهل قليلاً يا جمل حتى تنظر كيف أفترسه وأطعمك من لحمه وأهشم عظمه وأشرب من دمه»، فقال له الجمل: «يا ابن السلطان أنا خائف عليك من ابن آدم فإنه مخادع ماكر»، ثم أنشد قول الشاعر:

«إذا حلَّ الثقيل بأرض قوم فما للساكنين سوى الرحيل»

فبينما الجمل يتحدث مع الشبل فى هذا الكلام إذ بغبرة طلعت وبعد ساعة انكشفت عن شيخ قصير رقيق البشرة على كتفه مقطف فيه عدّة نجار وعلى رأسه شعبة وثمانية ألواح وبيده أطفال صغار وهو يهرول فى مشيه، وما زال يمشى حتى قرب من الشبل، فلما رأيته يا

أختى وقعت من شدة الخوف، وأما الشبل فإنه قام وتمشى إليه ولاقاه، فلما وصل إليه ضحك النجار فى وجهه وقال له بلسان فصيح: «أيها الملك الجليل، صاحب الباع الطويل، أسعد الله مساك ومسعاك، وزاد فى شجاعتك وقواك، أجرنى مما دهانى، وبشره رمانى، لأنى ما وجدت لى نصيرًا غيرك»، ثم إن النجار وقف بين يدى الأسد وبكى وأنَّ واشتكى.

فلما سمع الشبل بكاءه وشكواه قال له: «أجرتك مما تخشاه فمن الذى قد ظلمك وما تكون أنت أيها الوحش الذى ما رأيت عمرى مثلك ولا أحسن صورة ولا أفصح لسانًا منك، فما شأنك؟» فقال له النجار: «يا سيد الوحوش أما أنا فنجار وأما الذى ظلمنى فهو ابن آدم وفى صباح هذه الليلة يكون عندك فى هذا المكان»، فلما سمع الشبل من النجار هذا الكلام تبدل الضياء فى وجهه ظلام وشخر ونخر ورمت عيناه بالشرر وصاح وقال: «والله لأسهرن فى هذه الليلة إلى الصباح ولا أرجع إلى والدى حتى أبلغ مقصدى»، ثم إن الشبل التفت إلى النجار وقال له: «إنى أرى خطواتك قصيرة ولا أقدر أن أكسر بخاطرك لأنى ذو مروءة وأظن أن لا تقدر أن تماشى الوحوش، فأخبرنى إلى أين تذهب؟» فقال له النجار: «اعلم أننى رائح إلى وزير والدك الفهد، لأنه لما بلغه أن ابن آدم داس هذه الأرض خاف على نفسه خوفًا عظيمًا وأرسل إلىَّ رسولاً من الوحوش لأصنع له بيتًا يسكن فيه ويأوى إليه ويمنع عنه عدوه حتى لا يصل إليه أحد من بنى آدم، فلما جاءنى الرسول أخذت هذه الألواح وتوجهت إليه».

فلما سمع الشبل كلام النجار أخذه الحسد للفهد فقال له: «بحياتى لا بد أن تصنع لى هذه الألواح بيتًا قبل أن تصنع للفهد بيته، وإذا فرغت من شغلى فامض إلى الفهد واصنع له ما يريد»، فلما سمع النجار من الشبل هذا الكلام قال له: «يا سيد الوحوش ما أقدر أن أصنع لك شيئًا إلا إذا صنعت للفهد ما يريد ثم أجىء إلى خدمتك وأصنع لك بيتًا يحصنك من عدوك»، فقال له الشبل: «والله ما أخليك تروح من هذا المكان حتى تصنع لى هذه الألواح بيتًا»، ثم إن الشبل همَّ على النجار ووثب عليه وأراد أن يمزح معه فلطشه فرمى المقطف من على كتفه ووقع النجار مغشيًا عليه، فضحك الشبل عليه وقال له: «ويلك يا نجار إنك ضعيف وما لك قوة فأنت معذور إذا خفت من ابن آدم».

فلما وقع النجار على ظهره اغتاظ غيظًا شديدًا ولكنه كتم ذلك عن الشبل من خوفه منه، فقعد النجار على حيله وضحك فى وجهه وقال له: «ها أنا أصنع لك البيت».

ثم إن النجار تناول الألواح التى كانت معه وسمر البيت وجعله مثل القالب على قياس الشبل وخلى بابه مفتوحًا لأنه جعله على صورة الصندوق وفتح له طاقة كبيرة وجعل لها غطاءً كبيرًا وثقب فيه ثقوبًا كثيرة وأخرج منها مسامير مطرفة وقال للشبل: «ادخل فى هذا البيت من هذه الطاقة حتى أقيسه عليك»، ففرح الشبل بذلك وأتى إلى تلك الطاقة فرآها ضيقة، قال له النجار: «ادخل وابرك على يديك ورجليك»، ففعل الشبل ذلك ودخل الصندوق فبقى ذنبه خارجًا إلى آخره، فأراد الشبل أن يتأخر إلى ورائه ويخرج، فقال له النجار: «أمهل واصبر حتى أنظر هل يسع ذنبك معك؟» فامتثل الشبل أمره، ثم إن النجار لف ذنب الشبل وحشاه فى الصندوق ورد اللوح على الطاقة سريعًا وسمره، فصاح الشبل قائلاً: «يا نجار ما هذا البيت

الضيق الذى صنعته لى؟ دعنى أخرج منه»، فقال له النجار: «هيهات هيهات، لا ينفع الندم على ما فات، إنك لا تخرج من هذا المكان»، ثم ضحك النجار وقال للشبل: «إنك وقعت فى القفص وما بقى لك خلاص من ضيق الأقفاص يا أخبث الوحوش»، فقال: «يا أخى ما هذا الخطاب الذى تخاطبنى به؟» فقال له النجار: «اعلم يا كلب البر أنك وقد وقعت فيما كنت تخاف منه وقد رماك القدر، ولم ينفعك الحذر».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: فلما سمع الشبل كلامه يا أختى علم أنه ابن آدم الذى حذره منه أبوه فى اليقظة والهاتف والمنام، وأنا أيضًا تحققت أنه هو بلا شك فيه ولا ريب، فخفت منه على نفسى خوفًا عظيمًا وبعدت عنه قليلاً وصرت انتظر ماذا يفعل بالشبل، فرأيت يا أختى ابن آدم حفر حفرة فى ذلك المكان بالقرب من الصندوق الذى فيه الشبل ورماه فى تلك الحفرة وألقى عليه الحطب وأحرقه بالنار، فكبر يا أختى خوفى ولى يومان هاربة من ابن آدم وخائفة منه». فلما سمعت الطاووسة من البطة هذا الكلام تعجبت منه غاية العجب وقالت: «يا أختى إنك آمنة من ابن آدم لأننا فى جزيرة من جزائر البحر ليس لابن آدم فيها مسلك، فاختارى المقام عندنا إلى أن يسهل الله أمرك وأمرنا»، فقالت: «إنى أخاف أن يطرقنى طارق، والقضاء لا ينفك عنه آبق» فقالت: «اقعدى عندنا وأنت مثلنا»، وما زالت بها حتى قعدت وقالت: «يا أختى أنت تعلمين قلة صبرى ولولا أنى رأيتك هنا ما كنت قعدت»، فقالت الطاووسة: «إن كان على جبيننا شىء نستوفاه، وإن كان دنا أجلنا فمن يخلصنا، ولن تموت نفس حتى تستوفى رزقها وأجلها»، فبينما هما فى هذا الكلام إذ طلعت عليهما غبرة، فعند ذلك صاحت البطة ونزلت البحر وقالت: «الحذر الحذر وإن لم يكن مفر من القضاء والقدر»، فبعد ساعة انكشفت الغبرة وبان من تحتها ظبى، فاطمأنت البطة والطاووسة، ثم قالت للبطة: «يا أختى إن الذى نظرت وحذرت منه ظبى وها هو قد أقبل نحونا فليس علينا منه بأس، لأن الظبى إنما يأكل الحشائش من نبات الأرض، وكما أنت من جنس الطير هو الآخر ليس من جنس الوحوش، فاطمئنى ولا تهتمى، فإن الهم ينحل البدن».

فلم تتم الطاووسة كلامها حتى وصل الظبى إليهما يستظل تحت ظل الشجرة، فلما رأى الطاووسة والبطة سلم عليهما وقال لهما: «إنى دخلت إلى هذه الجزيرة اليوم فلم أر أكثر منها خصبًا ولا أحسن منها مسكنًا»، ثم دعاهما لمرافقته ومصافاته، فلما رأت البطة والطاووسة تودده إليهما أقبلتا عليه ورغبتا فى عشرته، فتصادقوا وتحالفوا على ذلك وصار مبيتهم واحدًا ومأكلهم ومشربهم سواء، ولم يزالوا آمنين آكلين شاربين حتى مرت بهم سفينة كانت تائهة فى البحر فأرست قريبًا منهم، فطلع الناس وتفرقوا فى الجزيرة فرأوا اجتماع الظبى والطاووسة والبطة فأقبلوا عليهم.

فلما رأتهم الطاووسة صعدت إلى الشجرة ثم طارت فى الجو، وشرد الظبى فى البرية» فبقيت البطة مخبلة ولم يزالوا بها حتى صادوها وصاحت قائلة: «لم ينفعنى الحذر من القضاء

والقدر»، وانصرفوا بها إلى سفينتهم، فلما رأت الطاووسة ما جرى للبطة ارتحلت من الجزيرة وقالت: «لا أرى الآفات إلا مرصدة لكل واحد ولولا هذه السفينة ما حصل بينى وبين هذه البطة افتراق، ولقد كانت من خيار الأصدقاء» ثم طارت الطاووسة واجتمعت بالظبى فسلم عليها وهنأها بالسلامة وسألها عن البطة، فقالت له: «قد أخذها العدو وكرهت المقام فى هذه الجزيرة بعدها»، ثم بكت على فراق البطة وأنشدت تقول:

«إن يوم الفـــــراق قطع قلبى   قطع الله قلب يوم الفـــــراق»

ثم قالت أيضًا هذا البيت:

«تمنيت الوصـــال يعـــود يومًـــا   لأخبـــره بما صنع الفـــراق»

فاغتمَّ الظبى غما شديدًا ثم رد عزم الطاووسة عن الرحيل، فأقامت مع الظبى آمنين آكلين شاربين، غير أنهما لم يزالا حزينين على فراق البطة، فقال الظبى للطاووسة: «يا أختى قد علمت أن الناس الذين طلعوا لنا من المركب كانوا سببًا لفراقنا ولهلاك البطة فاحذريهم واحترسى منهم ومن مكر ابن آدم وخداعه»، قالت: «قد علمت يقينًا أنه ما قتلها غير تركها التسبيح، ولقد قلت لها: إنى أخاف عليك من تركك التسبيح، لأن كل شىء خلقه الله يسبحه فإن غفل عن التسبيح عوقب بهلاكه»، فلما سمع الظبى كلام الطاووسة قال: «أحسن الله صورتك»، وأقبل على التسبيح لا يفتر عنه ساعة، وقد قيل إن تسبيح الظبى: «سبحان الديان ذى الجبروت والسلطان».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية الراعى العابد

قالت شهرزاد: قيل إن بعض العباد كان يتعبَّد فى بعض الجبال، وكان يأوى إلى ذلك الجبل زوج من الحمام، وكان ذلك العابد قسم قوته نصفين، وجعل نصفه لنفسه ونصفه لذلك الزوج الحمام، ودعا العابد لهما بكثرة النسل، فكثر نسلهما ولم يكن الحمام يأوى إلى سوى الجبل الذى فيه العابد، وكان السبب فى اجتماع الحمام بالعابد كثرة تسبيح الحمام، وقيل إن الحمام يقول فى تسبيحه: «سبحان خالق الخلق وقاسم الرزق وبانى السماوات وباسط الأرضين»، ولم يزل ذلك الزوج الحمام فى أرغد عيش هو ونسله حتى مات العابد فتشتت شمل الحمام وتفرق فى المدن والقرى والجبال.

وقيل إنه كان فى بعض الجبال رجل من الرعاة وكان صاحب دين وعقل وعفة وكان له أغنام يرعاها وينتفع بألبانها وأصوافها، وكان ذلك الجبل الذى يأوى إليه الراعى كثير الأشجار والمرعى والسباع، ولم يكن لتلك الوحوش قدرة على الراعى ولا على غنمه، ولم يزل مقيمًا فى الجبل مطمئنًا لا يهمه شىء من أمر الدنيا لسعادته وإقباله على صلاته وعبادته، فقدر الله أنه مرض مرضًا شديدًا فدخل الراعى فى كهف الجبل وصارت الغنم تخرج بالنهار إلى مرعاها وتأوى بالليل إلى الكهف، فأراد الله تعالى أن يختبر ذلك الراعى ويمتحنه فى طاعته وصبره فسمح للشيطان فدخل عليه فى صورة امرأة حسناء فجلس بين يديه، فلما رأى الراعى تلك

المرأة الحسناء جالسة عنده اقشعر بدنه منها فقال لها: «أيتها المرأة ما الذى دعاك إلى المجىء إلى هنا وليس لى حاجة بك ولا بينى وبينك ما يوجب لدخولك عندى؟» فقالت له: «أيها الإنسان قد اخترت قربك وأحببت وصالك وقد جئتك طائعة وأريد أن أقوم معك طول مقامك بهذا الجبل وأكون أنيسة لك فقد عرضت نفسى عليك لأنك تحتاج لخدمة النساء وقد نصحتك فاقبل نصحى».

فقال لها الراعى: «اخرجى عنى أيتها المرأة الخداعة الغدارة فلا أركن إليك ولا حاجة لى بقربك ولا بوصالك لأن من رغب فيك زهد فى الآخرة، ومن رغب فى الآخرة زهد فيك، لأنك فتنت الأولين والآخرين، والله تعالى لعباده بالمرصاد والويل لمن ابتلى بصحبتك» فقالت له: «أيها التائه عن السداد والضال عن طريق الرشاد أقبل بوجهك إلى فإن من كان قبلك من الحكماء قد كانوا أكثر منك تجربة وأصوب منك رأيًا ومع ذلك لم يرفضوا ما رفضت من التمتع بلذائذ الدنيا بل رغبوا فيما زهدت فيه، فما أساءهم ذلك فى دينهم ولا دنياهم، فارجع عن رأيك تحمد عاقبة أمرك»، فقال لها الراعى: «إن كل ما تقولينه نكرته وكرهته، وجميع ما تبدينه زهدت فيه، لأنك خداعة غدارة لا عهد لك ولا وفاء، فكم من قبيح تحت حسنك أخفيته؟ وكم من صالح فتنته وكانت عاقبته إلى الندامة والخسران! فارجعى عنى أيتها المصلحة نفسها لفساد غيرها»، ثم ألقى عباءته على وجهه حتى لا يرى وجهها واشتغل بذكر ربه.

فلما رأى الله حسن طاعته طرد الشيطان عنه، وكان قريبًا من الراعى قرية فيها رجل من الصالحين لم يعلم بمكانه، فرأى فى منامه كأن قائلاً يقول له: «إن بالقرب منك فى مكان كذا رجلاً صالحًا فاذهب إليه وكن تحت طاعته وأمره»، فلما أصبح الصباح توجه نحوه سائرًا، فلما اشتد عليه الحر انتهى إلى شجرة عندها عين ماء تجرى فاستراح هناك وجلس فى ظل تلك الشجرة، فإذا هو بوحوش وطيور أتت إلى تلك العين لتشرب منها، فلما رأت العابد جالسًا نفرت منه ورجعت وشردت، فقال العابد: «لا حول ولا قوة إلا بالله إنى لم أسترح هنا إلا لضرر هذه الوحوش والطيور» فقام وقال معاتبًا نفسه: «لقد أضرَّ بهذه الحيوانات فى هذا اليوم جلوسى فى هذا المكان فما العذر بينى وبين خالقى وخالق هذه الطيور والوحوش؟ فإنى كنت سببًا لشرودها عن شربها وعن رزقها ومرعاها، فواخجلتى من ربى يوم يقتص للشاة الجماء[1] من الشاة القرناء»، ثم بكى وأنشد:

أمــا والله لو علــــم الأنام	لما خلقــوا لما غــفلوا وناموا
فــمــوت ثم بعث ثم حــشــر	وتوبيـــخ وأهــــوال عظام
ونحن إذا نهــينا أو أمــرنا	كــأهل الكهف أيقــاظ نيــام»

ثم بكى على جلسوه تحت الشجرة عند العين ومنعه الطيور والوحوش من شربها وولى سائحًا على وجهه حتى أتى إلى الراعى فدخل إليه وسلم عليه، فرد عليه السلام وعانقه وبكى، فقال له الراعى: «ما الذى أتى بك إلى هذا المكان الذى لم يدخله أحد من الناس على؟» فقال

(١) الشاة الجماء: التى لا قرون لها.

له العابد: «إنى رأيت فى منامى من يصف لى مكانك ويأمرنى أن أسير إليك وأسلم عليك فأتيت ممتثلاً لما أمرت به»، فقبله الراعى وطابت نفسه بصحبته وجلس معه فى الجبل يعبدان الله فى ذلك الغار، فحسنت عبادتهما، ولم يزالا فى ذلك المكان يعبدان ربهما، ويتقوتان من لحوم الغنم وألبانها متجردين عن المال والبنين إلى أن أتاهما اليقين، وهذا آخر حديثهما، فقال الملك: «يا شهر زاد لقد زهدتنى فى ملكى وندمتنى على ما فرط منى فى قتل النساء والبنات، فهل عندك شىء من حديث الطيور؟» قالت: «نعم».

حكاية طير الماء والسلحف

قالت شهرزاد: زعموا أيها الملك أن طيرًا من الطيور طار وعلا إلى الجو، ثم انقض على صخرة فى وسط الماء وكان الماء جاريًا، فبينما الطير واقف وإذا هو برمة إنسان جرها الماء حتى أسندها إلى تلك الصخرة وقد انتفخت وارتفعت، فدنا منها طير الماء وتأملها فرآها رمة ابن آدم، فوجد فيها ضرب سيوف وطعن رماح، فقال طير الماء فى نفسه: «أظن أن هذا المقتول كان شريرًا فاجتمع عليه جماعة فقتلوه واستراحوا منه ومن شره» ولم يزل طير الماء حائرًا وهو يتعجب، فبينما هو كذلك وإذا بنسور وعقبان أحاطوا بتلك الجيفة من جميع جوانبها.

فلما رأى ذلك طير الماء جزع جزعًا شديدًا وقال: «لا صبر لى على الإقامة فى هذا المكان»، ثم طار منه يفتش عن موضع يؤويه إلى حين تنفد تلك الجيفة وتروح سباع الطيور عنها، ولم يزل طائرًا حتى وجد نهرًا فى وسطه شجرة، فنزل عليها متغيرًا كئيبًا حزينًا على فراق وطنه وقال فى نفسه: «ما زالت الأحزان تتبعنى وكنت قد استرحت لما رأيت تلك الجيفة وفرحت بها فرحًا شديدًا وقلت هذا رزق ساقه الله إلىّ»، فصار فرحى غما، وسرورى حزنًا وهما، فأخذتها وافترستها سباع الطيور منى وحالوا بينى وبينها، فكيف أرجو أن أكون سالما فى هذه الدنيا من الكدر وأطمئن إليها، وقد قيل فى المثل: «الدنيا دار من لا دار له يفتر بها من لا عقل له ويطمئن إليها بماله وولده وقومه وعشيرته، ولا يزال المفتر بها راكنًا يختال فوق الأرض حتى يصير تحتها، ويحثو عليه التراب أعز الناس إليه وأقربهم لديه، وما للفتى خير من الصبر على همومها ومكارهها، وقد فارقت مكانى ووطنى وكنت كارهًا لفرقة إخوانى وأحبائى وخلانى».

فبينما هو فى فكرته وإذا بذكر من السلاحف قد أقبل منحدرًا فى الماء ودنا من طير الماء وسلم عليه وقال: «يا سيدى ما الذى حجبك وأبعدك عن موضعك؟» قال: حلول الأعداء فيه ولا صبر للعاقل على مجاورة عدوه، وما أحسن قول بعض الشعراء:

«إذا حلّ الثقيل بأرض قوم فما للساكنين سوى الرحيل»

فقال له السلحف: «إن كان الأمر كما وصفته والحال مثل ما ذكرته فأنا لا أزال بين يديك ولا أفارقك لأقضى لك حاجتك وأفى بخدمتك، فإنه قيل: لا وحشة أشد من وحشة الغريب المنقطع عن أهله ووطنه.

وقد قيل: إن فرقة الصالحين لا يعدلها شىء من المصائب، وأحسن ما يسلى به العاقل نفسه الاستئناس فى الغربة، والصبر على الرزية والكربة، وأرجو أن تحمد صحبتى معك وأكون لك خادمًا ومعينًا».

فلما سمع طير الماء مقالة السلحف قال له: «لقد صدقت فى قولك ولعمرى إنى وجدت للفراق ألما وغما مدة بعدى عن مكانى وفراقى لإخوانى وخلانى، لأن فى الفراق عبرة لمن اعتبر وفكرة من تفكر، وإذا لم يجد الفتى من يسليه من الأصحاب ينقطع عنه الخير أبدًا، ويثبت الشر سرمدًا، وليس للعاقل إلا التسلى بالإخوان عن الهموم فى جميع الأحوال وملازمة الصبر والتجلد، فإنهما خصلتان محمودتان يعينان على المصيبة ونوائب الدهر، ويدفعان الفزع والجزع فى كل أمر». فقال له السلحف: «إياك والجزع فإنه يفسد عليك عيشك ويذهب مروءتك».

وما زالا يتحدثان مع بعضهما إلى أن قال طير الماء للسلحف: «أنا لم أزل أخشى نوائب الزمان وطوارق الحدثان». فلما سمع السلحف مقالة طير الماء أقبل عليه وقبله بين عينيه وقال له: «لم تزل جماعة الطير تتبرك بك وتعرف فى مشورتك الخير، فكيف تحمل الهم والضير؟» ولم يزل يسكن روع طير الماء حتى اطمأن، ثم إن طير الماء طار إلى مكان الجيفة.

فلما وصل إليه لم ير من سباع الطير شيئًا ولا من تلك الجيفة إلا عظامًا، فرجع وأخبر السلحف بزوال العدو من مكانه وقال له: «اعلم أنى أحب الرجوع إلى مكانى لأتملى بخلانى فإنه لا صبر للعاقل على فراق وطنه». فأتيا إلى ذلك المكان فلم يجدا شيئًا مما يخافان منه، فأنشد طير الماء هذين البيتين:

«ولرُبَّ نازلة يضيق لها الفتى ذرعًا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج»

ثم إنهما سكنا فى تلك الجزيرة، فبينما طير الماء مسرور آمن إذ ساق القضاء إليه بازيًا جائعًا فضربه بمخلبه فى بطنه فقتله، ولم يغن عنه الحذر عند فراغ الأجل، وسبب قتله غفلته عن التسبيح.

قيل: «إن تسبيحه سبحان ربنا فيما أغنى وأفقر». فقال الملك: «يا شهرزاد لقد زدتنى بحكاياتك مواعظ واعتبارًا، فهل عندك شىء من حكايات الوحوش؟» قالت: «نعم».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية الثعلب والذئب

قالت شهرزاد: اعلم أيها الملك أن ثعلبًا وذئبًا ألفا وكرًا، فكان يأويان إليه مع بعضهما ويبيتان فيه، وكان الذئب قاهرًا للثعلب، فلبثا على ذلك مدة من الزمان، فاتفق أن الثعلب أشار على الذئب بالرفاق وترك الفساد وقال له: «اعلم أنك إن دمت على عتوك ربما سلط الله عليك ابن آدم فإنه ذو حيل ومكر وخداع، يصيد الطير من الجو والحوت من البحر ويقطع الجبال وينقلها من مكان إلى مكان، وكل ذلك من حيله ومكره، فعليك بالرفق والإنصاف وترك الشر والاعتساف، فإنه أهنأ لعيشك». فلم يقبل الذئب قوله وأغلظ له الرد وقال له: «ما لك والكلام فى عظيم الأمور وجسيمها»، ثم لطم الثعلب لطمة فخر منها مغشيا عليه، فلما أفاق ضحك فى وجه الذئب وأقبل معتذرًا إليه من الكلام الشين قائلاً له:

«إن كنت قد أذنبت ذنبًا سالفًا فى حبكم وأتيت شيئًا منكرا
أنا تائب عما جنيت وعفوكم يسع المسئ إذا أتى مستغفرا»

فقبل الذئب عذره وكف عنه أشراره وقال له: «لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع مالا يرضيك».

فقال له الثعلب: «سمعًا وطاعة، فأنا بمعزل عما لا يرضيك، فقد قال الحكيم لا تقل عما لا تُسأل عنه، ولا تجب إلى ما لا تدعى إليه، وذر الذى لا يعنيك إلى ما يعنيك، ولا تبذل النصيحة للأشرار فإنهم يجازوك عليها شرا»، وعند هذا تبسم الثعلب فى وجه الذئب ولكنه أضمر له مكرًا وقال: «لا بد أن أسعى وأكون سببًا لهلاك هذا الذئب»، وصبر على أذى الذئب وقال فى نفسه: «إن البطر والافتراء يكونان سببًا للهلاك، ويوقعان فى الارتباك، فقد قيل: من بطر خسر، ومن جهل ندم، ومن خاف سلم، والإنصاف من شيم الأشراف، والآداب أشرف الاكتساب، ومن الرأى مداراة هذا الباغى، ولا بد له من مصرع». ثم إن الثعلب قال له: «إن الرب يغفر للعبد المذنب ويتوب على عبده إن اقترف الذنوب، وأنا عبد ضعيف وقد ارتكبت فى نصحك التعسيف، ولو علمت بما حصل لى من ألم لطمتك لعلمت أن الفيل لا يقوم به ولا يقدر عليه، ولكنى لا أشتكى من ألم هذه اللطمة بسبب ما حصل لى بها من السرور، فإنها وإن كانت قد بلغت منى مبلغًا عظيمًا فعاقبتها سرور، وقد قال الحكيم: «ضرب المؤدب أوله صعب وآخره أحلى من العسل المصفى». فقال الذئب: «قد غفرت ذنبك وأقلت عثرتك، فكن من قوتى على حذر واعترف لى بالعبودية فقد علمت قهرى لمن عادانى»، فسجد له الثعلب وقال له: «أطال الله عمرك ولا زلت قاهرًا لمن عاداك»، ولم يزل الثعلب خائفًا من الذئب مداريًا مصانعًا له.

ثم إن الثعلب أتى إلى الكرم يومًا فرأى فى حائطه ثلمة فأنكرها وقال فى نفسه: «إن هذه الثلمة لا بد لها من سبب، وقد قيل فى المثل: من رأى خرقًا فى الأرض فلم يجتنبه وينكص عن الإقدام عليه كان بنفسه مغرورًا وللهلاك متعرضًا، وقد اشتهر أن بعض الناس يعمل صورة الثعلب فى الكرم ويقدم إليه العنب فى الأطباق لأجل أن يرى ذلك ثعلب فيقدم إليه فيقع فى الهلاك، وإنى أرى هذه الثلمة مكيدة، وقد قيل فى المثل: الحذر نصف الشطارة، ومن الحذر أن أبحث هذه الثلمة وأنظر لعلى أجد عندها مكيدة تؤدى إلى التلف ولا يحملنى الطمع على أن ألقى نفسى فى الهلكة»، ثم دنا منها وطاف بها وهو محاذر وتأملها فإذا هى حفيرة عظيمة قد حفرها صاحب الكرم ليصيد فيها الوحش الذى يفسد الكرم، فقال لنفسه: «إنك نلت ما أملت، ورأى عليها غطاءً خفيفًا رقيقًا، فتأخر عنها وقال: «الحمد لله لأنى حذرتها، وأرجو أن يقع فيها عدوى الذئب الذى نغص عيشى، فيخلو لى الكرم وأستقل به وحدى وأعيش فيه آمنًا»، ثم هز رأسه وضحك ضحكًا عاليًا وأنشد يقول هذه الأبيات:

«ليتنى أبصرت هذا	الوقت فى ذى البئر ذئبا
طالما قد ساء قلبى	وسقانى المر غصبا
ليتنى من بعد ذا	أبقى ويقضى الذئب نحبا
ثم يخلو الكرم منه	وأرى لى فيه نهباء

فلما فرغ من شعره انطلق مسرعًا حتى أتى إلى الذئب وقال: «إن الله سهل لك الأمور إلى الكرم بلا تعب، وهذا من سعادتك، فهنيئًا لك بما فتح الله عليك وسهل لك من تلك

الغنيمة السائغة والرزق الواسع بلا مشقة». فقال الذئب للثعلب: «وما الدليل على ما وصفت؟» قال: «إنى انتهيت إلى الكرم فوجدت صاحبه قد مات وافترسه الذئب، ودخلت البستان فرأيت الأثمار زاهية على الأشجار»، فلم يشك الذئب فى قول الثعلب وأدركه الشره، فقام حتى انتهى إلى الثلمة وقد غره الطمع ووقف الثعلب متهافتًا كالميت، وتمثل بهذا البيت:

«أتطمع من ليلى بوصل وإنما ... تضر بأعناق الرجال المطامع»

فلما انتهى الذئب إلى الثلمة قال له الثعلب: «ادخل إلى الكرم فقد كفيت مؤنة التسلق وهدم حائط البستان، وعلى الله تمام الإحسان»، فأقبل الذئب ماشيًا يريد الدخول إلى الكرم، فلما توسط غطاء الثلمة هوى فيها، فاضطرب الثعلب اضطرابًا شديدًا من السرور والفرح، وزال عنه الهم والترح، وطرب بالنغمات، وأنشد هذه الأبيات:

«رق الزمان لحالتى ... ورثى لطول تحرقى
وأنالنى ما أشتهى ... وأزال مما أتقى
فلأصفحن عما جنا ... ه من الذنوب السبق
فالذئب ليس له خلا ... ص من هلاك موبق
والكرم لى وحدى وما ... لى من شريك أحمق»

ثم إنه نظر فى الحفرة فرأى الذئب يبكى ندمًا وحزنًا على نفسه، فبكى الثعلب معه، فرفع الذئب رأسه إلى الثعلب وقال له: «أمن رحمتك بكيت يا أبا الحصين؟» قال: «لا والذى قذفك فى هذه الحفرة، إنما بكيت لطول عمرك الماضى وأسفًا على كونك لم تقع فى هذه الثلمة قبل اليوم، ولو وقعت فيها قبل اجتماعى بك لكنت أرحت واسترحت، ولكن أبقيت على أجلك المحتوم، ووقتك المعلوم»، فقال له الذئب كالمازح: أيها المسىء فى فعله رح لوالدتى وأخبرها بما حصل لى لعلها تحتال على خلاصى»، فقال له الثعلب: «لقد أوقعك فى الهلاك شدة طمعك وكثرة حرصك حيث سقطت فى حفرة لست منها بسالم، ألم تعلم أيها الذئب الجاهل أن صاحب المثل السائر يقول: من لم يفكر فى العواقب، فما الدهر له بصاحب، ولم يأمن المعاطب؟» فقال الذئب للثعلب: «يا أبا الحصين إنما كنت تظهر محبتى وترغب فى مودتى، وتخاف من شدة قوتى، فلا تحقد علىّ بما فعلت معك، فمن قدر وعفا كان أجره على الله، وقد قال الشاعر:

«ازرع جميلاً ولو فى غير موضعه ... فلا يضيع جميل أينما زرعا
إن الجميل وإن طال الزمان به ... فليس يحصده إلا الذى زرعا»

فقال له الثعلب: «يا أجهل السباع، وأحمق الوحوش فى البقاع، هل نسيت تجبرك، وعتوك وتكبرك؟ وأنت لم ترع حق المعاشرة، ولم تنتصح بقول الشاعر:

«لا تظلمنَّ إذا ما كنت مقتدرًا ... إن الظلوم على حد من النقم
تنام عينك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم»

فقال له الذئب: «يا أبا الحصين لا تؤاخذنى بسابق الذنوب، فالعفو من الكرام مطلوب، وصنع المعروف من أعظم الذخائر، وما أحسن قول الشاعر:

بادر بخير إذا ما كنت مقتدرًا فليس فى كل حين أنت مقتدر»

ولم يزل الذئب يتذلل للثعلب ويقول له: «لعلك تقدر على شىء تخلصنى به من الهلاك».
فقال له الثعلب: «أيها الذئب الجاهل، المغرور الماكر الغادر، لا تطمع فى الخلاص فإن هذا جزاء لقبيح فعلك وقصاص»، ثم ضحك بالشدقين، وأنشد هذين البيتين:

«لا تكثرن خداعى فلن تنال منالا
ما رمت منى محالا زرعت فاحصد وبالا»

فقال له الذئب: «يا حليم السباع أنت عندى أوثق من أن تسلمنى فى هذه الحفرة»، ثم بكى واشتكى، وأفاض دمع العينين، وأنشد هذين البيتين:

«يا من أياديه عندى غير واحدة ومن مواهبه تنمو عن العدد
ما نابانى من زمانى قط نائبة إلا وجدتك فيها آخذًا بيدى»

فقال له الثعلب: «أيها العدو الأحمق كيف صرت إلى التضرع والخشوع، والذلة والخضوع، بعد الأنفة والتكبر، والظلم والتجبر، لقد صحبتك خائفًا من عدوانك، وتملقت لك لا رغبة فى إحسانك، والآن نزلت بك الرجفة، وحلت بك النقمة»، وأنشد:

«يا أيها الملتمس الخديعه وقعت فى نيّتك الشنيعه
فذق وبال المحنة الفظيعه وكن مع الذئاب فى قطيعه»

فقال له الذئب: «أيها الحليم لا تكن بلسان أهل العداوة ناطقًا، وبعينهم محدقًا، وكن وافيًا بعهد ائتلافى، قبل أن يفوت وقت التلافى، وقم وتسبب لى فى حبل تشد طرفه فى شجرة وتدلى طرفه الآخر إلى حتى أتعلق به لعلى أنجو مما أنا فيه وأدفع لك جميع ما حوته يدى من الذخائر»، فقال له الثعلب: «لقد أكثرت من المحاورة فيما ليس فيه خلاصك، فلا تطمع فى ذلك، فلن تنال منى ما تحدثك به نفسك، واذكر ما سلف من سوء فعلك، وما تضمره لى من الغدر والمكر، وأين أنت من الرجم بالحجارة؟، واعلم بأن ذاتك للدنيا مفارقة، ومنها زائلة، وعنها راحلة، ثم تصير إلى الدمار، وسوء الدار، فبئس القرار» فقال له الذئب: «يا أبا الحصين كن قريب الرجوع إلى الوداد، ولا تصر على ضغائن الأحقاد، واعلم أن من خلص نفسًا من الهلاك فقد أحياها، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا، ولا تتبع الفساد فإن الحكماء نهوا عنه، ولا فساد أظهر من كونى فى تلك الحفرة أتجرع غصص الموت وأنظر إلى الهلاك وأنت قادر على خلاصى من الارتباك فجد علىّ بالخلاص وافعل معى جميلاً»، فقال له الثعلب: «أيها الفظ الغليظ إنى أشبهك فى حسن علانيتك وقولك، وأقيس قبح نيتك وفعلك بالبازى مع الحجل».

فقال الذئب: «وكيف ذلك؟» فقال الثعلب: «دخلت يومًا كرمًا لآكل من عنبه، فبينما أنا فيه إذ رأيت بازيًا انقض على حجل، فلما اقتنصه انفلت منه الحجل ودخل وكره واختفى فيه، فتبعه البازى وناداه: «أيها الجاهل إنى رأيتك فى البريَّة جائعًا فرحمتك والتقطت لك حبا وأمسكته لتأكل، فهربت منى ولم أعرف لهروبك وجهًا إلا الحرمان، فاظهر وخذ ما أتيتك به من الحب فكله هنيئًا مريئًا». فلما سمع الحجل قول البازى صدقه وخرج إليه، فانشب مخالبه

فيه ومكنها منه فقال له الحجل: «هذا الذى ذكرت أنك أتيت لى به من البرية وقلت لى: كله هنيئًا مريئًا، فكذبت علىّ، جعل الله ما تأكله من لحمى فى جوفك سما قاتلاً»، فلما أكله وقع ريشه وسقطت قوته ومات لوقته.

ثم قال له الثعلب: «اعلم أيها الذئب أن من حفر لأخيه قليبًا وقع فيه قريبًا، وأنت غدرت بى أولاً»، فقال الذئب للثعلب: «دعنى من هذا المقال، وضرب الأمثال، ولا تذكر لى ما سلف منى من قبيح الفعال، ويكفينى ما أنا فيه من سوء الحال، لأنى قد حصلت فى موضع يرثى لى منه العدو فضلاً عن الصديق، واصنع لى حيلة أتخلص بها ويكون فيها غياثى وإن كان عليك فى ذلك مشقة، فقد يتحمل الصديق لصديقه أشد النصب، ويخاطر بنفسه فيما فيه نجاته من العطب، فقد قيل: إن الصديق الشفيق، خير من الأخ الشقيق، فإن تسببت فى نجاتى ونجوت لأجمعن لك من الآلة ما يكون لك عدة، ثم لأعلمنك من الحيل الغريبة ما تفتح به الكروم الخصبة، وتجنى الأشجار المثمرة، فطب نفسًا وقرّ عينًا»، فقال له الثعلب وهو يضحك: «ما أحسن ما قالته العلماء فى كثير الجهل مثلك»، قال الذئب: «وما قالت العلماء؟».

قال الثعلب: «ذكر العلماء أن الغليظ الجثة الغليظ الطبع يكون بعيدًا من العقل قريبًا من الجهل، وأما قولك أيها المغرور الماكر الأحمق، قد يتحمل الصديق المشقة فى تخليص صديقه، فصحيح كما ذكرت ولكن عرفنى بجهلك وقلة عقلك كيف أصادقك مع خيانتك؟ أحسبتنى لك صديقًا وأنا لك عدو شامت! وهذا الكلام أشد من القتل ورشق السهام إن كنت تعقل، وأما قولك، تدفع لى من الآلة ما يكون عدة لى وتعلمنى من الحيل ما أصل به إلى الكروم المخصبة وأجتنى به الأشجار المثمرة، فما لك أيها المخادع الغادر لا تعرف لك حيلة تتخلص بها من الهلاك، فما أبعدك من المنفعة لنفسك، وما أبعدنى من القبول لنصيحتك، فإن كان عندك حيلة فتحيل لنفسك من الخلاص من هذا الأمر الذى أسأل الله أن يبعد خلاصك منه، فانظر أيها الجاهل إن كان عندك حيلة فخلص نفسك بها من القتل قبل أن تبذل التعليم لغيرك، ولكن مثل إنسان نابه مرض فأتاه رجل مريض بمثل مرضه ليداويه فقال له: «هل لك أن أداويك من مرضك؟» فقال له الرجل: «هلا بدأت بنفسك بالمداوة»، فخلاه وانصرف، وأنت أيها الذئب الجاهل كذلك، فالزم مكانك، واصبر على ما أصابك».

فلما سمع الذئب كلام الثعلب علم أنه لا خير له عنده، فبكى على نفسه وقال: «قد كنت فى غفلة من أمرى فإن خلصنى الله من هذه الكربة لأتوبنّ من تجبرى على من هو أضعف منى ولألبسنّ الصوف ولأصعدنّ على الجبل ذاكرًا الله تعالى خائفًا من عقابه، وأعتزل سائر الوحوش ولأطعمنّ المجاهدين الفقراء»، ثم بكى وانتحب، فرق له قلب الثعلب، وكأنه لما سمع تضرعه والكلام الذى يدل على توبته من العتو والتكبر أخذته الشفقة عليه، فوثب من فرحته ووقف على شفير الحفرة، ثم جلس على رجليه وأدلى ذنبه فى الحفرة، فقام الذئب ومدّ يده إلى ذنب الثعلب وجذبه إليه فصار فى الحفرة معه، فقال له الذئب: «أيها الثعلب القليل الرحمة كيف تشمت بى وقد كنت صاحبى وتحت قهرى؟ وقد وقعت معى فى الحفرة وتعجلت لك العقوبة، وقد قالت الحكماء: لو عاير أحدكم أخاه برضاع كلبة لارتضعها، وما أحسن قول الشاعر:

«إذا ما الدهر جر على أناس كلا كله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

والموت فى اجتماع من أحسن الأشياء، فلأعجلن قتلك قبل أن ترى قتلى»، فقال الثعلب فى نفسه: آه آه إنى وقعت مع هذا الجبار، وهذا الحال يحتاج إلى المكر والخداع، وقد قيل: إن المرأة تصوغ حليها ليوم الزينة»، وفى المثل: ما ادخرتك يا دمعتى إلا لشدتى»، وإن لم أتحيل فى أمر هذا الوحش الظالم هلكت لا محالة، وما أحسن قول الشاعر:

«عش بالخداع فأنت فى زمن بنوه كأسد بيشه
وأدر قناة المكر حتى تستدير رحى المعيشه
واجن الثمار فإن تفتك فرض نفسك بالحشيشه»

ثم إن الثعلب قال للذئب: «لا تعجل على بالقتل فليس هذا جزائى، فتندم أيها الصنديد، صاحب القوة والبأس الشديد، وإن تمهلت وأمعنت النظر فيما أحكيه لك عرفت قصدى الذى قصدته، وإن عجلت بقتلى فلا يحصل فى يدك شىء ونموت جميعًا ههنا»، فقال له الذئب: «أيها الخادع الماكر وما الذى ترجوه من سلامتى وسلامتك حتى تسألنى التمهل عليك؟ فأعلمنى وأخبرنى بقصدك الذى قصدت» فقال له الثعلب: «أما قصدى الذى قصدته فما ينبغى أن تحسن عليه مجازاتى، لأنى لما سمعت ما وعدت من نفسك واعترافك بما سلف منك وتلهفك على ما فاتك من التوبة وفعل الخير وسمعت ما نذرته على نفسك إن نجوت مما أنت فيه من كف الأذى عن الأصحاب وغيرهم وتركك أكل العنب وسائر الفواكه ولزومك الخشوع وتقليم أظافرك وتكسير أنيابك ولبس الصوف وتقريبك القربان لله تعالى أخذتنى الشفقة عليك، فإن خير القول أصدقه، مع أننى كنت على هلاكك حريصًا، فلما سمعت منك توبتك وما نذرته على نفسك إن نجاك الله لزمنى لك الخلاص مما أنت فيه، فادليت لك ذنبى لكيما تتعلق به وتنجو، فلم تترك الحالة التى أنت عليها من العنف والشدة ولم تلتمس النجاة والسلامة لنفسك بالرفق بل جذبتنى جذبة ظننت منها أن روحى قد خرجت فصرت أنت وأنت فى منزلة الهلاك والموت وما ينجينى وأنت إلا شىء إن قبلته منى خلصت أنا وأنت وبعد ذلك يجب عليك أن تفى بما نذرته وأكون رفيقك».

فقال له الذئب: «وما الذى أقبله منك؟» قال له الثعلب: «تنهض قائمًا ثم أعلو أنا فوق رأسك حتى أساوى قريب ظهر الأرض فأهمز فأصير فوقها وأخرج أنا وآتيك بما تتعلق به وتخلص أنت بعد ذلك»، فقال له الذئب: «لست بقولك واثقًا لأن الحكماء قالوا: «من استعمل الثقة فى موضع الحقد كان مخطئًا، ومن وثق بغير ثقة كان مغرورًا، ومن جرَّب المجرب حلت به الندامة وذهبت أيامه ضياعًا، ومن لم يرفق بين الحالات فيعطى كل حالة حظها بل حمل الأشياء كلها على حالة واحدة قل حظه وكثرت مصائبه، وما أحسن قول الشاعر:

«لا يكن ظنك إلا سيئًا إن سوء الظن من أقوى الفطن
ما رمى الإنسان فى مهلكة مثل فعل الخير والظن الحسن»

وقول الآخر:

الزم يقينك سوء الظن تنج بـــه ... من عاش مستيقظًا قلت مصائبه
والق العدو بوجه باســــم طلق ... وانصب له فى الحشا جيشًا يحاربه

وقول الآخر:

«أعدى عدوك أدنى من وثقت بــه ... فحاذر الناس واصحبهم على دخل
وحسن ظنك بالأيام معجزة ... فظن شرا وكن منها على وجل»

فقال له الثعلب: «إن سوء الظن ليس بمحمود فى كل حال، وحسن الظن من شيم الكمال، وعاقبته النجاة من الأهوال، وينبغى لك أيها الذئب أن تعمل حيلة على النجاة مما أنت فيه ونسلم جميعًا خير من موتنا، فارجع عن سوء الظن والحقد، لأنك إن أحسنت الظن فالأمر على وجهين: إما أن آتيك بما تتعلق به وتنجو مما أنت فيه، وإما أن أغدر بك فأخلص وأدعك، وهذا مما لا يمكن فإنى لا آمن أن أبتلى بشىء مما ابتليت به فيكون ذلك عقوبة الغدر، وقد قيل فى الأمثال:

الوفاء مليح، والغدر قبيح، فينبغى أن تثق بى فإنى لم أكن جاهلاً بحوادث الدهر، فلا تؤخر حيلة خلاصنا فالأمر أضيق من أن نطيل فيه الكلام»، فقال الذئب: «إنى مع قلة ثقتى بوفائك قد عرفت ما فى خاطرك من أنك أردت خلاصى لما سمعت من توبتى فقلت فى نفسى: إن كان محقا فيما زعم فإنه يستدرك ما أفسد، وإن كان مبطلاً فجزاؤه على ربه، وها أنا أقبل منك ما أشرت به علىَّ فإن غدرت بى كان الغدر سببًا لهلاكك»، ثم إن الذئب انتصب قائمًا فى الحفرة وأخذ الثعلب على أكتافه حتى ساوى به ظاهر الأرض، فقفز الثعلب عن أكتاف الذئب فصار على وجه الأرض.

فلما صار خارج الحفرة وقع مغشيا عليه، فقال له الذئب: «يا خليلى لا تغفل عن أمرى ولا تؤخر خلاصى»، فضحك الثعلب وقهقه وقال: «أيها المغرور لم يوقعنى فى يديك إلا عقوبة المزح والسخرية بك، وذلك أنى لما سمعت توبتك التى لا تصدق استخفنى الفرح فطربت ورقصت فتدلى ذنبى فى الحفرة فجذبتنى فوقعت عندك، ثم أنقذنى الله تعالى منك، فما لى لا أكون عونًا على هلاكك لأنك من حزب الشيطان؟ وأنى رأيت البارحة فى منامى أنى أرقص فى عرسك، فقصصت الرؤيا على معبر فقال لى:

إنك تقع فى ورطة وتنجو منها، فعلمت أن وقوعى فى يدك ونجاتى هو تأويل رؤياى وأنت تعلم أيها المغرور الجاهل أنى عدوك فكيف تطمع بقلة عقلك وجهلك فى إنقاذى إياك مع ما سمعت من غلظ كلامى وكيف أسعى فى نجاتك، «وقد قالت العلماء: «إن فى موت الفاجر راحة للناس وتطهيرًا للأرض؟ ولولا مخافتى أن أحتمل من الألم فى الوفاء لك ما هو أعظم من ألم الغدر لتدبرت فى خلاصك». فلما سمع الذئب كلام الثعلب عض على كفه ندمًا، ثم لين له الكلام ولم يجد بدا من ذلك فلم تجده الملاطفة شيئًا، فقال له بلسان خافت: «إنكم معاشر الثعالب من أحلى القوم لسانًا وألطفها مزاحًا وهذا منك مزاح، ولكن ما كل وقت يحسن اللعب والمزاح»، فقال الثعلب:

«أيها الجاهل إن للمزاح حدا ولا يجاوزه صاحبه، فلا تظن أن الله يمكنك منى بعد أن

أنقذتني من يديك». فقال له الذئب: «إنك لجدير أن ترغب في خلاصي لما بيننا من سابق المؤاخاة والصحبة، وإن خلصتني فلا بد أن أحسن مكافأتك». فقال الثعلب: «إن الحكماء قالوا: لا تؤاخ الجاهل الفاجر فإنه يشينك ولا يزينك، ولا تؤخ الكذاب فإنه إن بدا منك خير أخفاه، وإن بدا منك شر أفشاه، وقالت الحكماء: لكل شيء حيلة إلا الموت، ويصلح كل شيء إلا فساد الجوهر وقد يدفع كل شيء إلا القدر، وأما من جهة المكافأة التي زعمت أني استحقها منك فإني شبهتك في مكافأتك بالحية الهارية من الحاوي إذ رآها رجل وهي مرعوبة فقال لها:

«ما شأنك أيتها الحية؟» فقالت: «هربت من الحاوي فإنه يطلبني ولئن أنجيتني منه وأخفيتني عندك لأحسنن مكافأتك وأصنع معك كل جميل». فأخذها اغتنامًا للأجر وطمعًا في المكافأة فأدخلها في جيبه، فلما فات الحاوي ومضى إلى حال سبيله وزال عن الحية ما كانت تخافه قال لها الرجل: «أين المكافأة فقد أنجيتك مما تخافين وتحذرين؟» فقالت له الحية: «أخبرني في أي عضو وفي أي موضع أنهشك فقد علمت أننا لا نتجاوز هذه المكافأة، ثم نهشته نهشة مات منها، وأنت أيها الأحمق شبهتك بتلك الحية مع ذلك الرجل، أما سمعت قول الشاعر:

«لا تأمنن فتى أسكنت مهجته غيظًا وتحسب أن الغيظ قد زالا
إن الأفاعي وإن لانت ملامسها تبدي انعطافًا وتخفي السم قتالا؟»

فقال له الذئب: «أيها الفصيح صاحب الوجه المليح، لا تجهل حالي وخوف الناس مني وقد علمت أني أهجم على الحصون وأقلع الكروم، فافعل ما أمرتك به وقم بي قيام العبد بسيده». فقال له الثعلب: «أيها الأحمق الجاهل المحاول بالباطل إني تعجبت من حمقك وصلابة وجهك فيما تأمرني به من خدمتك والقيام بين يديك حتى كأنني عبدك اشتريتني بمالك، فسوف ترى ما يحل بك من شدخ رأسك بالحجارة وكسر أنيابك الغدارة».

ثم وقف الثعلب فوق تل يشرف على الكرم، فصاح على أهل الكرم ولم يزل يصيح حتى نبههم وبصروا به وأقبلوا عليه بجمعهم مسرعين، فثبت لهم الثعلب حتى قربوا منه ومن الحفيرة التي فيها الذئب، ثم ولى الثعلب هاربًا، فنظر أصحاب الكرم في الحفيرة فرأوا الذئب فيها، فمالوا عليه بالحجارة الثقال، ولم يزالوا يضربونه بالحجارة والخشب ويطعنونه بأسنة الرماح حتى قتلوه وانصرفوا، فرجع الثعلب إلى تلك الحفرة ووقف على مقتل الذئب فرآه ميتًا فحرك رأسه من شدة الفرحات، وجعل ينشد هذه الأبيات:

«أودى الزمان بنفس الذئب فاختطفت بعدًا وسحقًا لها من مهجة تلفت
فكم سعيت أبا سرحان في تلفي فاليوم حلت بك الآفات واكتنفت
وقعت في حفرة ما حلها أحد إلا وفيها رياح الموت قد عصفت»

ثم إن الثعلب أقام بالكرم وحده مطمئنًا لا يخاف ضررًا إلى أن أتاه الموت، وهذا ما كان من حديث الذئب.

حكاية الفأرة وبنت عرس

ومما يحكى أن فارة وبنت عرس كانا ينزلان منزلاً لدهقان، وكان ذلك الدهقان فقيرًا، وقد مرض بعض أصدقائه فوصف له الطبيب السمسم المقشور، فأعطى قدرًا من السمسم

لذلك الدهقان الفقير ليقشره له، فأتى به إلى زوجته وأمرها بإصلاحه، فبلته ونشرته وخففته وأصلحته، فلما عاينت بنت عرس السمسم أتت إليه ولم تزل تنقل من ذلك السمسم إلى حجرها طول يومها حتى نقلت أكثره، وجاءت المرأة فرأت نقصان السمسم واضحًا فوقفت تتعجب، فجلست ترصد من يأتي إليه حتى تعلم سبب نقصانه، فنزلت بنت عرس لتنقل منه على عادتها فرأت المرأة جالسة فعلمت أنها ترصدها فقالت في نفسها: «إن لهذا الفعل عواقب ذميمة وإني أخشى من تلك المرأة أن تكون لي بالمرصاد، ومن لم ينظر في العواقب فما الدهر له بصاحب، ولا بد لي أن أعمل عملاً حسنًا أظهر به براءتي وأغسل به جميع ما عملته من القبيح»، فجعلت تنقل من ذلك السمسم الذي في بيتها وتخرجه وتجيء به وتضعه على السمسم فوافتها المرأة ورأتها وهي تفعل ذلك فقالت في نفسها: «ما هذه سبب نقصه لأنها تأتي به من جحر الذي اختلسه وتضعه على بعضه، وقد أحسنت إلينا في رد السمسم وما جزاء من أحسن إلا أن يحسن إليه، وليست هذه آفة السمسم، ولكن لا أزال أرصده حتى يقع وأعلم من هو».

فعلمت بنت عرس ما خطر ببال تلك المرأة فانطلقت إلى الفارة وقالت لها: «يا أختي إنه لا خير فيمن لا يراعي المجاورة ولا يثبت على المودة» فقالت الفارة: «نعم يا خليلتي وأنعم بك وبجوارك، فما سبب هذا الكلام؟» قالت بنت عرس: «إن رب البيت أتى بسمسم فأكل منه هو وعياله وشبعوا واستغنوا عنه وتركوه كثيرًا، وقد أخذ منه كل ذي روح، فلو أخذت أنت الأخرى كنت أحق به ممن أخذ منه»، فأعجب الفارة ذلك وزقزقت ورقصت ولعبت آذانها وذنبها وغرها الطمع في السمسم فقامت من وقتها وخرجت من بيتها فرأت السمسم مجففًا مقشورًا يلمع من البياض والمرأة جالسة ترصده، فلم تفكر الفارة في عاقبة الأمر وكانت المرأة قد استعدت بهراوة، فلم تتمالك الفارة نفسها إلى أن دخلت في السمسم وخالطته وعاشت فيه وصارت تأكل منه، فضربتها المرأة بتلك الهراوة فشجت رأسها، وكان سبب هلاكها الطمع وغفلتها عن عواقب الأمور.

فقال الملك: «يا شهرزاد والله إن هذه أحدوثة مليحة فهل عندك حديث في حسن الصداقة وحفظها عند الشدة في التخلص من الهلكة؟» قالت: «نعم».

حكاية السنور والغراب

«بلغني أن غرابًا وسنورًا كانا متآخيين، فبينما هما تحت شجرة على تلك الحالة إذ رأيا نمرًا مقبلاً على تلك الشجرة التي كانا تحتها، ولم يعلما به حتى صار قريبًا من الشجرة، فطار الغراب إلى أعلى الشجرة وبقي السنور متحيرًا، فقال للغراب: «يا خليلي هل عندك حيلة في خلاصي كما هو الرجاء فيك؟» فقال له الغراب: «إنما تلتمس الإخوان عند الحاجة إليهم في الحيلة عند نزول المكروه بهم، وما أحسن قول الشاعر:

«إن صديق الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيك شمله ليجمعك»

وكان قريبًا من الشجرة رعاة معهم كلاب فذهب الغراب حتى ضرب بجناحه وجه

الأرض ونعق وصاح، ثم تقدم إليهم وضرب بجناحه وجه بعض الكلاب وارتفع قليلاً وتبعته الكلاب وصارت فى أثره، فرفع الراعى رأسه فرأى طائرًا يطير قريبًا من الأرض ويقع فتبعه، وصار الغراب لا يطير إلا بقدر النجاة والخلاص من الكلاب ويطمعها فى أن تفترسه، ثم ارتفع قليلاً وتبعته الكلاب حتى انتهى إلى الشجرة التى تحتها النمر. فلما رأت الكلاب النمر وثبت عليه فولى هاربًا، وكان يظن أنه يأكل القط فنجا منه ذلك القط بحيلة صاحبه الغراب، فهذه الحكاية أيها الملك تدل على أن مودة إخوان الصفا تخلص وتنجى من الهلكات والوقوع فى المعاطب».

حكاية الثعلب والغراب

«وحكى أن ثعلبًا سكن فى بيت من الجبل، وكان كلما ولد ولدًا واشتد ولده أكله من الجوع، وإن لم يأكل ولده وخلاه وقعد عنده يحفظه ويحرصه مات من الجوع وأضر به ذلك، وكان يأوى إلى ذروة ذلك الجبل غراب، فقال الثعلب فى نفسه: «أريد أن أعقد بينى وبين هذا الغراب مودة وأجعله لى مؤنسًا على الوحدة معاونًا على طلب الرزق لأنه يقدر من ذلك على ما لا أقدر عليه»، فدنا الثعلب من الغراب حتى صار قريبًا منه بحيث يسمع كلامه، فسلم عليه ثم قال له: «يا جارى إن للجار المسلم على الجار المسلم حقين حق الجيرة وحق الإسلام، واعلم يا خليلى بأنك جارى ولك على حق يجب قضاؤه وخصوصًا مع طول المجاورة، وإن فى صدرى وديعة من محبتك دعتنى إلى ملاطفتك وبعثتنى على التماس أخوتك، فماعندك من الجواب؟» فقال الغراب للثعلب: «إن خير القول أصدقه، وربما تتحدث فى لسانك بما ليس فى قلبك، وأخشى أن تكون أخوتك فى اللسان ظاهرًا وعداوتك فى القلب باطنًا، لأنك آكل وأنا مأكول، فوجب لنا التباين فى المحبة والمواصلة، فما الذى دعاك إلى طلب ما لا تدرك وإرادة ما لا يكون وأنت من جنس الوحش وأنا من جنس الطير؟ وهذه الأخوة لا تتم ولا تصح».

فقال له الثعلب: «إن من علم موضع الأجلاء فأحسن الاختيار فيما يختاره منها ربما يصل إلى منافع الإخوان، وقد أحببت قربك واخترت الأنس بك ليكون بعضنا عونًا لبعض على أغراضنا ويعقب مودتنا النجاح، وعندى حكايات فى حسن الصداقة إن أردت أن أحكيها حكيتها لك»، فقال الغراب: «قد أذنت لك فى أن تبثها فقل وحدثنى بها حتى أسمعها وأعيها وأعرف المراد منها»، فقال له الثعلب: «اسمع يا خليلى. يحكى عن برغوث وفارة ما يستدل به على ما ذكرته لك»، فقال الغراب: «وكيف كان ذلك؟».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية البرغوث والفأرة

قالت شهرزاد: قال الثعلب: «زعموا أن فأرة كانت فى بيت رجل من التجار عظيم التجارة كثير المال، فأوى البرغوث ليلة إلى فراش ذلك التاجر فوجد له بدنًا ناعمًا، وكان البرغوث عطشان فشرب من دمه، فوجد التاجر من البرغوث ألما فاستيقظ من النوم فجلس

قاعدًا ونادى لجواريه وبعض أتباعه، فأسرعوا إليه وشمروا عن أيديهم يطوفون على البرغوث، فلما أحسَّ البرغوث بالطلب ولى هاربًا، فصادف جحر الفارة فدخله فلما رأته الفارة قالت له: «ما الذى أدخلك على ولست من جوهرى ولا من جنسى ولست بآمن من الغلظة عليك، ولا المنازعة إليك ولا مضارتك؟» فقال لها البرغوث: «إنى هربت فى منزلك وفزت بنفسى من القتل وأتيتك مستجيرًا بك ولا طمع لى فى بيتك ولا يلحقك منى شر يدعوك إلى الخروج من منزلك وإنى أرجو أن أكافئك على إحسانك إلى بكل جميل، وسوف تجدين وتحمدين عاقبة ما أقول لك».

فلما سمعت الفارة كلام البرغوث قالت: «إذا كان الكلام على ما رسمت وأخبرت فاطمئنَّ هنا وما عليك إلا مطر السلامة، ولا تجد إلا ما يسرك ولا يصيبك إلا ما يصيبنى، وقد بذلت لك مودتى ولا تندم على ما فاتك من دم التاجر ولا تأسف على قوتك منه وارض بما تيسر لك ببلغة من العيش فإن ذلك أسمى لك، وقد سمعت أيها البرغوث بعض الشعراء من الوعاظ يقول هذه الأبيات:

«سلكت القناعة والانفراد	وقضيت دهرى بما اتفق
بكسرة خبز وشربة ماء	وملح جريش وثوب خلق
فإن يسر الله فى عيشتى	وإلا قنعت بما قد رزق»

فلما سمع البرغوث كلام الفارة قال: «يا أختى قد سمعت وصيتك، وأنا منقاد إلى طاعتك ولا قوة لى على مخالفتك إلى إن ينقضى العمر بتلك النية الحسنة»، فقالت له الفارة: «كفى بصدق المودة صلاح النية»، فاتصل الود وانعقد بينهما، وكان البرغوث بعد ذلك يأوى إلى فراش التاجر ولا يتجاوز بلغته ويأوى بالنهار مع الفارة فى مسكنها، فاتفق أن التاجر جاء ليلة إلى منزله بدنانير كثيرة فجعل يقلبها، فلما سمعت الفارة صوت الدنانير أطلعت رأسها من جحرها وجعلت تنظر إليها حتى وضعها التاجر تحت وسادته ونام.

فقالت الفارة للبرغوث: «أما ترى الفرصة الممكنة والحظ العظيم فهل عندك حيلة توصلنا إلى بلوغ الغرض من تلك الدنانير؟» فقال البرغوث: «إنه لا يحسن لمن طلب الغرض إلا أن يكون قادرًا عليه فإن كان ضعيفًا عنه وقع فيما يحذره ولم يدرك مراده مع الضعف وإن استحكمت قوة المحتال، كالعصفور الذى يلتقط الحب فيقع فى الشبكة فيقتنصه صائده، وليس لك قوة على أخذ الدنانير ولا على إخراجها من البيت وأنا لا طاقة لى على ذلك بل ولا أقدر ولا على حمل دينار واحد منها، فأنت وشأنك بالدنانير»، فقالت له الفارة: «إنى أعددت فى حجرى هذا سبعين منفذًا أخرج منه إذا طلبت الخروج وأعددت للذخائر موضعًا حريزًا، وإن تحيلت أنت وأخرجته من البيت فلست أشك فى الظفر إن ساعدنى القدر»، فقال لها البرغوث: «قد التزمت لك بإخراجه من البيت».

ثم انطلق البرغوث إلى فراش التاجر ولدغه لدغة مفزعة لم يكن تقدم منه للتاجر مثلها، وتنحى البرغوث إلى موضع يأمن فيه على نفسه من التاجر، فانتبه التاجر يطلبه فلم يجده فرقد على جانبه الآخر، فلدغه البرغوث لدغة أشد من الأولى، فقلق التاجر وفارق مضجعه وخرج إلى مصطبة على باب داره فنام هناك ولم ينتبه إلى الصباح، ثم إن الفارة

أقبلت على نقل الدنانير حتى لم تترك منها شيئًا فلما أصبح الصباح صار التاجر يتهم الناس ويظن الظنون».

ثم قال الثعلب للغراب: واعلم أنى لم أقل لك هذا الكلام أيها الغراب البصير والعاقل الخبير، إلا لأجل أن يصل إليك جزاء إحسانك إلى كما وصل للفأرة جزاء إحسانها إلى البرغوث، فانظر كيف جازاها وكافأها بأحسن المكافأة»، فقال الغراب: «إن شاء المحسن يحسن أو لا يحسن، وليس الإحسان واجبًا لمن التمس صلة بقطيعة، وإن أحسنت إليك مع كونك عدوى أكون قد تسببت فى قطيعة نفسى، وأنت أيها الثعلب ذو مكر وخداع، ومن شيمته المكر والخديعة لا يؤمن على عهد، ومن لا يؤمن على عهد لا أمان له.

وقد بلغنى عنك من قريب أنك غدرت بصاحب لك وهو الذئب ومكرت به حتى أهلكته بغدرك وحيلتك وفعلت به هذه الأمور مع أنه من جنسك، وقد صحبته مدة مديدة فما أبقيت عليه، فكيف أثق منك بنصيحة؟ وإذا كان هذا فعلك مع صاحبك الذى من جنسك فكيف يكون فعلك من عدوك الذى من غير جنسك؟ وما مثالك معى غير مثال الصقر مع ضوارى الطير»، فقال الثعلب: «وكيف ذلك؟» فقال الغراب:

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية الصقر مع ضوارى الطير

قالت شهرزاد: «زعموا أن صقراً كان جبارًا عنيدًا فى أيام شبيبته، وكانت تفزع منه سباع الطير وسباع البر ولا يسلم من شره أحد وله وقائع كثيرة فى ظلمه وتجبره.

وكان دأب هذا الصقر الأذى لسائر الطيور، فلما مرت عليه السنون ضعفت قوته وانهدَّ حيله وجاع واشتد جهده بعد فقد قوته، فأجمع رأيه على أن يأتى مجمع الطير فيأكل ما يفضل منها، فعند ذلك صار قوته بالحيلة بعد القوة والشدة، وأنت كذلك أيها الثعلب إن عدمت قوتك ما عدمت خداعك، ولست أشك فى أن ما تطلبه من صحبتى حيلة على قوتك فلا كنت ممن يطرح ويضع يده فى يدك، لأن الله أعطانى قوة فى جناحى وحذرًا فى نفسى وبصرًا فى عينى، واعلم أن من تشبه بأقوى منه تعب وربما هلك، وأنا أخاف عليك إن تشبهت بمن هو أقوى منك أن يجرى لك ما جرى للعصفور»، فقال له الثعلب: «وأى شىء جرى للعصفور فبالله عليك أن تحدثنى بحديثه».

◆ ◆ ◆

حكاية العصفور والعقاب

قال الغراب: «بلغنى أن عصفورًا كان طائرًا بمراح غنم، فنظر إلى هذا المراح ووقف يتأمل فيه وإذا بعقاب كبير انقض على رميس من صغار أولاد الغنم فاختطفه بين مخالبه وطار، فلما رآه العصفور رفرف بجناحه وقال: «أنا أفعل مثل ما فعل هذا»، وأعجبته نفسه

وتشبه بمن هو أكبر منه، فطار لوقته وانقض على كبش سمين له صوف كثير وقد تلبد صوفه من رقاده على بوله وروثه وصار صوفه مثل الدبق، فلما انقض على ظهره صفق بجناحيه فاشتبكت رجلاه فى الصوف، فأراد أن يطير فلم يستطع أن يخلص نفسه.

وقد حصل كل هذا والراعى ينظر ما جرى من العقاب أولاً وما جرى للعصفور ثانيًا. فجاء الراعى إلى العصفور غضبان فقبضه ونتف ريش أجنحته وربط فى رجليه خيطًا وأتى به إلى أولاده ورماه لهم، فقال بعض الأولاد: «ما هذا؟» فقال: «هذا تشبه بمن هو أعلى منه فهلك». وأنت كذلك أيها الثعلب أحذرك أن تتشبه بمن هو أقوى منك فتهلك، هذا ما عندى من الكلام فاذهب عنى بسلام».

فلما يئس الثعلب من مصادقة الغراب رجع من حزنه يئن، وقرع للندامة سنا على سن، فلما سمع الغراب بكاءه وأنه، ورأى كآبته وحزنه قال: «أيها الثعلب ما نابك حتى قرعت نابك؟» قال له الثعلب: «إنما قرعت سنى لأنى رأيتك أخدع منى»، ثم ولى هاربًا وارتد راجعًا ولحجره طالبًا، وهذا ما كان حديثهما أيها الملك»، فقال الملك: «يا شهر زاد ما أحسن هذه الحكايات وأطيبها، هل عندك شىء مثلها من الموعظات؟».

حكاية القنفذ والورشان

قالت: «يُحكى أن قنفذًا اتخذ مسكنًا بجانب نخلة وكان قد ألفها الورشان وزوجته وعششا فيها وسكنا بها فى عيش رغيد، فقال القنفذ فى نفسه: إن الورشان وزوجته يأكلان من ثمر النخلة وأنا لا أجد إلى ذلك سبيلاً، ولكن لا بد من استعمال الحيلة عليهما، ثم حفر إلى أسفل النخلة بيتًا واتخذه مسكنًا له ولزوجته واتخذا جانبه مسجدًا وانفرد فيه وأظهر النسك والعبادة وترك الدنيا، فكان الورشان يراه متعبدًا مصليًا، فرق له من شدة زهده وقال له: «كم سنة وأنت هكذا؟».

فقال: «من مدة ثلاثين سنة»، قال: «ما طعامك؟» قال: «ما يسقط من النخلة»، قال: «ما لباسك؟» قال: شوك انتفع بخشونته»، فقال: «وكيف اخترت هذا على غيره؟» قال: «اخترته على غير طريق لأجل أن أرشد الضال وأعلم الجاهل»، قال له الورشان: «كنت أظن أنك على غير هذه الحالة ولكنى الآن رغبت فيما عندك». فقال القنفذ: «إنى أخشى أن يكون قولك ضد فعلك فتكون كالزارع الذى لما جاء وقت الزرع قصر فى بذره وقال: إنى أخشى أن لا تبلغنى الأيام أمنيتى فأكون قد بدأت بإضاعة المال وسرعة البذر، فلما جاء وقت الحصاد ورأى الناس وهم يحصدون ندم على ما فاته من تخلفه ومات أسفًا وحزنًا».

فقال الورشان للقنفذ: «وماذا أصنع حتى أتخلص من علائق الدنيا وأنقطع إلى عبادة ربى؟» فقال له القنفذ: «خذ فى الاستعداد للمعاد والقناعة بالكفاف من الزاد»، فقال الورشان: «كيف لى بذلك وأنا طائر لا أستطيع أن أتجاوز النخلة التى فيها قوتى ولو استطعت ذلك ما عرفت موضعًا أستقر فيه؟» فقال القنفذ:

«يمكنك أن تنثر من ثمر النخلة ما يكفيك مؤنة عام أنت وزوجتك وتسكن فى وكر تحت النخلة لالتماس حسن إرشادك ثم مل إلى ما نثرته من الثمر فانقله جميعه وادخره قوتًا للعدم، وإذا فرغت الثمار وطال عليك المطال صر إلى كفاف من العيش» فقال الورشان: «جزاك الله

خيرًا بحسن النية حيث ذكرتنى بالمعاد، وهديتنى إلى الرشاد».

ثم تعب الورشان وزوجته فى طرح الثمر حتى لم يبق فى النخلة شىء، فوجد القنفذ ما يأكل وفرح بما ملأ مسكنه من الثمر وادخره لقوته وقال فى نفسه: إن الورشان هو وزوجته إذا احتاجا إلى مؤنتهما طلباها منى وطمعا فيما عندى وركنا إلى تزهدى وورعى، فإذا سمعا نصيحتى ووعظى دنوا منى فأقتنصهما وآكلهما ويخلو لى هذا المكان وكلما تساقط من ثمر النخلة يكفينى، ثم إن الورشان نزل هو وزوجته من فوق النخلة بعد أن نثرا ما عليها من التمر فوجدا القنفذ قد نقل جميع ذلك إلى جحره.

فقال له الورشان: «أيها القنفذ الصالح، والواعظ الناصح، إنا لم نجد للثمر أثرًا، ولا نعرف لقوتنا غيره ثمرًا»، فقال: «لعله طارت به الرياح، والإعراض عن الرزق إلى الرزاق عين الفلاح، فالذى شقّ الأشداق، لا يتركها بلا أرزاق»، وما زال يعظهما بتلك المواعظ، ويظهر لهما الورع بزخرف الملافظ، حتى ركنا إليه، وأقبلا عليه، ودخلا باب وكره، وأمنا من مكره، فوثب إلى الباب، وقرع الأنياب فلما رأى الورشان منه الخديعة لائحة قال له: «أين الليلة من البارحة، أما تعلم أن للمظلومين ناصرًا، فإياك والمكر والخديعة لئلا يصيبك ما أصاب الخداعين اللذين مكرا بالتاجر؟» فقال القنفذ: «وكيف ذلك؟».

◆ ◆ ◆

حكاية التاجر والرجلين الماكرين

قال الورشان: «بلغنى أن تاجرًا من مدينة يقال لها سندة كان ذا مال واسع، فشد أحمالاً وجهز متاعًا وخرج به إلى بعض المدن ليبيعه فيها، فتبعه رجلان من المكرة فحملا ما حضرهما من مال ومتاع وأظهرا للتاجر أنهما من التجار وسارا معه، فلما نزلا أول منزل اتفقا على المكر به وأخذ ما معه، ثم إن كل واحد منهما أضمر المكر لصاحبه والغدر به، وقال كل واحد منهما فى نفسه لو غدرت بصاحبى لصفا لى الوقت وأخذت جميع هذا المال. ثم أضمرا لبعضهما على نية فاسدة وأخذ كل منهما طعامًا وجعل فيه سما، وفعل الآخر مثله فى طعامه وقدم كل واحد منهما طعامه لصاحبه، فأكلا من ذلك فماتا جميعًا، وكانا يجلسان مع التاجر ويحدثانه، فلما غابا عنه وأبطآ عليه فتش عنهما ليعرف خبرهما فوجدهما ميتين، فعلم أنهما كانا محتالين وأرادا المكر به فعاد مكرهما عليهما وسلم التاجر وأخذ ما كان معهما»، فقال الملك: «لقد نبهتنى يا شهرزاد على كل شىء كنت غافلاً عنه أفلا تزيدينى من هذه الأمثال؟» قالت:

◆ ◆ ◆

حكاية القرد والرجل السارق

بلغنى أيها الملك أن رجلاً كان عنده قرد، وكان ذلك الرجل سارقًا لا يدخل إلى سوق من أسواق المدينة التى هو فيها إلا وينصرف منه بكسب عظيم، فاتفق يومًا أن رجلاً حمل أثوابًا مقطعة ليبيعها وصار ينادى عليها فى السوق فلا يسومها أحد، وكان لا يعرضها على أحد إلا ويمتنع من شرائها، فاتفق أن السارق الذى معه القرد رأى الشخص الذى معه الثياب المقطعة

وكان وقد وضعها فى بقجة وجلس يستريح من التعب، فلعب القرد قدامه حتى أشغله بالفرجة عليه واختلس منه تلك البقجة، ثم أخذ القرد وذهب إلى مكان خال وفتح البقجة ورأى تلك الثياب المقطعة فوضعها فى بقجة نفيسة وذهب بها إلى سوق آخر وعرض البقجة للبيع بما فيها واشترط أن لا تفتح ورغب الناس فيها لقلة الثمن.

فرآها رجل وأعجبته نفاستها فاشتراها بهذا الشرط فانصرف بها إلى منزله وظن أنه أصاب، فلما رأت زوجته ذلك قالت: «ما هذا؟» قال: «متاع نفيس اشتريته بدون القيمة لأبيعه وآخذ فائدته»، فقالت له: «أيها المغبون أيباع هذا المتاع بأقل من قيمته إلا إذا كان مسروقًا؟ أم تعلم أن من اشترى شيئًا ولم يعاينه كان مخطئًا وكان مثله كمثل الحائك؟» فقال لها: «وما قصة الحائك؟» قالت:

❖ ❖ ❖

حكاية الحائك

«بلغنى أن حائكًا كان فى بعض القرى وكان يعمل فلا ينال القوت إلا بجهد، فاتفق أن رجلاً من الأغنياء بالقرب من قريته صنع وليمة فدعا الناس إليها، وحضر الحائك فرأى الناس الذين عليهم الثياب الناعمة يقدم لهم الأطعمة الفاخرة وصاحب المنزل يعظمهم لما رأى من حسن زيهم، فقال الحائك فى نفسه: لو بدلت هذه الصنعة بصناعة أخف مؤنة منها وأرفع رتبة وأكثر أجرة لجمعت مالاً كثيرًا واشتريت ثيابًا فاخرة وارتفع شأنى وعظمت فى أعين الناس وصرت مثل هؤلاء القوم، ثم إنه نظر إلى بعض أهل الملاعب الحاضرين فى الوليمة وقد قام وصعد على سور عال مرتفع شاهق ثم رمى بنفسه منه إلى الأرض ونهض قائمًا، فقال الحائك فى نفسه: لا بد أنْ أعمل مثل ما عمل هذا ولا أعجز عنه ثم قام وصعد على السور ورمى نفسه، فلما وصل إلى الأرض اندقت عنقه فمات من ساعته».

«وإنما أخبرتك بذلك لتجمع أكلك من الوجه الذى تعلم به وتحيط به علمًا ولئلا يدخلك الشره فترغب فيما ليس من شأنك»، فقال لها زوجها: «ما كل عالم يسلم بعلمه، ولا كل جاهل يعطب بجهله، وقد رأيت الحاوى الخبير بالحيات العالم بها ربما نهشته الحية فتقتله وقد يظفر بها الذى لا معرفة له بها ولا علم عنده بأحوالها»، ثم إنه خالف زوجته واشترى المتاع وأخذ فى تلك العادة، فصار يشترى من السارقين بدون القيمة إلى أن وقع فى تهمة فهلك فيها».

❖ ❖ ❖

حكاية العصفور

وكان فى زمنه عصفور يأتى كل يوم إلى ملك من ملوك الطير ولم يزل غاديًا ورائحًا عنده بحيث كان أول داخل عليه وآخر خارج من عنده، فاتفق أن جماعة من الطيور اجتمعوا فى جبل عال من الجبال، فقال بعضهم لبعض: إنَّا قد كثرنا وكثر الاختلاف بيننا ولا بد لنا من ملك ينظر فى أمورنا فتجتمع كلمتنا ويزول الاختلاف عنا، فمرَّ بهم ذلك العصفور فأشار

عليهم بتمليك الطاووس وهو الملك الذى يتردد إليه، فاختاروا الطاووس وجعلوه عليهم ملكًا، فأحسن إليهم وجعل ذلك العصفور كاتبه ووزيره، فكان تارة يترك الملازمة وينظر فى الأمور، ثم إن العصفور غاب يومًا عن الطاووس فقلق قلقًا عظيمًا، فبينما هو كذلك إذ دخل عليه العصفور قائلا: «رأيت أمرًا واشتبه علىَّ فتخوفت منه»، فقال له الطاووس: «ما الذى رأيت؟».

قال العصفور: «رأيت رجلاً معه شبكة قد نصبها عند وكرى وثبت أوتادها وبذر فى وسطها حبا وقعد بعيدًا عنها، فوقفت أنظر ما يفعل، فبينما أنا كذلك وإذا بكركى هو وزوجته قد ساقهما القضاء والقدر حتى سقطا فى وسط الشبكة وصارا يصرخان، فقام الصياد وأخذهما، فأزعجنى ذلك، وهذا سبب غيابى عنك يا ملك الزمان وما بقيت أسكن هذاالوكر حذرًا من الشبكة»، فقال له الطاووس: «لا ترحل من مكانك فلا ينفعك الحذر من القدر»، فامتثل أمره وقال: «سأصبر ولا أرحل طاعة للملك»، ولم يزل العصفور حذرًا على نفسه، وأخذ الطعام إلى الطاووس فأكل حتى اكتفى وتناول على الطعام الماء وذهب العصفور. فبينما هو فى بعض الأيام شاخص وإذا بعصفورين يقتتلان فى الأرض، فقال فى نفسه: كيف أكون وزير الملك وأرى العصافير تقتتل فى جوارى؟ والله لأصلحن بينهما، ثم ذهب إليهما ليصلح بينهما، فقلب الصياد الشبكة على الجميع فوقع ذلك العصفور فى وسطها، فقام إليه الصياد وأخذه ودفعه إلى صاحبه وقال له: «استوثق به فإنه سمين ولم أر أحسن منه» فقال العصفور فى نفسه: قد وقعت فيما كنت أخاف منه وما كان أمننى إلا الطاووس ولم ينفعنى الحذر من نزول القدر، فلا مفر من القضاء للمحاذر، وما أحسن قول الشاعر:

«ما لا يكون فلا يكون بحيلة ... أبدًا وما هو كائن فيكون
سيكون ما هو كائن فى وقته ... وأخو الجهالة دائمًا مغبون»

فقال الملك: «يا شهرزاد زيدينى من هذا الحديث»، فقالت: «فى الليلة القابلة إن أبقانى الملك أعزه الله». قالت لها أختها دنيا زاد: «يا أختاه ما أحسن حديثك وما ألطفه وأطربه»، قالت: «وأين هذا كله من حكاية النائم واليقظان؟ فإنها أغرب وأعجب»، فقال السلطان: «وما قصة النائم واليقظان».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية النائم واليقظان

قالت شهرزاد: بلغنى يا ملك الزمان أنه كان رجل تاجر فى خلافة هارون الرشيد، وكان له ولد اسمه أبو الحسن الخليع، فمات والده وخلف له مالاً عظيمًا، فقسم ماله شطرين فادخر النصف وتصرف فى النصف الآخر، وصار يعاشر الأغنياء وأولاد التجار ويقبل على الأكل والشرب حتى فنى ماله وفقد جميع ما معه، فعندها توجه إلى أصحابه وعشرائه وندمائه وعرض لهم أمره وأظهر لهم قلة ما بيده من المال، فلم يلتفت إليه أحد منهم، فعاد إلى أمه وقد انكسر خاطره وحكى لها ما جرى له وما قابله به أصحابه من الإساءة وقلة المعروف، فقالت له أمه: «يا أبا الحسن أولاد هذا الزمان هكذا، إن كان معك شىء قربوك، وإن لم يكن

معك شىء أبعدوك»، فتوجعت له، وجعل يتأوه وجرت دموعه وأنشد يقول هذين البيتين:

«إن قل مالى فلا خل يصاحبنى أو زاد مالى فكل الناس خلانى
كم من صديق لأجل المال صاحبنى وآخر عند فقد المال عادانى»

ثم إنه وثب إلى المكان الذى ادخر فيه شطر المال الباقى وعاش فيه عيشًا طيبًا وحلف أنه لا يعاشر أحدًا بعد ذلك من الذين يعرفهم ولا يعاشر إلى الأجنبى ولا يعاشره إلا ليلة واحدة، فإذا أصبح فلا يعود يعرفه بعدها، وصار كل ليلة يجلس على الجسر وينظر كل من يجوز به، فإذا رآه غريبًا توجه هو وإياه إلى منزله فينادمه تلك الليلة إلى الصباح، ثم يصرفه ولا يرجع يسلم عليه ولا يقربه ولا يدعوه، فصار يفعل هذا مدة سنة كاملة.

فبينما هو يومًا جالس على الجسر كعادته ينتظر من يقدم عليه حتى يأخذه وينام عنده وإذا بالخليفة ومسرور سياف نقمته متخفيان كعادتهما، فنظرهما أبو الحسن، وقام واقفًا وهو لا يعرفهما وقال لهما: «هل لكما أن تذهبا معى إلى موضعى فتأكلا ما حضر وتشربا ما تيسر وهو خبز مشبَّق ولحم معرق ونبيذ مروق؟» فامتنع الخليفة من ذلك، فأقسم عليه وقال له: «بالله عليك يا سيدى امش معى فأنت ضيفى الليلة ولا تخيب فيك أملى»، ومازال يلح عليه حتى أجابه إلى سؤله، ففرح أبو الحسن ومشى قدامه وما فتىء يحادثه حتى أتى وهو معه إلى قاعته فدخل وأقعد غلامه على الباب، فلما جلس الخليفة أتاه أبو الحسن بشىء من الأكل فأكل وأبو الحسن يأكل معه حتى يطيب له الأكل، ثم إنه رفع السفرة وغسلا أيديهما وجلس الخليفة، فقدم أبو الحسن آنية الشراب وجلس إلى جانبه وصار يملأ ويشرب ثم يملأ لضيفه ويسقيه ويحادثه، فأعجب الخليفة كرمه وحسن فعاله فقال له: «يا فتى من أنت عرفنى بنفسك حتى أكافئك؟»

فتبسم أبو الحسن وقال له: «يا سيدى هيهات أن يرجع ما فات ، وأن أحضر معك وقتًا غير هذا من الأوقات». فقال الخليفة: «ولِمَ ذلك ولما لا تعلمنى بحالك؟» فقال أبو الحسن: «اعلم يا سيدى أن حكايتى عجيبة وأن هذا الأمر له سبب»، فقال الخليفة: «وما هو السبب؟» فقال له أبو الحسن: «للسبب ذنب»، فضحك الخليفة من قوله:

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: ثم إن أبا الحسن قال: «إنى أبين لك ذلك بحكاية الحرفوش والطباخ، اعلم يا سيدى أن بعض الخرافيش أصبح يومًا من بعض الأيام لا يملك شيئًا وضاقت عليه الدنيا وعيل صبره ونام، فلم يزل نائمًا حتى أحرقته الشمس وطلعت الرغوة على فمه فقام وهو مفلس ليس معه ولا درهم واحد، فاجتاز على دكان طباخ وقد نصب ذلك الطباخ فيها قدورًا وقد راقت أدهانها وفاحت أبازيرها والطباخ واقف وراء تلك القدور وقد مسح ميزانه وغسل زباديه وكنس الدكان ورشها، فجاء إليه الخرفوش وسلم عليه ودخل الدكان وقال للطباخ: «زن لى بنصف درهم لحمًا وربع درهم طعامًا وربع درهم خبزًا».

فوزن له الطباخ، ودخل الخرفوش فحط الطباخ قدامه الطعام فأكل حتى أتى على

الجميع ولحس الزيدية وبقى حائرًا لا يدرى ما يفعل مع الطباخ فى ثمن ما أكله، وصار يدور بعينيه على كل شىء فى الدكان وهو يتلفت، وإذا هو بمجاور مكبوب على فمه فرفعه عن الأرض فوجد تحته ذنب فرس طريا ودمه ينتثر منه، فعلم أن الطباخ يخلط اللحم بلحم الخيل، فلما اطلع على هذه الزلة فرح بها وغسل يديه وطأطأ برأسه ثم خرج، فلما رآه الطباخ أنه ولى من غير أن يدفع له ثمن طعامه صاح: «قف يا صدام يا هجام» فوقف الحرفوش والتفت إليه وقال له: «أنت تصيح على وتنادى بهذا الكلام يا شيطان؟» فاغتاظ الطباخ ونزل من الدكان وقال: «ما هو بقولك يا أكال اللحم والطعام، والخبز والإدام، كيف تخرج بسلام، كأن الشىء ما كان، ولا تدفع عليه أثمان؟» فقال له الخرفوش: «تكذب يا ابن اللئام». فصاح الطباخ وتعلق بأطواق الخرفوش وقال: «يا مسلمون هذا استفتاحى فى هذا النهار، أم كيف يأكل هذا طعامى ولا يعطينى شيئًا؟» فاجتمعت الناس عليهما ولاموا الخرفوش وقالوا له: «أعطه ثمن ما أكلته» فقال: «أعطيته درهمًا من قبل ما أدخل الدكان». فقال الطباخ: «إن كنت أعطيتنى بارة جعل الله كل شىء أبيعه فى هذا النهار علىَّ حرامًا، والله إنه ما أعطانى شيئًا بل أنه أكل طعامى وخرج وراح ولم يعطنى شيئًا» فقال الخرفوش: «بل أعطيتك درهمًا»، وشتم الطباخ، فرد عليه الطباخ، فلكمه الخرفوش، فتماسكا وتقابضا وتخاصما.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: فلما رآهما الناس أقبلوا عليهما وقالوا لهما: «ما هذا الضرب الذى أنتما فيه وما سببه؟» فقال الخرفوش: «أى والله له سبب والسبب ذنب». فقال الطباخ: «أى والله ذكرتنى بك الآن وبدرهمك، نعم والله أعطانى درهمًا، ارجع وخذ بقية درهمك». وفهم الطباخ السبب عند ذكره الذنب، وأنا يا أخى حكايتى لها سبب كما قلت لك، فضحك الخليفة عليه وقال: «والله ما هذه إلا حكاية لطيفة، فاحك أنت حكايتك واذكر السبب». فقال: «حبا وكرامة». «اعلم يا ضيفى أن اسمى أبو الحسن الخليع، وقد مات والدى وخلف لى مالاً جزيلاً فقسمته شطرين وجزأته نصفين فادخرت النصف الواحد وأقبلت بالنصف الثانى على الأصحاب، ومعاشرة الندماء والأحباب وأولاد التجار، وما خليت أحدًا حتى نادمته ونادمنى وأنفقت جميع مالى على الأصحاب والعشرة وما تبقى معى من ذلك المال شىء، فتوجهت إلى الأصحاب والندماء الذين أفنيت مالى عليهم لعلهم يرقون لحالى، وذهبت إلى جميعهم فما وجدت فى أحد منهم نفعًا ولا كسر فى وجهى رغيفًا».

فبكيت على نفسى وأقبلت على أمى وشكوت لها حالى، فقالت لى: «العشراء هكذا إن كان معك شىء قدموك وآكلوك، وإن لم يكن معك شىء أبعدوك وطردوك، فعند ذلك أخرجت نصف مالى الثانى وآليت على نفسى أنى ما بقيت أنادم أحدًا غير ليلة واحدة ثم أنقطع عنه فلا أعود أسلم عليه ولا ألتفت إليه، وهذا ما أردت بقولى لك: هيهات أن يرجع ما فات لأنى ما بقيت أجتمع بك غير هذه الليلة». فلما سمع الخليفة ذلك ضحك ضحكًا شديدًا وقال:

«والله يا أخى إنك معذور فى هذا الأمر، اما أنا فإن شاء الله لا أنقطع عنك»، فقال له أبو الحسن: «أما قلت لك يا نديمى هيهات أن يرجع ما فات فإنى ما عدت أطيل صحبة الإخوان ولا أنادم أحداً إلا ليلة واحدة؟».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖❖❖

قالت شهرزاد: ثم وضعت المائدة للخليفة وقدموا عليها صحن أوز محشى وكفة كماجة وجلس أبو الحسن وقطع ولقم الخليفة وما زالا يأكلان حتى اكتفيا، ثم قدم الطست والأبريق والأشنان فغسلا أيديهما، وبعد ذلك أوقد له ثلاث شمعات وثلاثة قناديل وفرشت سفرة المدام، وأحضر نبيذ مصفى مروق معتق مطيب رائحته كالمسك الأذفر وملأ الكأس الأول وقال: «يا نديمى قد رفع الاحتشام من بيننا بدستورك عبدك عندك لا بليت بفقدك، وشربه وملأ الكأس الثانى وناوله لضيفه، فأعجب الخليفة فعاله وحسن أقواله وقال فى نفسه: والله لأكافئه على ذلك، ثم إن أبا الحسن ملأ القدح وناوله للخليفة وقبله وأنشأ يقول:

«لو فهمنا قدومكم لشرينا مهجة القلب أم سواد العيون
وفرشنا صدورنا للقاكم وجعلنا المسير فوق الجفون»

فلما سمع الخليفة شعره قبل الكأس من يده وشربه وناوله إياه، فأخذه أبو الحسن وملأ وشرب ثم ملأ وناوله الخليفة وأنشد يقول هذه الأبيات:

«حضوركم لنا شرف ونحن بذاك نعترف
فإن غبتم فلا عوض لنا عنكم ولا خلف»

ولم يزالا يشربان ويتنادمان إلى نصف الليل، فقال له الخليفة: «يا أخى هل فى خاطرك شهوة تريد أن تقضيها أو حسرة تريد أن تمضيها؟» فقال: «والله ما فى قلبى حسرة إلا أنى أتولى الأمر والنهى حتى أعمل ما فى خاطرى»، فقال له الخليفة: «يا الله يا الله يا أخى قل لى ما فى خاطرك». قال: «كنت أشتهى من الله أن أنتقم من جيرانى، فإن بجوارى محلاً فيه أربعة شيوخ، فإذا جاءنى ضيف يتثاقلون علىَّ ويغلظون الكلام ويهددونى بأنهم يشكونى لأمير المؤمنين وقد جاروا على كثيرًا فإنى أتمنى على الله تعالى حكم يوم واحد حتى أضرب كل واحد منهم أربعمائة سوط وذلك أمام محلهم وأبعث مناديًا فى مدينة بغداد ينادى عليهم: هذا جزاء وأقل جزاء لمن يبغض الناس ويكدر عليهم مسراتهم، وهذا الذى أريده لا غير»، فقال له الخليفة: «يعطيك الله ما تطلب هيا بنا نشرب ودعنا نقوم قرب الصباح وفى الليلة القادمة أتعشى عندك»، فقال أبو الحسن: «هيهات».

ثم إن الخليفة ملأ قدحًا وجعل فيه قطعة بنج اقريطشى وناوله لأبى الحسن وقال له: «بحياتى عليك يا أخى اشرب هذا القدح من يدى»، فقال أبو الحسن: «أى وحياتك أشربه من يدك»، فلما أخذه وشربه وقع على الأرض مثل القتيل، فخرج الخليفة وقال لغلامه مسرور: «ادخل إلى هذا الصبى صاحب المنزل واحمله، وإذا خرجت أغلق الباب وائتنى به إلى القصر»، ثم مضى ودخل مسرور وحمل أبا الحسن وأغلق الباب وتبع مولاه، ولم يزل ماشيًا حتى أتى به إلى القصر وقد تهور الليل وصاحت الديوك ودخل القصر وأبو الحسن على أكتافه، فوضعه

بين يدى أمير المؤمنين وهو يضحك عليه.

ثم إن الخليفة أرسل فدعا جعفرًا البرمكى، فلما حضر بين يديه قال له: «اعرف هذا الشاب، وإذا رأيته غدًا جالسًا فى منصبى وعلى سرير خلافتى متوشحًا بحلتى فقف فى خدمته وأوص الأمراء والكبراء وأهل دولتى وخواص مملكتى أن يقفوا فى خدمته ويمتثلوا ما يأمرهم به، أما أنت فإذا أوصاك بشىء فافعله واسمع منه ولا تخالفه ذلك اليوم الطالع»، فامتثل جعفر الأمر بالسمع والطاعة وانصرف، ودخل الخليفة إلى جوارى القصر فأقبلن إليه، فقال له: «هذا النائم إذا استيقظ غدًا من منامه فقبلن الأرض بين يديه واخدمنه ودرن حواليه وألبسنه حلة الملك واخدمنه خدمة الخلافة ولا تنكرنَّ من حاله شيئًا وقلن له أنت الخليفة»، ثم أوصاهنَّ بما يقلن له، ودخل فى مكان محجوب عنه وأرخى عليه سترًا ونام. هذا ما كان من أمر الخليفة، وأما ما كان من أمر أبى الحسن فإنه ما زال يغط فى نومه إلى أن طلع الصباح وقرب إشراق الشمس، فأتت إليه الخدمة فقالت له: «يا مولانا صلاة الصبح»، فلما سمع كلام الخادمة ضحك وفتح عينيه ودار بعينيه فى القصر فنظر إلى قصر قد دهنت حيطانه بالذهب واللازورد وسقفه منقط بذهب أحمر ودائره بيوت مسبول على أبوابها ستائر حرير مزركش بالذهب وأوانى ذهب وصينى وبلور وفرش وبسط ممدودة، وجوار وخدم، ومماليك وحشم، وغلمان ووصائف وولدان، فتحير أبو الحسن فى عقله وقال: والله هل أنا فى اليقظة أو أنا فى المنام؟ أو هذه الجنة ودار السلام؟ فغمض عينيه ونام، فقال الخادم: «يا سيدى ما هذه عادتك يا أمير المؤمنين».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: ثم إن بقية جوارى القصر جميعًا أتين إليه وأقعدنه على حيله فوجد روحه على فراش علوه من الأرض قدر ذراع، وكله محشو بالقز، فأجلسنه عليه وأسندنه بمخدة، فنظر إلى القصر وإلى كبره ورأى الخدم والجوارى فى خدمته وفوق رأسه، فضحك على نفسه وقال: والله ما كأنى فى اليقظة وما أنا إلا نائم.

ثم إنه قام وقعد والجوارى يضحكن عليه ويستترن منه، فتحير فى عقله وعض على أصبعه فتألم فصرخ وتأوه، والخليفة ينظر إليه من حيث لا يراه ويضحك، فالتفت أبو الحسن إلى جارية وصاح إليها فأتته، فقال لها: «بستر الله يا جارية أنا أمير المؤمنين؟» فقالت: «أى نعم وستر الله أنت فى هذا الوقت أمير المؤمنين» فقال: «تكذبين»، ثم نظر إلى الخادم الكبير فناداه، فأتاه وقبل الأرض بين يديه، وقال: «نعم يا أمير المؤمنين»، فقال: «ومن هو أمير المؤمنين؟» فقال: «أنت»، قال: «كذبت».

ثم أقبل على طواشى آخر فقال له: «يا كبيرى بستر الله أنا أمير المؤمنين؟» فقال: «أى والله يا سيدى أنت فى هذا الوقت أمير المؤمنين وسلطان العالمين»، فضحك أبو الحسن على نفسه وخولط فى عقله وتحير مما رأى وقال: البارحة كنت أبا الحسن فكيف صرت اليوم أمير المؤمنين؟ فتقدم إليه الخادم الكبير وقال: «يا أمير المؤمنين بسم الله حواليك أنت أمير المؤمنين وسلطان السلاطين».. ثم دار حوله الجوارى والخدم وهو يتعجب مما جرى له فقدم له المملوك

شمشكًا مطبوعًا بالأبرسم والحرير الأخضر مرصعًا بالذهب الأحمر، فأخذه أبو الحسن ووضعه فى كمه، فصاح المملوك وقال: «يا الله يا الله يا سيدى هذا شمشك مداس لرجليك حتى تدخل بيت الخلاء».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فخجل أبو الحسن ورماه من كمه ولبسه فى رجله، والخليفة قد مات من الضحك عليه، ومشى المملوك قدامه إلى بيت الراحة فدخل أبو الحسن وقضى حاجته وخرج إلى القصر، فقدمت له الجوارى طستًا من الذهب وإبريقًا من الفضة وصببن على يديه الماء وتوضأ، وبسطن له سجادة ليصلى فصار يركع ويسجد عشرين ركعة وهو يحسب ويقول فى نفسه: والله ما أنا إلا أمير المؤمنين من حق وإلا فما هذا منام والمنام ما يجرى فيه هذا المجرى جميعه.

ثم إنه حقق وجزم فى نفسه أنه أمير المؤمنين فسلم وفرغ من صلاته، فدارت به المماليك والجوارى بالبقج الحرير والقماش، ثم ألبسوه خلعة الخلافة وأعطوه فى يده النمشة وخرج الخادم الكبير قدامه والمماليك الصغار وراءه، ثم رفعوا الستارة وجلس فى القصر ومجلس الحكم وسرير الخلافة ورأى الستائر والأربعين بابًا والعجلى والرقاشى وعبادان وجديم وأبا اسحاق النديم، ونظر إلى سيوف محدبة، وليوث محدقة، وصماصم مذهبة، وقسى موترة، وعجم وعرب، وترك وديلم، وأمراء ووزراء، وأجناد وكبراء، وأرباب الدولة، وأصحاب الصولة، وقد ظهرت له الدولة العباسية، والهيبة النبوية، فجلس على كرسى الخلافة ووضع النمشة فى حجره، وأقبل الجميع يقبلون الأرض بين يديه يدعون له بطول العمر والبقاء، وتقدم جعفر البرمكى وقبل الأرض وقال: «جعل الله الجنة مأواك والنار مثوى لأعداك، ولا عاداك جبار، ولا خمدت لك أنوار نار، يا خليفة الأمصار، وحاكم الأقطار».

فزعق عليه أبو الحسن وقال له: «يا كلب بنى برمك، انزل الساعة أنت ووالى المدينة إلى المحل الفلانى إلى الدرب الفلانى وادفع مائة دينار إلى والدة أبى الحسن الخليع وأقرئها منى السلام وأمسك الأربعة مشايخ واضرب كل واحد منهم أربعمائة سوط وأركبهم على الدواب ودر بهم المدينة جميعها وأبعدهم إلى محلة غير هذه المدينة وأمر المنادى ينادى عليهم: «هذا جزاء وأقل جزاء من يكثر كلامه ويشوش جيرانه وينغص عليهم لذتهم وأكلهم وشربهم».

فقبل جعفر الأرض بين يديه وامتثل الأمر بالطاعة، ثم إنه نزل من قدام أبى الحسن الخليع إلى المدينة وفعل ما أمره به، ثم إن أبا الحسن أقام فى الخلافة يأخذ ويعطى ويأمر وينهى وينفذ كلامه إلى آخر النهار، ثم أذن بالانصراف فانصرفت الأمراء وأرباب الدولة لأشغالهم وأتته الخدم ودعوا له بالبقاء وطول الدوام ومشوا فى خدمته ورفعوا الستر ودخل إلى القصر فوجد شموعًا تتوقد وقناديل تشتعل ومغنيات تضرب فحار فى عقله وقال: وأنا والله أمير المؤمنين حقا، فلما أقبل قامت الجوارى إليه وأطلعنه على الإيوان وقدمن إليه مائدة عظيمة من أفخر الطعام، فأكل منها جهده وطاقته حتى اكتفى، وزعق على جارية وقال لها:

«ما اسمك؟» فقالت: «اسمى مسكة»، وقال لأخرى: «ما اسمك؟» فقالت: «طرفة»، وقال لأخرى: «ما اسمك؟» قالت: «اسمى تحفة».

وصار يسأل عن أسامى الجوارى واحدة بعد واحدة، وقام من ذلك المقام وانتقل إلى مجلس الشراب فوجده كامل النظام ووجد عشرة أطباق كبار وعليها من جميع الفواكه والخيرات ومن جميع أصناف الحلاوات، فجلس وأكل منها على حسب الكفاية، ثم وجد ثلاثة أجواق من الجوارى المغنيات، ثم إنه جلس وجلست الجوارى ووقفت الوصيفات والمماليك والخدم والغلمان والولدان، ثم غنت الجوارى وصوتن بسائر الألحان، فأجابهن ذلك المكان بطيب الألحان، وزعقت المواصيل وخرجت بتلك العيدان، فتخيل فى ذلك الوقت أبو الحسن أنه فى الجنان وطاب قلبه وانشرح، ولعب وزاد به الفرح، وخلع على تلك الجوارى ووهب.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: هذا كله والخليفة يتفرج عليه ويضحك، فلما انتصف الليل أمر الخليفة جارية من تلك الجوارى أن ترمى قطعة بنج فى القدح وتسقيه لأبى الحسن، ففعلت الجارية ما أمرها الخليفة وناولت القدح لأبى الحسن، فلما شربه سبق رأسه رجليه، فخرج الخليفة من خلف الستارة وهو يضحك، ثم صاح على الغلام الذى جاء به وقال له: «أرجع هذا مكانه» فحمله الغلام إلى قاعته ووضعه فيها وخرج من عنده وقفل عليه باب القاعة ورجع الغلام إلى الخليفة، ونام الخليفة إلى الصباح.

أما أبو الحسن فإنه ما زال نائمًا إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح، فاستفاق وهو يصيح: «يا تفاحة يا راحة القلوب، يا مسكة يا تحفة»، ولم يزل يصيح على الجوارى حتى سمعته أمه يصيح على الجوارى فقامت وأتت إليه وقالت له: «اسم الله حواليك قم يا ولدى يا أبا الحسن أنت تحلم»، ففتح عينيه فوجد عند رأسه عجوزًا فنهض وقال لها: «من تكونين؟» فقالت له: «أنا أمك». فقال لها: «تكذبين يا عجوز النحس أنا أمير المؤمنين»، فصرخت أمه وقالت له: «سلامة عقلك يا ولدى اسكت لئلا تروح أرواحنا وينهب مالك إن سمع أحد هذا الكلام وأوصله إلى الخليفة» فقام من نومه ورأى أمه وهو فى قاعته، فخولط فى عقله وقال: «والله يا أمى أنا فى منامى رأيت نفسى فى قصر والجوارى والمماليك حولى وفى خدمتى وجلست على سرير الخلافة وحكمت، والله يا أمى هذا الذى رأيته، وحقا ما كان فى المنام».

ثم تفكر فى نفسه ساعة من الزمان وقال: «صحيح أنا أبو الحسن الخليع والذى رأيته إنما هو فى منام وأنى صرت خليفة وحكمت وأمرت ونهيت»، ثم إنه افتكر وقال: «مؤكد ما هو منام وما أنا إلا الخليفة وقد أعطيت وخلعت»، فقالت له أمه: «يا ولدى إياك أن تفسد عقلك فيأخذونك إلى المارستان وتبقى شهرة، فإن الذى رأيته إنما هو من الشيطان وهو أضغاث أحلام، وأن الشيطان يلعب بعقل الإنسان أحيانًا بسائر الحالات».

ثم إن أمه قالت له: «يا ولدى هل كان عندك ليلة أمس أحد؟» فافتكر أبو الحسن وقال: «نعم كان عندى واحد نائم وأخبرته بحالى وحكيت له قصتى، ولا شك أنه كان من الشياطين

وأنا يا أمى كما صدقت أنا أبو الحسن الخليع». فقالت أمه: «يا ولدى أبشر بكل خير فإن أمس جاء الوزير جعفر البرمكى وضرب المشايخ الذين فى جوارنا كل واحد خمسمائة سوط وقد أخرجوهم من المدينة ونادوا عليهم: هذا جزاء وأقل جزاء من يريد أذية جيرانه وينكد عليهم معيشتهم، وأرسل لى مائة وأرسل يسلم علىَّ».

فصاح أبو الحسن الخليع وقال لها: «يا عجوز النحس تكابرينى وتقولين لى أنى لست أمير المؤمنين، أنا الذى أمرت جعفرًا البرمكى بضرب المشايخ وبعقابهم وأن ينادى عليهم، وأنا الذى أرسلت لك المائة دينار وأرسلت أسلم عليك، وأنا أمير المؤمنين من حق يا عجوز النحس، وأنت كذابة قد خرفتى». ثم قام إلى أمه وضربها بعصا من اللوز حتى صرخت: «يا مسلمين» وهو يثقل عليها الضرب حتى سمعت الناس صراخها فأتوها وأبو الحسن يضربها ويقول لها: «يا عجوز النحس ما أنا أمير المؤمنين أنت سحرتنى».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: فلما سمع الناس كلامه قالوا: «هذا مجنون ولم يشكوا فى جنونه، ثم إنهم دخلوا عليه ومسكوه وكتفوه وأخذوه إلى المارستان، فقال العرفشى: «ما يكون هذا الشاب؟» فقالوا له: «هذا مجنون». فقال أبو الحسن: «والله يكذبون علىَّ وما أنا بمجنون إنما أنا أمير المؤمنين»، فقال العرفشى: «ما كذاب إلا أنت يا أنحس المجانين»، ثم عراه من ثيابه وعمل فى رقبته زنجيرًا ثقيلاً وربطه فى شباك عال وصار يضربه الضرب المبرح فى النهار وفى الليل، ولم يزل على هذا الحال مدة عشرة أيام، فأتت إليه أمه وقالت له: «يا ولدى يا أبا الحسن ارجع إلى عقلك هذا فعل الشيطان»، فقال أبو الحسن لأمه: «صدقت يا أمى واشهدى علىَّ أنى تائب عن هذا الكلام ورجعت عن جنونى فخلصينى فإنى قد أشرفت على الهلاك»، فخرجت أمه إلى العرفشى وخلصته وأتى إلى قاعته. فلما كان تمام الشهر اشتاق أبو الحسن الخليع إلى شرب المدام وعاد إلى عادته فى فرش قاعته وهيأ الطعام وأحضر المدام وخرج إلى الجسر وجلس ينتظر أحدًا ينادمه على جارى عادته، وإذا بالخليفة جاز عليه، فلم يسلم عليه أبو الحسن وقال: لا أهلاً ولا سهلا بالوافدين، ما أنتم إلا شياطين»، فأقبل عليه الخليفة وقال له: «يا أخى أما قلت لك أنى أعود إليك؟» فقال أبو الحسن: «ليس لى بك حاجة فإن المثل يقول: بعدى عن حبى أجمل لى وأحسن، عين لا تنظر قلب لا يحزن، وأنا يا أخى ليلة جئتنى وتنادمت أنا وأياك فكأنى جاءنى الشيطان ووسوسنى تلك الليلة».

فقال الخليفة: «ومن هو الشيطان؟» فقال له أبو الحسن: «أنت»، فتبسم الخليفة وجلس عنده وتلطف معه بالكلام وقال له: «يا أخى أنا لما خرجت من عندك نسيت الباب مفتوحًا فلعل الشيطان دخل عليك» فقال أبو الحسن لا تسأل عما جرى لى، فما الذى خطر لك حتى خليت الباب مفتوحًا ودخل علىَّ الشيطان وجرى لى معه كذا وكذا؟» وذكر أبو الحسن الخليع للخليفة جميع ما جرى له من الأول إلى الآخر، وليس فى الإعادة إفادة، فصار الخليفة يضحك ويخفى ضحكه.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: ثم إن الخليفة قال لأبى الحسن: «الحمد لله الذى أزال عنك ما تكره ورأيتك بخير»، فقال له أبو الحسن: «ما بقيت أتخذك نديمى ولا جليسى فإن المثل يقول: من عثر فى حجر وعاد إليه كان اللوم والعتب عليه، وأنت يا أخى ما بقيت أنادمك ولا أعمل معك مصاحبة فإنى ما رأيت لك كعبًا مباركًا على» فقال الخليفة وقد لاطفه وأثنى عليه: «إنى ضيفك ولا ترد الضيف»، فأخذه أبو الحسن ودخل به القاعة وقدم له الطعام وآنسه بالكلام، ثم إنه حكى للخليفة جميع ما جرى له، فأخذ الخليفة يغرب فى الضحك، ثم رفع سفرة الطعام وقدم سفرة المدام وملأ قدحًا واحتساه ثلاثًا ثم ملأه وأعطاه للخليفة وقال: «يا نديمى عبدك عندك ولا يصعب عليك فلا تغبتن ولا تغبنى»، وأنشد:

«لا زلت أشربها والليل معتكر حتى أكب الكرى رأسى على قدحى
سلافة كشعاع الشمس بهجتها تنفى الهموم بأنواع من الفرح»

فلما سمع الخليفة شعره وما قاله من الأبيات طرب من ذلك طربًا شديدًا وأخذ القدح وشربه وما زالا يشربان ويتنادمان حتى دارت الخمرة فى رؤوسهما، فقال أبو الحسن للخليفة: «يا نديمى حقا أنا حائر فى أمرى وكأنى كنت أمير المؤمنين وحكمت وأعطيت ووهبت، صحيح يا أخى ما هو منام»، فقال له الخليفة: «هذه أضغاث أحلام»، ثم إن الخليفة دسَّ قطعة من البنج فى القدح وقال: بحياتى تشرب هذا القدح. فقال له الحسن: «إنى أشربه من يدك».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: فأعجب الخليفة أفعاله وصفاته وحسن طباعه وصدقه وقال فى نفسه: «حقا لأجعلنَّ هذا نديمى وجليسى، ثم إن أبا الحسن أخذ القدح من يد الخليفة وشربه، ولما شربه واستقر فى بطنه سبق رأسه رجليه، فقام الخليفة من وقته وقال للغلام: «احمله وائت به إلى قصر الخلافة»، فحمله الغلام وجعله بين يدى الخليفة، فأمر الخليفة الجوارى والمماليك أن يدوروا حواليه، وقد اختفى الخليفة فى مكان لا يراه فيه أبو الحسن، فأمر الخليفة جارية من الجوارى أن تأخذ العود وتضرب عند رأس أبى الحسن وتفعل كذلك سائر الجوارى بالاتهن، فضرب الجميع، فاستفاق أبو الحسن آخر الليل فسمع صوت العود وضرب المواصيل وغناء الجوارى، ففتح عينيه فوجد نفسه فى القصر والجوارى والخدم حوله، فقال أبو الحسن: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، حقا أنا خائف من المارستان وما قاسيت فيه أول مرة، وما أدراك أن الشيطان جاءنى مثل أول مرة، اللهمَّ اخز الشيطان».

ثم إن أبا الحسن غمض عينيه وغطى رأسه وصار يضحك قليلاً، ويرفع رأسه فيجد القصر موقدا والجوارى تغنى، ثم إن خادمًا قعد عند رأسه وقال له: «اجلس يا أمير المؤمنين وانظر إلى قصرك وجواريك»، فقال أبو الحسن: «يستر الله أنا أمير المؤمنين بالحق أو أنتم تكذبون؟ فإنى البارحة ما خرجت ولا حكمت بل شربت ونمت وهذا الخادم جاء يقيمنى» فعند ذلك قام أبو الحسن وجلس، ثم أنه افتكر فى جميع ما جرى له مع أمه وكيف ضربها وكيف دخل إلى المارستان ورأى آثار الضرب الذى ضربه إياه العرفشى صاحب المارستان فتحير فى

أمره وتفكر فى نفسه وقال: والله ما أعرف كيف حالى وما الذى جرى لى ومن أتى بى إلى هذا المكان.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: ثم إنه التفت إلى جارية من الجوارى وقال لها: «من هو أنا؟» فقالت: «أمير المؤمنين». فقال لها: «تكذبين يا نكبة، فإن كنت أمير المؤمنين عضى أصبعى، فجاءت إليه الجارية وعضت أصبعه عضا قويا، فقال لها: «يكفى»، ثم إنه قال للخادم الكبير: «من أنا؟» قال: «أنت أمير المؤمنين» فتركه أبو الحسن وقد خولط فى عقله وحار فى أمره، ثم أقبل على مملوك صغير وقال له: «عضنى فى أذنى، وطاطأ له وحط أذنه فى فم المملوك، وكان المملوك لا يعقل فطبق بأسنانه على أذن أبى الحسن حتى كاد يقطعها، وكان المملوك لا يعرف العربية فبقى كما يقول له يكفى يعتقد المملوك أنه يقول له قرط فيقوى عضته ويكز بأسنانه على أذنه.

فأما الخليفة فإنه أغمى عليه من كثرة الضحك، ثم أفاق الخليفة وخرج وقال له: «ويلك يا أبا الحسن قتلتنى من الضحك»، فالتفت إليه فعرفه فقال: «والله أنت قتلتنى وقتلت أمى وقتلت المشايخ الذين فى جوارنا»، فقربه الخليفة وأنعم عليه وزوجه وأمسكه عنده فى القصر وجعله من خواص ندمائه وقدمه الخليفة على عشرة ندماء وهم: العجلى والرقاشى وعبدان وحسن والفرزدق واللوز والسكر وعمر الترتيس وأبو نواس وأبو إسحاق النديم وأبو الحسن الخليع، ولكل واحد منهم حكاية تذكر فى غير هذا الكتاب.

وقد صار أبو الحسن ذا حظوة ومقربًا عند الخليفة فوق الجميع حتى إنه كان يجلس مع الخليفة والسيدة زبيدة بنت القاسم وتزوج خزندارتها وكان اسمها نزهة الفؤاد فأقام معها أبو الحسن الخليع فى أكل وشرب وعيشة طيبة إلى أن ذهب جميع ما معه، فقال لها أبو الحسن: «يا نزهة الفؤاد»، فقالت: «لبيك»، قال: «إنى أريد أن أعمل حيلة على الخليفة وأنت تعملين حيلة على السيدة زبيدة ونأخذ منهما فى ساعة مائتى دينار وشقتين حريرًا»، فقالت له: «اصنع ما تريده».

ثم إن نزهة الفؤاد قالت لأبى الحسن الخليع: «وما تصنع؟» قال: «إنا نتماوت وهى حيلة، فأموت أنا قبلك وأتمدد فافرشى على فوطة حرير وافردى عمامتى على واربطى أصابع رجلى وحطى على قلبى سكينًا وقليلاً من الملح ثم انشرى شعرك وروحى إلى سيدتك زبيدة واشرطى ثوبك والطمى وجهك واصرخى، فتقول لك: ما لك، فقولى لها: يعيش رأسك فى أبى الحسن الخليع إنه قد مات، فإنها تحزن على وتبكى وتأمر الخزاندرية أن تعطيك مائة دينار وشقة حرير وتقول لك: روحى جهزيه وأخرجيه، فخذى منها المائة دينار والشقة وتعالى، وإذا جئت أقوم أنا وترقدين أنت مكانى وأروح أنا للخليفة وأقول له: يعيش رأسك فى نزهة الفؤاد وأشرط ثوبى وأنتف لحيتى، فيحزن عليك ويقول لخزانداره: اعط أبا الحسن مائة دينار وشقة حرير، ويقول لى: رح جهزها وأخرجها، فأجىء إليك». ففرحت نزهة الفؤاد وقالت: «صحيح

إن هذه الحيلة جيدة»، ثم إنها غمضت عينيه وربطت رجليه وغطته بالفوطة وفعلت ما قاله سيدها، ثم إنها شرطت ثوبها وكشفت رأسها وحلت شعرها ودخلت على السيدة زبيدة وهى تصيح وتبكى، فلما رأتها السيدة زبيدة على تلك الحالة قالت لها: «ما هذا الحال ما قضيتك وما أبكاك؟» فقالت نزهة الفؤاد وهى تبكى وتصيح: «يا سيدتى يعيش رأسك فى أبى الحسن الخليع فإنه قد مات». فحزنت عليه السيدة زبيدة وقالت: «مسكين أبو الحسن الخليع»، وبكت عليه ساعة، ثم إن السيدة زبيدة أمرت الخزندارة أن تعطى نزهة الفؤاد مائة دينار وشقة حرير وقالت: «يا نزهة الفؤاد روحى وجهزيه وأخرجيه». فأخذت المائة دينار والشقة الحرير وراحت إلى منزلها وهى فرحانة ودخلت على أبى الحسن وأعلمته بما وقع لها، فقام وفرح وشد وسطه ورقص وأخذ المائة دينار والشقة.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



قالت شهرزاد: ثم إنه مدد نزهة الفؤاد وفعل بها كما فعلت به، وأخذ ثوبه فشقه ونتف لحيته ومزق عمامته ولم يزل يجرى حتى دخل على الخليفة وهو فى مجلس حكمه وهو على تلك الحالة، فقال له الخليفة «ما قصتك يا أبا الحسن»؟ فبكى وقال: «لا كان نديمك ولا كانت ساعته». فقال له الخليفة: «أخبرنى»، فقال: «يعيش رأسك فى نزهة الفؤاد». فقال الخليفة: «لا إله إلا الله» وضرب كفا على كف.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: ثم إن الخليفة سلى أبا الحسن وقال له: «لا تحزن أنا أعطيك سرية غيرها»، وأمر الخزندار أن يعطيه مائة دينار وشقة حرير، فأعطاه الخزندار ما رسم به الخليفة وقال له: «رح جهزها واعمل لها خرجة مليحة»، فأخذ ما أعطاه وجاء إلى منزله وهو فرحان ودخل إلى نزهة الفؤاد فقال لها: «قومى فقد تم لنا المراد»، فقامت وحط لها المائة دينار والشقة الحرير ففرحت، ثم إنهما أخذا يتحدثان ويضحكان على بعضهما. وأما الخليفة فإنه لما انصرف من عنده أبو الحسن وراح يجهز نزهة الفؤاد حزن عليها وصرف الديوان وقام يتعكز على مسرور سياف النقمة ودخل يعزى السيدة زبيدة فى جاريتها فوجدها جالسة تبكى وهى تنتظر قدوم الخليفة حتى تعزيه فى أبى الحسن الخليع، فقال الخليفة: «يعيش رأسك فى جاريتك نزهة الفؤاد»، فقالت له: «يا سيدى سلامة جاريتى تعيش أنت وتبقى فى نديمك أبى الحسن الخليع فإنه مات». فتبسم الخليفة وقال لخادمه: «يا مسرور إن النساء قليلات العقل، بالله عليك أما كان أبو الحسن عندى فى هذه الساعة؟» فقالت السيدة زبيدة وقد ضحكت من قلب الفيظ: «أما تدع مزحك أما يكفى موت أبى الحسن حتى أنك تموت جاريتى ونعدم الاثنين وتجعلنى قليلة العقل». فقال الخليفة: «إن نزهة الفؤاد هى التى ماتت»، قالت السيدة زبيدة: «وحقا ما كان عندك ولا رأيته، وما كان عندى فى هذه الساعة إلا نزهة الفؤاد وهى حزينة

اكية مقطعة الثياب، وقد صبرتها وأعطيتها مائة دينار وشقة حرير، وأنا كنت أنتظرك حتى أعزيك فى نديمك حسن الخليع».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فضحك الخليفة وقال: «ما مات إلا نزهة الفؤاد»، فقالت له السيدة زبيدة: «لا يا سيدى ما مات إلا أبو حسن الخليع»، فاغتاظ الخليفة ونض العرق الهاشمى من بين عينيه وصرخ على مسرور السياف وقال له: «اخرج ورح إلى بيت أبى الحسن الخليع وانظر من مات»، فخرج مسرور يجرى. فقال الخليفة للسيدة زبيدة: «تراهنينى»، فقالت له: «نعم أراهن فأنا أقول إن أبا الحسن قد مات»، فقال الخليفة: «وأنا أراهن وأقول إنه ما مات إلا نزهة الفؤاد، والرهان بينى وبينك بستان النزهة إلى قصره وقصر التماثيل»، ثم إنهما قعدا ينتظران مسرورًا إلى حين يرجع بالخبر، وأما مسرور فإنه ما زال يجرى حتى دخل إلى زقاق أبو الحسن الخليع. وكان أبو الحسن قاعدًا متكئًا على الشباك فلاحت منه التفاتة فنظر مسرورًا وهو يجرى فى الزقاق، فقال لنزهة الفؤاد: «كأن الخليفة لما خرجت من عنده صرف الديوان ودخل إلى السيدة زبيدة يعزيها، فقامت هى وعزته وقالت له: عظم الله أجرك فى أبى الحسن الخليع، فقال لها الخليفة: ما مات إلا نزهة الفؤاد يعيش رأسك فيها، فقالت له هى: «ما مات إلا أبو الحسن الخليع نديمك، فقال لها: ما مات إلا نزهة الفؤاد فتكابرا، فاغتاظ الخليفة وتراهنا وقد بعث مسرورًا السياف ينظر من مات، فالأولى أنك ترقدين حتى ينظرك فيذهب ويعلم الخليفة ويصدق قولى» فتمددت نزهة الفؤاد وغطاها أبو الحسن بإزارها وقعد عند رأسها يبكى، وإذا بمسرور الخادم طلع إلى بيت أبى الحسن وسلم عليه ورأى نزهة الفؤاد وهى ممددة، فكشف عن وجهها وقال: «لا إله إلا الله ماتت أختنا نزهة الفؤاد، ما كان أسرع القضاء الله يرحمك ويبرئ ذمتك».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: ثم إنه رجع وحكى ما جرى بين يدى الخليفة والسيدة زبيدة وهو يضحك، فقال له الخليفة: «يا ملعون ما هذاوقت ضحك أخبرنا من مات منهما؟» فقال مسرور للخليفة: «والله يا سيدى إن أبا الحسن طيب وما مات إلا نزهة الفؤاد»، فقال الخليفة لزبيدة: «ضيعت قصرك فى لعبك»، وضحك عليها ثم قال: «يا مسرور احك لها كيف رأيت»، فقال لها: «صحيح يا سيدتى، فإنى بقيت أجرى حتى دخلت على أبى الحسن فى بيته فوجدت نزهة الفؤاد نائمة ميتة وأبا الحسن جالسًا عند رأسها يبكى، فسلمت عليه وعزيته وجلست جنبه وكشفت وجه نزهة الفؤاد فرأيتها ميتة ووجهها منتفخًا، فقلت له: اخرجها لنصلى عليها، فأجاب نعم، وقد جئت لأعلمكم وخليته يجهزها»، فضحك الخليفة وقال: «قل لسيدتك القليلة العقل»، فلما سمعت السيدة زبيدة كلام مسرور اغتاظت وقالت: «ما قليل العقل إلا من يصدق عبدًا»، وشتمته والخليفة يضحك. ثم إن مسرورًا قال للخليفة: «صدق من قال: إن النساء

ناقصات العقل والدين». فقالت السيدة زبيدة: «يا أمير المؤمنين أنت تلعب وتمزح معى وهذا العبد يتلاعب علىّ لأجل خاطرك، لكن أنا أرسل وأبصر من مات منهما». فصاحت زبيدة على العجوز قهرمانة وقالت لها: «امضى إلى بيت نزهة الفؤاد وأبصرى من مات بسرعة ولا تبطئى»، فخرجت العجوز تجرى والخليفة ومسرور يضحكان.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: ولم تزل العجوز تجرى حتى دخلت الزقاق، فرآها أبو الحسن فعرفها، فقال لزوجته: «يا نزهة الفؤاد كأن السيدة زبيدة أرسلت تنظر من مات وأنها ما صدقت قول مسرور فى موتك فإنها أرسلت العجوز القهرمانة لتكشف الخبر، فصار الموت لى أولى لأجل صدقك عند السيدة زبيدة»، ثم إن أبا الحسن تمدد ورقد وغطته نزهة الفؤاد وربطت عينيه ورجليه وجلست عند رأسه تبكى، فدخلت العجوز عليهما فرأت نزهة الفؤاد جالسة عند رأس أبى الحسن وهى تبكى وتعدد، ثم إن نزهة الفؤاد لما رأت العجوز صرخت وقالت للعجوز: «انظرى ما جرى علىّ وقد مات أبو الحسن وخلانى وحيدة فريدة»، وصرخت وقطعت أثوابها وقالت للعجوز: «يا أمى ما كان أحنه»، فقالت لها العجوز: «حقا إنك معذورة لأنك كنت تعودته وتعودك». ثم إن العجوز علمت ما كان من أمر مسرور مع الخليفة والسيدة زبيدة فقالت لنزهة الفؤاد: «إن مسرور يكاد يرمى الفتنة بين الخليفة وبين السيدة زبيدة»، فقالت لها نزهة الفؤاد: «وما هى الفتنة يا أمى؟» فقالت العجوز: «يا بنتى قد جاء مسرور إلى الخليفة والسيدة زبيدة وأخبرهما عنك أنك مت وأن أبا الحسن طيب»، فقالت لها نزهة الفؤاد: «يا خالتى فإنى أنا كنت عند سيدتى فى هذا الوقت وقد أعطتنى مائة دينار وشقة حرير، وانظرى حالى وما جرى لى وأنا حائرة فكيف أعمل وأنا وحيدة فريدة، يا ليتنى أنا مت وعاش هو»، ثم بكت وبكت معها العجوز.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: ثم إن العجوز تقدمت وكشفت وجه أبى الحسن فنظرت عينيه مربوطتين منتفختين من الرباط فغطته، ثم إن العجوز عزّت نزهة الفؤاد وخرجت من عندها وهى تجرى حتى دخلت على السيدة زبيدة وحكت لها الحكاية، فقالت لها السيدة زبيدة وقد ضحكت: «قولى للخليفة الذى يظننى قليلة العقل وناقصة الدين». فقال مسرور: «إن هذه العجوز تكذب وأنا رأيت أبا الحسن طيبًا ونزهة الفؤاد راقدة ميتة»، فقالت له العجوز: «أنت الذى تكذب وتريد أن ترمى الفتنة بين الخليفة وبين السيدة زبيدة»، فقال مسرور: «ما يكذب إلا أنت يا عجوز النحس وسيدتك تصدقك وهى خرفانة»، فصاحت به السيدة زبيدة وقد احتدمت منه ومن كلامه وبكت، فقال لها الخليفة: «أنا أكذب وخادمى يكذب وأنت تكذبين وجاريتك تكذب، والصواب عندى أننا نصير نحن الأربعة حتى نبصر من الذى يصدق منا، فقال مسرور: «قوموا بنا حتى أعمل فى هذه العجوز النحس الأعمال المشؤومة وأضربها على كذبها» فقالت له

العجوز: «يا خرفان أعقلك مثل عقلى؟ إنما عقلك مثل عقل الدجاجة». فاغتاظ مسرور من كلامها وأراد أن يبطش بالعجوز فقالت له السيدة زبيدة وقد دفعته عنها: «فى هذه الساعة يبين صدقها من صدقك وكذبها من كذبك».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: وقام الأربعة وتراهنوا مع بعضهم وخرجوا يتمشون من باب القصر إلى أن دخلوا باب أبى الحسن، فنظرهم أبى الحسن وقال لزوجته نزهة الفؤاد: «حقا ما كل مرة تسلم الجرة، كأن العجوز راحت وحكت لسيدتها وأعلمتها بحالنا وأنها تخاصمت مع مسرور الخادم وقد تراهنوا على موتنا وقد أتوا إلينا الأربعة الخليفة والخادم والسيدة زبيدة والعجوز». فانتبهت نزهة الفؤاد من الرقاد وقالت: «كيف يكون العمل؟» فقال لها أبو الحسن: «نعمل أرواحنا ميتين معًا ونتمدد ونقطع النفس» فسمعت منه وتمدد الاثنان وربطا رجليهما وغمَّضا أعينهما وقد قطعا النفس ورقدا وتغطيا بالإزار.

فدخل الخليفة وزبيدة ومسرور والعجوز، فلما دخلوا إلى بيت أبى الحسن الخليع وجدوه مع زوجته ممددين ميتين فلما رأتهما السيدة زبيدة قالت: «ما زالوا يتشاءمون على جاريتي حتى ماتت، ولكن أظن أنه صعب عليها موت أبى الحسن فماتت بعده». فقال الخليفة: «لا تسابقينى فى الحديث والكلام فإنها ماتت قبل أبى الحسن، فإن أبا الحسن جاء إلىَّ وهو مقطع الحوائج منتوف اللحية وهو يدق على صدره بطوبتين وأعطيته مائة دينار وشقة حرير وقلت له: رح أخرجها وأنا أعطيك غيرها سرية أحسن منها وتكون عوضًا عنها، والظاهر أنها ما هانت عليه فمات بعدها، وأنا الذى غلبتك، وأخذت رهانك». فقالت السيدة زبيدة للخليفة كلامًا كثيرًا وكثر بينهما الكلام.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فجلس الخليفة عند رأس الاثنين وقال: «بحق تربة رسول الله ﷺ وتربة آبائى وأجدادى وددت لو يعلمنى أحد من مات منهما قبل رفيقه فأعطيه ألف دينار». فلما سمع أبو الحسن كلام الخليفة أسرع فى القيام ونط وقال: «أنا الذى مت قبل يا أمير المؤمنين، هات الألف دينار وبر باليمين التى أقسمت بها». ثم إن نزهة الفؤاد قامت ووقفت على حيلها بين يدى الخليفة والسيدة زبيدة ففرحوا بذلك وبسلامتها، وعانقت زبيدة جاريتها وفرحت بسلامتها.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: ثم إن الخليفة والسيدة زبيدة هنآهما بالسلامة من الموت وعلما أن هذه الموتة حيلة لأجل أخذ الذهب، فقالت السيدة زبيدة لنزهة الفؤاد: «كنت طلبت منى ما تريدين

بغير هذا الوجه ولا أحرقت قلبى عليك»، قالت نزهة الفؤاد: «إنى استحييت يا سيدتى»، وأما الخليفة فإنه غشى عليه من الضحك وقال: «يا أبا الحسن لم تزل خليعًا وتعمل العجائب والغرائب؟» فقال له أبو الحسن: «يا أمير المؤمنين فإن هذه الحيلة عملتها لما نفد المال الذى أعطيتنيه وإنى قد استحييت أن أطلب منك ثانية، وأنا لما كنت وحدي ما كنت أمسك على مال، وقد زوجتنى هذه الجارية التى معك، فإنى لو ملكت مالك جميعه لأهلكته، ولما فرغ جميع ما فى يدى عملت هذه الحيلة حتى أخذت منك هذه المائة دينار والشقة الحرير، وجميع ذلك صدقات مولانا فعجل علىَّ الآن بالألف دينارًا وبر بقسمك»، فضحك الخليفة والسيدة زبيدة وعادا إلى القصر وأعطى الخليفة أبا الحسن الألف دينار وقال له: «خذ حلوان سلامتك من الموت». وكذلك السيدة زبيدة أعطت نزهة الفؤاد ألف دينار وقالت لها: «خذيها حلوان السلامة من الموت»، ثم إن الخليفة زاد لأبى الحسن فى الجامكية والجراية، ولم يزل أبو الحسن وزوجته فى فرح وسرور إلى أن أتاهم هادم اللذات، ومفرق الجماعات، ومخرب القصور والدور، ومعمر القبور، وما هذا بأعجب من حكاية قمر الزمان ابن الملك شهرمان، فقال الملك: «كيف ذاك؟».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية الملك شهرمان وابنه قمر الزمان

قالت شهرزاد: بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان فى قديم الزمان، وسالف العصر والأوان، ملك يسمى الملك شهرمان، وكان صاحب عسكر عظيم وخدم وأعوان، إلا أنه كان قد كبر سنه ورقَّ عظمه ولم يرزق ولدًا ففكر فى نفسه وحزن وقلق وشكا ذلك لبعض وزرائه وقال: «إنى أخاف إذا مت أن يضيع الملك لأنى لا أجد من يتولاه بعدى من ولدى»، فقال له ذلك الوزير: «لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا، فتوكل على الله أيها الملك وابتهل إليه»، فقام الملك وتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله تعالى بنية صادقة، فرزقه الله ولدًا ذكرًا كأنه البدر ليلة تمامه فسماه قمر الزمان، وفرح به غاية الفرح ونادى بالزينة، فزينت المدينة سبعة أيام ودقت الطبول وأقبلت البشائر ورتبت له المراضع والقوابل وتربى فى العز والدلال حتى صار له من العمر خمس عشرة سنة.

وكان فائقًا فى الحسن والجمال، والقد والاعتدال، وكان أبوه يحبه ولا يقدر أن يفارقه ليلاً ولا نهارًا، فشكى أبوه لبعض وزرائه زيادة حبه له وقال: «أيها الوزير أنى خائف على ولدى قمر الزمان، من طوارق الدهر والحدثان، وأريد أن أزوجه فى حياتى». فقال له الوزير: «اعلم أيها الملك أن الزواج من مكارم الأخلاق والصواب أن تزوج ولدك فى حياتك قبل أن تسلطنه»، فعند ذلك قال الملك شهرمان: «علىَّ بولدى قمر الزمان»، فحضر وأطرق برأسه إلى الأرض حياء من أبيه، فقال له أبوه: «يا قمر الزمان إنى أريد أن أزوجك وأفرح بك فى حياتى» فقال له: «يا أبى اعلم أنه ما لى فى الزواج رغبة لأنى وجدت فى مكر النساء وغدرهنَّ كتبًا وكلامًا كثيرًا كما قال الشاعر:

«فإن تسألونى بالنساء فإننى خبير بأحوال النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قلَّ ماله فليس له من ودهن نصيب»
اعص النساء فتلك الطاعة الحسنه فلن يفوز فتى يعطى النسا رسنه
يعقنه عن كمال فى فضائله ولو سعى طالبًا للعلم ألف سنه

ولما فرغ من شعره قال: «يا أبى إن الزواج شىء لا أفعله أبدًا ولو سقيت كأس الردى».

فلما سمع السلطان شهرمان من ولده هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلامًا واغتم غما شديدًا على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له فيما أشار عليه به من أمر الزواج، ومن شدة محبته له لم يرض أن يكرر عليه هذا الكلام ولم يغضبه بل أقبل عليه وأكرمه ولاطفه بكل ما يجلب المحبة إلى القلب، كل ذلك وقمر الزمان كل يوم يزداد حسنًا وجمالاً، وظرفًا ودلالاً، فصبر الملك شهرمان على ولده سنة كاملة فوجده قد كمل بالفصاحة والملاحة، وصار فتنة فى الجمال، وروضة فى الكمال، عذب الكلام، يخجل وجهه بدر التمام، صاحب قد واعتدال وظرف ودلال، كأنه غصن بان أو قضيب خيزران، ينوب خده عن الورد وشقائق النعمان، ظريف الشمائل كما قال فيه القائل:

«بدا فقالوا تبارك الله جل الذى صاغه وسواه
فى ريقه شهدة مذوبة وانعقد الدر فى ثناياه
مكملاً بالجمال منفردًا كل الوردى فى جماله تاهوا
قد كتب الحسن فوق وجنته أشهد أن لا مليح إلا هو»

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: فلما تكاملت سنة أخرى لقمر الزمان دعاه إليه والده وقال له: «يا ولدى أما تسمع منى؟» فوقع قمر الزمان على الأرض بين يدى والده هيبة واستحى منه وقال له: «كيف لا أسمع منك وقد أمرنى الله بطاعتك وأن لا أعصيك؟» فقال له الملك شهرمان: «يا ولدى اعلم أنى أريد أن أزوجك وأفرح بك فى حياتى وأسلطنك فى مملكتى قبل مماتى». فلما سمع من أبيه ذلك أطرق ساعة، ثم رفع رأسه وقال: «يا أبت هذا شىء لا أفعله أبدًا ولو سقيت كأس الردى، وأنا أعلم يقينًا أن الله تعالى فرض علىَّ طاعتك، فبالله عليك لا تكلفنى فى أمر الزواج ولاتظن أنى أتزوج طول عمرى لأننى قرأت كتبًا للمتقدمين والمتأخرين واطلعت على ما وقع لهم من النساء من الفتن والآفات، ومكرهنَّ غير المتناهى، وما يحدث عنهنَّ من الدواهى، وما أحسن قول الشاعر:

من كاده العاهرات فلا يرى من خلاص
ولو بنى ألف حصن مشيدة بالرصاص
فليس يجدى بناها ولا تفيد الصياصى
إن النسا خائنات لكل دان وقاص
مخضبات بنان مضفرات عقاص

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما سمع الملك شهرمان من ولده قمر الزمان هذا الكلام، وفهم الشعر والنظام، لم يرد عليه جوابًا من فرط محبته له وزاده من إنعامه وإكرامه، وانفض ذلك الملجس من تلك الساعة، وبعد انفضاض المجلس دعا الملك بوزيره واختلى به وقال له: «أيها الوزير أخبرنى ما الذى أفعله فى ولدى قمر الزمان من قضية الزواج؟ فإنى استشرتك فى زواجه فأنت الذى أشرت على بزواجه قبل أن أسلطنه، فذكرت له الزواج مرارًا فخالفنى، فأشر على الآن أيها الوزير ما الذى أفعله؟» فقال له الوزير: «أيها الملك اصبر عليه سنة أخرى فإذا أردت أن تكلمه بعدها فى هذا الأمر فلا تكلمه سرا وإنما كلمه فى يوم حكومة ويكون جميع الأمراء والوزراء حاضرين وجميع العساكر واقفين، فإذا اجتمع هؤلاء فأرسل إلى ولدك قمر الزمان فى تلك الساعة وأحضره، فإذا حضر فقل له على أمر الزواج بحضرة الوزراء وأرباب الدولة وأصحاب الصولة، فإنه لا بدَّ يستحى منهم ولا يقدر أن يخالفك بحضرتهم». فلما سمع الملك شهرمان من وزيره هذا الكلام فرح فرحًا شديدا واستصوب رأيه فى ذلك وخلع عليه خلعة سنية، وصبر الملك على ولده قمر الزمان سنة كاملة، وكلما مر عليه يوم من الأيام يزداد حسنًا وجمالاً وبهجة وكمالاً حتى بلغ من العمر قريبًا من عشرين سنة، وألبسه الله حلة الجمال وتوجه بتاج الكمال.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: ثم إن الملك شهرمان سمع كلام الوزير وصبر سنة أخرى حتى حصل يوم موسم وجاء يوم حكومة وتكامل فيه مجلس الملك بالأمراء والوزراء وأرباب الدولة والعساكر وأصحاب الصولة، ثم إنه أرسل إلى ولده قمر الزمان، فلما حضر قبل الأرض بين يدى أبيه ثلاث مرات، ووقف بالاحتشام قدامه، فقال له أبوه: «اعلم يا ولدى أنى ما أرسلت إليك وما أحضرتك هذه المرة قدام هذاالمجلس وجميع أهل الدولة حاضرون بين أيدينا إلا لأجل أن آمرك بأمر فلا تخالفنى فيه وذلك أن تتزوج لأنى أشتهى أن أزوجك بابنة ملك من الملوك وأفرح بك قبل موتى». فلما سمع قمر الزمان من أبيه ذلك أطرق برأسه إلى الأرض ساعة، ثم رفع رأسه إلى أبيه وقد لحقه فى تلك الساعة جنون الصبا وجهل الشبيبة وقال له: «أما أنا فلا أتزوج أبدًا ولو سقيت كأس الردى، وأما أنت فرجل كبير السن صغير العقل أليس إنك سألتنى قبل هذا اليوم مرتين غير هذه المرة فى شأن الزواج وأنا لا أجيبك إلى ذلك؟». ثم إن قمر الزمان شمر عن ذراعيه قدام أبيه وهو فى غيظه وتكلم مع أبيه بكلام كثير وانزعج خاطره، فخجل أبوه واستحى لأنه حصل ذلك قدام أرباب دولته والعساكر الحاضرين فى الموسم، ثم إن الملك شهرمان لحقته شهامة الملك فصرخ على ولده فأرعبه وصرخ على المماليك الذين قدامه وقال لهم: «أمسكوه» فتسابقت إليه المماليك فمسكوه وأحضروه قدامه، فأمرهم

أن يكتفوه، فكتفوه وقدموه بين يدى الملك وهو مطرق رأسه من الخوف والوجل، وتكلل جبينه ووجهه بالعرق واشتد به الحياء والخجل.

فعند ذلك شتمه أبوه وسبه وقال له: «ويلك يا قليل الأدب، كيف يكون جوابك لى بين عساكرى وجيوشى، ولكن أنت إلى الآن ما أدبك أحد، أما تعلم أن هذا الأمر الذى صدر منك لو صدر من عامى من العوام لكان ذلك قبيحًا منه؟» ثم إن الملك أمر المماليك أن يحلوا كتافه ويحبسوه فى برج من أبراج القلعة، فعند ذلك أخذوه ودخلوا به إلى برج عتيق فيه قاعة خربة وفى وسط القاعة بئر خربة عتيقة فكنسوها ومسحوا بلاطها ونصبوا لقمر الزمان فيها سريرًا وفرشوا له على السرير طراحة ونطعًا ووضعوا له مخدة وأتوا له بفانوس كبير وشمعة لأن ذلك المكان كان مظلمًا فى النهار. ثم إن المماليك أدخلوا قمر الزمان فى هذا المكان وجعلوا على باب القاعة خادمًا فعند ذلك طلع قمر الزمان فوق ذلك السرير وهو منكسر الخاطر حزين الفؤاد وقد عاتب نفسه وندم على ما جرى منه فى حق والده حيث لا ينفعه الندم وقال: لعن الله الزواج والبنات والنساء الخائنات، فياليتنى سمعت من والدى وتزوجت، فلو فعلت ذلك كان أحسن لى من هذا السجن.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: هذا ما كان من أمر قمر الزمان، وأما ما كان من أمر أبيه فإنه أقام على كرسى مملكته بقية اليوم إلى وقت الغروب، ثم خلا بالوزير فقال له: «اعلم أيها الوزير أنك كنت السبب فى هذا كله الذى جرى بينى وبين ولدى حيث أشرت على بما أشرت فما الذى تشير به على أن أفعله الآن؟» فقال الوزير: «أيها الملك دع ولدك فى السجن مدة خمسة عشر يومًا ثم أحضره بين يديك وأمره بالزواج فإنه لا يخالفك أبدًا».

فقبل الملك رأى الوزير فى ذلك ونام تلك الليلة وهو مشتغل القلب على ولده لأنه كان يحبه محبة عظيمة حيث لم يكن له ولد سواه، وكان الملك شهرمان كل ليلة لا يجيئه نوم إلا إذا وضع ذراعه تحت رقبة قمر الزمان ونام، فبات الملك تلك الليلة متشوش الخاطر من أجله، وصار يتقلب من جنب إلى جنب كأنه نائم على جمر الغضا، ولحقه الوسواس ولم يأخذه نوم فى تلك الليلة بطولها، وذرفت عيناه بالدموع وأنشد يقول:

لقد طال ليلى والوشاة هجوع … وناهيك قلبًا بالفراق مروع

أقول وليلى زاد بالهم طوله … أما لك يا ضوء الصباح رجوع

لما رأيت النجم ساه طرفه … والقطب قد ألقى عليه سباتا

وبنات نعش فى الحداد سوافرًا … أيقنت أن صباحهم قد ماتا

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية قمر الزمان والعفريتة ميمونة

قالت شهرزاد: هذا ما كان من أمر الملك شهرمان، وأما ما كان من أمر قمر الزمان فإنه

لما دخل عليه الليل قدم له الخادم الفانوس وأوقد له شمعة وجعلها فى شمعدان وقدم له شيئًا من المأكل، فأكل قليلاً، وصار قمر الزمان يعاتب نفسه على ما أساء الأدب فى حق أبيه وقال لنفسه: يا نفسى ألم تعلمى أن ابن آدم رهين لسانه وأن لسان الآدمى هو الذى يوقعه فى المهالك، ثم ذرفت عيناه بالدموع وبكى على ما صدر منه من فؤاد موجوع وقلب مصدوع، وندم على ما وقع منه فى حق أبيه غاية الندم وأنشد يقول:

«يموت الفتى من عثرة من لسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فعثرته من فيه ترمى برأسه وعثرته بالرجل تبرأ على مهل»

ثم إن قمر الزمان لما فرغ من الأكل طلب أن يغسل يديه، فغسل له المملوك يديه من الطعام، ثم قام وتوضأ وصلى المغرب والعشاء وجلس على السرير يقرأ القرآن، فقرأ البقرة وآل عمران وياسين والرحمن وتبارك الملك والإخلاص والمعوذتين وختم بالدعاء وتحصن واستعاذ بالله ونام على السرير فوق طراحة من الأطلس النفيس لها وجهان وهى محشوة بالخز العراقى وتحت رأسه مخدة محشوة بريش النعام، وحين أراد النوم تجرد من ثيابه وخلع لباسه ونام فى قميص مشمع رفيع، وكان على رأسه مقنع مروزى أزرق، فصار قمر الزمان تلك الساعة فى هذه الليلة كأنه البدر إذا بدر ليلة أربعة عشر، ثم تغطى بملاءة من حرير ونام والفانوس موقد تحت رجليه والشمعة موقدة فوق رأسه، ولم يزل نائمًا إلى ثلث الليل الأول، ولم يعلم ما خبئ له فى الغيب، وما قدره عليه علاّم الغيوب، وكان بالأمر المقدر والقضاء المتحتم أن هذا البرج وهذه القاعة كانا عتيقين مهجورين من مدة سنين، وفى تلك القاعة بئر رومانى معمور بجنية ساكنة فيه وهى من ذرية إبليس اللعين واسمها ميمونة ابنة الدمرياط أحد ملوك الجان المشهورين.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما استمر قمر الزمان نائمًا إلى ثلث الليل الأول طلعت تلك العفريتة من البئر الرومانى وقصدت السماء لاستراق السمع، فلما صارت فى أعلى البئر رأت نورًا يشتعل فى البرج على خلاف العادة، وكانت تلك العفريتة مقيمة فى ذلك المكان مدة مديدة من السنين، فقالت فى نفسها: أنا ما عهدت هنا شيئًا من ذلك، فلما رأت النور تعجبت من هذا الأمر غاية العجب، وخطر ببالها أنه لا بد لذلك من سبب، ثم قصدت ناحية ذلك النور فوجدته خارجًا من القاعة، فدخلت إليها فوجدت الخادم نائمًا على باب القاعة، ولما دخلت القاعة وجدت سريرًا منصوبًا وعليه هيئة إنسان نائم وشمعة موقدة عند رأسه، وفانوسا موقدا عند رجليه.

فتعجبت العفريتة ميمونة من ذلك النور وتقدمت إليه قليلاً قليلاً وأرخت أجنحتها ووقفت على السرير وكشفت الملاءة عن وجه قمر الزمان ونظرت إليه، فبهتت فى حسنه وجماله ساعة زمانية وقد وجدت ضوء وجهه غالبًا على نور الشمعة فصار وجهه يتلألأ نورًا، فلما رأته العفريتة ميمونة بنت الدمرياط سبحت الله وقالت: تبارك الله أحسن الخالقين،

وكانت العفريتة من الجن المؤمنين، فاستمرت ساعة وهى تنظر إلى وجه قمر الزمان وتوحد الله وتغبطه على حسنه وجماله، وقالت فى نفسها: إنى لا أضره ولا أترك أحدًا يؤذيه ومن كل سوء أفديه، فإن هذاالوجه المليح لا يستحق إلا النظر إليه والتسبيح، ولكن كيف هان على أهله أنهم حطوه فى هذا المكان الخراب فلو طلع له أحد من مردتنا فى هذه الساعة لعطبه.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية ميمونة ودهنش

قالت شهرزاد: ثم إن تلك العفريتة أرخت الملاءة على وجهه وغطته وفتحت أجنحتها وطارت إلى ناحية السماء وطلعت من دور تلك القاعة، ولم تزل طائرة فى الهواء وصاعدة فى الجو إلى أن قربت من سماء الدنيا، وإذا بها سمعت خفق أجنحة طائرة فى الهواء، فقصدت ناحية تلك الأجنحة فدنت منها فوجدته عفريتًا يقال له دهنش، فانقضت عليه انقضاض الباشق، فلما حس بها دهنش وعرف أنها ميمونة بنت ملك الجن خاف منها وارتعدت فرائصه فاستجار بها وقال لها: «أقسم عليك بالاسم الأعظم المكرم والطلسم الأكرم المنقوش على خاتم سليمان أن ترفقى بى ولا تؤذينى».

فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام حنَّ قلبها عليه وقالت له: «لقد أقسمت على يا ملعون بقسم عظيم ولكن لا أعتقك حتى تخبرنى من أين مجيئك فى هذه الساعة؟» فقال لها: «أيتها السيدة اعلمى أن مجيئى من آخر بلاد الصين ومن داخل الجزائر، وأخبرك بأعجوبة رأيتها فى هذه الليلة، فإن وجدت كلامى صحيحًا فاتركينى أروح إلى حال سبيلى واكتبى لى بخطك وثيقة أنى عتيقك حتى لا يعارضنى أحد من أرهاط الجن الطيارة العلوية والسفلية والغواصة»، قالت له ميمونة: «فما الذى رأيته هذه الليلة يا كذاب يا ملعون؟ فأخبرنى ولا تكذب على وأنت تريد أن تفلت منى بكذبك، وأنا أقسم بحق النقش المكتوب على فص خاتم سليمان بن داود عليهما السلام إن لم يكن كلامك صحيحًا نتفت ريشك بيدى ومزقت جلدك وكسرت عظمك»، فقال لها العفريت دهنش بن شمهورش الطيار: «رضيت يا سيدتى بهذا الشرط».

ثم قال: «اعلمى يا سيدتى أنى قد خرجت فى هذه الليلة من الجزائر الداخلة فى بلاد الصين وهى بلاد الملك الغيور، صاحب الجزائر والبحور، والسبعة قصور، فرأيت لذلك الملك بنتًا لم يخلق الله فى زمانها أحسن منها وإنى لا أقدر أن أصفها لك فإن لسانى يعجز عن وصفها كما ينبغى»، فلما سمعت ميمونة وصف تلك الصبية وحسنها وجمالها تعجبت، فقال لها دهنش: «وأن أبا تلك الصبية ملك جبار، فارس كرار، خواض المعامع فى الليل والنهار، لا يهاب الموت ولا يخاف الفوت، لأنه جائر ظلوم، وقاهر غشوم، وهو صاحب جيوش وعساكر، وأقاليم وجزائر، ودمن ودور، واسمه الملك الغيور، صاحب الجزائر والبحور، والسبعة قصور.

«وكان ذلك الملك يحب ابنته هذه الصبية التى وصفتها لك حبا شديدًا، ومن محبته لها جلب أموال سائر الملوك وبنى لها بذلك سبعة قصور كل قصر من جنس مخصوص، القصر الأول من البلور، والثانى من الرخام، والثالث من الحديد الصينى، والقصر الرابع من المعادن

والجواهر، والقصر الخامس من الخزف والجزع الملون والفصوص، والقصر السادس من الفضة، والقصر السابع من الذهب، وملأ السبعة قصور من أنواع الفرش الفاخر من الحرير وأوانى الذهب والفضة وجميع الآلات من كل ما تحتاج إليه الملوك، وأمر ابنته أن تسكن فى كل قصر مدة من السنة ثم تنتقل إلى قصر غيره، واسمها الملكة بدور».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما اشتهر حسنها، وشاع فى البلاد ذكرها، أرسل سائر الملوك إلى أبيها يخطبونها منه فشاورها وراودها فى أمر الزواج فكرهت ذلك وقالت لأبيها: «يا والدى ليس لى غرض فى الزواج أبدًا فإنى سيدة وحاكمة وملكة، أحكم على الناس ولا أريد أحدًا يحكم على». وكانت كلما امتنعت من الزواج زادت رغبة الخطاب فيها، فعند ذلك أرسل جميع ملوك الصين الجوانية لأبيها الهدايا والتحف وكاتبوه فى أمر زواجها، فكرر عليها أبوها المشاورة فى أمر الزواج مرارًا عديدة، فخالفته وسفهت رأيه وغضبت منه وقالت له: «يا أبى إن ذكرت لى الزواج مرة أخرى دخلت البيت وأخذت السيف وغرزت قائمه فى الأرض وأدخلت حده فى بطنى واتكأت عليه حتى يخرج من ظهرى وأقتل نفسى»، فلما سمع أبوها منها هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلامًا واحترق قلبه عليها غاية الاحتراق وخشى أن تقتل نفسها وحار فى أمرها وفى أمر الملوك الذين خطبوها، فقال لها: «إن كان لا بد من عدم زواجك فامتنعى من الدخول والخروج».

ثم إن أباها أدخلها البيت وحجبها فيه ورسم عليها عشر عجائز قهرمانات ومنعها من أن تذهب إلى السبعة قصور وأظهر أنه غضبان عليها وأرسل فكاتب الملوك جميعهم وأعلمهم أنها أصيبت بجنون فى عقلها وأخبرهم أنها محجوبة من سنة»، ثم إن العفريت دهنشًا قال للعفريتة ميمونة: «أقسمت عليك يا سيدتى أن ترجعى معى وتنظرى حسنها وجمالها وقدها واعتدالها، وبعد هذا إن شئت أن تعاقبينى أو تأسيرنى فافعلى فإن الأمر أمرك والنهى نهيك»، ثم إن العفريت دهنشًا أطرق برأسه إلى الأرض وخفض اجنحته إلى الأرض، فقالت له العفريتة ميمونة بعد أن ضحكت من كلامه وبصقت فى وجهه: «أى شىء هذه البنت التى تقول عنها، أفوه أفوه والله إنى حسبت أن معك أمرًا عجيبًا أو خبرًا غريبًا، أما أنا فإنى رأيت إنسانًا فى هذه الليلة لو رأيته ولو فى المنام لغشى عليك».

فلما سمع العفريت ذلك قال لها: «وما حكاية هذا الغلام؟» فقالت له: «اعلم يا دهنش أن هذا الغلام قد جرى له مثل ما جرى للبنت التى ذكرتها وأمره أبوه بالزواج مرارًا عديدة فأبى، فلما خالف أباه غضب عليه وسجنه فى البرج الذى أنا ساكنة فيه فطلعت فى هذه الليلة فرأيته»، فقال لها دهنش: «يا سيدتى أرينى هذا الغلام لأنظر هل هو أحسن من الملكة بدور أم لا؟ لأنى ما أظن أنه يوجد فى هذا الزمان مثلها».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فقالت له العفريتة: «تكذب يا ملعون يا أنحس المردة وأحقر الشياطين فأنا أتحقق أنه لا يوجد لهذا الغلام مثيل فى هذه الديار»، فقال لها العفريت: «بالله عليك يا سيدتى امضى معى وانظرى الملكة بدور وأرجع معك وانظر الغلام الذى تذكرين»، فقالت له ميمونة: «لا بد من ذلك لأنك شيطان مكار ولكن لا أجىء معك ولا تجىء أنت معى إلا أن يكون ذلك برهن وشرط وهو أنه إن كانت البنت التى أنت تغالى فيها أحسن من الغلام الذى ذكرته فإن ذلك الرهن والشرط يكون لك علىَّ، وإن كان هو أحسن فإن ذلك الرهن يكون لى عليك»، فقال لها العفريت دهنش: «يا سيدتى قبلت منك هذا الشرط ورضيت به، تعالى معى إلى الجزائر»، فقالت له ميمونة: «لا لأنَّ موضع الغلام أقرب من موضع البنت، وها هو تحتنا فانحدر معى لتنظره ونروح بعد ذلك إلى البنت»، فقال لها دهنش: «السمع والطاعة». ثم انحدرا إلى أسفل فنزلا فى دور القاعة التى فى البرج وأوقفت ميمونة دهنشًا بجنب السرير ومدت يدها ورفعت ملاءة الحرير عن وجه قمر الزمان ابن الملك شهرمان فسطع وجهه ولمع وأشرق وزها، فنظرت ميمونة إليه والتفتت من وقتها وساعتها إلى دهنش واستمر يتأمل فيه ساعة، ثم حرك رأسه وقال لميمونة: «والله يا سيدتى إنك معذورة، ولكن هذا الغلام أشبه الخلق بالبنت التى أخبرتك عنها فى الحسن والجمال والبهجة والكمال، وكلاهما كأنهما قد أفرغا فى قالب الجمال معًا».

فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام صار الضياء فى وجهها ظلامًا ولطمته بجناحها على رأسه لطمة قوية كادت أن تقضى عليه من شدتها وقالت له: «أقسم عليك يا ملعون أن تطير هذه الساعة وتحمل البنت وتأتى بها سريعًا إلى هذا المكان حتى نقابل الاثنين وننظر فيهما وهما نائمان فيظهر لنا أيهما أملح وأحسن من صاحبه وإن لم تفعل ما أمرتك به فى هذه الساعة يا ملعون أحرقتك بنارى، ورميت عليك شرارى، ومزقتك قطعًا قطعًا ورميتك فى البرارى، وجعلتك عبرة للمقيم والسارى» فقال لها دهنش: «يا سيدتى لك علىَّ ذلك وأنا أعرف أن البنت أملح وأحلى».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: ثم إن العفريت دهنش طار من وقته وساعته وطارت ميمونة معه من أجل المحافظة عليه، فغابا ساعة زمانية، ثم أقبل الاثنان بعد ذلك وهما حاملان تلك الصبية وعليها ثوب بندقى رفيع بطرازين من الذهب وهو مزركش ببدائع التطريزات، ولم يزل دهنش وميمونة حاملين تلك الصبية حتى وضعاها قبالة الغلام قمر الزمان، ثم إنهما كشفا عن وجوه الاثنين فكانا أشبه الناس ببعضهما فكأنهما توأمان أو أخوان منفردان، وصار دهنش وميمونة ينظران إليهما، فقال دهنش: «والله طيب يا سيدتى إن البنت أحسن»، فقالت له ميمونة: «بل الصبى أحسن، ويلك يا دهنش أنت أعمى القلب والعين ما تفرق بين الغث والسمين، هل تخفى الحق، أما تنظر إلى حسنه وجماله، وقده واعتداله؟».

ثم إنهما لم يزالا يتعارضان، ويتناظران مع بعضهما فى الكلام حتى صرخت ميمونة على دهنش وأرادت أن تبطش به، فتذلل لها ورقق كلامه وقال لها: «تعالى نطلب من يفصل

الحكم بيننا ونعتمد على ما يقوله» فقالت له ميمونة رضيت بذلك، ثم دقت بكفها الأرض فطلع منها عفريت أعور أحدب أجرب عيناه مشقوقتان فى وجهه بالطول وفى رأسه سبعة قرون وله أربع ذوائب من الشعر مسترسلة إلى كعبيه ويداه مثل المدارى ورجلاه مثل الصوارى، وله أظفار مثل أظفار الأسد، وحوافر مثل حوافر الحمار الوحشى.

فلما طلع ذلك العفريت ورأى ميمونة قبل الأرض بين يديها ووقف مكتفًا وقال لها: «ما حاجتك يا سيدتى يا بنت الملك؟» فقالت له: «يا قشقش إنى أريد أن تحكم بينى وبين هذا الملعون دهنش»، ثم إنها حكت له القصة من أولها إلى آخرها فعندها نظر العفريت قشقش إلى وجه ذلك الصبى ووجه تلك الصبية فرآهما فى الحسن والجمال متشابهين وفى الملاحة متساويين فأخذه العجب من ذلك الحسن البديع والجمال العظيم والتفت إلى ميمونة ودهنش وقال لهما: «والله إن أردتما الحق فإنى أقول إن الاثنين سواء فى الحسن والجمال والبهجة والكمال».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



حكاية قمر الزمان والسيدة بدور

قالت شهرزاد: فقالت ميمونة: «هذا القول هو الصواب» وقال دهنش: «رضيت بهذا الحكم والرأى عندى أن نخطب الابنة للشاب»، فانتبه عند ذلك قمر الزمان فنظر الملكة بدور، وكان قد رأى فى منامه أن أباه قد خطب له ابنة بديعة الحسن، فلما رأى الملكة بدور دهش من جمالها وقال: إن صدق منامى فهذه الصبية هى التى يريد والدى زواجى بها، ومضى لى ثلاث سنين وأنا أمتنع من ذلك، ثم إن قمر الزمان قال فى نفسه: ربما والدى لما غضب على وحبسنى فى هذا الموضع جاء إلى بهذه العروسة حتى يمتحنى، فإن شاء الله إن جاء الصبح أقول لأبى أن يزوجنى بها، وها أنا الآن آخذ لى منها شيئًا يكون أمارة عندى وتذكرة، ثم إن قمر الزمان رفع كف الصبية وأخذ خاتمها من خنصرها وهو يساوى جملة من المال لأن فصه كان من نفيس الجواهر، وبعد أن نزعه من خنصر الملكة بدور لبسه فى خنصره وتنحى ونام، فقالت ميمونة الجنية لدهنش وقشقش: «أرأيتما قمر الزمان وما أعظم أدبه؟ فهذا من كمال محاسنه».

ثم إن الملكة بدور انتبهت ففتحت عينيها واستوت قاعدة، فرأت قمر الزمان وهو يغط فى نومه، فلما رأته أخذها العجب وقالت فى نفسها: وافضيحتاه إن هذا الشاب غريب لا أعرفه ما باله راقدٌ فى مخدعى، ثم نظرت إليه بعيونها وحققت النظر فيه وبحسنه وجماله ثم قالت: إنه شاب مليح مثل القمر، فلو علمت أن هذا الشاب هو الذى خطبنى من أبى ما رددته بل كنت أتزوجه، ولا بد أن أطلبه غدًا من أبى، ثم تفقدت خاتمها فلم تجده وفتشت عليه فرأته فى خنصر قمر الزمان، فأرادت هى أيضًا أن تأخذ علامة فنزعت خاتم قمر الزمان من أصبعه ووضعته فى أصبعها عوضًا عن خاتمها ونامت إلى الصباح، فالتفتت حينئذ ميمونة إلى دهنش وقالت له: «قد تمت الخطبة ولا يناسب هذه الصبية إلا هذا الصبى، وها أنا قد عفوت

عنك»، ثم كتبت له ورقة بالعتق. ثم التفتت إلى قشقش وقالت له: «ادخل مع دهنش واحمل السيدة بدور إلى مكانها لأن الليل قد مضى ولم يبق منه إلا القليل»، فقال: «سمعًا وطاعة»، فحملاها وطارا بها وأوصلاها إلى مكانها وأرقداها فى فراشها وتوجها إلي حال سبيلهما، وكذلك فعلت ميمونة: فلما انشق الفجر انتبه قمر الزمان من منامه، فالتفت يمينًا وشمالاً فلم يجد الصبية فقال فى نفسه: ما هذا الأمر كأن أبى يرغبنى فى الزواج بالصبية التى كانت عندى ثم أخذها سرا لأجل أن تزداد رغبتى فى الزواج؟ ثم صرخ على الخادم الذى هو نائم على الباب وقال له: «ويلك يا صواب قم على حيلك».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية قمر الزمان وخادمه

قالت شهرزاد: فقام الخادم وهو طائش من النوم وقدم الطست والإبريق، فقام قمر الزمان وتوضأ وصلى الصبح وجلس يسبح الله تعالى، ثم نظر إلى الخادم فوجده واقفًا فى خدمته بين يديه فقال له: «ويلك يا صواب أين الصبية؟» فقال له الخادم: «أى صبية؟» قال: «الصبية التى كانت عندى»، فقال الخادم: «والله ما كان عندك صبية ولا غيرها، ومن أين دخلت الصبية وأنا نائم على الباب وهو مقفول؟ والله يا سيدى ما دخل عليك لا ذكر ولا أنثى»، فقال له قمر الزمان: «تكذب يا عبد النحس، وهل وصل من قدرك أنك تخادعنى ولا تخبرنى أين ذهبت الصبية ولا تعلمنى بالذى أخذها من عندى؟» فقال الطواشى وقد انزعج منه: «والله يا سيدى ما رأيت صبية ولا صبيا». فغضب قمر الزمان من كلام الخادم وقال له: «يا ملعون إن أبى علمك المكر، تعالى إلى»، فتقدم الخادم إلى قمر الزمان، فمسك قمر الزمان بأطواقه وضرب به الأرض، ثم برك عليه ورفسه برجله وخنقه حتى غشى عليه ثم رفعه بعد ذلك وربطه فى رشاء البئر وأدلاه إلى أن وصل إلى الماء وأرخاه، وكان تلك الأيام أيام برد وشتاء قاطع فغطس الخادم إلى الماء، ثم نشله قمر الزمان وأرخاه ثانيًا، وما زال يغطس ذلك الخادم فى الماء وينشله منه والخادم يستغيث ويصرخ ويصيح وقمر الزمان يقول له: «والله يا ملعون ما أخرجك من هذه البئر حتى تعلمنى بخبر الصبية وقضيتها ومن الذى أخذها؟».

ثم إن العبد لما عاين الموت قال له: «يا سيدى أطلقنى وأنا أحكى لك الصحيح وأخبرك الخبر» فعند ذلك جذبه من البئر وأخرجه وهو غائب عن الوجود من شدة ما قاساه من البرد والعذاب والخوف من الغرق والضرب، وصار يرتعد مثل القصبة فى الريح العاصف واشتبكت أسنانه ببعضها وابتلت ثيابه وتلوث بدنه وتشطب من حيطان البئر وصار فى حالة شنيعة، فعند ذلك أشفق عليه قمر الزمان، فلما رأى الخادم نفسه على وجه الأرض قال له: «يا سيدى دعنى أروح وأقلع ثيابى وأعصرها وأنشرها فى الشمس وألبس غيرها ثم أحضر إليك سريعًا وأخبرك بالخبر الصحيح». فعند ذلك خرج العبد وهو لا يصدق بالنجاة، ولم يزل يجرى ويقع ويقوم إلى أن دخل على الملك شهرمان أبى قمر الزمان، فرآه جالسًا والوزير بجانبه وهما

يتحدثان فى أمر قمر الزمان والملك يقول للوزير: «إنى لم أنم هذه الليلة من اشتغال قلبى على ولدى قمر الزمان وإنى أخاف أن يحصل له ضرر فى هذا البرج العتيق وأى شىء كان فى سجنه من المصلحة؟» فقال له الوزير: «لا تخف عليه والله لا يصيبه شىء أبدًا فاتركه مسجونًا شهر زمان حتى تلين عريكته وتتكسر نفسه ويهدأ خلقه». فبينما هما فى الكلام وإذا بالخادم دخل عليهما وهما فى تلك الحالة، فانزعج الملك منه، فقال له الخادم: «يا مولانا السلطان إن ولدك طار عقله وصار مجنونًا وقد فعل بى كذا وكذا حتى صرت كما ترانى وهو يدعى أن صبية كانت عنده وذهبت بخفية ويسألنى أن أعرفه بمكانها وأخبره بخبرها وبمن أخذها، وأنا ما رأيت لا صبية ولا صبيًا والباب طول الليل مغلق وأنا نائم على الباب والمفتاح تحت رأسى وفتحت له فى الصبح بيدى». فلما سمع الملك شهرمان هذا الكلام عن ولده قمر الزمان صرخ قائلاً: «وا ولداه»، وغضب على الوزير الذى كان سببًا فى هذه الأمور غضبًا شديدًا وقال له: «قم واكشف لى خبر ولدى وانظر ما جرى فى عقله».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



حكاية قمر الزمان والوزير

قالت شهرزاد: فقام الوزير وخرج وهو يتعثر فى أذياله من خوفه من سطوة الملك وراح مع الخادم إلى البرج وكانت الشمس قد طلعت، فدخل الوزير على قمر الزمان فوجده جالسًا على السرير يقرأ القرآن، فسلم عليه الوزير وجلس إلى جانبه وقال له: «يا سيدى إن هذا الخادم السوء أخبرنا بخبر شوش علينا وأزعجنا فاغتاظ الملك من ذلك»، فقال له قمر الزمان: «وما الذى قال لكم حتى شوش على أبى وفى الحقيقة هو ما شوش إلا علىّ؟»، فقال له الوزير: «إنه جاء إلينا بحالة منكرة وأخبر والدك خبرًا أنزهك عنه وكذب علينا بما لا ينبغى أن يذكر فى شأنك، فسلامة شبابك وسلامة عقلك الرجيح ولسانك الفصيح وحاشا أن يظهر منك قبيح» فقال له قمر الزمان: «أيها الوزير فأى شىء قاله هذا العبد النحس عنى؟» فقال له الوزير: «إنه أخبرنا أن عقلك ذهب وقلت له إنه كان عندك صبية وكلفته أن يخبرك أين ذهبت وعذّبته على ذلك».

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام اغتاظ غيظًا شديدًا وقال للوزير: «تبين لى أنكم علمتم الخادم الفعل الذى صدر منه ومنعتموه أن يخبرنى بأمر الصبية التى كانت عندنا، وأنت أيها الوزير أعقل من الخادم فأخبرنى في هذه الساعة أين ذهبت الصبية؟ فأنتم الذين أرسلتموها إلىّ، فلما انتبهت ما وجدتها فأين هى الآن؟» فقال له الوزير: «يا سيدى قمر الزمان اسم الله حواليك والله ما أرسلنا لك فى هذه الليلة أحدًا، وقد نمت وحدك والباب مقفول عليك والخادم نائم من خلف الباب وما أتى إليك صبية ولا غيرها، فثبت عقلك وارجع إليه يا سيدى ولا تشغل خاطرك»، فقال له قمر الزمان وقد اغتاظ من كلامه: «أيها الوزير إن تلك الصبية أنا أرضاها زوجة لى». فتعجب الوزير من كلام قمر الزمان وقال له: «هل أنت

رأيت تلك الصبية فى هذه الليلة بعينك فى اليقظة أم فى المنام؟» فقال له قمر الزمان: «يا أيها الشيخ اتظن أنى رأيتها باذنى؟ إنما رأيتها بعيونى فى اليقظة، وإنما أنتم قد علمتموها وأوصيتموها أنها لا تكلمنى، ثم انتبهت من منامى فلم أجدها»، فقال له الوزير: «يا سيدى قمر الزمان ربما تكون أنت رأيت هذا الأمر فى المنام فيكون أضغاث أحلام أو تخيلات من أكل مختلف الطعام، أو وسوسة من الشياطين اللئام»، فقال له قمر الزمان: «يا أيها الشيخ النحس كيف تهزأ بى وتقول لى: لعل هذا أضغاث أحلام؟ مع أن الخادم كان قد أقر لى بتلك الصبية وقال لى: فى هذه الساعة أعود إليك وأخبرك بقصتها». ثم إن قمر الزمان قام من وقته وساعته وتقدم إلى الوزير وقبض لحيته فى يده وكانت لحيته طويلة فأخذها قمر الزمان ولفها على يده وجذبه منها فرماه من فوق السرير وألقاه على الأرض، فشعر الوزير أن روحه طلعت من شدة نتف لحيته، وما زال قمر الزمان يرفس الوزير برجليه ويلكمه فى صدره وعلى أضلاعه ويصفعه على قفاه بيديه حتى كاد أن يهلكه، فقال الوزير فى نفسه: «إذا كان العبد الخادم خلص نفسه من هذ الصبى المجنون بكذبة فأنا أولى بذلك منه وأخلص نفسى أنا الآخر بكذبة وإلا يهلكنى، فها أنا أكذب وأخلص نفسى منه فإنه مجنون ولا شك فى جنونه».

ثم إن الوزير التفت إلى قمر الزمان وقال له: «يا سيدى لا تؤاخذنى فإن والدك قد أوصانى أن أكتم عنك خبر هذه الصبية وأنا الآن عجزت وتألمت من الضرب لأنى رجل كبير وليس لى جلد ولا قوة على تحمل الضرب، فتمهل على قليلاً حتى أحدثك وأخبرك بقصة الصبية»، فعندما سمع منه ذلك رفع عنه الضرب وقال له: «لأى سبب لم تخبرنى بخبر تلك الصبية إلا بعد الإهانة والضرب فقم يا شيخ النحس واحك لى خبرها؟» فقال له الوزير: «هل تسأل عن تلك الصبية صاحبة الوجه المليح والقد الرجيح؟» فقال له قمر الزمان: «نعم أخبرنى من الذى أتى بها إلى ومن الذى أخذها فى الليل وأين ذهبت هى فى هذه الساعة حتى أروح إليها أنا بنفسى؟ فإن كان أبى الملك شهرمان فعل معى هذه الفعال وامتحننى بتلك الصبية المليحة من أجل زواجها فأنا رضيت أن أتزوج بها وأريح نفسى من هذا، فإنه ما فعل معى هذا الأمر كله إلا من أجل امتناعى عن الزواج، فها أنا راض بالزواج ها أنا راض به فأعلم والدى بذلك أيها الوزير وأشر عليه أن يزوجنى بتلك الصبية فإنى لا أريد سواها وقلبى لا يحب إلا إياها، فقم وأسرع إلى أبى وأشر عليه بتعجيل زواجى ثم عد إلىَّ بالجواب فى هذه الساعة». فقال الوزير: «نعم»، وما صدق أنه خلص من بين يديه، ثم قام من عنده وخرج من البرج وهو يمشى ويعثر من شدة الخوف والفزع ولم يزل يجرى إلى أن دخل على الملك شهرمان.

فلما وصل إليه قال له الملك: «أيها الوزير ما الذى دهاك؟ ومن الذى بشره رماك؟ وما لى أراك فى ارتباك؟ حتى جئت مرعوبًا»، فقال له: «أيها الملك قد جئتك ببشارة» فقال له الملك: «وما هى؟» قال له: «اعلم أن ولدك قمر الزمان قد ذهب عقله وحصل له جنون»، فلما سمع الملك كلام الوزير صار الضياء فى وجهه ظلامًا وقال له: «أيها الوزير أوضح لى صفة جنونه»، قال له: يا سيدى سمعًا وطاعة، ثم أعلمه أنه قد جرى منه كذا وكذا وأخبره بما تم له معه، فقال له الملك: «أبشر أيها الوزير فإنى أعطيك فى نظير بشارتك إياى بجنون ولدى

ضرب رقبتك وزوال النعمة عنك يا أنحس الوزراء وأنجس الأمراء لأنى أعلم أنك سبب جنون ولدى بمشورتك ورأيك الفاسد التعيس الذى أشرت به علىّ فى الأول والآخر والله إن كان يأتى على ولدى شىء من الضرر أو الجنون لأسمرنك على القبة وأذيقك النكبة».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية قمر الزمان مع أبيه

قالت شهرزاد: ثم إن الملك نهض قائمًا على أقدامه وأتى بالوزير إلى البرج ودخل به على قمر الزمان، فلما وصلا إليه وثب قمر الزمان على الأقدام ونزل سريعًا من فوق السرير الذى هو جالس عليه وقبل يدى والده وتأخر وراءه وأطرق برأسه إلى الأرض وهو مكتف اليدين قدام أبيه، ولم يزل كذلك ساعة زمانية، وبعد ذلك رفع رأسه إلى والده وفرت الدموع من عينيه وسالت على خديه وأنشد هذين البيتين:

«إن كنت قد أذنبت ذنبًا سالفًا فى حقكم وأتيت شيئًا منكرا

أنا تائب عما جنيت وعفوكم يسع المسىء إذا أتى مستغفرا».

فعند ذلك قام الملك وعانق ولده قمر الزمان وقبله بين عينيه وأجلسه إلى جانبه فوق السرير والتفت إلى الوزير ونظر إليه بعين الغضب وقال له: «يا كلب الوزراء كيف تقول إن ولدى قمر الزمان هو كذا وكذا وترعب قلبى عليه؟» ثم التفت الملك إلى ولده وقال له: «يا ولدى ما اسم هذا اليوم؟» فقال له: «يا والدى هذا يوم السبت وغدًا يوم الأحد وبعده يوم الاثنين وبعده الثلاثاء وبعده الأربعاء وبعده الخميس وبعده الجمعة»، فقال له الملك: «يا ولدى قمر الزمان الحمد لله على سلامة عقلك ما اسم هذا الشهر الذى علينا بالعربى؟» فقال: «اسمه ذو القعدة ويليه ذو الحجة وبعده محرم وبعده صفر وبعده شهر ربيع الأول وبعده شهر ربيع الآخر وبعده جمادى الأولى وبعده جمادى الأخرى وبعده رجب وبعده شعبان وبعده رمضان وبعده شوال».

ففرح بذلك الملك فرحًا شديدًا وبصق فى وجه الوزير وقال له: «يا شيخ السوء كيف تزعم أن ولدى قد جن وما جن إلا أنت؟» فعند ذلك حرك الوزير رأسه وأراد أن يتكلم، ثم خطر بباله أن يتمهل قليلاً لينظر ما يكون. ثم إن الملك قال لولده: «أى شىء هذا الكلام الذى تكلمت به للخادم والوزير حيث قلت لهما إنه كان عندك صبية؟ فما شأن هذه الصبية التى ذكرتها؟» فضحك قمر الزمان من كلام أبيه وقال له: «يا أبى اعلم أنه ما بقى لى قوة تتحمل السخرية فلا تزيدوا على ولا كلمة واحدة فقد ضاق خلقى بما تفعلونه معى، واعلم يا أبى علمًا يقينًا أنى قد رضيت بالزواج ولكن بشرط أن تزوجنى تلك الصبية التى كانت عندى، فإنى أتحقق أنك أنت الذى أرسلتها إلى وشوقتنى إليها وقبل الصبح أخذتها من عندى».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فقال الملك: «اسم الله حواليك يا ولدى سلامة عقلك من الجنون، فأى

شيء هي هذه الصبية التي تزعم أنت أني أرسلتها إليك في هذه الليلة ثم أرسلت أخذتها من عندك قبل الصباح؟ فوالله يا ولدي ليس لي علم بهذا الأمر، فبالله عليك أن تخبرني هل ذلك أضغاث أحلام أو تخيلات طعام، فإنك بتَّ في هذه الليلة وأنت مشغول الخاطر بالزواج وموسوس بذكره، فلعن الله الزواج وساعته ولعن من أشار به فلا شك ولا ريب أنك متكدر المزاج من جهة الزواج ومن ثم رأيت في المنام أن صبية أتت عندك وأنت تعتقد في نفسك أنك رأيتها في اليقظة، وهذا كله يا ولدي أضغاث أحلام» فقال له قمر الزمان: «دع عنك هذا الكلام واحلف لي بالله الخالق العلام قاصم الجبابرة ومبيد الأكاسرة أنه لم يكن عندك خبر بالصبية ومحلها»، فقال له الملك: «وحق الله العظيم إله موسى وإبراهيم، إنه لم يكن لي علم بذلك ولا عندي منه خبر وإنما ذلك أضغاث أحلام رأيته أنت في المنام».

فعند ذلك قال قمر الزمان لوالده: «أنا أضرب لك مثلاً يبين لك أن هذا كان في اليقظة، وإني أسألك هل اتفق لأحد أنه رأى نفسه في المنام يقاتل وقد قاتل قتالاً شديدًا وبعد ذلك استيقظ من منامه فوجد في يده سيفًا ملوثًا بالدم»، فقال له والده: «لا والله يا ولدي لم يتفق هذا»، فقال قمر الزمان لوالده: «أنا أخبرك بما حصل لي وهو أني رأيت في هذه الليلة كأني استيقظت من منامي نصف الليل فوجدت بنتًا وأخذت خاتمها ولبسته في أصبعي وقلعت خاتمي ولبسته في أصبعها وظننت أنك ترغبني في الزواج، وبعد ذلك انتبهت من منامي في وجه الصبح فلم أجد للصبية أثرًا ولا وقفت لها على خبر، وجرى لي مع الخادم والوزير ما جرى، فكيف يكون هذا الأمر منامًا وكذبًا؟ وأمر الخاتم صحيح، ولولا الخاتم كنت أظن أنه منام، وهذا خاتمها في خنصري، فانظر أيها الملك إلى الخاتم كم يساوي؟» ثم إن قمر الزمان ناول الخاتم لأبيه فأخذه وتأمله وقلبه، ثم التفت إلى ولده وقال له: إن لهذا الخاتم نبأ عظيمًا وخبرًا جسيمًا، وإن الذي اتفق لك في هذه الليلة مع تلك الصبية أمر مشكل ولا أعلم من أين دخل علينا هذ الدخيل، وما سبب هذه الفتنة كلها إلا الوزير، فبالله عليك يا ولدي اصبر حتى يفرج الله عنك هذه الكربة ويأتيك بالفرج العظيم فإن بعض الشعراء قال:

«عسى ولعلَّ الدهر يلوى عنانه ويأتى بخير فالزمان غيور
وتسعد آمالى وتقضى حوائجى وتحدث من بعد الأمور أمور

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

فقال الملك: فيا ولدي إني تحققت في هذه الساعة أنه ما بك جنون، ولكن قصتك غريبة لا يحلها إلا الله تعالى»، فقال له قمر الزمان: «بالله يا والدي إنك تفعل معي جميلاً وتفحص لي عن هذه الصبية وتعجل بقدومها وإلا مت كمدًا ولم يدر بموتي أحد»، ثم قال الوزير للملك: «يا ملك العصر والأوان إلى متى أنت تقعد عند ولدك وأنت محجوب عن العساكر؟ فربما ينفسد عليك نظام مملكتك بسبب بعدك عن أرباب دولتك، والعاقل إذا كان بجسمه جراحات مختلفة فليداو الأخطر منها، والرأي عندي أن تنقل ولدك من هذا المكان إلى القصر الذي في السراية المطل على البحر وتنقطع عند ولدك فيه، وتجعل للديوان والموكب في

كل جمعة يومين، يوم الخميس ويوم الاثنين، فيدخل عليك فيهما الأمراء والوزراء والحجاب والنواب وأرباب وخواص المملكة وبقية العسكر والرعية يعرضون عليك أحوالهم، فاقض لهم حوائجهم واحكم بينهم وخذ وأعط معهم وأمر وانه بينهم، وبقية الجمعة تكون عند ولدك قمر الزمان، ولا تزال على هذه الحالة حتى يفرج الله عنك وعنه، ولا تأمن أيها الملك من نوائب الزمان وطوارق الحدثان، فإن العاقل دائمًا محاذر، وما أحسن قول الشاعر:

«حسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها ... وعند صفو الليالى يحدث الكدر
يا معشر الناس من كان الزمان له ... مساعدًا فليكن من رأيه على الحذر»

فلما سمع السلطان من الوزير هذا الكلام رآه صوابًا ونصيحة له فى مصلحته، فأثر فيه وخاف أن ينفسد عليه نظام الملك فنهض من وقته وساعته وأمر بتحويل ولده من ذلك المكان إلى القصر الذى فى السراية المطل على البحر، وهذا القصر كان فى وسط البحر يمشون إليه على ممشاة عرضها عشرون ذراعًا، وبدائر القصر شبابيك مطلة على البحر وأرضه مفروشة بالرخام الملون وسقفه مدهون بأنوع الأدهان وأفخرها ومنقوش بالذهب واللازورد. ففرشوا لقمر الزمان فيه فرش الحرير الفاخر والبسط المطرزة وألبسوا حيطانه خاص الديباج وأرخوا عليه الستارات المكللة بالجواهر وأجلسوا فيه قمر الزمان على سرير من العرعر، مكلل بالدر والجوهر، فجلس قمر الزمان عليه. إلا إن قمر الزمان من شدة اشتغاله بالصبية تغير لونه ونحل جسمه وصار لا يأكل ولا يشرب ولا ينام وأصبح كالمريض مضى عليه عشرون سنة، فجلس والده عند رأسه وحزن عليه حزنًا عظيمًا وصار الملك فى كل يوم اثنين ويوم خميس يأذن فى دخول الأمراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة والعساكر والرعية فى ذلك القصر، فيدخلون عليه ويؤدون وظائف الخدمة ويقيمون عنده إلى آخر النهار، ثم ينصرفون إلى حال سبيلهم، ثم يدخل الملك إلى ولده فى ذلك المكان ولا يفارقه ليلاً ولا نهارًا، ولم يزل على تلك الحالة مدة من الزمان.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية السيدة بدور مع أبيها

قالت شهرزاد: هذا ما كان من أمر قمر الزمان ابن الملك شهرمان، وأما ما كان من أمر الملكة بدور بنت الملك الغيور، صاحب الجزائر والسبعة قصور، فإن الجن لما حملوها ووضعوها فى فراشها لم تزل نائمة إلى أن طلع الفجر، فانتبهت من منامها وجلست على حيلها والتفتت يمينًا وشمالاً فلم تر الشاب الذى كان عندها فوجف فؤادها وزال عقلها وصرخت صرخة عظيمة فاستيقظ جميع جواريها والقوابل والقهرمانات ودخلن عليها، فتقدمت إليها كبيرتهن وقالت لها: «يا سيدتى ما الذى أصابك؟» فقالت لها: «أيتها العجوز النحس أين الشاب المليح الذى كان عندى، فأخبرينى أين راح؟».

فلما سمعت منها القهرمانة هذا الكلام صار الضياء فى وجهها ظلامًا وخافت من

بأسها خوفًا عظيمًا وقالت: «يا سيدتى بدور أى شىء هذا الكلام القبيح؟» فقالت الملكة بدور: «ويلك يا عجوز النحس أين الشاب المليح، صاحب الوجه الصبيح، والقد الرجيح، والعيون السود، والحواجب المقرونة؟» فقالت: «والله ما رأيت شابا ولا غيره فبالله يا سيدتى لا تمزحى هذا المزاح الخارج عن الحد فتروح أرواحنا وربما يبلغ أباك هذا المزاح فمن يخلصنا من يده؟» فقالت لها الملكة بدور: «كان عندى غلام وهو من أحسن الناس وجهًا» فقالت لها القهرمانة: «سلامة عقلك ما كان أحد عندك».

فعند ذلك نظرت بدور إلى يدها فوجدت خاتم قمر الزمان فى أصبعها ولم تجد خاتمها فقالت للقهرمانة: «ويلك يا خائنة أتكذبين على وتقولين ما كان أحد عندى وتحلفين لى بالله باطلاً»، فقالت القهرمانة: «والله ما كذبت عليك ولا حلفت باطلاً»، فاغتاظت منها الملكة بدور واستلت سيفًا كان عندها وضربت به القهرمانة فقتلتها، فعند ذلك صاح الخدم والجوارى والسرارى عليها وراحوا إلى أبيها وأعلموه بحالها.

فأتى الملك إلى ابنته بدور من وقته وساعته وقال لها: «يا بنتى ما خبرك؟» فقالت «يا أبى أين الشاب الذى كان عندى؟» وطار عقلها من دماغها وصارت تلتفت يمينًا وشمالاً ثم شقت ثوبها، فلما رأى أبوها تلك الفعال، أمر الجوارى أن يمسكوها فمسكوها وقيدوها وجعلوا فى رقبتها سلسلة من حديد وربطوها فى الشباك فى القصر وتركوها.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية السيدة بدور وأخوها مرزوان

قالت شهرزاد: هذا ما كان من أمر الملكة بدور، وأما ما كان من أمر أبيها الملك الغيور فإنه لما رأى ما جرى على ابنته الملكة بدور ضاقت عليه الدنيا لأنه كان يحبها وما هان عليه أمرها فعند ذلك أحضر الحكماء والمنجمين وأصحاب الأقلام وقال لهم: «كل من أبرأ بنتى مما هى فيه زوجته بها وأعطيته نصف مملكتى، ومن تقدم إليها ولم يبرئها أضرب عنقه وأعلق رأسه على باب قصرها»، فصار كل من دخل إليها من دون أن يبرئها يضرب عنقه ويعلق رأسه على باب القصر إلى انقطع من أجلها أربعون رأسًا من رؤوس الحكماء، وصلب أربعين رجلاً من المنجمين، فتوقفت جميع الناس عنها وعجزت جميع الحكماء عن دوائها وأشلكت حكايتها على أهل العلوم وأرباب الأقلام. ثم إن الملكة بدور لما زاد بها الوجد بكت حتى مضرت عيناها وتغيرت وجنتاها واستمرت على هذا الحال ثلاث سنين، وكان لها أخ من الرضاع يسمى مرزوان وكان سافر إلى أقصى البلاد وغاب عنها تلك المدة بطولها وكان يحبها محبة زائدة على محبة الأخوة، فلما حضر دخل على والدته وسألها على أخته الملكة بدور، فقالت له: «يا ولدى إن أختك حصل لها جنون ومضى عليها ثلاث سنوات وفى رقبتها سلسلة من حديد وعجز جميع أهل الطب وأهل الحكمة عن دوائها»، فلما سمع مرزوان هذا الكلام قال: «لا بد من دخولى عليها لعلى أعرف ما بها وأقدر على دوائها»، فلما سمعت أمه كلامه قالت: «لا بد من دخولك عليها ولكن تمهل إلى غد حتى أتحيل فى أمرك». ثم إن أمه ترجلت إلى قصر

السيدة بدور واجتمعت بالخادم الموكل بالباب وأهدت له هدية وقالت له: «إن لى بنتًا وقد تربت مع السيدة بدور وقد زوجتها ولما جرى لسيدتك ما جرى صار خاطرها متعلقًا بها وأنا أقصد من فضلك أن تأتى بنتى إليها ساعة ثم ترجع من حيث جاءت ولا يعلم بها أحد»، فقال الخادم: «لا يمكن ذلك إلا فى الليل فبعد أن يأتى السلطان ينظر ابنته ويخرج فادخلى أنت وابنتك»، فقبلت العجوز يد الخادم وخرجت إلى بيتها فصبرت إلى ثانى يوم العشاء. فلما جاء وقته قامت من وقتها وساعتها وأخذت ولدها مرزوان وألبسته ثوبًا من ثياب النساء وجعلت يده فى يدها وأدخلته القصر، وما زالت تمشى به حتى أوصلته إلى الخادم بعد انصراف السلطان من عند بنته، فلما رآها الخادم قام واقفًا وقال لها: «ادخلى ولا تطيلى القعود»، فلما دخلت العجوز بولدها رأى مرزوان السيدة بدور فى تلك الحالة فسلم عليها بعد أن كشفت عنه أمه ثياب النساء، فأخرج مرزوان الكتب التى معه وأوقد شمعته وقرأ بعض أقسام، فنظرت إليه السيدة بدور فعرفته وقالت له: «يا أخى أنت كنت سافرت وانقطعت أخبارك عنا»، فقال لها: «صحيح ولكن ردنى الله بالسلامة، وأردت السفر ثانيًا فما ردنى عنه إلا هذا الخبر الذى سمعته عنك فاحترق قلبى عليك وجئت لعلى أخلصك مما أنت فيه»، فقالت له: «يا أخى هل تظن أن الذى اعترانى جنون؟» فقال: «نعم»، قالت: «لا والله وإنما هو كما قال الشاعر:

«نعم جننتُ فهاتوا من جننتُ به   إن كان يشفى جنونى لا تلومونى»

فعند ذلك علم مرزوان أن لها قصة، فقال لها: «احكى لى قصتك وما أصابك لعله يكون بيدى شىء أفعله ويكون فيه خلاصك».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية سفر مرزوان

قالت شهرزاد: فقالت له السيدة بدور: «يا أخى اسمع قصتى، وذلك أنى استيقظت من منامى ليلة فى الثلث الأخير من الليل وجلست على حيلى فنظرت إلى جانبى شابا أحسن ما يكون من الشباب يكل عن وصفه اللسان، كأنه غصن بان أو قضيب خيزران، فظننت أن أبى هو الذى أمره بهذا الأمر ليمتحننى به لأنه راودنى على الزواج لما خطبنى منه الملوك فأبيت، فهذا الظن هو الذى منعنى من أن أنبهه. فلما أصبحت رأيت بيدى خاتمه عوضًا عن خاتمى الذى أخذه منى، فهذه حكايتى وسبب جنونى، وأنا يا أخى قد تعلق قلبى به من حين رؤيته ومن كثرة محبتى له لم أذق طعم المنام، وما لى شغل غير الدموع والبكاء وإنشاد الأشعار بالليل والنهار»، ثم أفاضت العبرات وقالت لمرزوان: «انظر يا أخى ما الذى تعمل معى فى الذى اعترانى»، فأطرق مرزوان رأسه إلى الأرض ساعة وهو يتعجب وما يدرى ما يفعل، ثم رفع رأسه وقال لها: «إن حكاية هذا الشاب أعيت فكرى ولكن أدور فى جميع البلاد وأفتش على دوائك لعل الله يجعله على يدى، ولكن اصبرى ولا تجزعى». ثم إن مرزوان ودعها ودعا لها بالثبات وخرج من عندها وتمشى إلى بيت والدته فنام تلك الليلة، فلما أصبح تجهز للسفر فسافر، ولم يزل مسافرًا من مدينة إلى مدينة ومن جزيرة إلى جزيرة مدة شهر كامل حتى

لا دخل على مدينة يقال لها الطيرب ومشى يستنشق الأخبار من الناس لعله يجد دواء للملكة بدور، وكان كل ما يدخل مدينة أو يمر بها يسمع أن الملكة بدور بنت الملك الغيور قد حصل لها جنون، إلى أن وصل إلى مدينة الطيرب، فسمع خبر قمر الزمان ابن الملك شهرمان بأنه مريض وأنه اعتراه وسواس وجنون، فسأل مرزوان عن اسم مدينته، فقالوا له: «إنه فى الجزائر الخالدات وهى من مدينتنا هذه مسيرة شهر كامل فى البحر وأما فى البر فستة أشهر» فنزل مرزوان فى مركب كان متوجهًا إلى جزيرة الخالدات، فطاب له الريح مدة شهر فأشرفوا على الجزائر الخالدات، ولما أشرفوا عليها ولم يبق لهم إلا الوصول إلى الساحل إذا بريح عاصف خرج عليهم رمى الصوارى ومزق القماش ووقعت القلوع فى البحر وانقلب المركب بجميع ما فيه.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: فعند ذلك اشتغل كل واحد بنفسه، وأما مرزوان فإن الموج قذفه حتى أوصله إلى تحت قصر الملك الذى فيه قمر الزمان، واتفق بالأمر المقدر أنه فى هذا اليوم يجتمع على الملك شهرمان أهل دولته وأرباب مملكته للخدمة، وكان الملك جالسًا ورأس ولده قمر الزمان فى حجره، وكان قد مضى عليه يومان ما تكلم ولا أكل ولا شرب، وصار أنحف من المغزل، وكان الوزير واقفًا عند رجليه قريب الشباك المطل على البحر فرفع الوزير بصره فرأى مرزوان قد أشرف على الهلاك من التيار وصار على آخر نفس، فرق عليه قلب الوزير فتقرب إلى الملك وقال له: «أستأذنك أيها الملك فى أن انزل إلى ساحة القصر وأفتح بابها لأنقذ إنسانًا قد أشرف على الغرق فى البحر وأخرجه من الضيق إلى الفرج، ولعل الله بسبب ذلك يخلص ولدك مما هو فيه». فقال له الملك: «أيها الوزير يكفى ما جرى على ولدى منك وبسببك، وربما أنك إن أخرجت هذا الغريق يطلع على أحوالنا وينظر إلى ولدى ويخرج يتحدث مع أحد بأسرارنا لأضربنَّ رقبتك قبله لأنك أيها الوزير سبب ما جرى لنا أولاً وآخرًا فافعل ما بدا لك». فنهض الوزير وفتح باب سر القصر النافذ إلى البحر ونزل فى المشاة عشرين خطوة، ثم خرج إلى البحر فرأى مرزوان مشرفًا على الموت، فمد الوزير يده إليه ومسكه من شعر رأسه وجذبه منه، فخرج من البحر وهو فى حال العدم وقد امتلأ بطنه ماء وبرزت عيناه، فصبر الوزير عليه حتى ردت روحه إليه، ثم نزع عنه ثيابه وألبسه ثيابًا غيرها وعممه بعمامة من عمائم غلمانه وقال له: «اعلم أنى كنت سببًا لنجاتك من الغرق فلا تكن أنت سببًا فى موتى».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية الملك شهرمان وابنه قمر الزمان

قالت شهرزاد: فقال مرزوان: «وكيف ذلك؟» قال الوزير: لأنك فى هذه الساعة تمشى بين أمراء ووزراء جميعهم ساكتون لا يتكلمون لأجل قمر الزمان ابن السلطان». فلما سمع مرزوان ذكر قمر الزمان عرفه لأنه كان يسمع بحديثه فى البلاد وأتى فى طلبه ولكنه تجاهل

وقال للوزير: «ومن قمر الزمان؟» فقال الوزير: «هو ابن السلطان شهرمان وهو ضعيف ملقى على الفراش ليس له قرار ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام لا بالليل ولا بالنهار وقد أشرف على الموت ويئسنا من حياته وأيقنا بوفاته، وإياك أن تطيل النظر إليه أو تنظر إلى غير الموضع الذى تحط فيه رجلك وإلا تروح روحك وروحى».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية مرزوان وقمر الزمان

قالت شهرزاد: فقال مرزوان: «بالله عليك أيها الوزير أرجو من تفضلاتك أن تخبرنى عن هذا الشاب الذى وصفته لى ما سبب هذا الأمر الذى هو فيه؟» فقال له الوزير: «لا أعلم له سببًا إلا أن والده من نحو ثلاث سنين سأله أن يتزوج فأبى، فغضب عليه وسجنه، فأصبح وهو يزعم أنه كان نائمًا فرأى صبية بارعة الجمال، يعجز عن وصف حسنها اللسان وذكر لنا أنه نزع خاتمها من أصبعها ولبسه وألبسها خاتمه ونحن لا نعرف باطن هذه القضية، فبالله يا ولدى إذا صعدت معى القصر لا تنظر إلى ابن الملك ورح إلى حال سبيلك فإن السلطان قلبه ملآن على غيظًا».

فقال مرزوان فى نفسه: «والله إن هذا هو المطلوب» ثم صعد مرزوان وراء الوزير إلى أن وصل إلى القصر، فجلس الوزير تحت رجلى قمر الزمان وأما مرزوان فإنه لم يكن له دأب إلا أنه مشى حتى وقف قدام قمر الزمان ونظر إليه، فمات الوزير فى جلده من الخوف وصار ينظر إلى مرزوان ويغمزه ليروح إلى حال سبيله ومرزوان يتغافل وينظر إلى قمر الزمان، فتحقق وعلم أنه هو المطلوب.

ثم قال: «سبحان الله الذى جعل قده مثل قدها، وخده كخدها، ولونه كلونها، ففتح قمر الزمان عينيه وصغى بأذنيه إلى كلامه، فلما رآه مرزوان صاغيًا إلى ما يلقيه من الكلمات أنشد هذه الأبيات:

أراك طروبًا ذا شجًا وترنم ... تميل إلى ذكر المحاسن بالفم
أصابك شوق أم رميت بأسهم ... فما هذه إلا سجية من رمى
ألا فاسقنى كاسات خمر وغن لى ... بذكر سليمى والربا وتنعم
فلا تحسبوا أنى قتلت بصارم ... ولكن لحاظ قد رمتنى بأسهم
فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... لكنت شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيَّج لى البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدم
بكيت على من زين الحسن وجهها ... وليس لها مثل بعرب وأعجم
لها علم لقمان وصورة يوسف ... ونغمة داود وعفَّة مريم
ولى حزن يعقوب وحسرة يونس ... وبلوة أيوب وقصة آدم

فلما أنشد مرزوان هذه الأبيات كانت على قلب قمر الزمان بردًا وسلامًا وتنهد ودار لسانه فى فمه وقال لوالده: «يا أبى دع هذا الشاب يأتى ويجلس إلى جانبى».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما سمع السلطان من ولده قمر الزمان ذلك فرح فرحًا شديدًا بعد أن كان قلبه تغير من جهة مرزوان وأضمر فى نفسه أنه لا بدَّ أن يرمى رقبته، ولكنه لما سمع ولده يتكلم زال ما به ونهض قائمًا وجذب الغلام مرزوان وأجلسه بجانب قمر الزمان وأقبل الملك على مرزوان وقال له: «الحمد لله على سلامتك» فقال له: «سلم الله ولدك»، ودعا للملك. فقال له الملك: «من أى البلاد أنت؟» قال: «من الجزائر الجوانية من بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور». فقال له الملك شهرمان: «عسى أن يكون قدومك مباركًا على ولدى وينجيه الله مما هو فيه» فقال: «إن شاء الله تعالى ما يكون إلا الخير»، ثم إن مرزوان أقبل على قمر الزمان وقال له فى أذنه فى غفلة الملك وأهل الدولة: «يا سيدى شدَّ روحك وقو قلبك وقر عينًا فإن التى صرت من أجلها هكذا لا تسأل عما هى فيه من أجلك، ولكنك كتمت أمرك فضعفت، وأما هى فإنها أظهرت أمرها فقالوا: إنها جنَّت، وهى الآن مسجونة وفى رقبتها سلسلة من الحديد وهى فى أسوأ حال. وإن شاء الله تعالى يكون دواؤكما على يدى».

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام ردت روحه إليه واشتد قلبه وحصل عنده نشاط وأشار إلى أبيه أن يجلسه، فكاد الملك يطير من الفرح ونهض إلى ولده وأجلسه، فجلس قمر الزمان، فنفض الملك المنديل من خوفه على ولده فانصرفت جميع الأمراء والوزراء، ووضع له مخدتين فجلس متكئًا، وأمر الملك أن يطيِّب القصر بالزعفران، ثم أمر بزينة المدينة وقال لمرزوان: «والله يا ولدى إن طلعتك سعيدة مباركة»، ثم أكرمه غاية الإكرام وطلب له الملك الطعام فقدموه له، فتقدم مرزوان وقال لقمر الزمان: «تقدم كل معى»، فطاوعه وتقدم وأكل معه، كل هذا والملك يدعو لمرزوان ويقول: «ما أحسن قدومك يا ولدى»، فلما رأى الملك أكل ولده زاد به الفرح والسرور وخرج من وقته وأخبر أمه وأهل القصر، فضربت البشائر فى القصر لسلامة قمر الزمان، ونادى الملك بالزينة فزينت المدينة وفرح الناس وكان يومًا عظيمًا، ثم إن مرزوان بات تلك الليلة عند قمر الزمان وبات الملك عندهما من فرحته وهو مسرور بشفاء ولده.

فلما أصبح الصباح وانصرف الملك شهرمان وخلا مرزوان بقمر الزمان حدثه بالقصة من أولها إلى آخرها وقال له: «اعلم أننى أعرف التى اسمها السيدة بدور بنت الملك الغيور»، ثم حدثه بما جرى للسيدة بدور من الأول إلى الآخر وأخبره بشدة محبتها له وقال له: «جميع ما جرى لك مع أبيك جرى لها مع أبيها، وأنت من غير شك حبيبها وهى حبيبتك، فشد عزمك وقو قلبك، فها أنا أوصلك إليها وأجمع بينك وبينها قريبًا وأعمل معكم كما قال الشاعر فى هذين البيتين:

«إذا صديق صد عن إلفه ولم يزل فى فرط إعراض
ألفت وصلاً بين شخصيهما كأننى مسمار مقراض»

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: ولم يزل مرزوان يقوى قمر الزمان ويشجعه ويسليه ويحثه على الأكل والشرب حتى أكل الطعام وشرب الشراب وردت روحه إليه وعادت إليه قوته ونجا مما كان فيه، كل ذلك ومرزوان يسليه بالأشعار والحكايات حتى إن قمر الزمان وقف على حيله وطلب أن يروح إلى الحمام، فأخذه مرزوان بيده ودخلا إلى الحمام فغسلا أبدانهما وتنظفا.

وأمر الملك شهرمان بإطلاق المحابيس فرحًا بذلك وخلع الخلع السنية على أرباب دولته وتصدق على الفقراء وأمر بزينة البلد فزينت المدينة سبعة أيام، ثم إن مرزوان قال لقمر الزمان: «اعلم يا سيدى أنى ما جئت من عند السيدة بدور إلا لهذا الأمر وهو سبب سفرى لأجل أن أخلصها مما هى فيه، وما بقى لنا إلا أننا ندبر حيلة فى ذهابنا إليها، والرأى عندى أنك فى غد تستأذن والدك فى أن تخرج إلى الصيد وتأخذ معك خرجًا ملآنًا من المال وتركب الجواد وتأخذ معك جنيبا، وأنا أركب معك، وقل لوالدك: إنى أريد أن أتفرج فى البرية وأتصيد وأنظر الفضاء وأبيت هناك ليلة واحدة، فإذا خرجنا ذهبنا إلى حالنا، ولا تخل أحدًا يتبعنا من الخدم»، فقال قمر الزمان: «نعم هذا الرأى»، وفرح بذلك فرحًا شديدًا واشتد ظهره ودخل على والده فأخبره بذلك، فأذن له والده فى الخروج إلى الصيد وقال له: «يا ولدى وأنا لا أكره ذلك ولكن لا تبت إلا ليلة واحدة وفى غد تأتى وتحضر إلى فإنك تعلم أنه ما يطيب لى عيش إلا بك، وإننى ما صدقت أنك شفيت مما كنت فيه وأنت عندى كما قال الشاعر:

ولو أن لى فى كل يوم وليلة بساط سليمان وملك الأكاسره
لما ساويا عندى جناح بعوضة إذا لم تكن عينى لشخصك ناظره

ثم إن الملك جهز ولده قمر الزمان وجهز معه مرزوان وأمر أن يهيأ لهما أربعة من الخيل وهجين برسم المال وجمل يحمل الماء والزاد، ومنع قمر الزمان أن يخرج معه أحد فى خدمته، فودعه أبوه وضمه إلى صدره وقبّله وقال له: «سألتك بالله لا تغيب عنى غير ليلة واحدة وحرام علىَّ المنام فيها فإنى كما قال الشاعر:

وصالك عندى نعيم نعيم وصبرى عنك أليم أليم
فديتك إن كان ذنبى الهوى إليك فذنبى عظيم عظيم
أعندك مثلى نار الجوى فأصلى بذاك عذاب الجحيم

فقال: «يا أبى إن شاء الله لا أبيت غير ليلة واحدة»، ثم ودعه وانصرف.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية سفر مرزوان وقمر الزمان

قالت شهرزاد: وخرج قمر الزمان ومرزوان وركبا الخيل ومعهما الهجين عليه المال، والجمل عليه الماء والزاد واستقبلا البر، وسافرا من أول النهار إلى المساء، ونزلا وأكلا وشربا وأطعما دوابهما واستراحا ساعة ثم ركبا وسارا، وما زالا سائرين مدة ثلاثة أيام وفى رابع يوم بان لهما مكان متسع به غاب فنزلا فيه، فأخذ مرزوان جملاً وفرسًا وذبحهما وقطع لحمهما قطعًا ونجر عظمهما وأخذ من قمر الزمان قميصه ولباسه وقطعهما قطعًا ولوثهما بدم الفرس وأخذ جبة قمر الزمان ومزقها ولوثها بالدم ورماها فى مفرق الطريق، ثم أكلا وشربا وركبا وسافرا. فسأله قمر الزمان عما فعله وقال له: «ما هذا يا أخى الذى فعلته وماذا يفيد ذلك؟» فقال له: «اعلم أن والدك الملك شهرمان إذا غبنا عنه ليلة بعد الليلة التى أخذنا بها منه الإذن ولم نحضر له فيها يركب ويسافر فى أثرنا فإذا وصل إلى هذا الدم الذى فعلته ورأى قميصك ولباسك مقطعًا وعليه الدم فيظن فى نفسه أنه جرى لك أمر من قطاع الطريق أو وحوش البر فينقطع رجاؤه منك ويرجع إلى المدينة ونبلغ بهذه الحيلة ما نريد»، فقال قمر الزمان: «والله إن هذه حيلة مليحة، نعم ما فعلت»، ثم إنهما سارا أيامًا وليالى، كل ذلك وقمر الزمان يشتكى إذا انفرد بنفسه ويبكى، إلى أن استبشر بقرب الديار، فأنشد هذه الأشعار:

أتجفو محبا ما سها عنك ساعة ... وتزهد فيه بعد ما كنت راغبا

وما كان لى ذنب فأستوجب الجفا ... وإن كان لى ذنب فقد جئت تائبا

ومن عجب الأيام أنك هاجرى ... وما زالت الأيام تبدى العجائبا

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما فرغ قمر الزمان من شعره قال له مرزوان: «انظر هذه جزائر الملك الغيور قد لاحت»، ففرح قمر الزمان فرحًا شديدًا وشكر مرزوان على فعله وقبله بين عينيه وضمه إلى صدره.

فلما وصلا إلى الجزائر دخلا المدينة وأنزله مرزوان فى خان واستراحا ثلاثة أيام من السفر، وبعد ذلك أخذ مرزوان قمر الزمان ودخل به الحمام وألبسه لبس التجار وعمل له تخت رمل من ذهب وعمل له عدة وعمل له اسطرلابًا من فضة مطليا بالذهب وقال له: «قم يا مولاى وقف تحت قصر الملك وناد: «أنا الحاسب أنا الكاتب أنا الذى أعرف المطلوب والطالب أنا الحكيم الماهر أنا المنجم الباهر فأين الطالب؟ فإن الملك إذا سمعك يرسل إليك ويدخل بك على ابنته الملكة بدور، فإذا دخلت عليها قل له: أعطنى مهلة ثلاثة أيام فإن طابت زوجنى بها، وإن لم تطب افعل بى كما فعلت بالذين قبلى، فإنه يقبل منك ذلك، فإذا صرت عندها عرفها بنفسك فإنها تشتد إذ تراك ويزول ما بها من الجنون وهى تطيب فى ليلة، فأطعمها واسقها ويفرح أبوها بسلامتها ويزوجك بها ويقاسمك فى ملكه لأنه شرط على نفسه هذا الشرط. والسلام».

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام قال له: «لا عدمت فضلك»، وأخذ منه العدة وخرج

من الخان وسار إلى أن وقف تحت قصر الملك الغيور ونادى: «أنا الكاتب الحاسب، أنا الذى أعرف المطلوب والطالب، أنا الذى أفتح الكتاب وأحسب الحساب وأفسر الأحلام وأخط بأقلام المطالب فأين الطالب؟» فلما سمع أهل المدينة هذا الكلام جاءوا إليه لأن لهم مدة ما رأوا كاتبًا ولا منجمًا، فوقفوا حوله وصاروا يتأملونه، فرأوه على غاية من الجمال، واللطف والظرف والكمال، فوقفوا يتعجبون من حسنه وجماله، وقدّه واعتداله، فتقدم إليه واحد وقال له: «بالله عليك أيها الشاب المليح، صاحب اللسان الفصيح، لا تخاطر بنفسك وترمى روحك فى الهلاك طمعًا فى زواج الملكة بدور بنت الملك الغيور، وانظر بعينك إلى هذه الرءوس المعلقة فإن أصحابها كلهم قتلوا بسبب ذلك»، فلم يلتفت قمر الزمان إلى كلامه ونادى بأعلى صوته: «أنا الحكيم الكاتب أنا المنجم الحاسب»، فصار كل من أهل البلد ينهاه عن هذا الفعل.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: فلم يلتفت إليهم أبدًا وقال فى نفسه: «ما يعلم الشوق إلا من يكابده»، وصار ينادى بأعلى صوته: «أنا الحكيم أنا المنجم»، فاغتاظ جميع أهل المدينة منه وقالوا له: «ما أنت إلا شاب بليد مكابر أحمق، ارحم شبابك وصغر سنك وحسنك وجمالك»، فصاح قمر الزمان وقال: «أنا المنجم والحاسب فهل من طالب؟» فبينما قمر الزمان ينادى والناس ينهونه إذ سمع صوته الملك الغيور وسمع ضجة الناس، فقال الملك للوزير: «انزل وأتنا بهذا المنجم»، فنزل الوزير سريعًا وأخذ قمر الزمان من وسط الناس وأصعده إلى الملك، فلما صار بين يدى الملك الغيور قبّل الأرض وأنشد يقول:

ثمانية فى المجد حزت جميعها ... فلا زال خدمًا بهنّ لك الدهر
يقينك والتقوى ومجدك والندى ... ولفظك والمعنى وعزك والنصر

فلما نظر الملك الغيور إليه أجلسه إلى جانبه وأقبل عليه وقال له: «بالله يا ولدى إن لم تكن منجمًا فلا تخاطر بنفسك ولا تدخل على شرطى، فإنى شرطت على نفسى أن كل من دخل على بنتى ولم يبرئها مما أصابها ضربت عنقه، وكل من أبرأها زوجته بها، فلا يغرنك حسنك وجمالك، والله والله إن لم تبرئها لأضربن عنقك»، فقال قمر الزمان: «لك ذلك وأنا راض وعندى علم هذا قبل أن آتيك» فأشهد عليه الملك الغيور القضاة وسلّمه إلى الخادم وقال له: «أوصل هذا إلى الملكة بدور» فمسكه الخادم بيده ومشى به فى الدهليز، فسابقه قمر الزمان، فصار الخادم يجرى ويقول له: «ويلك لا تستعجل على هلاك نفسك فإنى ما رأيت منجمًا يستعجل على هلاك نفسه غيرك، ولكنك لا تعرف أى شىء قدامك من الدواهى، فأعرض قمر الزمان بوجهه عن الخادم، ثم أنشد يقول:

أنا عارف بصفات حسنك جاهل ... متحير لم أدر ما أنا قائل
لو قلت شمسًا كان حسنك لم يغب ... عن ناظرى إن الشموس قوافل
كملت محاسنك التى فى وصفها ... عجز البليغ وحار فيها القائل

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية مقابلة قمر الزمان مع السيدة بدور

قالت شهرزاد: ثم إن الخادم أوقف قمر الزمان خلف الستارة على الباب، فقال له قمر الزمان: «أى الحالتين أحب إليك أن أدواى سيدتك وأبرئها من هنا أو أدخل إليها فأبرئها من داخل الستارة؟» فتعجب الخادم من كلامه وقال له: «إن أبرأتها من هنا كان ذلك زيادة فى فضلك» فعند ذلك جلس قمر الزمان خلف الستارة وأخرج الدواة والقلم وأخذ ورقة وكتب فيها:

أرسلت خاتمك الذى استبدلته ... يوم الوصال فأرسلى لى خاتمى

ثم إن قمر الزمان جعل خاتم السيدة بدور فى طى الورقة وناولها للخادم، فأخذها منه ودخل بها على سيدته، فأخذتها من يد الخادم وفتحتها فوجدت خاتمها فيها بعينه، فقرأت الورقة فلما عرفت المقصود عرفته فطار عقلها من الفرح وانشرح صدرها واتسع، ومن فرط المسرات، أنشدت هذه الأبيات:

ولقد ندمت على تفرق شملنا ... ندمًا وفاض الدمع من أجفانى
ونذرت أن عاد الزمان يلمنا ... اعدت أذكر فرقة بلسانى
هجم السرور على حتى إنه ... من عظم ما قد سرنى أبكانى
يا عين صار الدمع منك سجية ... تبكين من فرح ومن أحزان

فلما فرغت من شعرها قامت من وقتها واتكأت بقوتها على الغل الحديد فقطعته من رقبتها وقطعت السلاسل وخرجت من خلف الستارة وقالت: «يا سيدى هل هذه يقظة أم منام؟ وقد منّ الله علينا بالقرب بعد البعاد؟ فالحمد لله على جمع شملنا بعد اليأس»، فلما رآها الخادم على تلك الحالة ذهب يجرى حتى وصل إلى الملك الغيور فقبل الأرض بين يديه وقال له: «يا مولاى اعلم أن هذا المنجم شيخ المنجمين وأعلمهم، فإنه داوى ابنتك وهو واقف خلف الستارة ولم يدخل عليها»، فقال له الملك «انظر جيدًا أصحيح هذا الخبر؟» فقال له الخادم: «يا سيدى قم وانظر كيف وجدت فيها قوة حتى قطعت السلاسل من الحديد وخرجت إلى المنجم»، فعند ذلك قام الملك الغيور ودخل على بنته، فلما رأته نهضت قائمة وغطت رأسها وأنشدت هذين البيتين:

لا أحب السواك من أجل أنى ... إن ذكرت السواك قلت سواكا
وأحب الأراك من أجل أنى ... إن ذكرت الأراك قلت أراكا

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: فعند ذلك فرح أبوها بسلامتها حتى كاد أن يطير من الفرح وقبلها بين عينيها لأنه كان يحبها محبة عظيمة، وأقبل الملك الغيور على قمر الزمان وسأله عن حاله وقال

له: «من أى البلاد أنت؟» فأخبره قمر الزمان بنسبه وشأنه وأعلمه أن والده الملك شهرمان، ثم إن قمر الزمان قص عليه القصة من أولها إلى آخرها، وأخبره بجميع ما اتفق له مع السيدة بدور وكيف أخذ الخاتم من أصبعها وألبسها خاتمه، فتعجب الملك الغيور من ذلك وقال له: «إن حكايتكما ينبغى أن تؤرخ فى الكتب وتقرأ بعدكما جيلاً بعد جيل». ثم إن الملك الغيور أحضر من وقته القضاة والشهود وكتب كتاب السيدة بدور على قمر الزمان وأمر بتزيين المدينة سبعة أيام، ثم مدوا السماط والأطعمة وعملت الأفراح وتزينت المدينة وجميع العساكر بأفخر الثياب ودقت الطبول وفرح الملك الغيور بعافية ابنته.

ثم إن الملك عمل وليمة وجمع فيها جميع أهل الجزائر الجوانية والبرانية وقدم لهم الأسمطة والطعام الفاخر وامتدت الموائد مدة شهر كامل، وبعد أن انتظم شأن قمر الزمان وبلغ أربه ومكث فى هذا الحال مع السيدة بدور مدة تفكَّر فى والده الملك شهرمان فرآه فى المنام وهو يقول له: «يا ولدى أهكذا تفعل معى هذه الفعال»، وأنشده فى النوم هذين البيتين:

لقد راعنى بدر الدجى بصدوده ... ووكَّل أجفانى برعى كواكبه
فيا كبدى مهلاً عساه يعود لى ... ويا مهجتى صبرًا على ما كواك به

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية سفر قمر الزمان والسيدة بدور

قالت شهرزاد: ثم إن قمر الزمان لما رأى والده فى المنام وهو يعاتبه أصبح مغمومًا وحزينًا، فسألته السيدة بدور، فأخبرها بما رآه فى المنام، فدخلت هى وإياه على والدها وأعلماه بذلك واستأذناه فى السفر، فأذن له بالسفر، فقالت له الملكة بدور: «يا والدى أنا لا أصبر على فراقه»، فقال لها والدها: «سافرى معه»، وأذن لها فى الإقامة معه سنة كاملة وبعدها تأتى لتزور والدها فى كل عام مرة، فقبّلت يد أبيها وكذلك قمر الزمان.

ثم شرع الملك الغيور فى تجهيز ابنته وزوجها وهيأ لهما المؤونة وأدوات السفر وأخرج لهما الخيول المسومة، وأخرج لابنته محفَّة وحمل لهما البغال والهجن واستخدم لهما العبيد والرجال وأخرج لهما كل ما يحتاجان إليه فى السفر، وفى يوم المسير ودع الملك الغيور قمر الزمان وخلع عليه عشر خلع سنية من الذهب مرصعة بالجواهر وقدم له عشرة خيول وعشر نياق وخزنة مال وأوصاه بابنته السيدة بدور وخرج معهما إلى أقصى الجزائر، ثم ودع قمر الزمان ودخل على ابنته السيدة بدور وهى فى المحفة فودعها وصار يبكى، ثم خرج من عند ابنته وأتى إلى زوجها قمر الزمان فصار يودعه ويقبله، ثم فارقهما ورجع إلى مملكته بعسكره. فسار قمر الزمان وزوجته ومن معهما من الأتباع أول يوم وثانى يوم والثالث والرابع، ولم يزالوا مسافرين مدة شهر كامل حتى نزلوا فى مرج واسع الفلا كثير الكلا، فأكلوا وشربوا

واستراحوا، ونامت السيدة بدور، فدخل قمر الزمان فوجدها نائمة، ورأى فصًا أحمر مثل العندم مربوطًا فوق قلبها فحله ونظر فيه فرأى عليه أسماء منقوشة بكتابة لا تقرأ، فتعجب قمر الزمان وقال فى نفسه: «لولا أن لهذا الفص أمرا عظيما عندها ما ربطته هذه الربطة على قلبها وما خبأته فى أعز مكان عندها حتى لا تفارقه، فيا ترى ماذا تصنع بهذا الفص وما السر الذى هو فيه؟».

❖ ❖ ❖

حكاية قمر الزمان والطائر

ثم إن قمر الزمان أخذه وخرج من الخيمة ليبصره فى النور وصار يتأمل فيه وهو فى يده، وإذا بطائر انقض عليه وخطف الفص من يده وطار به وحط به على الأرض، فخاف قمر الزمان على الفص وجرى خلف الطائر، فصار الطائر يجرى على قدر جرى قمر الزمان، فلم يزل قمر الزمان يتبعه من محل إلى محل ومن تل إلى تل إلى أن دخل الليل وأظلم الجو، فنام الطائر على شجرة عالية، فوقف قمر الزمان تحتها وصار متحيرًا وقد زهقت روحه من الجوع والتبع وأحس أنه هالك وأراد أن يرجع فما عرف الموضع الذى جاء منه وكان قد هجم عليه الظلام، فقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم».

ثم نام تحت الشجرة التى فوقها الطائر إلى الصباح، ثم انتبه قمر الزمان من نومه فرأى الطائر قد انتبه وطار من فوق الشجرة، فمشى قمر الزمان خلفه، وصار ذلك الطائر يطير قليلاً بقدر مشى قمر الزمان، فتبسم قمر الزمان وقال: «يا الله إن هذا الطائر كان بالأمس يطير بقدر جريتى وفى هذا اليوم علم أنى أصبحت تعبانًا لا أقدر أجرى فصار يطير على قدر مشيتى، والله إن هذا عجيب، ولكن لا بد أن أتبع هذا الطائر فإما أن يقودنى هذا الطائر لحياتى أو لمماتى، فأنا أتبعه أينما توجه لأنه على كل حال لا يقيم إلا فى البلاد العامرة».

ثم إن قمر الزمان جعل يمشى تحت الطائر والطائر يبيت كل ليلة على شجرة، ولم يزل يتابعة مدة عشرة أيام وقمر الزمان يتقوت من نبات الأرض ويشرب من أنهارها، وبعد عشرة أيام أشرف على مدينة عامرة، فطار الطائر مثل لمح البصر ودخل تلك المدينة وغاب عن قمر الزمان، ولم يعرف خبره ولا يعلم أين ذهب، فتعجب قمر الزمان وقال: «الحمد لله الذى سلمنى حتى وصلت إلى هذه المدينة»، ثم جلس على نهر وغسل يديه ورجليه ووجهه واستراح ساعة، فتذكر ما كان فيه من الراحة والهناء واجتماع الشمل، ونظر إلى ما هو فيه من التعب والهم والغربة، والجوع والفرقة، ففاضت دموعه وأنشد يقول:

أخفيت ما ألقاه منك وقد ظهر ... والنوم من عينى تبدل بالسهر
ناديت لما أوهنت قلبى الفكر ... يا دهر لا تبقى علىَّ ولا تذر
ها مهجتى بين المشقة والخطر

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية قمر الزمان والخولى

قالت شهرزاد: ثم إن قمر الزمان لما فرغ من شعره واستراح قام يمشى قليلاً حتى دخل المدينة وهو لا يعلم أين يتوجه، فشق المدينة من أولها إلى آخرها، وكان قد دخل من باب البر ولم يزل يمشى حتى خرج من باب البحر، فلم يقابله أحد من أهلها، وكانت مدينة على شاطىء البحر، ثم إنه بعد أن خرج من باب البحر مشى ولم يزل ماشيًا حتى وصل إلى بساتين المدينة وأشجارها، فدخل بين الأشجار ومشى فأتى إلى البستان فوقف على بابه، فخرج إليه الخولى فسلم عليه، فرد عليه السلام، فرحب به الخولى وقال له: «الحمد لله لأنك أتيت سالمًا من أهل هذه المدينة، فادخل إلى هذا البستان سريعًا قبل أن يراك أحد من أهلها».

فعند ذلك دخل قمر الزمان إلى ذلك البستان وهو ذاهل العقل وقال للخولى: «ما حكاية أهل هذه المدينة وما خبرهم؟» فقال له: «اعلم أن أهل هذه المدينة كلهم مجوس، فبالله عليك أخبرنى كيف أتيت إلى هذا المكان وما سبب مجيئك إلى بلادنا؟» فأخبر قمر الزمان الخولى بجميع ما جرى له من أوله إلى آخره، فتعجب الخولى غاية العجب وقال له: «اعلم يا ولدى أن بلاد الإسلام بعيدة من هنا وبينها وبيننا أربعة أشهر فى البحر وأما فى البر فسنة كاملة، وإن عندنا مركبًا يقلع ويسافر كل سنة ببضائع إلى أول بلاد الإسلام وتسير من هنا إلى بحر جزائر الأبنوس ومنها إلى الجزائر الخالدات التى ملكها الملك شهرمان»، فعند ذلك تفكر قمر الزمان فى نفسه ساعة وعلم أنه لا يوافقه إلى أن يستخدم فى البستان عند الخولى ويكون عنده مزارعًا، فقال للخولى: «هل تقبلنى عندك فى هذا البستان؟» فقال له: «سمعًا وطاعة»، فعلمه الخولى تحويل الماء على بيوت الأشجار، فصار قمر الزمان يحول الماء ويقطع الحشيش بالفأس، وألبسه الخولى ثوبًا قصيرًا أزرق إلى ركبتيه وصار عنده يسقى الأشجار، ويبكى بدموع غزار، ولا يقر له قرار، بالليل ولا النهار، من أجل غربته وبعده عن زوجته، وجعل يترنم بالأشعار، فمن جملة ذلك هذه الأبيات:

لنا عندك وعد فهلا وفيتم	وقلتم لنا قولاً فهلا فعلتم
فيا أيها الأحباب فى السخط والرضا	على كل حال أنتم القصد أنتم
ولى عند بعض الناس قلب معذب	فيا ليته يرثى لحالى ويرحم
وما كل عين مثل عينى قريحة	ولا كل قلب مثل قلبى متيم
ظلمتم وقلتم إنما الحب ظالم	صدقتم كذا كان الحديث صدقتم

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية السيدة بدور بعد فقد قمر الزمان

قالت شهرزاد: هذا ما كان وما جرى لقمر الزمان ابن الملك شهرمان، وأما ما كان من أمر زوجته الملكة بدور بنت الملك الغيور فإنها لما انتبهت من نومها طلبت زوجها قمر الزمان فلم تجده فافتقدت الفص فوجدته معدومًا، فقالت فى نفسها: «يا الله أين زوجى؟ كأنه أخذ الفص

وراح وهو لا يعلم السر الذى فيه، فيا ترى أين ذهب؟ ولكن لا بد له من أمر عجيب اقتضى وراح، ولولا ذلك ما كان يقدر أن يفارقنى ساعة، فلعن الله الفص ولعن ساعته» ثم إن الملكة بدور تفكرت وقالت فى نفسها: «إن خرجت إلى الحاشية وأعلمتهم بفقد زوجى يطمعون فىَّ، ولكن لا بدَّ من الحيلة»، فقامت ولبست ثيابًا من ثياب زوجها قمر الزمان ولبست عمامة كعمامته ولبست الخف وضربت لها لثامًا وحطت فى محفتها جارية وخرجت من خيمتهاونادت على الغلمان فقدموا لها الجواد، فركبت وأمرت بشد الأحمال فشدت، وأمرت بالرحيل فسافروا، وأخفت أمرها، فلم يشك أحد فى أنها قمر الزمان لأنها كانت تشبهه فى قوامه ووجهه، وما زالت مسافرة هى وأتباعها أيامًا وليالى حتى أشرفت على مدينة مطلة على البحر المالح فنزلت بظاهرها وضربت خيامها فى ذلك المكان لأجل الاستراحة، ثم سألت عن هذه المدينة فقيل لها: «هذه مدينة الأبنوس، وملكها الملك أرمانوس، وله بنت اسمها حياة النفوس».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



حكاية السيدة بدور وحياة النفوس

فنزلت على ظاهر مدينة الأبنوس لأجل الاستراحة، فأرسل الملك أرمانوس رسولاً من عنده يكشف له خبر هذا الملك النازل على ظاهر مدينته، فلما وصل إليهم الرسول سألهم فأخبروه أنه ابن ملك تائه عن الطريق وهو قاصد الجزائر الخالدات للملك شهرمان، فعاد الرسول إلى الملك أرمانوس وأخبره بالخبر.

فلما سمع الملك أرمانوس هذا الكلام نزل فى خواص دولته إلى مقابلته، فلما قدم على الخيام ترجلت الملكة بدور وترجل الملك أرمانوس وسلما على بعضهما وأخذها ودخل بها إلى مدينته وطلع بها إلى قصره، وأمر بمد السماطات وموائد الأطعمة والمآكل وأمر بنقل جيش الملكة بدور إلى دار الضيافة، فمكثوا هناك ثلاثة أيام، وبعد ذلك أقبل الملك على الملكة بدور وهى لابسة حلة من الحرير مطرزة بالذهب المرصع بالجواهر وقال لها: «يا ولدى اعلم أنى صرت شيخًا كبيرًا هرمًا، وعمرى مارزقت ولدًا غير بنت وهى تشبهك فى الحسن والجمال، وأنا الآن عجزت عن تدبير المملكة فهى لك يا ولدى، فإن كانت أرضى هذه تعجبك وتقيم بها وتسكن بلادى فأنا أزوجك بها وأعطيك مملكتى وأستريح أنا». فأطرقت الملكة بدور برأسها وعرق جبينها من الحياء وقالت فى نفسها: «كيف يكون العمل وأنا امرأة وإن لم أرض وصرت من عنده لم آمن من شره فربما يرسل ورائى جيشًا يقتلنى، وإن أطعته ربما أفتضح، ألا تكفينى مصيبتى؟ إنى فقدت قمر الزمان ولم أعرف له خبرًا وما لى خلاص إلا أنى أسكت وأرضى وأقيم عنده حتى يقضى الله أمرًا كان مفعولاً فإنه على كل شىء قدير».

ثم إن الملكة بدور رفعت رأسها وأذعنت للملك أرمانوس بالسمع والطاعة، ففرح الملك بذلك وأمر المنادى أن ينادى فى جزائر الأبنوس بالفرح والزينة وجمع الحجاب والنواب والأمراء والوزراء وأرباب دولته وقضاة مدينته وعزل نفسه من الملك وسلطن الملكة بدور وألبسها ثوب الملك ودخلت الأمراء جميعًا على الملكة بدور وهم لا يشكون فى أنها شاب»، وصار

كل من نظر إليها منهم جميعًا يتعجب لفرط حسنها وجمالها فلما تسلطنت ودقت لها البشائر بالسرور وجلست على كرسيها شرع الملك أرمانوس بتجهيز ابنته حياة النفوس، وبعد أيام قلائل أدخلوا الملكة بدور على حياة النفوس فكانتا كأنهما قمران فى وقت طلعا أو شمسان قد اجتمعا، فردوا عليهما الأبواب وأرخوا الستائر بعد أن أوقدوا لهما الشموع وفرشوا لهما الفرش، فعند ذلك جلست السيدة بدور مع السيدة حياة النفوس فتذكرت قمر الزمان، واشتدت بها الأحزان على فراقه وغيابه وأنشدت تقول:

يا غـــائبين وقلبى زائد القلق ... لم يبق من بينكم فى الجسم من رمق

وكـان لى مـقلة تشكو السـهاد وقـد ... أذابهـا الدمـــع يا ليت السـهاد بقى

لما رحلتم أقـام الصب بعـدكــم ... لكن سلوا عنه مـاذا فى البعـاد لقى

لولا جفونى وقد فاضت مدامعها ... توقــدت عرصات الأرض من حرقى

أشكو إلى الله أحبابًا عــدمتهم ... لم يرحمـوا صبوتى فيهم ولا قلقى

ثم إن الملكة بدور لما فرغت من إنشادها نهضت من وقتها وساعتها وتوضأت ولم تزل تصلى حتى نامت حياة النفوس، فنامت هى بناحية من الفرفة إلى الصباح، فلما طلع النهار دخل الملك وزوجته إلى ابنتهما وسألاها عن حالها، فأخبرتهما بما رأت وما سمعته من الشعر.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: هذا ما كان من أمر حياة النفوس وأبويها، وأما ما كان من أمر الملكة بدور فإنها خرجت وجلست على كرسى المملكة وخرجت إليها الأمراء وجميع الرؤساء وأرباب الدولة وهنأوها بالملك وقبلوا الأرض بين يديها ودعوا لها، فتبسمت وأقبلت عليهم وخلعت عليهم وزادت فى إكرام الأمراء وأرباب الدولة وإقطاعهم والجيوش، فأحبوها ودعا لها جميع الخلق بدوام الملك وهم يعتقدون أنها شاب، فأمرت ونهت وحكمت وأطلقت من فى الحبوس وأبطلت المكوس، ولم تزل قاعدة فى مجلس الحكومة إلى أن دخل الليل، فدخلت إلى المكان الذى أعد لها، فوجدت حياة النفوس جالسة فجلست بجانبها وقبلتها بين عينيها، وأنشدت تقول هذه الأبيات:

قد صار سرى بالدموع علانيه ... ونحول جسمى فى الغرام علانيه

أخفى الهوى وينمه يوم النوى ... حالى على الواشين ليست خافيه

يا راحلين عن الحمى خلفتم ... جسمى بكم مضنى ونفسى باليه

وسكنتم غور الحشا فنواظرى ... تجرى مدامعها وعينى داميه

وأنا فداء الغائبين بمهجتى ... أبـــدًا وأشواقى إليهم باديه

لى مقلة إنسانها فى حبهم ... رفض الكرى ودموعها متواليه

ظن العدى منى عليه تجلدًا ... هيهات ما أذنى إليهم واعيه

خابت ظنونهم على وإنما ... قمر الزمان به أنال أمانيه

جمع الفضائل ما حواها قبله أحد سواه فى العصور الخاليه
أنسى الأنام بجوده وبعفوه كرم ابن زائدة وحلم معاويه
لولا الإطالة والقريض مقصرٌ عن وصف حسنك لم أدع من قافيه

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: ثم إن الملكة بدور نهضت قائمة على أقدامها ومسحت دموعها وتوضأت وصلت. ولم تزل تصلى إلى أن غلب النوم على حياة النفوس فنامت، ورقدت الملكة بدور فى ناحية إلى الصباح، ثم قامت وصلت الصبح وجلست على كرسى المملكة وأمرت ونهت وحكمت وعدلت، هذا ما كان من أمرها، وأما ما كان من أمر الملك أرمانوس فإنه دخل على ابنته وسألها عن حالها فأخبرته بجميع ما جرى لها وأنشدته الشعر الذى قالته الملكة بدور. ثم قالت: «يا أبى ما رأيت أحدًا أكثر عقلاً وعبادة من زوجى فإنه يبكى ويتنهد»، فقال لها أبوها: «يا بنتى اصبرى عليه فما بقى غير هذا التدبير وهو أن أخلعه من الملك وأنفيه عن بلادنا». فاتفق مع ابنته على هذا الكلام وأضمر على هذا الرأى.

فلما أقبل الليل قامت الملكة بدور من دست المملكة إلى القصر ودخلت المكان الذى هو معد لها، فرأت الشمع موقدًا وحياة النفوس جالسة، فتذكرت زوجها وما جرى لها من الفرقة بينهما فى تلك المدة اليسيرة فبكت وتنهدت ووالت الزفرات، وأنشدت تقول هذه الأبيات:

قسمًا لقد ملأت أحاديثى الفضا كالشمس مشرقة على ذات الغضا
نطقت إشارته فأشكل فهمها فلذاك شوقى فى المزيد وما انقضى
أبغضت حسن الصبر مذ أحببته أرأيت صبا فى الصبابة مبغضا

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فلما فرغت من إنشادها أرادت أن تقوم إلى الصلاة، وإذا بحياة النفوس مسكتها وقالت لها: «يا سيدى أما تستحى من والدى وما فعل معك من الجميل؟» فلما سمعت منها ذلك الكلام جلست فى مكانهاوقالت: «يا حبيبتى ما الذى تقولينه؟» قالت: «الذى أقوله أنى ما رأيت أحدًا معجبًا بنفسه مثلك، ولكن أنا ما قلت هذا الكلام إلا خيفة عليك من الملك أرمانوس فإنه أضمر أن ينزعك من المملكة ويسفرك من بلاده، وربما يزداد به الغيظ فيقتلك، وأنا يا سيدى رحمتك ونصحتك والرأى رأيك».

فلما سمعت الملكة بدور هذا الكلام أطرقت برأسها إلى الأرض وحارت فى أمرها ثم قالت فى نفسها: «إن خالفته هلكت، وإن أطعته افتضحت، ولكن أنا فى هذه الساعة ملكة على جزائر الأبنوس كلها وهى تحت حكمى وما أجتمع أنا وقمر الزمان إلا فى هذا الموضع، لأنه ليس له طريق إلا بلاده إلا من جزائر الأبنوس، وإنى صرت حائرة وفوضت أمرى إلى الله فهو نعم المدبر»، ثم إن الملكة بدور حكت لها على ما جرى لها من الابتداء إلى الانتهاء وقالت لها: «سألتك بالله ألا ما سترت على وأخفيت أمرى حتى يجمعنى الله بقمر الزمان وبعد ذلك يكون ما يكون».

فلما سمعت حياة النفوس كلامها تعجبت من قصتها غاية العجب ورقت لها ودعت لها بجمع شملها وقالت لها: «يا أختى لا تخافى ولا تفزعى واصبرى إلى أن يقضى الله أمرًا كان مفعولاً». ثم إن حياة النفوس أنشدت تقول:

السر عندى فى بيت له غلق ... قد ضاع مفتاحه والبيت مختوم
ما يكتم السر إلا كل ذى ثقة ... والسر عند خيار الناس مكتوم

فلما فرغت من شعرها قالت لها: «يا أختى إن صدور الأحرار، قبور الأسرار وأنا لا أفشى لك سرا»، وأما الملكة بدور فإنها لما أصبحت قامت وصلت الصبح ثم توجهت إلى دار الحكومة وجلست على كرسى المملكة وحكمت بين الناس، أما الملك أرمانيوس فأخبرته ابنته بأنها قد اصطلحت مع زوجها واتفقا معًا، ففرح بذلك واتسع صدره وانشرح وأولم وليمة عظيمة، ولم يزالوا على تلك الحالة مدة من الزمان.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية حزن الملك شهرمان على ولده قمر الزمان

قالت شهرزاد: هذا ما كان من أمرهما، وأما ما كان من أمر الملك شهرمان فإنه بعد خروج ولده للصيد والقنص هو ومرزوان كما تقدم صبر حتى اقبل الليل عليه بعد خروجهما، فلم يجىء ولده، فلم ينم تلك الليلة، وطال عليه الليل وقلق غاية القلق وزاد وجده وما صدق أن الفجر يطلع، فلما أصبح انتظر ولده إلى نصف النهار فلم يجىء فأحس قلبه بالفراق والتهب على ولده بالإشفاق وقال: «وا ولداه»، ثم بكى حتى بل ثيابه بالدموع، وأنشد من قلب مصدوع:

ما زلت معترضًا على أهل الهوى ... حتى بليت بحلوه وبمره
وشربت كأس صدوده متجرعًا ... وذللت فيه لعبده ولحره
نذر الزمان بأن يفرق شملنا ... والآن قد أوفى الزمان بنذره

فلما فرغ من شعره مسح دموعه ونادى فى عسكره بالرحيل، والحث على السفر الطويل، فركب الجيش جميعه وخرج السلطان وهو محترق القلب على ولده قمر الزمان، وقلبه بالحزن ملآن، وجدوا فى سيرهم، وفرق الملك جيشه يمينًا وشمالاً وأمامًا وخلفًا ست فرق وقال لهم: «الاجتماع غدًا فى عند مفرق الطريق».

فعند ذلك تفرقت الجيوش والعساكر وسافروا، ولم يزالوا مسافرين بقية النهار إلى أن جن الليل، فساروا جميع الليل إلى نصف النهار حتى وصلوا إلى مفرق أربع طرق، فلم يعرفوا أى طريق سلكها، ثم رأوا أثر أقمشة مقطعة ورأوا اللحم مقطعًا ونظروا أثر الدم باقيًا وشاهدوا كل قطعة من الثياب واللحم فى ناحية، فلما رأى الملك شهرمان ذلك صرخ صرخة عظيمة من صميم قلبه وقال: «وا ولداه» ولطم على وجهه ونتف لحيته ومزق أثوابه وأيقن بموت ولده وزاد فى البكاء والنحيب، وبكت لبكائه العساكر، وكلهم أيقنوا بهلاك قمر الزمان وحثوا على رؤوسهم التراب ودخل عليهم الليل وهم فى بكاء ونحيب حتى أشرفوا على الهلاك، واحترق قلب الملك بلهيب الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

لا تعذلوا المحزون فى أحزانه ... فلقد كفاه الوجد من أشجانه
يبكى لفرط تأسف وتوجع ... وغرامه ينبيك عن نيرانه
يا سعد من لمتيم حلف الضنى ... أن لا يزيل الدمع من أجفانه
يبدى الغرام لفقد بدر زاهر ... بضيائه يزهو على أقرانه
ولقد سقاه الموت كأسًا مترعًا ... يوم الرحيل فشطّ عن أوطانه
ترك الديار وسار عنّا للبلى ... لم يحظ بالتوديع من إخوانه
ولقد رمانى بالبعاد وبالجفا ... والصد والتبريح من هجرانه
ولقد مضى عنّا وسار مودعًا ... لما حباه ربه بجنانه

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: فلما فرغ الملك شهرمان من إنشاده رجع بجيوشه إلى مدينته وأيقن بهلاك ولده وعلم أنه عدا عليه وافترسه إما وحش وإما قاطع طريق، ثم نادى فى الجزائر الخالدات أن يلبسوا السواد من الأحزان على ولده قمر الزمان، وعمل له بيتًا وسماه بيت الأحزان، وصار كل يوم خميس واثنين يحكم فى مملكته بين عسكره ورعيته وبقية الجمعة يدخل إلى بيت الحزن ويبكى على ولده ويرثيه بالأشعار، فمن ذلك قوله:

فيوم الأمانى يوم قربكم منى ... ويوم المنايا يوم إعراضكم عنى
إذا بت مرعويًا أهدد بالردى ... فوصلكم عندى ألذ من الأمن
نفسى الفداء لظاعنين رحيلهم ... أنكى وأفسد فى القلوب وعاثا
فليقض عدته السرور فإننى ... طلقت بعدهم النعيم ثلاثا

هذا ما كان من أمر الملك شهرمان، وأما الملكة بدور بنت الملك الغيور فإنها صارت ملكة فى بلاد الأبنوس وصار الناس يشيرون إليها بالبنان ويقولون هذا صهر الملك ارمانوس، وكل ليلة تبكى وتشتكى وحشة زوجها وتصف لحياة النفوس حسنه وجماله وتنشد:

الله أعلم أنى بعد فرقتكم ... بكيت حتى استلفت الدمع بالدين
وقال لى عاذلى اصبر تنالهم ... فقلت يا عاذلى الصبر من أين

❖ ❖ ❖

حكاية قمر الزمان عند الخولى

هذا ما كان من أمر السيدة بدور، وأما ما كان من أمر قمر الزمان فإنه أقام عند الخولى فى البستان مدة من الزمان وهو يبكى بالليل والنهار، وينشد الأشعار ويتحسر على أوقات الهنا وليالى المنى، والخولى يقول له: «فى آخر السنة يسير المركب إلى بلاد المسلمين»، ولم يزل قمر الزمان على تلك الحالة إلى أن رأى الناس مجتمعين على بعضهم، فتعجب من ذلك، فدخل عليه الخولى وقال له: «يا ولدى بطل الشغل فى هذا اليوم ولا تحول الماء إلى الاشجار لأن هذا اليوم عيد والناس فيه يزورون بعضهم بعضًا، فاسترح واجعل بالك إلى

الغيط، فإنى أريد أن أبصر لك مركبًا، فما بقى إلا القليل حتى أرسلك إلى بلاد المسلمين»، ثم إن الخولى خرج من البستان وبقى قمر الزمان وحده.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: وتفكر قمر الزمان فى حاله فانكسر خاطره وجرت دموعه، ثم إن قمر الزمان بكى بكاء شديدًا حتى غشى عليه، فلما أفاق قام يتمشى فى البستان وهو متفكر فيما فعل فيه الزمان وطول البعد والهجران، وعقله ولهان، فعثر على وجهه فجاءت جبهته على جدر شجرة فبطحته وجرى منه الدم واختلط بدموعه، فمسح دمه ونشف دموعه وشد جبهته بخرقة وقام يتمشى فى ذلك البستان وهو فى فكره ذاهل العقل، فنظر بعينه إلى شجرة فوقها طائران يتخاصمان، فقام أحدهما إلى الآخر ونقره فى رقبته فخلصها من جثته وأخذ رأسه وطار به ووقع المقتول فى الأرض قدام قمر الزمان، فبينما هو كذلك وإذا بطائرين كبيرين قد انقضا عليه ووقف أحدهما عند رأسه والآخر عند ذنبه وأرخيا أجنحتهما ومناقيرهما عليه وبكيا، فبكى قمر الزمان على فراق زوجته وتذكر والده حين رأى الطائرين يبكيان على صاحبهما.

ثم إن قمر الزمان نظر إلى الطائرين فرآهما قد حفرا حفرة ودفنا الطائر المقتول فيها وطارا إلى الجو وغابا ساعة ثم عادا ومعهما الطائر القاتل، فنزلا به على قبر المقتول وبركا على القاتل حتى قتلاه وشقَّا جوفه وأخرجا أمعاءه وأراقا دمه على قبر الطائر المقتول، ثم نثرا لحمه ومزَّقا جلده وأخرجا ما فى جوفه وفرَّقاه إلى أماكن متفرقة.

جرى كل هذا وقمر الزمان ينظر ويتعجب، فلاحت منه التفاته إلى الموضع الذى قتلا فيه الطائر فوجد شيئًا يلمع، فدنا منه فوجده حوصلة الطائر، فأخذها وفتحها فوجد فيها الفص الذى كان سبب فراقه من زوجته، فلما رآه وعرفه وقع على الأرض مغشيا عليه من فرحه، فلما أفاق قال: «الحمد لله هذه علامة الخير وبشارة الاجتماع بزوجتى»، ثم تأمله ومرَّ به على عينه وربطه على ذراعه واستبشر بالخير وقام يتمشى ينتظر الخولى إلى الليل فلم يأت، فبات قمر الزمان فى موضعه إلى الصباح، ثم قام إلى شغله وشدَّ وسطه بحبل من الليف وأخذ الفاس والقفة وشق فى البستان، فأتى إلى شجرة خروب وضرب الفاس فى جذرها فطنَّت الضربة فكشف التراب عن موضعها فوجد طابقًا ففتحه، ووجد بابًا وسلمًا فنزل فيه، فوجد قاعة قديمة من عهد عاد وثمود وهذه القاعة منقورة من الحجر ولها دوائر سماويات ووجدها مملوءة من الذهب الأحمر الوهاج، فقال فى نفسه: «لقد ذهب التعب وجاء الفرج والسرور».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: ثم إن قمر الزمان طلع من المكان إلى ظاهر البستان ورد الطابق كما كان ورجع إلى البستان وحول الماء على الأشجار إلى آخر النهار، فجاء الخولى وقال له: «يا ولدى

أبشر برجوعك إلى الأوطان فإن التجار تجهزوا للسفر والمركب بعد ثلاثة أيام مسافر إلى مدينة الأبنوس، وهى أول مدينة من مدائن المسلمين، فإذا وصلت إليها تسافر فى البر ستة أشهر حتى تصل إلى الجزائر الخالدات التى فيها الملك شهرمان» ففرح بذلك قمر الزمان وأنشد:

لا تهجروا من لا تعوَّد هجركم	وتجنبوا بصدودكم من لا جنا
غيرى إذا طال البعاد سلاكم	وتغيرت أحواله إلا أنا

ثم إن قمر الزمان قبَّل يد الخولى وقال له: «يا والدى كما أنك بشرتنى فأنا الآخر أبشرك بشرة عظيمة». ثم إنه أخبره بخبر القاعة التى رآها، ففرح الخولى وقال له: «يا ولدى إنى فى هذا البستان من ثمانين عامًا ما وقفت على شىء، وأنت لك عندى دون السنة وقد رأيت هذا الأمر فهو رزقك وسبب زوال عكسك ومعين لك على وصولك إلى أهلك وجمع شملك بمن تحب»، فقال قمر الزمان: «لا بد من القسمة بينى وبينك».

ثم أخذ الخولى ودخل به إلى ذلك المكان وأراه الذهب وكان فى عشرين خابية، فأخذ عشرة والخولى عشرة، فقال له الخولى: «يا ولدى عب لك إمطارًا من الزيتون العصافيرى الذى فى هذا البستان فإنه معدوم فى غير بلادنا وتجلبه التجار إلى جميع البلدان، واخلطه مع الذهب ولبسهم واجعل الذهب فى الإمطار والزيتون فوق الذهب ثم سدها وخذها معك فى المركب»، فقام قمر الزمان من وقته وساعته وعبى خمسين مطرًا ووضع الذهب فيها وسد عليه ولبَّس عليهم بعد أن جعل الزيتون فوق الذهب وحطَّ الفص معه فى مطر، وجلس هو والخولى يتحدثان، وأيقن بجمع شمله وقربه من أهله، وقال فى نفسه: «إذا وصلت إلى جزيرة الأبنوس أسافر منها إلى بلد أبى وأسأل عن زوجتى بدور فيا ترى هل رجعت إلى بلادها أو سافرت إلى بلاد أبى أو حدث لها حادث فى الطريق؟» ثم أنشد:

أقاموا الوجد فى قلبى وساروا	وقد شطت بمن أهوى الديار
نأت عنى الربوع وساكنوها	وقد بعد المزار فلا مزار
وبان تجلدى من حيث بانوا	وفارقنى هجوع واصطبار
ومذ ساروا سرى عنى سرورى	وقد عدم القرار فلا قرار
وأجروا بالفراق دموع عينى	فأدمعها بينهم غزار
إذا ما اشتقت يومًا أن أراهم	وزاد بهم حنينى وانتظار
أمثل شخصهم فى وسط قلبى	غرام واشتياق وادكار

ثم جلس قمر الزمان ينتظر انقضاء الأيام وحكى للخولى حكاية الطيور وما وقع بينهما، فتعجب الخولى من ذلك، ثم ناما إلى الصباح، فأصبح الخولى ضعيفًا واستمر على ضعفه يومين وفى ثالث يوم اشتد به الضعف حتى يئسوا من حياته، فحزن عليه قمر الزمان حزنًا كثيرًا، فبينما هو كذلك وإذا بالرئيس والبحرية معه قد أقبلوا وسألوا عن الخولى، فأخبرهم أنه ضعيف، فقالوا: «أين الشاب الذى يريد السفر معنا إلى جزيرة الأبنوس؟» فقال لهم قمر الزمان: «هو المملوك الذى بين أيديكم». ثم أمرهم بتحويل الأمطار إلى المركب فنقلوها إلى

المركب وقالوا لقمر الزمان: «اسرع فإن الريح قد طابت» فقال لهم: «سمعًا وطاعة». ثم نقل زاده إلى المركب ورجع إلى الخولى يودعه فوجده فى النزع، فجلس عند رأسه حتى فارقت روحه جسده فغمضه وجهزه وواراه فى التراب إلى رحمة الله تعالى.

ثم توجه قمر الزمان إلى المركب فوجده أرخى القلوع وسار، ولم يزل يشق البحر حتى غاب عن عينيه، فصار قمر الزمان مدهوشًا حيرانًا لا يرد جوابًا ولا يبدى خطابًا، ثم رجع إلى البستان فجلس مهمومًا مغمومًا يحثو التراب على رأسه ويلطم على وجهه. ثم إن قمر الزمان استأجر البستان من صاحبه وأقام تحت يده رجلاً يعاونه على سقى الشجر، وتوجه إلى الطابق ونزل إلى القاعة وعبى الذهب الباقى فى خمسين مطرًا ورمى فوقه الزيتون، وسأل عن المركب فقالوا له: «إنه لا يسافر إلا فى كل سنة مرة واحدة» فزاد به الوسواس وتحسر على ما جرى له لا سيما أنه فقد الفص الذى هو للملكة بدور، فبكى.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية السيدة بدور ورئيس المركب

قالت شهرزاد: هذا ما كان من قمر الزمان، وأما ما كان من أمر المركب فإنه طابت له الريح ووصل إلى جزيرة الأبنوس، وكان بالأمر المقدر أن الملكة بدور كانت جالسة فى الشباك المطل على البحر، فنظرت إلى المركب وقد أرسى فى الساحل، فخفق فؤادها وركبت هى والأمراء والحجاب والنواب وجاءت إلى الساحل ووقفت على المركب، وصاروا ينقلون البضائع إلى المخازن، فأحضرت الرئيس وسألته عما معه، فقال:

«أيها الملك معى فى هذا المركب من العقاقير والأكحال والسفوفات والأدهان والمراهم والأموال والبضائع النفيسة والأقمشة الفاخرة والأنطاع اليمنية ما يعجز عن حمله الجمال والبغال، ومن أصناف العطر والبهار ومن العود القاقلى والتمر الهندى والزيتون العصافيرى ما يندر وجوده فى هذه البلاد»، فلما سمعت الملكة بدور بذكر الزيتون العصافيرى اشتهى قلبها ذلك وقالت لصاحب المركب: «كم معك من الزيتون؟» قال: «معى خمسون مطرًا ملآنة، ولكن صاحبها ما حضر معنا، والملك يأخذ ما اشتهاه منها»، فقالت: «أخرجوها إلى فى البر لأنظر إليها». فصاح الرئيس على البحريَّة فطلعوا بالخمسين مطرًا، ففتحت واحدًا ونظرت الزيتون وقالت: «أنا آخذ هذه الخمسين مطرًا وأعطيكم ثمنها مهما كان». فقال الرئيس: «هذا ما له فى بلادنا من قيمة والذى عباها تأخر عنا وهو رجل فقير، فقالت: «وما مقدار ثمنها هنا؟» فقال: «ألف درهم» قالت: «أنا آخذها بألف درهم»، وأمرت بنقلها إلى القصر، فلما جاء الليل أمرت بإحضار مطر واحد، فكشفته وما فى البيت إلا هى وحياة النفوس، ثم حطت بين يديها طبقًا وقلبت المطر فيه فنزل فى الطبق كوم ذهب أحمر، فقالت للسيدة حياة النفوس: «ما هذا إلا ذهب؟» ثم إنها أحضرت الجميع واختبرتها وجدتها كلها ذهبًا والزيتون كله لم يملأ مطرًا واحدًا.

وفتشت الملكة فى الذهب فوجدت الفص فيه، فأخذته وتأملته وإذا هو الفص الذى كان مربوطًا على قلبها وأخذه قمر الزمان، فلما تحققته صاحت من فرحها وغشى عليها.

فلما أفاقت قالت فى نفسها: «إن هذا الفص كان سبب فراقى من زوجى قمر الزمان ولكن هذا بشير الخير»، ثم أعلمت السيدة حياة النفوس بأن وجوده بشارة الاجتماع»، فلما أصبح الصباح جلست على كرسى المملكة وأحضرت رئيس المركب فلما حضر قبل الأرض بين يديها، فقالت: «أين تركت صاحب هذا الزيتون؟» قال: «يا ملك الزمان تركناه فى بلاد المجوس وهو خولى بستان» فقالت له: «إن لم تأت به فلا تعلم ما يجرى عليك وعلى مركبك من الضرر، ثم أمرت بالختم على مخازن التجار وقالت لهم: «إن صاحب هذا الزيتون غريمى ولى عليه دين وإن لم تأتوا به لأقتلنكم جميعًا وأنهب تجارتكم» فأقبلوا على الرئيس ووعدوه بأجرة مركبه ويرجع ثانى مرة، وقالوا له: «خلصنا من هذا الظالم»، فنزل الرئيس فى المركب وحل قلوعها وكتب الله له السلامة حتى دخل الجزيرة فى الليل وطلع إلى البستان، وكان قمر الزمان قد طال عليه الليل فجلس يبكى ويقول:

وليل كـواكـبـه لا تسـهـر ولا هـو ممن يطيق براحـا
كـيـوم القـيـامـة فى طولـه على من يراقب فيه الصباحا

ثم إن الرئيس دق الباب على قمر الزمان، ففتح الباب وخرج إليه، فحمله البحرية ونزلوا به إلى المركب وحلوا القلوع وساروا، ولم يزالوا سائرين أيامًا وليالى وقمر الزمان لا يعلم ما سبب ذلك، فسألهم عن السبب، فقالوا له: «أنت غريم الملك صاحب جزائر الأبنوس صهر الملك أرمانوس وقد سرقت ماله يا منحوس» فقال: «والله عمرى ما دخلت هذه البلاد ولا أعرفها» فساروا به حتى أشرفوا على جزائر الأبنوس وصعدوا به على الملكة بدور، فلما رأته عرفته وقالت: «دعوه عند الخدام ليدخلوا به الحمام»، وأفرجت عن التجار وخلعت على الرئيس خلعة تساوى عشرة آلاف دينار.

ودخلت الملكة بدور تلك الليلة فى القصر وأعلمت حياة النفوس بذلك وقالت لها: «اكتمى الخبر حتى أبلغ مرادى وأعمل عملاً يؤرخ ويقرأ بعدنا على الملوك والرعايا»، وحين أمرت أن يدخلوا بقمر الزمان الحمام دخلوا به الحمام وألبسوه لبس الملوك.

حكاية ملاقاة قمر الزمان مع السيدة بدور

ولما طلع قمر الزمان من الحمام صار كأنه غصن بان أو كوكب يخجل بطلعته القمران وردت روحه إليه، ثم توجه إليها ودخل القصر، فلما نظرته صبرت قلبها حتى يتم مرادها وأنعمت عليه بمماليك وخدم وجمال وبغال وأعطته خزانة مال، ولم تزل ترقى قمر الزمان من درجة إلى درجة حتى جعلته خازندرًا وسلمت إليه الأموال وأقبلت عليه وقربته منها وأعلمت الأمراء بمنزلته فأحبوه جميعهم، وصارت الملكة بدور كل يوم تزيد له فى المرتبات وقمر الزمان لا يعرف سبب تعظيمها له، ومن كثرة الأموال صار يهب ويتكرم ويخدم الملك أرمانوس حتى أحبه، وكذلك أحبته الأمراء والخواص والعوام وصاروا يحلفون بحياته.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: كل ذلك وقمر الزمان يتعجب من تعظيم الملكة بدور له ويقول فى نفسه: «والله إن هذه المحبة لا بد لها من سبب وربما يكون هذا الملك إنما يكرمنى هذا الإكرام الزائد لأجل غرض، فلا بد أن استأذنه وأسافر من بلاده»، ثم إنه توجه إلى الملكة بدور وقال لها: «أيها الملك إنك أكرمتنى إكرامًا زائدًا ومن تمام الإكرام أن تأذن لى فى السفر وتأخذ منى جميع ما أنعمت به على» فتبسمت الملكة بدور وقالت له: «ما حملك على طلب الأسفار واقتحام الأخطار، وأنت فى غاية الإكرام وتزايد الإنعام؟» فقال لها قمر الزمان: «أيها الملك إن هذا الإكرام إذا لم يكن له سبب فإنه من أعجب العجب، خصوصًا وقد أوليتنى من المراتب ما حقه أن يكون للشيوخ الكبار مع أننى من الأطفال الصغار».

فضحكت الملكة بدور حتى استلقت وقالت له: «يا حبيبى ما أسرع ما نسيت ليالى بتناها»، وعرفته بنفسها، فعرف أنها زوجته الملكة بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور، فهطلت على خدوده دموع الفرح، ثم إن الملكة بدور أخبرت قمر الزمان بجميع ما جرى لها من الأول إلى الآخر، وكذلك أخبرها بجميع ما جرى له.

وبعد ذلك أرسلت الملكة إلى الملك أرمانوس والد الملكة حياة النفوس وأخبرته بحقيقة أمرها وأنها زوجة قمر الزمان وأخبرته بقصتهما وبسبب افتراقهما عن بعضهما.

فلما سمع الملك أرمانوس صاحب جزائر الأبنوس قصة الملكة بدور بنت الملك الغيور تعجب منها غاية العجب، وأمر أن يكتبوها بماء الذهب.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية قمر الزمان مع حياة النفوس

قالت شهرزاد: ثم التفت الملك أرمانوس إلى قمر الزمان وقال له: «يا ابن الملك هل لك أن تصاهرنى وتتزوج بنتى حياة النفوس؟» فقال له: «حتى أشاور الملكة بدور، فإن لها على فضلاً غير محصور»، فلما شاورها قالت له: «نعم هذا الرأى فتزوجها وأكون أنا لها جارية لأن لها على معروفًا وإحسانًا، خصوصًا نحن فى محلها وقد غمرنا إحسان أبيها». فلما رأى قمر الزمان الملكة بدور مائلة إلى ذلك ولم يكن عندها غيرة من حياة النفوس اتفق معها على هذا الأمر وأخبر الملك أرمانوس بما قالته الملكة بدور من أنها تحب ذلك وتكون جارية لحياة النفوس، فلما سمع الملك أرمانوس هذا الكلام من قمر الزمان فرح فرحًا شديدًا، ثم خرج وجلس على كرسى مملكته وأحضر جميع الوزراء والأمراء والحجاب وأرباب الدولة وأخبرهم بقصة قمر الزمان وزوجته الملكة بدور من الأول إلى الآخر، وأنه يريد أن يزوج ابنته حياة النفوس لقمر الزمان ويجعله سلطانًا عليهم عوضًا عن زوجته الملكة بدور، فقالوا جميعًا: «حيث كان قمر الزمان هو زوج الملكة بدور التى كانت سلطانًا علينا قبله ونحن نظن أنها صهر ملكنا أرمانوس فكلنا نرضاه سلطانًا علينا ونكون له خدمًا ولا نخرج عن طاعته»، ففرح الملك أرمانوس بذلك فرحًا شديدًا.

ثم أحضر الملك أرمانوس القضاة والشهود ورؤساء الدولة وعقد عقد قمر الزمان على ابنته الملكة حياة النفوس، ثم إنه أقام الأفراح وأولم الولائم الفاخرة وخلع الخلع السنية على جميع الأمراء ورؤساء العساكر وتصدق على الفقراء والمساكين وأطلق جميع المحابيس، واستبشر العالم بسلطنة الملك قمر الزمان وصاروا يدعون له بدوام العز والإقبال والسعادة والإجلال. ثم إن قمر الزمان لما صار سلطانًا عليهم أزال المكوس، وأطلق من بقى فى الحبوس، وسار فيهم سيرة حميدة وأقام مع زوجته على هناء وسرور، ووفاء وحبور ولم يزل على ذلك مدة من الزمان، وقد انجلت عنه الهموم والأحزان، ونسى أباه الملك شهرمان، وما كان له عنده من عز وسلطان، حتى رزقه الله تعالى من زوجتيه بولدين ذكرين مثل القمرين النيرين، أكبرهما من الملكة بدور اسمه الملك الأمجد، وأصغرهما من الملكة حياة النفوس واسمه الملك الأسعد، وكان الأسعد أجمل من أخيه الأمجد.

ثم إن الأمجد والأسعد تربيا فى العز والدلال، والأدب والكمال، وتعلما الخط والعلم والسياسة والفروسية حتى صارا فى غاية الكمال، ونهاية الحسن والجمال، وافتتن بهما النساء والرجال، وصار لهما من العمر نحو سبعة عشر عامًا، وهما متلازمان فيأكلان سويا ويشربان سويا ولا يفترقان عن بعضهما ساعة من الساعات، ولا وقتًا من الأوقات، وجميع الناس تحسدهما على ذلك، ولما بلغا مبلغ الرجال، واتصفا بالكمال، صار أبوهما إذا سافر يجلسهما على التعاقب فى مجلس الحكم فيحكم كل واحد منهما يومًا بين الناس.

واتفق بالقدر المبرم، والقضاء المحتم، إن محبة الأسعد الذى هو ابن حياة النفوس وقعت فى قلب الملكة بدور زوجة أبيه، وأن محبة الأمجد الذى هو ابن الملكة بدور وقعت فى قلب حياة النفوس زوجة أبيه، فصارت كل واحدة من المرأتين تلاعب ابن ضرتها، وإذا رأت ذلك أمه تظن أنه من الشفقة ومحبة الأمهات لأولادها، وتمكن العشق من قلوب المرأتين وافتتنتا بالولدين، فصارت كل واحدة منهما إذا دخل عليها ابن ضرتها تود أن لا يفارقها، ولما طال عليهما المطال، ولم تجدا سبيلاً إلى الوصال، امتنعتا من الشراب والطعام، وهجرتا لذيذ المنام، ثم إن الملك توجه إلى الصيد والقنص وأمر ولديه أن يجلسا فى موضعه للحكم كل واحد منهما يومًا على عادتهما.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية الأمجد والأسعد ولدى قمر الزمان

قالت شهرزاد: فجلس للحكم فى اليوم الأول الأمجد ابنُ الملكة بدور فأمر ونهى وولى وعزل وأعطى ومنع، فكتبت له الملكة حياة النفوس أم الأسعد مكتوبًا تستعطفه فيه وتوضح له أنها متعلقة به ومتعشقة فيه، وتكشف له الغطاء وتعلمه أنها تريد وصاله.

ثم إن الملكة حياة النفوس لفّت تلك الورقة فى رقعة من غالى الحرير مضمخة بالمسك والعنبر، ووضعت معها جدائل شعرها التى تستغرق الأموال بسعرها، ثم لفتها بمنديل وأعطتها لخادم وأمرته أن يوصلها إلى الملك الأمجد، فسار ذلك الخادم وهو لا يعلم ما خفى له فى

الغيب، وعلام الغيوب يدبر الأمور كيف يشاء، فلما دخل الخادم على الملك الأمجد قبل الأرض بين يديه وناوله المنديل وبلغه الرسالة، فتناول الملك الأمجد المنديل من الخادم وفتحه فرأى الورقة ففتحها وقرأها، فلما فهم معناها علم أن امرأة أبيه فى عينها الخيانة وقد خانت أباه الملك قمر الزمان فى نفسها فغضب غضبًا شديدًا وذم النساء على فعلهنّ وقال: «لعن الله النساء الخائنات الناقصات عقلاً ودينًا».

ثم إنه جرد سيفه وقال للخادم: «ويلك يا عبد السوء أتحمل المراسلة المشتملة على الخيانة من زوجة سيدك، والله إنه لا خير فيك يا أسود اللون والصحيفة، يا قبيح المنظر والطبيعة السخيفة»، ثم ضربه بالسيف فى عنقه فعزل رأسه عن جثته وطوى المنديل على ما فيه ووضعه فى جيبه، ثم دخل على أمه وأعلمها بما جرى وسبَّها وشتمها، وقال «كلكن انحس من بعضكن، والله العظيم لولا أنى أخاف إساءة الأدب فى حق والدى قمر الزمان وأخى الملك الأسعد لأدخلن عليها وأضربن عنقها كما ضربت عنق خادمها»، ثم إنه خرج من عند أمه الملكة بدور وهو فى غاية الغيظ، فلما بلغ الملكة حياة النفوس زوجة أبيه ما فعل بخادمها سبَّته ودعت عليه وأضمرت له المكر، فبات الملك الأمجد فى تلك الليلة ضعيفًا من الغيظ والقهر والفكر ولم يلذ له أكل ولا شرب ولا منام.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: فلما أصبح الصباح خرج أخوه الملك الأسعد وجلس فى مجلس أبيه الملك قمر الزمان ليحكم بين الناس وقد أصبحت أمه حياة النفوس ضعيفة بسبب ما سمعته عن الملك الأمجد من قتله للخادم، ثم إن الملك الأسعد لما جلس للحكم فى ذلك اليوم حكم وعدل وولى وعزل وأمر ونهى وأعطى ووهب، ولم يزل جالسًا فى مجلس الحكم إلى قرب العصر، ثم إن الملكة بدور أم الملك الأمجد أرسلت إلى عجوز من العجائز الماكرات وأطلعتها على ما فى قلبها وأخذت ورقة لتكتب فيها مراسلة للملك الأسعد وتشكو إليه كثرة محبتها له ووجدها به.

ثم إن الملكة بدور ضمخت ورقة الرسالة بالمسك الأذفر ولفتها فى جدائل شعرها وهى من الحرير العراقى وشراريبها من قضبان الزمرد الأخضر مرصعة بالدر والجوهر ثم سلمتها إلى العجوز وأمرتها أن تعطيها للملك الأسعد ابن زوجها الملك قمر الزمان، فذهبت العجوز من أجل خاطرها ودخلت على الملك الأسعد من وقتها وساعتها وكان فى خلوة عند دخولها، فناولته الورقة بما فيها وقد وقفت ساعة زمانية تنتظر رد الجواب.

فعند ذلك قرأ الملك الأسعد الورقة وفهم ما فيها، ثم بعد ذلك لف الورقة فى الجدائل ووضعها فى جيبه وغضب غضبًا شديدًا ما عليه من مزيد ولعن النساء الخائنات ثم إنه نهض واستل السيف من غمده وضرب رقبة العجوز فعزل رأسها عن جثتها.

وبعد ذلك قام وتمشى حتى دخل على أمه حياة النفوس فوجدها راقدة فى الفراش ضعيفة بسبب ما جرى لها من الملك الأمجد فشتمها الملك الأسعد ولعنها، ثم خرج من عندها

فاجتمع بأخيه الملك الأمجد، وحكى له جميع ما جرى له من أمه الملكة بدور، وأخبره بأنه قتل العجوز التى جاءت إليه بالرسالة، ثم قال له: «والله يا أخى لولا حيائى منك لكنت دخلت فى هذه الساعة إليها وقطعت رأسها من بين كتفيها».

فقال له أخوه الملك الأمجد: «والله، يا أخى إنه قد جرى لى بالأمس لما جلست على كرسى المملكة مثل ما جرى لك فى هذا اليوم فإن أمك أرسلت إلى بمثل مضمون هذا الكلام»، ثم أخبره بجميع ما جرى له مع أمه الملكة حياة النفوس وقال له: «والله يا أخى لولا حيائى منك لدخلت إليها وفعلت بها مثل ما فعلت بالخادم»، ثم إنهما باتا يتحدثان بقية تلك الليلة ويلعنان النساء الخائنات، ثم تواصيا بكتمان هذا الأمر لئلا يسمع أبوهما الملك قمر الزمان فيقتل المرأتين، ولم يزالا فى غم تلك الليلة إلى الصباح.

فلما أصبح الصباح أقبل الملك بجيشه من الصيد وجلس ساعة على كرسى المملكة ثم صعد إلى قصره وصرف الأمراء إلى حال سبيلهم، وقام ودخل القصر فوجد زوجتيه راقدتين على الفراش وهما فى غاية الضعف وقد عملتا لولديهما مكيدة واتفقتا على تضييع أرواحهما لأنهما قد فضحتا أنفسهما معهما وقد خشيتا أن تصيرا تحت ذلتهما.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما رآهما الملك على تلك الحالة قال لهما: «ما لكما؟» فقامتا إليه وقبّلتا يديه وعكستا عليه المسألة وقالتا له: «اعلم أيها الملك أن ولديك اللذين قد تربيا فى نعمتك قد خاناك فى زوجتيك وأركباك العار»، فلما سمع قمر الزمان من نسائه هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلامًا واغتاظ غيظًا شديدًا حتى طار عقله من شدة الغيظ وقال لنسائه: «أوضحا لى هذه القضية» فقالت له الملكة بدور: «اعلم يا ملك الزمان أن ولدك الأسعد ابن حياة النفوس له مدة من الأيام وهو يراسلنى ويكاتبنى وأنا أنهه عن ذلك ولم ينته، فلما سافرت أنت هجم على وطلب منى القبيح والسيف فى يده مسلول، فضرب به خادمى فقتله»، ثم إنها أخذت فى البكاء والنحيب وقالت له: «إن لم تخلص حقى منه أيها الملك قتلت نفسى بيدى وليس لى حاجة بالحياة فى الدنيا بعد هذا الطلب القبيح».

وأخبرته حياة النفوس وهى مفجوعة بالبكاء أيضًا بمثل ما أخبرته به ضرَّتها بدور وقالت له: «إن لم تأخذ حقى منه أعلمت أبى الملك أرمانوس بذلك»، ثم إن المرأتين بكتا قدام زوجهما الملك قمر الزمان بكاءً شديدًا، فلما رأى الملك بكاء زوجتيه الاثنتين وسمع كلامهما اعتقد أن كلامهما صدق فغضب غضبًا شديدًا ما عليه من مزيد فقام وهمَّ أن يهجم على ولديه الاثنين ليقتلهما، فلقيه عمه الملك أرمانوس وقد كان داخلاً فى تلك الساعة ليسلم عليه لما علم أنه قد أتى من الصيد، فرآه والسيف مشهور فى يده والدم يقطر من أنوفه من شدة غيظه، فسأله عمّا به، فأخبره بجميع ما جرى من ولديه الأمجد والأسعد ثم قال له: «وها أنا ذاهب لأقتلهما أقبح قتلة وأمثل بهما أقبح مثلة».

فقال له عمه الملك أرمانوس وقد اغتاظ عليهما أيضًا: «ونعم ما تفعل يا ولدى فلا بارك

الله فيهما ولا فى أولاد تفعل هذه الفعال فى حق أبيهما، ولكن يا ولدى صاحب المثل يقول: من لم ينظر فى العواقب، فما الدهر له بصاحب، وهما ولداك على كل حال وينبغى أن لا تقتلهما بيدك فتشرب غصتهما وتندم بعد ذلك على قتلهما حيث لا ينفعك الندم، بل أرسلهما مع أحد من المماليك ليقتلهما فى البرية وهما غائبان عن عينيك، كما قيل فى المثل: بعدى عن حبيبى أجمل وأحسن، عين لا تنظر وقلب لا يحزن».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية الأمجد والأسعد مع الخازندار

قالت شهرزاد: فلما سمع قمر الزمان من عمه الملك أرمانوس هذا الكلام رآه صوابًا، فأغمد سيفه ورجع وجلس على سرير مملكته ودعا خازنداره وكان شيخًا كبيرًا عارفًا بالأمور وتقلبات الدهور وقال له: «ادخل إلى ولدىَّ الأمجد والأسعد وكتفهما كتافًا جيدًا واجعلهما فى صندوقين واحملهما على بغل واركب أنت واخرج بهما إلى وسط البرية واذبحهما واملأ لى قنينتين من دمهما وائتنى بهما عاجلاً»، فقال له الخازندار: «سمعًا وطاعة». ثم نهض الخازندار من وقته وساعته وتوجه إلى الأسعد والأمجد فصادفهما فى الطريق وهما خارجان من دهليز القصر وقد لبسا قماشهما وأفخر ثيابهما وأرادا التوجه إلى والدهما الملك قمر الزمان ليسلما عليه ويهنئاه بالسلامة فى قدومه من الصيد، فلما رآهما الخازندار قبض عليهما وقال لهما: «يا ولدىَّ اعلما أننى عبد مأمور وأنَّ أباكما قد أمرنى بأمر فهل أنتما طائعان لأمره؟» قالا: «نعم»، فعند ذلك تقدم إليهما الخازندار وكتفهما ووضعهما فى صندوقين وحملهما على ظهر بغل وخرج بهما من المدينة.

ولم يزل سائرًا بهما فى البرية إلى قريب الظهر، فأنزلهما فى مكان قفر موحش ونزل عن فرسه وحطَّ الصندوقين عن ظهر البغل وفتحهما وأخرج الأمجد والأسعد منهما، فلما نظر إليهما بكى بكاءً شديدًا على حسنهما وجمالهما، وبعد ذلك جرد سيفه وقال لهما: «والله يا سيدىَّ إنه يعز على أن أفعل بكما فعلاً قبيحًا ولكن أنا معذور فى هذه الأمور لأنى عبدٌ مأمور، وقد أمرنى والدكما الملك قمر الزمان بضرب رقابكما».

فقالا له: «أيها الأمير افعل ما أمرك به الملك فنحن صابران على ما قدره الله عز وجل علينا وأنت فى حل من دمائنا»، ثم أنهما تعانقا وودعا بعضهما وقال الأسعد للخازندار: «بالله عليك يا عم لا تجرعنى غصة أخى ولا تسقنى حسرته بل اقتلنى أنا قبله ليكون ذلك أهون علىَّ»، وقال الأمجد للخازندار مثل ما قال الأسعد واستعطف الخازندار أن يقتله قبل أخيه بقوله: «إن أخى أصغر منى فلا تذقنى لوعته».

ثم بكى كل منهما بكاءً شديدًا ما عليه من مزيد وبكى الخازندار لبكائهما.

ثم إن الأخوين تعانقا وودعا بعضهما قال أحدهما للآخر: «إن هذا كله من كيد الخائنتين أمى وأمك، وهذا جزاء ماجرى منى فى حق أمك وجزاء ما جرى منك فى حق أمى،

فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، إنا لله وإنا إليه راجعون». ثم إن الأسعد عانق أخاه وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

يا من إليه المشتكى والمفزع ... أنت المعد لكل ما يتوقع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة ... ولئن رددت فأى باب أقرع
يا من خزائن فضله فى قول كن ... امنن فإن الخير عندك أجمع

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما سمع الأمجد بكاء أخيه بكى وضمه إلى صدره وأنشد هذين البيتين:

يا من أياديه عندى غير واحدة ... ومن مواهبه تنبو عن العدد
ما نابنى من زمانى قط نائبة ... إلا وجدتك فيها آخذًا بيدى

ثم قال الأمجد للخازندار: «سألتك بالواحد القهار، الملك الستار، أن تقتلنى قبل أخى الأسعد، لعل نار قلبى تخمد، ولا تدعها تتوقد»، فبكى الأسعد وقال: «ما يقتل قبل إلا أنا» فقال الأمجد «الرأى أن تعتنقنى وأعتنقك حتى ينزل السيف علينا فيقتلنا دفعة واحدة، فلما تعانق الاثنان وجهًا لوجه شدَّهما الخازندار وربطهما بالحبال وهو يبكى، ثم جرَّد سيفه وقال: «والله يا سيدىَّ إنه يعز على قتلكما فهل لكما من حاجة فاقضيها أو وصية فأنفذها أو رسالة فأبلغها؟». فقال الأمجد: «ما لنا حاجة، وأما من جهة الوصية فإنى أوصيك أن تجعل أخى الأسعد من تحت وأنا من فوق لأجل أن تقع علىّ الضربة أولاً، فإذا فرغت من قتلنا ووصلت إلى الملك وقال لك ما سمعت منهما قبل موتهما فقل له: إن ولديك يقرآنك السلام ويقولان لك: إنك لا تعلم هل هما بريئان أو مذنبان، وقد قتلتهما وما تحققت ذنبهما وما نظرت فى حالهما»، ثم أنشده هذين البيتين:

إن النساء شياطين خلقن لنا ... أعوذ بالله من كيد الشياطين
فهنَّ أصل البليَّات التى ظهرت ... بين البرية فى الدنيا وفى الدين

ثم قال الأمجد: «ما نريد منك إلا أن تبلغه هذين البيتين اللذين سمعتهما، وأسألك بالله أن تطول بالك علينا حتى أنشد لأخى هذين البيتين، ثم بكى بكاءً شديدًا وقال:

فى الذاهبين الأولين ... من الملوك لنا بصائر
كم قد مضى فى ذا الطريق ... من الأكابر والأصاغر

فلما سمع الخازندار هذا الكلام بكى بكاءً شديدًا، وأما الأسعد فأنشد هذه الأبيات:

الدهر يفجع بعد العين بالأثر ... فما البكاء على الأشباح والصور
ما لليالى أقال الله عثرتنا ... من الليالى وخانتها يد الغير
قد أضمرت كيدها لابن الزبير وما ... رعت لياذه بالبيت والحجر
وليتها إذ فدت عمرًا بخارجة ... فدت عليا بمن شاءت من البشر.

ثم خضب خده بدمعه المدرار، وأنشد هذه الأشعار

إن الليالي والأيام قد طبعت على الخداع وفيها المكر والحيل
سراب كل يباب عندها شنب وهول كل ظلام عندها كحل
ذنبي إلى الدهر فليكره سجيته ذنب الحسام إذا ما أحجم البطل

ثم صعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

يا طالب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة الأكدار
دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدًا تبا لها من دار
غاراتها لا تنقضي وأسيرها لا يفتدي بجلائل الأخطار
كم مذ دهي بغرورها حتى بدا متمردًا متجاوز المقدار
قلبت له ظهر المجن وأولغت فيه المدى ونزت لأخذ الثار
واعلم بأن خطوبها تفجع ولو طال المدى وونت سرى الأقدار
فاريأ بعمرك أن يمر مضيعا فيها سدى من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى ورفاهة الأسرار

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما فرغ الأسعد من شعره اعتنق أخاه الأمجد حتى صارا كأنهما شخص واحد. وسل الخازندار سيفه وهم أن يضربهما وإذا بفرسه جفل في البر وكان يساوي ألف دينار، وعليه سرج عظيم يساوي جملة من المال، فألقى السيف من يده وذهب وراء فرسه وقد التهب فؤاده، وما زال يجري خلفه ليمسكه حتى دخل في غابة، فدخل وراءه في تلك الغابة. فأخذ الجواد يركض في وسط الغابة ويدق الأرض برجليه حتى علا الغبار وارتفع وثار. وأما الفرس فإنه شخر ونخر، وصهل وزمجر، وكان في تلك الغابة أسد عظيم الخطر، قبيح المنظر، عيونه ترمي بالشرر، له وجه عبوس، وشكل يهول النفوس. فالتفت الخازندار فرأى ذلك الأسد قاصدًا إليه. فلم يجد له مهربًا من يديه، ولم يكن معه سيف، فقال في نفسه: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما حصل لي هذه القضية إلا بذنب الأمجد والأسعد، وإن هذه السفرة مشؤومة من أولها».

ثم إن الأمجد والأسعد اشتد عليهما الحر فعطشا عطشًا شديدًا حتى خرجت ألسنتهما واستغاثا من العطش فلم يغثهما أحد فقالا: «يا ليتنا كنا قتلنا واسترحنا من هذا، ولكن ما ندري أين جفل الحصان حتى ذهب الخازندار وراءه وخلانا مكتفين، فلو جاءنا وقتلنا كان ذلك أريح لنا من مقاساة هذا العذاب». فقال الأسعد: «يا أخي اصبر فسوف يأتينا فرج الله سبحانه وتعالى، فإن الحصان ما جفل إلا لأجل لطف الله بنا، ولكن ما يؤلمنا غير هذا العطش». ثم هز نفسه وتحرك يمينًا وشمالاً فانحل كتافه، فقام وحل كتاف أخيه ثم أخذ سيف الأمير وقال لأخيه: «والله ما نروح من هنا حتى نكشف خبره ونعرف ما جرى له، وشرعا يقتصان الأثر فأدى بهما إلى الغابة فقالا لبعضهما: «إن الحصان والخازندار ما تجاوزا هذه

الغابة». فقال الأسعد لأخيه: «قف هنا حتى أدخل الغابة وأنظرها». فقال له الأمجد: «ما أخليك تدخل فيها وحدك وما ندخل إلا جميعًا فإن سلمنا سلمنا سواءً وإن عطبنا عطبنا سواءً».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فدخل الاثنان فوجدا الأسد قد هجم على الخازندار وهو بين يديه كأنه عصفور، ولكنه صار يبتهل إلى الله ويشير إلى نحو السماء. فلما رآه الأمجد أخذ السيف وهجم على الأسد وضربه بالسيف بين عينيه فقتله ووقع الأسد مطروحًا على الأرض، فنهض الأمير وهو متعجب من هذا الأمر فرأى الأمجد والأسعد ولدى سيده واقفين. فترامى على أقدامهما وقال لهما: «والله يا سيديّ ما يحل لى أن أقتلكما فلا كان من يقتلكما، فبروحى أفديكما».

ثم نهض الخازندار من وقته وساعته واعتنقهما وسألهما عن سبب فك وثاقهما وقدومهما، فأخبراه أنهما عطشا وانحل وثاق أحدهما ففك الآخر بسبب خلوص نيتهما ثم أنهما اقتصا الأثر حتى وصلا إليه. فلما سمع كلامهما شكرهما على فعلهما وخرج معهما إلى ظاهر الغابة. فلما صاروا فى ظاهر الغابة قالا له: «يا عم افعل ما أمرك به أبونا».

فقال الخازندار: «حاشى لله أن أقربكما بضرر، ولكن اعلما أنى أريد أن أنزع ثيابكما وألبسكما ثيابى وأملأ قنينتين من دم الأسد، ثم أروح إلى الملك وأقول له: إنى قتلتهما، وأما أنتما فسيحا فى البلاد، وأرض الله واسعة، واعلما يا سيدى أن فراقكما يعز على». ثم بكى كل من الخازندار والغلامين. وقد خلعا ثيابهما وألبسهما ثيابه وراح إلى الملك وقد ربط قماش كل واحد منهما فى بقجة معه وملأ القنينتين من دم الأسد وجعل البقجتين قدامه على ظهر الجواد. ثم ودعهما وسار متوجهًا إلى المدينة.

ولم يزل سائرًا حتى دخل على الملك وقبل الأرض بين يديه. فرآه الملك متغير الوجه وذلك مما جرى له من الأسد، فظن أن ذلك حصل له من قتل ولديه. ففرح وقال له: «هل قضيت الشغل؟». قال: «نعم يا مولانا». ثم ناوله البقجتين اللتين فيهما الثياب والقنينتين الممتلئتين بالدم. فقال له الملك: «ماذا رأيت منهما وهل أوصياك بشىء؟».

قال: «وجدتهما صابرين محتسبين بمانزل بهما، ثم قالا لى: إن أبانا معذور فاقرئه منا السلام وقل له: أنت فى حل من قتلنا ومن دمائنا. ولكن نوصيك أن تبلغه هذين البيتين:

إن النساء شياطين خلقن لنا أعوذ بالله من كيد الشياطين
فهنّ أصل البليّات التى ظهرت بين البرية فى الدنيا وفى الدين

فلما سمع الملك من الخازندار هذا الكلام أطرق برأسه إلى الأرض مليًا وعلم أن كلام ولديه هذا يدل على أنهما قد قتلا ظلمًا. ثم تفكر فى مكر النساء ودواهيهن وأخذ البقجتين وفتحهما وصار يقلب ثياب أولاده ويبكى. فلما فتح ثياب ولده الأسعد وجد فى جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته بدور وفيها جدائل شعرها، ففتح الورقة وقرأها وفهم معناها، فعلم أن ولده

الأسعد مظلوم، ثم فتش رزمة الأمجد فوجد فى جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته حياة النفوس وفيها جدائل شعرها، ففتح الورقة وقرأها، فعلم أنه مظلوم، فدق يدًا على يد وقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم قد قتلت أولادى ظلمًا». ثم صار يلطم على وجهه ويقول: «وا ولداه، وا طول حزناه». وأمر ببناء قبرين فى بيت واحد، وسماه بيت الأحزان. وقد كتب عليهما اسمى ولديه وترامى على قبر الأمجد وبكى. وأنشد:

يا قمرًا قد غاب تحت الثرى ... بكت عليه الأنجم الزاهره
منعت عينى عنك من غيرتى ... عليك حتى صرت للآخره
وأغرقت بالسهد فى دمعها ... وإننى من ذاك بالساهره

ثم ترامى على قبر الأسعد وبكى، وأن وأشتكى، وأفاض العبرات، وأنشد:

قد كنت أهوى أن أشاطرك الردى ... لكن أراد الله غير مرادى
سودت ما بين الفضاء وناظرى ... ومحوت من عينىَّ كل سواد
لا ينفد الدمع الذى أبكى به ... إن الفؤاد له من الإمداد
أعزز على بأن أراك بموضع ... متشابه الأوغاد والأمجاد

ثم زاد الملك فى البكاء والأنين. ولما فرغ من بكائه وشعره هجر الأحباب والخلان، وانقطع فى بيت الأحزان، وصار يبكى فيه على أولاده، وقد هجر نساءه وأصحابه وأصدقاءه.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية سير الأمجد والأسعد فى الجبل

قالت شهرزاد: هذا ما كان من أمره. وأما ما كان من أمر الأمجد والأسعد فإنهما لم يزالا سائرين فى البرية وهما يأكلان من نبات الأرض ويشربان من متحصلات الأمطار مدة شهر كامل حتى انتهى بهما المسير إلى جبل الصوان الأسود لا يعلم أين منتهاه. ثم نظرا عند ذلك الجبل طريقين: طريق تشقه من وسطه وطريق صاعدة إلى أعلاه. فسلكا الطريق التى فى أعلى الجبل واستمرا سائرين فيها خمسة أيام. فلم يريا له منتهى وقد حصل لهما الإعياء من التعب وليسا معتادين على المشى فى جبل ولا فى غيره.

ولما يئسا من الوصول إلى منتهاه رجعا وسلكا الطريق التى فى وسط الجبل ومشيا فيها طول ذلك النهار إلى الليل. فتعب الأسعد من كثرة السير، فقال لأخيه: «يا أخى أنا ما بقيت أقدر على المشى فإنى ضعفت جدا». فقال له الأمجد: «يا أخى شد روحك لعل الله يفرج عنا». ثم إنهما مشيا ساعة من الليل وقد أظلم عليهما الظلام وتعب الأسعد تعبًا شديدًا ما عليه من مزيد، وقال: «يا أخى إنى تعبت من المشى». ورمى نفسه على الأرض وبكى، فحمله أخوه الأمجد ومشى به وصار ساعة يحمله ويمشى وساعةً يقعد ويستريح إلى أن طلع الصباح. فطلع هو وإياه فوق الجبل فوجدا عين ماء يجرى وعندها شجرة رمان ومحراب، فما صدقا أنهما يريان ذلك. ثم جلسا عند تلك العين وشربا من مائها وأكلا من رمان تلك الشجرة وناما فى ذلك الموضع حتى طلعت الشمس فجلسا واغتسلا من العين وأكلا من ذلك الرمان الذى فى

الشجرة وناما إلى العصر، وهما أن يسيرا فما قدر الأسعد أن يسير وقد ورمت رجلاه. فأقاما هناك ثلاثة أيام حتى استراحا.

ثم سارا فى الجبل مدة أيام وليال حتى هلكا وتعبا واشتد عليهما العطش، فلاحت لهما مدينة من بعيد ففرحا وسافرا حتى وصلا إليها، فلما قربا منها شكرا الله تعالى، فقال الأمجد للأسعد: «يا أخى اجلس هنا وأنا أمضى وأسير إلى هذه المدينة فانظر ما هى ولمن هى وأين نحن من أرض الله الواسعة ونعرف الذى قطعناه من البلاد فى عرض هذا الجبل، ولو أننا مشينا فى لحفه ما كنا وصلنا إلى هذه المدينة فى سنة كاملة. فالحمد لله على السلامة».

فقال له الأسعد: «والله يا أخى ما ينزل ويذهب إلى هذه المدينة غيرى وأنا فداؤك، فإنك إن تركتنى ونزلت أنت الساعة وغبت عنى حسبت أنا ألف حساب واستغرقتنى الأفكار من أجلك وليس لى قدرة على بعدك عنى». فقال له الأمجد: «انزل ولا تبطىء».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

حكاية الأسعد وبهرام المجوسى

قالت شهرزاد: فنزل الأسعد من الجبل وأخذ معه دنانير وخلى أخاه ينتظر، وسار ولم يزل ماشيًا فى أسفل الجبل حتى دخل المدينة وشق أزقتها فلقيه فى طريقه شيخ كبير طاعن فى السن وقد نزلت لحيته على صدره وافترقت فرقتين. وكان بيده عكاز وعليه ثياب فاخرة وعلى رأسه عمامة كبيرة حمراء. فلما رآه الأسعد تعجب من لبسه وزيه وتقدم إليه وسلم عليه وقال له: «أين طريق السوق يا سيدى؟» فلما سمع الشيخ كلامه تبسم فى وجهه وقال له: «يا ولدى كأنك غريب». فقال له الأسعد: «نعم أنا غريب».

فعند ذلك قال له الشيخ: «قد آنست ديارنا يا ولدى وأوحشت ديار أهلك، فما الذى تريد من السوق؟» فقال الأسعد: «يا عم إن لى أخًا تركته فى الجبل ونحن مسافران من بلاد بعيدة. ولنا فى السفر مدة ثلاثة أشهر وقد أشرفنا على هذه المدينة، فخليت أخى الأكبر فوق الجبل وجئت إلى ههنا لأشترى طعامًا وشيئًا وأعود به إلى أخى من أجل أن نقتات به». فقال له: «يا ولدى أبشر بكل خير واعلم أننى عملت وليمة وعندى ضيوف كثيرة وجمعت فيها من أطيب الطعام وأحسنه ما تشتهيه النفوس، فهل لك أن تسير معى إلى مكانى فأعطيك ما تريد ولا آخذ منك شيئًا ولا ثمنًا وأخبرك بأحوال هذه المدينة. والحمد لله يا ولدى لأنى صادفتك ولم يصادفك أحد غيرى». فقال الأسعد: «افعل ما أنت أهله وعجل، فإن أخى ينتظرنى وخاطره كله عندى».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



قالت شهرزاد: فأخذ الشيخ بيد الأسعد ورجع به إلى زقاق ضيق وصار الشيخ يتبسم فى وجهه ويقول له: «سبحان من نجاك من أهل هذه المدينة». ولم يزل ماشيًا به حتى دخل دارًا واسعة وفيها قاعة وإذا بوسطها أربعون شيخًا طاعنون فى السن ومصطفون حلقة. وكان

فى وسطهم نار موقدة وهم جالسون حولها يعبدونها ويسجدون لها. فلما رأى ذلك الأسعد اقشعر بدنه ولم يعلم ما خبرهم. فنادى الشيخ أولئك الجماعة: «يا مشايخ النار، ما أبركه من نهار». ثم نادى قائلاً: «يا غضبان». فخرج له عبد أسود طويل القامة وصورته هائلة بوجه أعبس وأنف أفطس. ثم أشار إلى العبد فكتف الأسعد وشد وثاقه. وبعد ذلك قال له الشيخ: «انزل به إلى القاعة التى تحت الأرض واتركه هناك وقل للجارية الفلانية تتولى عقوبته بالليل والنهار». فأخذه العبد وأنزله تلك القاعة وسلمه إلى الجارية فصارت تتولى عقوبته وتطعمه رغيفًا واحدًا باكر النهار ورغيفا واحدا فى العشاء وكوز ماء مالح فى الغداة ومثله فى العشاء. ثم إن المشايخ قالوا لبعضهم: «إذا أتى أوان عيد النار نذبحه على الجبل ونتقرب به إلى النار».

ثم إن الجارية نزلت إليه وضربته ضربًا وجيعًا حتى سالت الدماء من أجنابه وأغمى عليه. ثم حطت عند رأسه رغيفًا وكوز ماء مالح وراحت وخلته. فاستفاق الأسعد فى نصف الليل فوجد روحه مقيدًا مضروبًا وقد آلمه الضرب. فبكى بكاءً شديدًا وتذكر ما كان فيه من العز والسعادة والملك والسيادة وفرقة أبيه والملك الذى كان فيه، فبكى وصعد الظفرات، وأنشد هذه الأبيات:

قفوا برسوم الدار واستخبروا عنا ... ولا تحسبونا فى الديار كما كنا
لقد فرق الدهر المشتت شملنا ... وما تشفى أكباد حسادنا منا
تولت عذابى بالسياط لئيمة ... وقد ملأت منى جوانحها ضغنا
عسى ولعل الله يجمع شملنا ... ويدفع بالتنكيل أعداءنا عنا

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما فرغ الأسعد من شعره مد يده فوق رأسه فوجد رغيفًا وكوز ماء مالح فأكل قليلاً ليسد رمقه وشرب قليلاً من الماء، ولم يزل سهران إلى الصباح. فلما أصبح الصباح نزلت إليه الجارية وغيرت أثوابه وكانت قد انغمرت بالدم والتصقت بجلده فخرج جلده مع القميص فصرخ وتأوه وقال: «يا مولاى إن كان فى هذا رضاك فزدنى منه. يا رب إنك لست غافلاً عمن ظلمنى فخذ حقى منه». ثم صعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

صبرًا لحكمك يا إلهى فى القضا ... أنا صابر إن كان فيه لك الرضا
صبرًا لما قدرته يا سيدى ... صبرا ولو ألقيت فى نار الغضا
جاروا على بظلمهم وقد اعتدوا ... فلعل بالحسنات أن تتعوضا
حاشاك تغفل سيدى عن ظالم ... فوسيلتى بك أنت يا رب القضا
كن عن أمورك معرضا ... وكل الأمور إلى القضا
فلرب أمر مسخط ... لك فى عواقبه رضا
ولربما اتسع المضيق ... وربما ضاق الفضا
الله يفعل ما يشا ... ء فلا تكن متعرضا

وابشر بخير عاجل تنسى به ما قد مضى

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما فرغ من شعره نزلت عليه الجارية بالضرب حتى غشى عليه ورمت له رغيفًا وكوز ماء مالح وخرجت من عنده وخلته وحيدًا فريدًا حزينًا والدماء تسيل من جسمه وهو مقيد فى الحديد بعيد عن الأحباب. فبكى وتذكر أخاه والعز الذى كان فيه. وأن واشتكى. وسكب العبرات. وأنشد هذه الأبيات:

يا دهر مهلاً كم تجور وتعتدى ولكم بإخوانى تروح وتغتدى
ما آن أن ترثى لطول تشتتى وترق يا من قلبه كالجلمد
وأسأت أحبابى بما أشمت بى كل العداة بما صنعت من الردى
وقد اشتفى قلب العدو بما رأى من غربتى وصبابتى وتوحدى
لم يكفه ما حل بى من كربة وفراق أحباب وطرف أرمد
حتى بليت بضيق سجن ليس لى فيه أنيس غير عض باليد
ومدامع تهمى كفيض سحائب وغليل شوق ناره لم تخمد
وكآبة وصبابة وتذكر وتحسر وتنفس وتنهد
شوق أكابده وحزن متلف ووقعت فى وجد مقيم مقعد
لم ألق لى من عاطف ذى رحمة يحنو على بزورة المتورد
هل من صديق ذا وداد صادق يرثى لأسقامى وطول تسهدى
أشكو إليه ما أكابده أسى والطرف منى ساهر لم يرقد
ويطول ليلى فى العذاب لأننى أصلى بنار الهم ذات توقد
البق والبرغوث قد شربا دمى شرب الطلا من كف ألمى أغيد
والجسم بين القمل منى قد حكى مال اليتيم بكف قاض ملحد
وسكنت فى قبر ثلاثة أذرع وغدوت بين مقيد ومقصد
فمدامتى دمعى وقيدى مطربى والفكر نقلى والهموم تمهدى

فلما فرغ من شعره ونظمه تذكر ما كان فيه ، وما حصل له من فراق أخيه.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الأمجد والخياط

قالت شهرزاد: هذا ما كان من أمره. وأما ما كان من أمر أخيه الأمجد فإنه مكث ينتظر أخاه الأسعد إلى نصف النهار فما عاد إليه، فخفق فؤاده واشتد به ألم الفراق، وأفاض دمعه المهراق، وبكى ونادي: «وا أخياه وا رفيقاه وا حسرتاه ما كان أخوفنى من الفراق».

ثم نزل من فوق الجبل ودمعه سايل على خديه ودخل المدينة. ولم يزل ماشيا فيها حتى وصل إلى السوق وسأل الناس عن اسم المدينة وعن أهلها، فقالوا له: هذه تسمى مدينة المجوس وأهلها يعبدون النار دون الملك الجبار». ثم سأل عن مدينة الأبنوس، فقالوا له: «إن المسافة التى بيننا وبينها من البر سنة ومن البحر ستة أشهر وملكها يقال له أرمانوس وقد صاهر اليوم فيها سلطانًا وجعله مكانه، وذلك الملك يقال له قمر الزمان، وهو صاحب عدل وإحسان، وجود وأمان». فلما سمع الأمجد بذكر أبيه بكى وأنَّ واشتكى، وصار لا يعلم أين يتوجه. وقد اشترى معه شيئًا للأكل ودخل إلى موضع يتوارى فيه، ثم قعد وأراد أن يأكل فتذكر أخاه فبكى وما أكل إلا قدر سد الرمق غصبًا. ثم قام يمشى فى المدينة ليعلم خبر أخيه، فوجد رجلاً مسلمًا خياطًا فى دكان فجلس عنده، ثم بكى وحكى له قصته، فقال له الخياط: «إن كان وقع فى يد أحد من المجوس فما بقيت تراه إلا بعسر ولعل الله يجمع بينك وبينه». ثم قال له: «هل لك يا أخى أن تنزل عندى»؟ قال: «نعم» ففرح الخياط بذلك وأقام عنده أيامًا وهو يسليه ويصبره ويعلمه الخياطة حتى صار خياطًا ماهرًا.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية الأمجد والصبية وبهادر

قالت شهرزاد: فخرج يومًا إلى شاطىء البحر وغسل أثوابه ودخل الحمام ولبس ثيابًا نظيفة، ثم خرج من الحمام يتفرج فى المدينة فصادف فى طريقه امرأة ذات حسن وجمال، وقد واعتدال، ما لها فى الحسن مثال. فلما رأته طلبت منه الضيافة، فاستحى أن يردها، واستحى أن يذهب بها إلى بيت الخياط الذى هو معلمه. فمشى قدامها ومشت خلفه ولم يزل ماشيًا بها من زقاق إلى زقاق ومن موضع إلى موضع حتى تعبت الصبية. فقالت له: «يا سيدى أين دارك»؟ فقال لها: «ما بقى إلا شىء يسير».

ثم انعطف بها فى زقاق مليح ولم يزل ماشيًا فيه وهى خلفه حتى وصل إلى آخره، فوجده غير نافذ. فقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم». ثم التفت بعينيه فرأى فى صدر الزقاق بابًا كبيرًا بمصطبتين ولكنه مغلوق، فجلس الأمجد على واحدة وجلست الأخرى على واحدة. فقالت له: «ما الذى تنتظره»؟ فأطرق برأسه إلى الأرض مليا، ثم رفع رأسه وقال لها: «أنتظر مملوكى لأن المفتاح معه وكنت قد قلت له أن يهيىء لنا المأكول والمشروب مع أصناف المدام حتى أخرج من الحمام». ثم قال فى نفسه: «ربما يطول عليها المطال فتروح إلى حال سبيلها وتخلينى فى هذا المكان فأروح إلى حال سبيلى». فلما طال عليها الوقت قالت له: «يا سيدى إن المملوك قد أبطأ علينا ونحن قاعدون فى الزقاق». ثم قامت الصبية إلى الضبة بحجر. فقال الأمجد: «لا تعجلى واصبرى حتى يجىء المملوك». فلم تسمع كلامه بل ضربت الضبة بالحجر فقسمتها نصفين، فانفتح الباب، فقال لها: «وأى شىء خطر لك حتى تفعلى

هكذا»؟ فقالت له: «يوه يوه يا سيدى وأى شىء جرى أما هو بيتك وموضعك»؟ فقال: «نعم ولكن لا يحتاج إلى كسر الضبة». ثم إن الصبية دخلت البيت فبقى الأمجد متحيرًا فى نفسه خوفًا من أصحاب المنزل ولم يدر ماذا يصنع. فقالت له الصبية: «ألا تدخل»؟ فقال لها: «سمعًا وطاعة ولكن قد أبطأ على المملوك وما أدرى هل فعل شيئًا مما قلت له وأمرته به أم لا». ثم إنه دخل معها وهو فى غاية ما يكون من الخوف من أصحاب المنزل.

ولما دخل البيت وجد فيه قاعة مليحة بأربعة أواوين متقابلة، وفيها خزائن وسدلات مفروشات بالفرش والحرير والديباج، وفى وسط القاعة فسقية مثمنة مرصوص عليها أطباق مرصعة بفصوص الجواهر وهى مملوءة فاكهة ومشمومًا، وفى جانبها أوانى الشراب، وهناك شمعدان فيه شمعة مركبة والمكان ملآن بنفيس القماش وفيه صناديق وكراسى منصوبة وعلى كل كرسى بقجة وفوقها كيس ملآن دراهم وذهبًا ودنانير، والدار تشهد لصاحبها بالسعادة لأن أرضها مفروشة بالرخام.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما رأى الأمجد ذلك تحير فى أمره وقال فى نفسه: «قد راحت روحى، إنا لله وإنا إليه راجعون». وأما الصبية فإنها لما رأت ذلك المكان فرحت فرحًا شديدًا ما عليه من مزيد وقالت: «والله يا سيدى ما قصَّر مملوكك فإنه مسح المكان وطبخ الطعام وهيأ الفاكهة وقد جئت أنا فى أحسن الأوقات». فلم يلتفت إليها الأمجد لاشتغال قلبه بالخوف من أصحاب المكان، فقالت: «يوه يا سيدى ما لك واقفًا هكذا»؟ فضحك الأمجد عن قلب مملوء بالغيظ، ثم جلس وهو ينفخ وقال فى نفسه: «يا قتلة الشؤم إذا جاء صاحب المنزل».

وجلست الصبية والأمجد مهموم معبس يحسب فى نفسه ألف حساب ويقول: «لا بد أن يجىء صاحب هذه القاعة فأى شىء أقول له ولا بد أنه يقتلنى بلا شك وتروح روحى». ثم إن الصبية قامت وتشمرت وأخذت خوانًا وحطت عليه السفرة وأكلت وقالت للأمجد: «كل يا سيدى». فتقدم الأمجد ليأكل فما طاب له الأكل بل صار ينظر إلى ناحية الباب حتى أكلت الصبية وشبعت وقد رفعت الخوان وقدمت طبق الفاكهة وشرعت تتنقل. ثم قدمت المشروب وفتحت الجرة وملأت قدحا وناولته للأمجد، فأخذه منها وقال فى نفسه: «آه آه من صاحب هذه الدار إذا جاء ورآنى». وقد صارت عينه صوب الدهليز والقدح فى يده. فبينما هو كذلك وإذا بصاحب الدار قد جاء وكان مملوكًا من أكابر المدينة لأنه كان أمير آخور عند الملك وقد جعل تلك القاعة معدة لحظه لينشرح فيها صدره ويختلى فيها بمن يريده. وكان فى ذلك اليوم قد أرسل إلى صديق يجىء له وقد جهز له ذلك المكان، وكان اسم ذلك المملوك بهادر وكان سخى اليد صاحب جود وإحسان، وصدقات وامتنان.

فلما وصل إلى باب القاعة ورأى الباب مفتوحا دخل قليلاً قليلاً وطل برأسه فنظر

الأمجد والصبية وقدامها طبق الفاكهة والجرة، وفي ذلك الوقت كان الأمجد ماسكا القدح وعينه إلى الباب، فلما صارت عينه في عين صاحب الدار اصفر لونه وارتعدت فرائصه وخاف على نفسه خوفًا عظيمًا وصار كالحيران. فلما رآه بهادر قد اصفر لونه وتغير حاله غمزه بإصبعه على فمه يعني اسكت وتعال عندي، فحط الأمجد الكأس من يده وقام إليه. فقالت الصبية: «إلى أين»؟ فحرك رأسه وأشار لها أنه يريد حاجة. ثم خرج إلى الدهليز حافيًا، فلما رأى بهادر علم أنه صاحب الدار فأسرع إليه وقبل يديه وقال له: «بالله عليك يا سيدي قبل أن تؤذيني أن تسمع مني مقالي».

ثم إن الأمجد حدثه بحديثه من أوله إلى آخره وأخبره بسبب خروجه من أرضه ومملكته، وأنه ما دخل القاعة باختياره ولكن الصبية هي التي كسرت الضبة وفتحت الباب وفعلت هذه الفعال. فلما سمع بهادر كلام الأمجد وما جرى عليه وعرف أنه ابن ملك حن عليه ورحمه. ثم قال له: «اسمع يا أمجد كلامي وأطعني وأنا أتكفل لك بالأمان مما تخاف، وإن خالفتني قتلتك». فقال الأمجد: «مرني بما شئت فأنا لا أخالفك أبدًا لأنني عتيق مروءتك». فقال له بهادر: «ادخل الساعة إلى البيت واجلس في المكان الذي كنت فيه واطمئن وها أنا أدخل إليك واسمي بهادر. فإذا دخلت إليك فاشتمني وانهرني وقل لي: ما سبب تأخرك إلى هذا الوقت؟ ولا تقبل لي عذرًا بل قم اضربني، وإن شفقت على أعدمتك حياتك، فادخل وانبسط ومهما طلبته مني في هذه الساعة تجده حاضرًا بين يديك في الوقت، وبت عندي في هذه الليلة، وفي غد توجه إلى حال سبيلك إكرامًا لغربتك، فإني أحب الغريب وواجب عليَّ إكرامه».

فقبل الأمجد يده ودخل، وقد اكتسى وجهه حمرةً وبياضًا. فأول ما دخل قال للصبية: «يا سيدتي آنست موضعك وهذه ضيافة مباركة». فقالت له الصبية: «إن هذا عجيب منك حيث بسطت لي الأنس». فقال الأمجد: «والله يا سيدتي إني كنت أعتقد أن مملوكي بهادر أخذ لي عقود جواهر كل عقد يساوي عشرة آلاف دينار، ثم إنني خرجت الساعة وأنا متفكر في ذلك ففتشت عليها فوجدتها في موضعها، ولم أدر ما سبب تأخر المملوك إلى هذا الوقت ولا بد لي من عقوبته». فاستراحت الصبية بكلام الأمجد، فشربا وانشرحا، ولم يزالا في حظ إلى قرب الغروب، فدخل عليهما بهادر وقد غير لبسه وشد وسطه وجعل في رجليه زربونًا على عادة المماليك. ثم سلم وقبل الأرض وكتف يديه وأطرق رأسه كالمعترف بذنبه.

فنظر إليه الأمجد بعين الغضب وقال له: «يا أنحس المماليك ما سبب تأخرك»؟ فقال له: «يا سيدي إني اشتغلت بغسل أثوابي وما علمت أنك ههنا لأن ميعادي وميعادك العشاء لا بالنهار». فصرخ عليه الأمجد وقال له: «تكذب يا أنحس المماليك والله لا بد من ضربك». ثم قام الأمجد وسطح بهادر على الأرض وأخذ عصا وضربه برفق. فقامت الصبية وخلصت العصا من يديه ونزلت على بهادر بضرب وجيع حتى آلمه الضرب وجرت دموعه واستغاث

وصار يكز على أسنانه والأمجد يصيح على الصبية: «لا تفعلي». وهي تقول: «دعني أشفي غيظي منه». ثم إن الأمجد خطف العصا من يدها ودفعها.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فقام بهادر ومسح دموعه من وجهه ووقف في خدمتهما ساعة، ثم مسح القاعة وأوقد القناديل وصارت الصبية كل ما خرج أو دخل بهادر تشتمه وتلعنه، والأمجد يغضب منها ويقول لها: «بحق الله تعالى عليك أن تتركي مملوكي».

ثم إنهما لم يزالا يأكلان ويشربان وبهادر في خدمتهما إلى نصف الليل حتى تعب من الخدمة والضرب، فنام في وسط القاعة وشخر ونخر. فسكرت الصبية وقالت للأمجد: «قم خذ السيف المعلق واضرب رقبة هذا المملوك، وإن لم تفعل عملت على هلاك روحك». فقال الأمجد: «وأي شيء خطر لك في قتل مملوكي»؟ قالت: لا بد من قتله وإن لم تقم قمت أنا وقتلته». فقال الأمجد: «بحق الله عليك لا تفعلي». فقالت: «لا بد من هذا». وأخذت السيف وجردته وهمت بقتله. فقال الأمجد في نفسه: «هذا الرجل عمل معنا خيرًا وسترنا وأحسن إلينا وجعل نفسه مملوكي كيف نجازيه بالقتل؟ لا كان ذلك أبدًا». ثم قال للصبية: «إن كان لا بد من قتل مملوكي فأنا أحق بقتله منك». ثم أخذ السيف من يدها ورفع يده وضرب الصبية في عنقها فأطاح رأسها عن جثتها، فوقع رأسها على صاحب الدار فاستيقظ وجلس وفتح عينيه فوجد الأمجد واقفًا والسيف في يده مخضبًا بالدم، ثم نظر إلى الصبية فوجدها مقتولة، فاستخبره عن أمرها فأعاد عليه حديثها وقال: «إنها أبت إلا أن تقتلك وهذا جزاؤها». فقام بهادر وقبل رأس الأمجد وقال له: «يا سيدي ليتك عفوت عنها وما بقي في الأمر إلا إخراجها الآن قبل الصباح».

ثم إن بهادر شد وسطه وأخذ الصبية ولفها في عباءة وحملها وقال للأمجد: «أنت غريب ولا تعرف أحدًا فاجلس في مكانك وانتظرني إلى وقت الفجر، فإن عدت إليك لا بد أن أفعل معك خيرًا كثيرًا وأجتهد في كشف خبر أخيك، وإن طلعت الشمس ولم أعد إليك فاعلم أنه قد قضي علي والسلام عليك وهذه الدار لك ولك ما فيها من الأموال والقماش». ثم إنه حمل الصبية وخرج من القاعة وشق بها الأسواق وقصد بها طريق البحر المالح ليرميها فيه. فلما صار قريبًا من البحر التفت فرأى الوالي والمقدمين قد أحاطوا به ولما عرفوه تعجبوا وفتحوا العباءة فوجدوا فيها قتيلة، فمسكوه وبيتوه في الحديد إلى الصباح، ثم أخذوه على حاله إلى الملك وأعلموه بالخبر.

فلما رأى الملك ذلك غضب غضبًا شديدًا وقال له: «ويلك إنك تفعل هكذا دائمًا فتقتل القتلى وترميهم في البحر وتأخذ جميع مالهم؟ وكم فعلت قبل ذلك من قتل؟» فأطرق بهادر رأسه إلى الأرض قدام الملك. فصرخ الملك عليه وقال له: «ويلك من قتل هذه الصبية»؟ فقال له: «يا سيدي أنا قتلتها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». فغضب الملك وأمر بشنقه. فأخذه السياف وأمر الوالي المنادي أن ينادي في أزقة المدينة بالفرجة على بهادر أمير آخور الملك.

هذا ما كان من أمر بهادر. وأما ما كان من أمر الأمجد فإنه لما طلع عليه النهار وارتفعت الشمس ولم يعد إليه بهادر قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، يا ترى أى شىء تم عليه وما جرى له »؟ فبينما هو يتفكر وإذا بالمنادى ينادى بالفرجة على بهادر فإنهم يشنقونه فى وسط النهار. فلما سمع الأمجد ذلك بكى وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون قد أراد هلاك نفسه ظلمًا من أجلى وأنا الذى قتلتها. والله لا كان هذا أبدًا.

ثم خرج من القاعة وقفلها وسار فى وسط المدينة حتى أتى إلى بهادر ووقف قدام الوالى وقال له: «يا سيدى لا تقتل بهادر فإنه برىء والله ما قتلها إلا أنا». فلما سمع الوالى كلامه أخذه هو وبهادر وأصعدهما إلى الملك وأعلمه بما سمعه من الأمجد، فنظر الملك إلى الأمجد وقال له: «أأنت قتلت الصبية» قال: «نعم». فقال له الملك: «احك لى ما سبب قتلك إياها واصدقنى قال له: «أيها الملك إنه جرى لى حديث عجيب وأمر غريب لو كتب بالإبر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر». ثم حكى للملك حديثه وأخبره بما جرى له ولأخيه من المبتدأ إلى المنتهى. فتعجب الملك من ذلك غاية العجب وقال له: «أعلم أنى قد علمت أنك معذور ولكن يا فتى هل لك أن تكون عندى وزيرًا»؟ فقال له: «سمعًا وطاعة». فخلع عليه الملك وعلى بهادر خلعًا سنية وأعطاه دارًا حسنة وخدمًا وحشمًا، وأنعم عليه بجميع ما يحتاج إليه ورتب له الرواتب والجرايات وأمره أن يبحث عن أخيه الأسعد فجلس الأمجد فى مرتبة الوزير وحكم وعدل وولى وعزل وأخذ وأعطى وأرسل المنادى فى أزقة المدينة ينادى على أخيه الأسعد. فمكث مدة أيام ينادى فى الشوارع والأسواق فما سمع له بخبر ولا وقع له على أثر.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الأسعد وبهرام المجوسى

قالت شهر زاد: هذا ما كان من أمر الأمجد. وأما ما كان من أمر الأسعد فإن المجوس ما زالوا يعاقبونه بالليل والنهار، وفى العشى والإبكار مدة سنة كاملة حتى قرب عيد المجوس. فتجهز بهرام المجوسى وهيأ له مركباً للسفر وأخذ الأسعد وحطه فى صندوق وقفله عليه ونقله إلى المركب. وفى تلك الساعة التى حول فيها بهرام الصندوق الذى فيه الأسعد اتفق أن الأمجد بالقضاء والقدر كان واقفاً يتفرج على البحر. فنظر إلى الحوائج وهم ينقلونها إلى المركب، فخفق فؤاده وأمر غلمانه أن يقدموا له مركوبه. ثم ركب فى جملة من جماعته وتوجه إلى البحر ووقف على المركب المجوسى وأمر من معه أن ينزلوا المركب ويفتشوه، فنزلت الرجال وفتشوا المركب جميعه فلم يجدوا فيه شيئاً فصعدوا وأعلموا الأمجد بذلك. فركب وولى طالبًا بيته. فلما وصل إلى منزله ودخل القصر انقبض خاطره، فنظر بعينه فى الدار فرأى سطرين مكتوبين على حائط وهما هذان البيتان:

أحبابنا إن غبتم عن ناظرى ... فمن الفؤاد وخاطرى ما غبتم
لكنكم خلفتمونى مدنفًا ... منعتم جفنى الرقاد ونمتم

فلما قرأهما الأمجد تذكر أخاه وبكى. هذا ما كان من أمره. وأما ما كان من أمر بهرام المجوسى فإنه نزل المركب وصاح وزعق على البحرية أن يعجلوا بحل القلوع فحلوا القلوع وسافروا ولم يزالوا مسافرين أيامًا وليالى، بعد كل يومين يخرج الأسعد ويطعمه قليلاً من الزاد

ويسقيه قليلاً من الماء إلى أن قربوا من جبل النار. فخرج عليهم ريح وهاج بهم البحر، فتاه المركب عن الطريق وسلكوا طريقًا غير طريقهم وعبروا إلى بحر غيره ووصلوا إلى مدينة مبنية على شاطئ البحر ولها قلعة بشبابيك تطل على البحر، والحاكمة على تلك المدينة امرأة يقال لها الملكة مرجانة فقال الرئيس لبهرام: «يا سيدى إننا ضللنا الطريق ولا بد لنا من الدخول إلى هذه المدينة لأجل الراحة وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء». فقال له بهرام: «نعم ما فعلت وما رأيت والذى تراه افعله». فقال له الرئيس: «إذا أرسلت الملكة تسألنا ماذا يكون جوابنا لها؟» فقال له بهرام: «أنا عندى هذا المسلم الذى معنا فنلبسه لبس المماليك ونخرجه معنا، وإذا رأته الملكة تظن وتقول: هذا مملوك. فأقول لها: إنى جلاب مماليك أبيع وأشترى وقد كان عندى مماليك كثيرة فبعتهم ولم يبق غير هذا المملوك» فقال له الرئيس: «هذا كلام مليح».

ثم إنهم وصلوا إلى المدينة وأرخوا القلوع ودقوا المراسى ووقف المركب. وإذا بالملكة مرجانة نزلت إليهم ومعها عسكرها ووقفت على المركب ونادت على الرئيس، فصعد إليها وقبل الأرض بين يديها فقالت له: «أى شىء فى مركبك هذا ومن معك». فقال لها: «يا ملكة الزمان معى رجل تاجر يبيع المماليك» فقالت: «على به» وإذا ببهرام طلع ومعه الأسعد سائر وراءه فى صفة مملوك. فلما وصل إليها بهرام قبل الأرض ووقف بين يديها. فقالت له: «ما شأنك»؟ فقال لها: «أنا تاجر رقيق». فنظرت إلى الأسعد وقد ظنت أنه مملوك. فقالت له: «ما اسمك»؟ فخنقه البكاء وقال لها: «اسمى الأسعد» فحن قلبها عليه وقالت له: «أتعرف الكتابة»؟ قال: «نعم». فناولته دواة وقلما وقرطاسا وقالت له: اكتب شيئا حتى أراه. فكتب هذين البيتين:

ما حيلة المرء والأقدار جارية ... عليه فى كل حال أيها الرائى
ألقاه فى اليم مكتوفا وقال له ... إياك إياك أن تبتل بالماء

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهرزاد: فلما رأت الورقة رحمته. ثم قالت لبهرام: «بعنى هذا المملوك». فقال لها: «يا سيدتى لا يمكننى بيعه لأنى بعت جميع مماليكى ولم يبق عندى غير هذا». فقالت الملكة مرجانة: «لا بد من أخذه منك إما ببيع وإما بهبة». فقال لها: «لا أبيعه ولا أهبه» ثم مسكت بيد الأسعد وأخذته وصعدت به القلعة وأرسلت تقول له: «إن لم تقلع فى هذه الليلة عن بلدنا أخذت جميع مالك وكسرت مركبك». فلما وصلت الرسالة اغتم غما شديدا وقال: «إن هذه سفرة غير محمودة». ثم قام وتجهز وأخذ جميع ما يريده وانتظر الليل ليسافر فيه. وقال للبحرية: «خذوا أهبتكم واملأوا قربكم من الماء وأقلعوا بنا فى آخر الليل». فصار البحرية يقضون أشغالهم وينتظرون الليل.

هذا ما كان من أمرهم. وأما ما كان من أمر الملكة مرجانه فإنها أخذت الأسعد ودخلت به إلى القلعة وفتحت الشبابيك المطلة على البحر. وأمرت الجوارى أن يقدمن الطعام، فقدمن لهما الطعام فأكلا. ثم أمرتهن أن يقدمن المدام فقدمنه. فشربت مع الأسعد وألقى الله سبحانه وتعالى محبة الأسعد فى قلبها وصارت تملأ القدح وتسقيه حتى غاب عقله. فقام يريد قضاء حاجته ونزل من القاعة فرأى بابا مفتوحا فدخل فيه وتمشى. فانتهى به السير إلى

بستان عظيم فيه من جميع الفواكه والأزهار. فجلس تحت شجرة بجنب الفسقية التى فى البستان فاستلقى على قفاه، فضربه الهواء فنام ودخل عليه الليل.

هذا ما كان من أمره. وأما ما كان من أمر بهرام فإنه لما دخل عليه الليل صاح على بحرية المركب وقال لهم: «حلوا قلوعكم وسافروا بنا». فقالوا له: «سمعاً وطاعةً ولكن اصبر علينا حتى نملأ قربنا». ثم خرج البحرية بالقرب من أجل أن يملأوها وداروا حول القلعة فلم يجدوا غير حيطان البستان. فتعلقوا بها ونزلوا البستان وتتبعوا أثر الأقدام الموصلة إلى الفسقية. فلما وصلوا إليها وجدوا الأسعد وأتوا به مسرعين إلى بهرام وقالوا له: «ابشر بحصول المراد وشفاء الأكباد، فقد طبل طبلك وزمر زمرك، فإن أسيرك الذى أخذته الملكة مرجانة منك غصباً قد وجدناه وأتينا به معنا». ثم رموه قدامه. فلما نظره بهرام طار قلبه من الفرح، واتسع صدره وانشرح. ثم خلع عليهم وأمرهم أن يحلوا القلوع بسرعة، فحلوا قلوعهم وسافروا قاصدين جبل النار، ولم يزالوا مسافرين إلى الصباح.

هذا ما كان من أمرهم. وأما كان من أمر الملكة مرجانة فإنها بعد نزول الأسعد من عندها مكثت تنتظره ساعة فلم يعد إليها. فقامت وفتشت عليه فما وجدت له أثراً. فأوقدت الشموع وأمرت الجوارى أن يفتشن عليه. ثم نزلت هى بنفسها فرأت البستان مفتوحا فعلمت أنه دخله. فدخلت البستان فوجدت نعله بجانب الفسقية. ثم دارت فى جميع البستان تفتشه فلم تر له خبراً.

ولم تزل تفتش عليه فى جوانب البستان إلى الصباح. ثم سألت عن المركب فقالوا لها: «قد سافر فى ثلث الليل». فعلمت انهم أخذوه معهم، فغضبت وصعب عليها. ثم أمرت بتجهيز عشرة مراكب كبار فى الوقت وتجهزت للحرب ونزلت فى مركب من العشرة المراكب ونزل معها المماليك والجوارى وعسكرها جميعهم بالعدة الفاخرة وآلات الحرب وحلوا القلوع وقالت للرؤساء: «متى لحقتم مركب المجوسى فلكم عندى الخلع والأموال، وإن لم تلحقوا قتلتكم عن آخركم». فحصل لهم خوف ورجاء عظيم.

ثم سافروا بالمراكب ذلك النهار وتلك الليلة وثانى يوم وثالث يوم وفى اليوم الرابع لاح لهم مركب بهرام المجوسى. ولم ينقض النهار حتى دارت وأحاطت المراكب بمركب المجوسى، وكان بهرام فى ذلك الوقت قد أخرج الأسعد وصار يعاقبه، والأسعد يستغيث ويستجير فلم يجد مغيثاً ولا مجيراً من الخلق، قد آلمه الضرب الشديد. فبينما هو يعاقبه إذ لاحت منه نظرة فوجد المراكب قد أحاطت بمركبه ودارت حوله كما يدور بياض العين بسوادها فتيقن أنه هالك لا محالة.

فتحسر بهرام وقال: «ويلك يا أسعد هذا كله من أجلك». ثم أخذه بيده وأمر رجاله أن يرموه فى البحر وقال: «والله لأقتلنك قبل موتى».

ثم احتملوه من يديه ورجليه ورموه فى وسط البحر. فأذن الله سبحانه وتعالى لما يريد سلامته وبقية أجله أنه غطس ثم طلع وخبط بيديه ورجليه إلى أن سهل الله عليه وضربه الموج وقذفه بعيداً عن مركب المجوسى ووصل إلى البر وصعد آمناً وفرحاً. ولما صار فى البر قلع أثوابه وعصرها ونشرها وقعد عرياناً يبكى على حالته وما جرى عليه من المصائب والقتل

والأسر والغربة. ثم أنشد هذين البيتين:

إلهى قل صبرى واحتيالـــــى ... وضـــاق الصبر وانصرمت حبالى
إلى من يشتكى المسكـــين إلا ... إلى مولاه يا مولى الموالــــــى

فلما فرغ من شعره قام ولبس ثيابه ولم يعلم أين يروح ولا إلى أين يجئ. فصار يأكل من نبات الأرض وفواكه الأشجار ويشرب من ماء الأنهار. وسافر بالليل والنهار، حتى أشرف على مدينة ففرح وأسرع فى مشيه. فلما وصل إليها أدركه المساء ولم يستطع الدخول لأن الباب كان مقفولاً. واتفق بأمر الله أن تلك المدينة هى التى أخذ فيها أسيراً، وهى التى كان أخوه الأمجد فيها وزيراً لملكها. فلما رآها الأسعد مقفولة رجع إلى جهة المقابر وصوب التربة، فلما وصل إلى المقابر وجد تربة بلا باب فدخلها ونام فيها وحط وجهه فى عبه. وكان بهرام المجوسى لما وصلت إليه الملكة مرجانة بالمراكب كسرها بسحره ومكره ورجع سالما نحو مدينته وسار من وقته وساعته وهو فرحان. فلما جاز على المقابر طلع من المركب بالقضاء والقدر ومشى بين المقابر فرأى التربة التى فيها الأسعد مفتوحة. فتعجب وقال: «لابد أن أنظر فى وجهه فعرفه، فقال له: «هل أنت حى إلى الآن»؟ ثم إنه أخذه وذهب به إلى بيته. وكان له فى بيته طابق تحت الأرض معد لعذاب المسلمين، وكانت له بنت تسمى بستان، فوضع فى رجلى الأسعد قيداً ثقيلاً وأنزله فى ذلك الطابق ووكل بنته بتعذيبه ليلاً ونهاراً إلى أن يموت.

ثم إنه ضربه الضرب الوجيع وقفل عليه الطابق وأعطى المفاتيح لبنته. ثم إن ابنته بستان فتحت الطابق ونزلت لتضربه فوجدته شابا ظريف الشمائل حلو المنظر، مقوس الحاجبين، كحيل المقلتين، فقالت له: «ما اسمك»؟ قال لها: «اسمى الأسعد». فقالت له: «سعدت وسعدت أيامك أنت ما تستأهل العذاب ولا الضرب وقد علمت أنك مظلوم». وصار يخبرها بالإسلام وعن قواعده. فأذعنت له ودخل حب الإيمان فى قلبها ومزج الله تعالى محبة الأسعد فى فؤادها فنطقت بالشهادتين وصارت من أهل السعادة، وصارت تطعمه وتسقيه وتتحدث معه وتصلى هى وإياه وتصنع له المساليق بالدجاج حتى اشتد وزال ما به من الأمراض ورجع إلى ما كان عليه من الصحة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية ملاقاة الأمجد والأسعد

قالت شهرزاد: هذا ما جرى له مع بنت بهرام المجوسى. ثم إن بنت بهرام خرجت من عند الأسعد ووقفت على الباب، وإذا بالمنادى ينادى ويقول: «كل من كان عنده شاب مليح صفته كذا وكذا وأظهره فله جميع ما طلب من الأموال، ومن كان عنده وأنكره فإنه يشنق على باب داره وينهب ماله ويهدر دمه». وكان الأسعد قد أخبر بستان بنت بهرام بجميع ما جرى له. فلما سمعت ذلك عرفت أنه هو المطلوب: فدخلت عليه وأخبرته بالخبر، فخرج وتوجه إلى دار الوزير، فلما رأى الوزير قال: «والله إن هذا الوزير هو أخى الأمجد». ثم طلع وطلعت الصبية وراءه إلى القصر فرأى أخاه الأمجد فالقى نفسه عليه. ثم إن الأمجد عرفه فألقى نفسه عليه وتعانقا واحتاطت بهما المماليك، ونزلوا من فوق خيولهم وغشى على الأسعد والأمجد ساعة. فلما أفاقا من غشيتهما أخذه الأمجد وطلع به إلى السلطان وأخبره بقصته، فأمر السلطان

بنهب بيت بهرام وشنقه. فأرسل الوزير جماعة لذلك فتوجهوا إلى بيت بهرام ونهبوه وطلعوا بابنته إلى الوزير فأكرمها، وحدث الأسعد أخاه بكل ما جرى له من العذاب وما عملت معه بنت بهرام من الإحسان، فزاد الأمجد فى إكرامها.

ثم حكى الأمجد للأسعد جميع ما جرى له مع الصبية وكيف سلم من الشنق وقد صار وزيراً. ثم صار يشكو أحدهما للآخر ما وجد من فرقة أخيه. ثم إن السلطان أحضر المجوسى وأمر بضرب عنقه، فقال بهرام: «أيها الملك الأعظم هل صممت على قتلى»؟ قال: «نعم». فقال بهرام: «اصبر على أيها الملك قليلاً». ثم إنه أطرق برأسه إلى الأرض وبعد ذلك رفع رأسه وتشهد وأسلم على يد السلطان ففرحوا بإسلامه. ثم حكى له الأمجد جميع ما جرى لهما، فتعجب وقال لهما: «يا سيدىّ تجهزا للسفر وأنا أسافر بكما». ففرحا بذلك وبإسلامه وبكيا بكاء شديداً. فقال لهما بهرام: «يا سيدى لا تبكيا فسوف تجتمعان كما اجتمع نعمة ونعم». فقالا له: «وما جرى لنعمة ونعم»؟.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية نعمة ونعم

قالت شهرزاد: قال بهرام: ذكروا والله أعلم أنه كان بمدينة الكوفة رجل من وجوه أهلها يقال له الربيع بن حاتم، وكان كثير المال مرفه الحال، وكان قد رزق ولداً فسماه نعمة الله. فبينما هو ذات يوم بدكة النخاسين إذ نظر إلى جارية تعرض للبيع وعلى يدها وصيفة صغيرة بديعة فى الحسن والجمال، فأشار الربيع إلى النخاس وقال له: «بكم هذه الجارية وابنتها»؟ فقال: «بخمسين ديناراً». فقال الربيع: «اكتب العهد وخذ المال سلمه لمولاها». ثم دفع للنخاس ثمن الجارية وأعطاه دلالته، وتسلم الجارية وابنتها ومضى بهما إلى بيته.

فلما نظرت ابنة عمه إلى الجارية قالت له: «يا ابن العم ما هذه الجارية»؟ قال لها: «اشتريتها رغبة فى هذه الصغيرة التى على يديها، واعلمى أنها إذا كبرت ما يكون فى بلاد العرب والعجم مثلها ولا أجمل منها». فقالت له ابنة عمه: «نعم ما رأيت». ثم قالت للجارية: «ما اسمك»؟ فقالت لها: «يا سيدتى اسمى توفيق». قالت: «وما اسم ابنتك»؟ قالت: «سعد». قالت: «صدقت لقد سعدت وسعد من اشتراك». ثم قالت: «يا ابن عمى ما تسميها»؟ قال: «ما تختارينه أنت»؟ قالت: «نسميها نعم». قال الربيع: «نعم ما افتكرت فيه». ثم إن الصغيرة نعم تربت مع نعمة بن الربيع فى مهد واحد إلى حين بلغا من العمر عشر سنين، وكان كل واحد منهما أحسن من صاحبه، وصار الغلام يقول لها: «يا أختى» وهو تقول له: «يا أخى». ثم أقبل الربيع على ولده نعمة حين بلغ هذا السن وقال له: «يا ولدى ليست نعم أختك بل هى جاريتك، وقد اشتريتها على اسمك وأنت فى المهد، فلا تدعها بأختك من هذا اليوم». قال نعمة لأبيه: «فإذا كان كذلك فأنا أتزوجها».

ثم إنه دخل على والدته وأعلمها بذلك، فقالت: «يا ولدى هى جاريتك». فاتخذها عند ذلك زوجة له وأحبها ومضى عليهما سنون وهما على تلك الحالة. ولم يكن بالكوفة جارية أحسن من نعم ولا أحلى ولا أظرف منها. وقدكبرت وقرأت القرآن والعلوم وعرفت أنواع اللعب والآلات وبرعت فى الغناء وآلات الملاهى حتى إنها فاقت جميع أهل عصرها. فبينما هى مع

زوجها نعمة بن الربيع فى مجلس الشراب وقد أخذت العود وشدت أوتاره وانشرحت وطربت وانشدت هذين البيتين:

إذا كنت لى مولى أعيش بفضلـــه سيــفاً أطى رقـــاب النوائب

فما لى إلى زيد وعمرو شفـاعـــة وسواك إذا ضاقت على مذاهبى

فطرب نعمة طرباً عظيماً ثم قال لها: «بحياتى يا نعم غنى لنا بالدف وآلات الطرب».

فاطربت بالنغمات، وغنت هذه الأبيات:

وحياة من ملكت يداه قيــــادى لأخالفن على الهوى حســـادى

ولأغضبن عواذلى وأطيعكــــم ولأهجرن تلذذى ورقـــــادى

فقال الغلام: «لله درك يا نعم». فبينما هما فى أطيب عيش و إذا بالحجاج فى دار نيابته يقول: «لا بد لى أن أحتال على أخذ هذه الجارية التى اسمها نعم وأرسلها إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، لأنه لا يوجد فى قصره مثلها، ولا أحسن من غنائها».

فاستدعى بعجوز قهرمانة وقال لها: «امضى إلى دار الربيع واجتمعى بالجارية نعم وتسببى فى أخذها لأنه لايوجدعلى وجه الأرض مثلها». فقبلت العجوز من الحجاج ما قاله. فلما أصبحت لبست أثوابها الصوف، وحطت فى رقبتها سبحة حباتها الوف، وأخذت بيدها عكازاً يمانية وسارت وهى تقول: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم». ولم تزل فى تسبيح وابتهال، وقلبها ملآن بالمكر والمحال، حتى وصلت إلى دار نعمة بن الربيع عند صلاة الظهر، فقرعت الباب ففتح لها البواب وقال لها «ما تريدين»؟ قالت: «أنا فقيرة عابدة وأدركتنى صلاة الظهر وأريد أن أصلى فى هذا المكان المبارك». فقال لها البواب: «يا عجوز إن هذه دار نعمة بن الربيع وليست هى بجامع ولا مسجد». فقالت: «أنا أعرف أنها لا جامع ولا مسجد، وأنا قهرمانة من قصر أمير المؤمنين خرجت طالبة للعبادة والسياحة». فقال لها البواب: «لا أمكنك من أن تدخلى». وكثر بينهما الكلام.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهر زاد: فتعلقت به العجوز وقالت له: «هل يمنع مثلى من دخول دار نعمة بن الربيع وأنا أعبر إلى دار الأمراء والأكابر»؟ فخرج نعمة وسمع كلامها فضحك وأمرها أن تدخل خلفه، فدخل نعمة وسارت العجوز خلفه حتى دخل بها على نعم، فسلمت عليها العجوز بأحسن سلام. ولما نظرت إلى نعم بهتت وتعجبت من فرط جمالها، ثم قالت لها: «يا سيدتى أعيذك بالله الذى آلف بينك وبين مولاك فى الحسن والجمال». ثم انتصبت العجوز فى المحراب وأقبلت على الركوع والسجود والدعاء إلى أن مضى النهار، وأقبل الليل بالاعتكار، فقالت الجارية : «يا أمى أريحى قدميك ساعة». فقالت العجوز: «يا سيدتى من طلب الآخرة أتعب نفسه فى الدنيا، ومن لم يتعب نفسه فى الدنيا لم ينل منازل الأبرار فى الآخرة». ثم إن نعمًا قدمت الطعام للعجوز وقالت لها: «كلى من طعامى وادعى لى بالتوبة والرحمة». فقالت العجوز: إنى صائمة، وأما أنت فصبية يصلح لك الأكل والشرب والطرب والله يتوب عليك. وقد قال الله تعالى: إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا». ولم تزل الجارية جالسة مع

العجوز ساعة تحدثها. ثم قالت نعم لنعمة: «يا سيدى أحلف على هذه العجوز أن تقيم عندنا مدة فإن على وجهها أثر العبادة». فقال: «أخلى لها مجلسًا تدخل فيه للعبادة ولا تخلى أحدًا يدخل عليها، فلعل الله سبحانه وتعالى ينفعنا ببركتها ولا يفرق بيننا». ثم باتت العجوز ليلتها تصلى وتقرأ إلى الصباح.

فلما أصبح الله بالصباح جاءت إلى نعمة ونعم وصبحت عليهما وقالت لهما: «أستودعكما الله». فقالت لها نعم: «إلى أين تمضين يا أمى وقد أمرنى سيدى أن أخلى لك مجلسًا تعتكفين فيه للعبادة وتصلين»؟ فقالت العجوز: «الله يبقيه ويديم نعمته عليكما، ولكن أريد منكما أن توصوا البواب أن لا يمنعنى من الدخول إليكما؛ وإن شاء الله تعالى أدور فى الأماكن الطاهرة وأدعو لكما عقب الصلاة والعبادة فى كل يوم وليلة». ثم خرجت من الدار والجارية نعم تبكى على فراقها ولم تعلم السبب الذى أتت إليها من أجله. ثم إن العجوز توجهت إلى الحجاج. فقال لها: «ما وراءك»؟ فقالت له: «إنى نظرت إلى الجارية فرأيتها لم تلد النساء أحسن منها فى زمانها». فقال لها الحجاج: «إن فعلت ما أمرتك به سوف يصل إليك منى خير جزيل». فقالت له: «أريد منك المهلة شهرًا كاملاً». فقال لها: «أمهلتك شهرًا».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم إن العجوز جعلت تتردد إلى دار نعمة وجاريته نعم وهما يزيدان فى إكرامها. وما زالت العجوز تمسى وتصبح عندهما ويرحب بها كل من فى الدار، حتى إن العجوز اختلت بالجارية يومًا من الأيام وقالت لها: «يا سيدتى إنى حضرت الأماكن الطاهرة دعوت لك وأتمنى أن تكونى معى حتى ترى المشايخ الواصلين، ويدعون لك بما تختارين». فقالت لها الجارية نعم: «بالله يا أمى خذينى معك». فقالت لها: «استأذنى حماتك وأنا آخذك معى». فقالت الجارية لحماتها أم نعمة: «يا سيدتى اسألى سيدى أن يخلينى أخرج أنا وأنت يومًا من الأيام مع أمى العجوز إلى الصلاة والدعاء مع الفقراء فى الأماكن الشريفة». فلما أتى نعمة وجلس تقدمت إليه العجوز وقبلت يديه، فمنعها من ذلك ودعت له وخرجت من الدار.

فلما كان ثانى يوم جاءت العجوز ولم يكن نعمة فى الدار فأقبلت على الجارية نعم وقالت لها: «قد دعونا لكم البارحة ولكن قومى ففى هذه الساعة وتفرجى وعودى قبل أن يجىء سيدك». فقالت الجارية لحماتها: «سألتك بالله أن تأذنى لى فى الخروج مع هذه المرأة الصالحة لأتفرج على أولياء الله فى الأماكن الشريفة وأعود بسرعة قبل مجىء سيدى» فقالت أم نعمة: «أخشى أن يدرى سيدك». فقالت العجوز: «لا أدعها تجلس على الأرض بل تنظر وهى واقفة على أقدامها ولا تبطىء». ثم أخذت الجارية بالحيلة وأتت بها إلى قصر الحجاج وعرفته بمجيئها بعد أن حطتها فى مقصورة. فأتى الحجاج ونظر إليها فرآها أجمل أهل زمانها ولم يرَ مثلها. فلما رأته نعم سترت وجهها منه، فلم يفارقها حتى استدعى بحاجبه وأركب معه خمسين

فارسًا وأمره أن يأخذ الجارية على نجيب سابق ويتوجه بها إلى دمشق ويسلمها إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، وكتب له كتابًا وقال له: «اعطه هذا الكتاب وخذ منه الجواب وأسرع إلىَّ بالرجوع».

فأسرع الحاجب وأخذ الجارية على هجين وخرج وسافر بها وهى باكية العين لفراق سيدها حتى وصلوا إلى دمشق واستأذن على أمير المؤمنين فأذن له، فدخل الحاجب عليه وأخبره بخبر الجارية، فأخلى لها مقصورة. ثم دخل الخليفة إلى زوجته فقال لها: «إن الحجاج قد اشترى لى جارية من بنات ملوك الكوفة بعشرة آلاف دينار وأرسل إلىَّ هذا الكتاب وهى صحبة الكتاب». فقالت له زوجته: «زادك الله من فضله». ثم دخلت أخت الخليفة عبد الملك على الجارية، فلما رأتها قالت: «ما خاب من أنت فى منزله ولو كان ثمنك مائة ألف دينار». فقالت لها الجارية نعم: «يا صبيحة الوجه هذا قصر مَنْ منَ الملوك وأى مدينة هذه»؟ فقالت لها: «هذه مدينة دمشق وهذا قصر أخى عبد الملك بن مروان». ثم قالت للجارية: «كأنك ما علمت هذا»؟ قالت: «يا سيدتى لا علم لى بهذا». قالت: «والذى باعك وقبض ثمنك ما أعلمك بأن الخليفة قد اشتراك»؟ فلما سمعت الجارية هذا الكلام سكبت دموعها وبكت وقالت فى نفسها: «لقد تمت الحيلة علىَّ». ثم قالت فى نفسها: «إن تكلمت فما يصدقنى أحد ولكن أسكت وأصبر لعلمى أن فرج الله قريب».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم إنها أطرقت رأسها حياءً وقد احمرت خدودها من أثر السفر والشمس فتركتها أخت الخليفة فى ذلك اليوم، وجاءتها فى اليوم الثانى بثياب وقلائد من الجواهر وألبستها وقالت لأمير المؤمنين: «انظر إلى هذه الجارية التى قد كمل الله فيها الحسن والجمال». فقال الخليفة لنعم: «أزيحى القناع عن وجهك». فلم تزح القناع عن وجهها ولم ير وجهها. فقال لأخته: «دعيها تأنس بك» وقام وخرج من عندها. فصارت الجارية متفكرة فى أمرها ومتحسرة على افتراقها من سيدها نعمة. فلما أتى الليل ضعفت الجارية بالحمى ولم تأكل ولم تشرب وتغير وجهها ومحاسنها، فعرفوا الخليفة بذلك، فشق عليه أمرها ودخل عليها بالأطباء وأهل البصائر، فلم يقف لها أحد على طب.

هذا ما كان من أمرها. وأما ما كان من أمر سيدها نعمة فإنه أتى إلى داره وجلس على فراشه ونادى: «يا نعم» فلم تجبه. فقام مسرعًا ونادى. فلم يدخل عليه أحد. وكل جارية فى البيت اختفت خوفًا من سيدها. فخرج نعمة إلى والدته فوجدها جالسة ويدها على خدها. فقال لها: «يا أمى أين نعم»؟ فقالت له: «يا ولدى مع من هى أوثق منى عليها وهى العجوز الصالحة، فإنها خرجت معها لتزور الفقراء وتعود». فقال: ومتى كان لها عادة بذلك وفى أى وقت خرجت»؟ قالت: «خرجت بكرة النهار». قال: «وكيف أذنت لها بذلك»؟ فقالت له: «يا ولدى هى التى أشارت علىَّ بذلك». فقال نعمة: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم».

ثم خرج من بيته وهو غائب عن الوجود وأتى إلى صاحب الشرطة وقال له: «أتحتال علىَّ وتأخذ جاريتى من دارى، فلا بد لى أن أشتكيك إلى أمير المؤمنين». فقال صاحب

الشرطة: «ومن أخذها؟ فقال: «عجوز صفتها كذا وكذا وعليها ملبوس من الصوف وبيدها سبحة عدد حباتها ألوف». فقال له صاحب الشرطة: «أوقفني على العجوز وأنا أخلص لك جاريتك». فقال: «ومن يعرف العجوز؟ فقال له صاحب الشرطة: «وما يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى». وقد علم صاحب الشرطة أنها محتالة الحجاج. فقال له نعمة: «ما أعرف جاريتي إلا منك وبيني وبينك الحجاج». فقال له: «امض إلى من شئت». فأتى نعمة إلى قصر الحجاج وكان والده من أكابر أهل الكوفة، فلما وصل دخل حاجب الحجاج على الحجاج وأعلمه بالقضية، فقال له: «عليّ به».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما وقف بين يديه قال له الحجاج: «ما بالك»؟ فقال له نعمة: «كان من أمري كذا وكذا». فقال: «هاتوا صاحب الشرطة ونأمره أن يفتش على العجوز». فلما حضر صاحب الشرطة بين يديه وكان يعلم الحجاج أن صاحب الشرطة يعرف العجوز قال له: «أريد منك أن تفتش على جارية نعمة بن الربيع». فقال له صاحب الشرطة: «لا يعلم الغيب إلا الله تعالى». فقال له الحجاج: «لا بد أن تركب الخيل وتبصر الجارية فى الطرقات وتنظر فى البلدان وتفتش على الجارية». ثم التفت إلى نعمة وقال له: «إن لم نرجع جاريتك دفعت لك عشر جوار من داري وعشر جوار من دار صاحب الشرطة». ثم قال لصاحب الشرطة: «اخرج فى طلب الجارية».

فخرج صاحب الشرطة ونعمة مغموم وقد يئس من الحياة، فجعل يبكى وينتحب وانعزل فى داره، ولم يزل يبكى هو وأمه إلى الصباح. فأقبل والده وقال له: «يا ولدى إن الحجاج قد احتال على الجارية وأخذها، ومن ساعة إلى ساعة يأتى الله بالفرج». فتزايدت الهموم على نعمة وصار لا يعلم ما يقول ولا يعرف من يدخل عليه وأقام ضعيفًا ثلاثة شهور وتغيرت أحواله ويئس منه أبوه ودخلت عليه الأطباء فقالوا: «ما له دواء».

فبينما والده جالس فى يوم من الأيام إذ سمع بطبيب ماهر أعجمى وقد وصفه الناس بإتقان الطب والتنجيم وضرب الرمل. فدعا به الربيع. فلما حضر أجلسه الربيع إلى جانبه وأكرمه وقال له: «انظر حال ولدى». فقال لنعمة: «هات يدك». فأعطاه يده. فجس مفاصله ونظر فى وجهه وضحك والتفت إلى أبيه وقال له: «ليس بولدك غير مرض فى قلبه» فقال: «صدقت يا حكيم فانظر فى شأن ولدى بمعرفتك وأخبرنى بجميع أحواله ولا تكتم عنى شيئًا من أمره». فقال الأعجمى: «إنه مريض بسبب فراق جارية، وهذه الجارية فى البصرة أو فى دمشق، وما دواء ولدك غير أن يراها». فقال له الربيع: «إن جمعت بينهما فلك عندى ما يسرك وتعيش عمرك كله فى المال والنعمة». فقال له الأعجمى: «إن هذا الأمر قريب وسهل». ثم التفت إلى نعمة وقال له: «لا بأس عليك فشد قلبك وطب نفسًا وقر عينًا». ثم قال للربيع: «أخرج من مالك أربعة آلاف دينار». فأخرجها وسلمها للأعجمى. فقال له الأعجمى: «أريد من ولدك أن يسافر معى إلى دمشق وإن شاء الله تعالى لا أرجع إلا بالجارية». ثم التفت الأعجمى إلى الشاب وقال له: «ما اسمك»؟ قال: «نعمة». قال: «يا نعمة اجلس أنت وكن فى أمان الله

تعالى لقد جمع الله بينك وبين جاريتك». فاستوى جالسًا، ثم قال له: «شد قلبك فنحن نسافر فى مثل هذا اليوم، فكل واشرب وانبسط لتقوى على السفر».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم إن الأعجمى أخذ فى قضاء حوائجه من جميع ما يحتاج إليه من التحف واستكمل من والد نعمة عشرة آلاف دينار وأخذ منه الخيل والجمال وغير ذلك مما يحتاج إليه لحمل الأثقال فى الطريق. ثم إن نعمة ودع والده ووالدته وسافر مع الحكيم إلى حلب، فلم يقع على خبر الجارية. ثم إنهما وصلا إلى دمشق وأقاما فيها ثلاثة أيام. ثم إن الأعجمى أخذ دكانًا وملأ رفوفها بالصينى الرفيع والأغطية، وزركش الرفوف بالذهب والقطع المثمنة وحط قدامه أوانى من القنانى فيها جميع الأدهان والشراب، ووضع حول القنانى أقداحًا من البلور، وحط التخت والاصطرلاب قدامه، ولبس أثواب الحكمة والطب، وأوقف نعمة بين يديه وألبسه قميصًا وملوطة من الحرير ومنطقة بفوطة من الحرير مزركشة بالذهب. ثم قال لنعمة: «يا نعمة، أنت من اليوم ولدى فلا تدعنى إلا بأبيك وأنا لا أدعوك إلا بالولد». فقال نعمة: «سمعًا وطاعة».

ثم إن أهل دمشق اجتمعوا على دكان الأعجمى ينظرون إلى حسن نعمة وإلى حسن الدكان والبضائع التى فيها. والأعجمى يكلم نعمة بالفارسية ونعمة يكلمه كذلك بتلك اللغة لأنه كان يعرفها على عادة أولاد الأكابر. واشتهر ذلك الأعجمى عند أهل دمشق وجعلوا يصفون له الأوجاع وهو يعطيهم الأدوية ويأتونه بقوارير المرضى فيبصرها ويقول: «إن مرض صاحب القارورة كذا وكذا». فيقول صاحب المرض: «إن هذا الطبيب صادق» ثم صار يقضى حوائج الناس واجتمعت عليه أهل دمشق وشاع خبره فى المدينة وفى بيوت الأكابر. فبينما هو ذات يوم جالس إذ أقبلت عليه عجوز راكبة على حمار بردعته من الديباج المرصع بالجواهر، فوقفت على دكان الأعجمى وشدت لجام الحمار وأشارت للأعجمى وقالت له: «أأنت الطبيب الأعجمى الواصل من العراق»؟ قال: «نعم». قالت: «اعلم إن لى بنتًا وبها مرض». وأخرجت له قارورة. فلما نظر الأعجمى إلى ما فى القارورة قال لها: «يا سيدتى ما اسم هذه الجارية حتى أحسب نجمها وأعرف أى ساعة يوافقها فيها شرب الدواء»؟ فقالت: «يا أخا الفرس اسمها نعم».

فلما سمع اسم نعم جعل يحسب ويكتب على يديه وقال لها: «يا سيدتى ما أصف لها دواء حتى أعرف من أى أرض هى لأجل اختلاف الهواء، فعرفينى فى أى أرض تربت وكم سنة عمرها»؟ فقالت العجوز: «عمرها أربع عشرة سنة، ومرباها بأرض الكوفة من العراق». فقال: «وكم شهرًا لها فى هذه الديار»؟ فقالت له: «أقامت فى هذه الديار شهورًا قليلة». فلما سمع نعمة كلام العجوز وعرف اسم جاريته خفق قلبه فقال لها الأعجمى: «يوافقها من الأدوية كذا وكذا». فقالت له العجوز: خذ ما تريد، واعطنى ما وصفت على بركة الله تعالى». ورمت له عشرة دنانير على الدكان فنظر الحكيم إلى نعمة وأمره إن يهيىء له عقاقير الدواء. وصارت العجوز تنظر إلى نعمة وتقول: «أعيذك بالله يا ولدى أن شكلها مثل شكلك». ثم قالت العجوز

للأعجمي: «يا أخا الفرس هل هذا مملوكك أو ولدك»؟ فقال لها الحكيم الأعجمي: «إنه ولدي». ثم إن نعمة شد الحوائج ووضعها في علبة وأخذ ورقة وكتب فيها هذين البيتين:

إذا أنعمت نعم علىَّ بنظرة ... فلا أسعدت سعدى ولا أجملت جمل

وقالوا اسل عنها تعط عشرين مثلها ... وليس لها مثل ولست لها أسلو

ثم دس الورقة في داخل العلبة وختمها وكتب على غطاء العلبة بالخط الكوفي: «أنا نعمة بن الربيع الكوفي». ثم وضع العلبة قدام العجوز. فأخذتها وودعتهما ورجعت طالبة قصر الخليفة. فلما طلعت العجوز بالحوائج إلى الجارية وضعت علبة الدواء قدامها ثم قالت لها: «يا سيدتي اعلمي أنه قد أتى إلى مدينتنا طبيب أعجمي ما رأيت أحدًا أبصر ولا أعرف بأمور الأمراض منه، فذكرت له اسمك بعد أن رأى القارورة فعرف مرضك ووصف دواءك، ثم أمر ولده فشد لك هذا الدواء وليس في دمشق أجمل ولا أظرف من ولده ولا أحسن شبابًا منه، ولا يوجد لأحد دكان مثل دكانه». فأخذت نعم العلبة فرأت مكتوبًا على غطائها اسم سيدها واسم أبيه، فلما رأت ذلك تغير لونها وقالت في نفسها: «لا شك أن صاحب الدكان قد أتى في خبري». ثم قالت للعجوز: «صفي لي هذا الصبي». فقالت: «اسمه نعمة وعلى حاجبه الأيمن أثر وعليه ملابس فاخرة وله حسن كامل». فقالت الجارية: «ناوليني الدواء على بركة الله تعالى وعونه». فأخذت الدواء وشربته وهي تضحك وقالت لها: «إنه دواء مبارك».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قال شهر زاد: ثم فتشت في العلبة فرأت الورقة ففتحتها وقرأتها، فلما فهمت معناها تحققت أنه سيدها فطابت نفسها وفرحت. فلما رأتها العجوز قد ضحكت قالت لها: «إن هذا اليوم يوم مبارك». فقالت نعم: «يا قهرمانة أريد شيئًا آكله وأشربه». فقالت العجوز للجواري: «قدمن الموائد والأطعمة الفاخرة لسيدتكن». فقدمن لها الأطعمة وجلست للأكل. وإذا بعبدالملك بن مروان قد دخل عليهن ونظر الجارية جالسة وهي تأكل الطعام ففرح. ثم قالت القهرمانة: «يا أمير المؤمنين اهنأ بعافية جاريتك نعم، وذلك أنه وصل إلى هذه المدينة رجل طبيب ما رأيت أعرف منه بالأمراض ودوائها، فأتيت لها منه بدواء، فأخذت منه مرة واحدة فحصلت لها العافية يا أمير المؤمنين». فقال أمير المؤمنين: «خذي ألف دينار وقومي بإبرائها من الأدوية». ثم خرج وهو فرحان بعافية الجارية وراحت العجوز إلى دكان الأعجمي وأعطته الألف دينار، وأعلمته أنها جارية الخليفة وناولته ورقة كانت نعم قد كتبتها، فأخذها الأعجمي وناولها لنعمة، فلما رآها عرف خطها فوقع مغشيًا عليه، فلما أفاق فتحها وإذا فيها مكتوب: «من الجارية المسلوبة من نعمتها المخدوعة في عقلها، المفارقة لحبيب قلبها، أما بعد فإنه قد ورد كتابكم علىَّ؛ فشرح الصدور وسر الخاطر وكان كقول الشاعر:

ورد الكتاب فلا عدمت أناملاً ... كتبت به حتى تضمخ طيبًا

فكأن موسى قد أعيد لأمه ... أو ثوب يوسف قد أتى يعقوبا

فلما قرأ نعمة هذا الشعر هملت عيناه بالدموع، فقالت له القهرمانة: «ما الذي يبكيك يا ولدي لا أبكى الله لك عينًا». فقال الأعجمي: «يا سيدتي كيف لا يبكي ولدي وهذه جاريته

وهو سيدها نعمة بن الربيع الكوفى وعافية هذه الجارية مرهونة برؤيته وليس لها علة إلا محبة سيدها، فخذى أنت يا سيدتى هذه الألف دينار لك، ولك عندى أكثر من ذلك وانظرى لنا بعين الرحمة، ولا نعرف إصلاح هذا الأمر إلا منك». فقالت العجوز لنعمة: «هل أنت مولاها»؟ قال: نعم». قالت: «صدقت فإنها لا تفتر عن ذكرك». فأخبرها نعمة بما قد جرى له من الأول إلى الآخر. فقالت العجوز: «يا غلام لا تعرف اجتماعك بها إلا منى». ثم ركبت وعادت من وقتها ودخلت على الجارية فنظرت فى وجهها وضحكت وقالت لها: «يحق لك يا بنتى أن تبكى وتمرضى من أجل فراق سيدك نعمة بن الربيع الكوفى». فقالت نعم: «قد انكشف لك الغطاء وظهر لك الحق». فقالت لها العجوز: «طيبى نفسًا وانشرحى صدرًا فوالله لأجمعن بينكما ولو كان فى ذلك ذهاب روحى».

ثم إن العجوز رجعت إلى نعمة وقالت له: «إنى رجعت إلى جاريتكم واجتمعت بها فوجدت عندها من الشوق إليك أكثر مما عندك لها، فإن كان لك جنان ثابت وقوة قلب فأنا أجمع بينكما وأخاطر بنفسى وأدبر حيلة وأعمل مكيدة فى دخولك قصر أمير المؤمنين حتى تأخذ الجارية فإنها ما تقدر أن تخرج». فقال لها نعمة: «جزاك الله خيرًا». ثم ودعته وأتت إلى الجارية وأخبرتها بالأمر. وعند ذلك أخذت العجوز بقجة فيها حلى ومصاغ وبدلة من ثياب النساء وأتت عند نعمة وقالت له: «ادخل بنا مكانًا لننفرد فيه وحدنا». فدخل معها قاعة خلف الدكان ونقشته وزينت معاصمه وزوقت شعره وألبسته لباس جارية وزينته بأحسن ما تتزين به الجوارى، فصار كأنه من حور الجنان.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما رأته القهرمانة فى تلك الصفة قالت: «تبارك الله أحسن الخالقين، والله إنك لأحسن من الجارية». ثم قالت له: «امش وقدم الشمال وأخر اليمين». فمشى قدامها كما أمرته. فلما رأته قد عرف مشى النساء قالت له: «امكث حتى آتيك ليلة غد إن شاء الله تعالى فآخذك وأدخل بك القصر، وإذا نظرت الحجاب والخدام فقو عزمك وطأطئ رأسك ولا تتكلم مع واحد وأنا أكفيك كلامهم فلا تخف على نفسك ألبتة وبالله التوفيق».

فلما أصبح الصباح أتته القهرمانة فى ثانى يوم وأخذته وطلعت به القصر. ودخلت العجوز قدامه ونعمة وراءها فى أثرها، فأراد الحاجب أن يمنعه من الدخول فقالت له: «يا أنحس العبيد إنها جارية نعم فكيف تمنعها من الدخول»؟ ثم قالت: «ادخلى يا جارية» فدخل مع العجوز. ولم يزالا داخلين إلى الباب الذى يتوصل منه إلى صحن القصر. فقالت له العجوز: «يا نعمة شد روحك وثبت قلبك وادخل القصر وخذ على شمالك وعد خمسة أبواب وادخل الباب السادس فإنه باب المكان المعد لك. ولا تخف وإذا كلمك أحد فلا تتكلم معه ولا تقف». ثم سارت به حتى وصلت إلى الأبواب، فقابلها الحاجب المعد لتلك الأبواب، وقال لها: «ما هذه الجارية»؟ قالت له العجوز: «إن سيدتنا تريد اشتراءها». فقال الخادم: «ما يدخل أحد إلا بإذن أمير المؤمنين، فارجعى بها فإنى لا أخليها تدخل لأننى أمرت بهذا».

فعند ذلك قالت القهرمانة: «أيها الحاجب الكبير اجعل عقلك فى رأسك إن نعمًا جارية

الخليفة التى قلبه متعلق بها قد توجهت إليها العافية وما صدق أمير المؤمنين بعافيتها وتريد اشتراء هذه الجارية، فلا تمنعها من الدخول لئلا يبلغها أنك منعتها فتغضب عليك، وإن غضبت عليك تسببت فى قطع عنقك». ثم قالت: «ادخلى يا جارية ولا تسمعى منه كلامه ولا تعلمى الملكة أن الحاجب منعك من الدخول». فطأطأ نعمة رأسه ودخل القصر وأراد أن يمشى إلى جهة يساره فغلط ومشى إلى جهة يمينه. وأراد أن يعد خمسة أبواب ويدخل السادس فعد ستة ودخل فى السابع. فلما دخل فى ذلك الباب رأى موضعًا مفروشًا بالديباج وحيطانه عليها ستائر الحرير المرقومة بالذهب وفيه مباخر العود والعنبر والمسك الأذفر. ورأى فى الصدر سريرًا مفروشًا بالديباج، فجلس عليه نعمة فرأى ملكًا عظيمًا ولم يعلم بما كتب له فى الغيب.

فبينما هو جالس متفكر فى أمره إذ دخلت عليه أخت أمير المؤمنين ومعها جاريتها، فلما رأت الغلام جالسًا ظنته جارية، فتقدمت إليه وقالت له: «من تكونين يا جارية وما خبرك ومن دخل بك إلى هذا المكان»؟ فلم يتكلم نعمة ولم يرد عليها جوابًا. فقالت: «يا جارية إن كنت من جوارى أخى وقد غضب عليك فأنا أسأله لك وأستعطفه عليك». فلم يرد نعمة عليها جوابًا. فعند ذلك قالت لجاريتها: «قفى على باب المجلس ولا تدعى أحدًا يدخل. ثم تقدمت إليه ونظرته فبهتت فى جماله وقالت: «يا صبية عرفينى من تكونين وما اسمك وما سبب دخولك هنا فأنا لم أنظرك فى قصرنا»؟ فلم يرد نعمة جوابًا. فعند ذلك غضبت أخت الملك ووضعت يدها على رأس نعمة وأزاحت الغطاء فعرفت الحيلة. فقال لها نعمة: «يا سيدتى أنا مملوك فاشترينى، وأنا مستجير بك فأجيرينى» فقالت له: «لا بأس عليك فمن أنت ومن أدخلك إلى مجلسى هذا»؟ فقال لها نعمة: «أنا أيتها الملكة أعرف بنعمة بن الربيع الكوفى وقد خاطرت بروحى لأجل جاريتى نعم التى احتال عليها الحجاج وأخذها وأرسلها إلى هنا». فقالت له: «لا بأس عليك». ثم صاحت على جاريتها وقالت لها: «امضى إلى مقصورة نعم». وقد كانت القهرمانة أتت إلى مقصورة نعم وقالت لها: «هل وصل إليك سيدك»؟ فقالت: «لا والله». فقالت القهرمانة: «لعله غلط فدخل مقصورة غير مقصورتك وتاه عن مكانك». فقالت الجارية نعم: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم قد فرغ أجلنا جميعًا وهلكنا». وجلستا متفكرتين. فبينما هما كذلك إذ دخلت عليهما جارية أخت الخليفة فسلمت على نعم وقالت لها إن مولاتى تدعوك عندها فى ضيافتها. فقالت: «سمعًا وطاعة». فقالت القهرمانة «لعل سيدك عند أخت الخليفة وقد انكشف الغطاء».

فنهضت نعم من وقتها وساعتها حتى دخلت على أخت الخليفة. فقالت لها: «هذا مولاك جالس عندى وكأنه غلط فى المكان وليس عليك ولا عليه خوف إن شاء الله تعالى». فلما سمعت نعم هذا الكلام من أخت الملك اطمأنت نفسها وتقدمت إلى مولاها نعمة وقبلته، فلما نظرها وقع على الأرض مغشيًا عليه وأغمى عليها أيضًا.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما أفاقا قالت لهما أخت الخليفة: «اجلسا حتى نتدبر فى الخلاص من الأمر الذى وقعنا فيه». فقالا لها: يا مولاتنا سمعًا وطاعة والأمر لك». فقالت: «والله ما

بنالكما منا سوء قط». ثم قالت لجاريتها: «أحضرى الطعام والشراب». فأحضرت ذلك. فجلسوا وأكلوا بحسب الكفاية. ثم جلسوا يشربون فدارت عليهم الأقداح، وزالت عنهم الأتراح، فقال نعمة: «ليت شعرى بعد ذلك يكون»؟ فقالت له أخت الخليفة: «يا نعمة هل تحب نعم جاريتك». فقال لها: «يا سيدتى محبتها هى التى جعلتنى على ما أنا فيه من المخاطرة بروحى». ثم قالت لنعم: «يا نعم هل تحبين سيدك نعمة»؟ فقالت: «يا سيدتى إن محبته هى التى غيرت حالى». فقالت والله إنكما متحابان فلا كان من يفرق بينكما فقرا عينا وطيبا نفسًا. ففرحا بذلك وطلبت نعم عودًا، فأحضروه لها، فأخذته وأصلحته وضربت به نوبة، فأطربت بالنغمات، وأنشدت هذه الأبيات:

ولما أبى الواشــون إلا فراقنــا ... وليس لهم عندى وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة ... وقلّت حُماتى عند ذاك وأنصـارى
غزوتهم من مقلتيك وأدمـعى ... ومن نفسى بالسيف والسيل والنار

ولم يزالوا ينشدون الأشعار، ويشربون على نغمات الأوتار، وهم فى لذة وحبور، وفرح وسرور. فبينما هم كذلك وإذا بأمير المؤمنين قد دخل عليهم. فلما نظروه قاموا له وقبلوا الأرض بين يديه، فنظر إلى نعم والعود معها فقال: «يا نعم الحمد لله الذى أذهب عنك البأس والوجع، ثم التفت إلى نعمة وهو على تلك الحالة وقال: «يا أختى من هذه الجارية التى فى جانب نعم»؟ فقالت له أخته: «يا أمير المؤمنين إن تلك جارية أنيسة لا تأكل نعم ولا تشرب إلا بها». ثم أنشدت قول الشاعر:

ضدان واجتمعا وافترقا فى البها ... والضـد يظهــر حسنــه الضـد

فقال الخليفة: «والله العظيم إنها مليحة مثلها وفى غد أخلى لها مجلسًا بجانب مجلسها وأخرج لها البسط والقماش وأنقل إليها جميع ما يصلح لها إكرامًا لنعم». واستدعت أخت الخليفة بالطعام، فقدمته لأخيها فأكل وجلس معهم فى تلك الحضرة والمقام، ثم ملأ قدحًا وأومأ إلى نعم أن تنشد شيئًا من الشعر. فأخذت العود بعد أن شربت، وأنشدت:

إذا مـا نديمى علنى ثم علنــى ... ثلاثة أقــداح لهــن هـــدير
أبيت أجر الذيـل تيهًا كأننــى ... عليـك أمير المؤمنين أمير

فطرب أمير المؤمنين وملأ قدحًا آخر وناوله إلى نعم وأمرها أن تغنى، فبعد أن شربت القدح جست الأوتار، وأنشدت هذه الأشعار:

يا أشرف الناس فى هذا الزمان وما ... له مثيــل بهــذا الأمر يفتخــر
يا واحدًا فى العلا والجـود منصبـه ... يا سيدًا ملكًا فى الكـل مشتهـر
يا مالكـًا لملـوك الأرض قاطبــة ... تعطى الجزيل ولا مَنٌّ ولا ضجر
أبقاك ربى على رغـم العـدا كمـدًا ... وزان طالعـك الإقبــال والظفـر

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد : فلما سمع الخليفة من نعم هذه الأبيات قال: «والله طيب مليح، لله

درك يا نعم ما أفصح لسانك وما أوضح بيانك». ولم يزالوا فى فرح وسرور إلى نصف الليل. ثم قالت أخت الخليفة: «اسمع يا أمير المؤمنين إنى رأيت حكاية فى الكتب عن بعض أرباب المراتب». قال الخليفة: «وما تلك الحكاية»؟ فقالت له أخته: «اسمع يا أمير المؤمنين. إنه كان بمدينة الكوفة صبى يسمى نعمة بن الربيع وكان له جارية يحبها وتحبه وكانت قد تربت معه فى بيت واحد. فلما كبرا وتمكن حبهما من بعضهما رماهما الدهر بنكباته، وجار عليهما الزمان بآفاته، وحكم عليهما بالفراق وتحيلت عليهما الوشاة، حتى خرجت من داره، وأخذوها سرقة من مكانه. ثم إن سارقها باعها لبعض الملوك بعشرة آلاف دينار، وكان عند الجارية لمولاها من المحبة مثل ما عنده لها، ففارق مولاها أهله ونعمته وداره وسافر فى طلبها، وتسبب فى اجتماعه بها وخاطر بنفسه وبذل مهجته حتى توصل إلى اجتماعه بجاريته، وكان يقال لها نعم. فلما اجتمع بها لم يستقر بهما الجلوس حتى دخل عليهما الملك الذى كان اشتراها من الذى سرقها فعجل عليهما وأمر بقتلهما، ولم ينصف من نفسه ولم يمهل عليهما فى حكمه فما تقول يا أمير المؤمنين فى قلة إنصاف هذا الملك»؟

فقال أمير المؤمنين: «إن هذا لشىء عجاب فكان ينبغى لذلك الملك العفو عند المقدرة لأنه يجب عليه أن يحفظ لهما ثلاثة أشياء: الأول أنهما متحابان. والثانى أنهما فى منزله وتحت قبضته. والثالث أن الملك ينبغى له التأنى فى الحكم بين الناس فكيف بالأمر الذى يتعلق به. فهذا الملك قد فعل فعلاً لا يشبه فعل الملوك». فقالت له أخته: «يا أخى بحق ملك السماوات والأرض أن تأمر نعم بالغناء وتسمع ما تغنى به». فقال: «يا نعم غنى لى». فأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات:

غدر الزمان ولم يزل غدارًا ... يصمى القلوب ويورث الأكدارا
ويفرق الأحباب بعد تجمع ... فترى الدموع على الخدود غزارا
كانوا وكنت وكان عيشى ناعمًا ... والدهر يجمع شملنا مدرارا
فلأبكين دمًا ودمعًا ساجمًا ... أسفًا عليك لياليًا ونهارا

فلما سمع أمير المؤمنين هذا الشعر طرب طربًا عظيمًا. فقالت له أخته: «يا أخى من حكم على نفسه بشىء لزمه القيام به والعمل بقوله، وأنت قد حكمت على نفسك بهذا الحكم». ثم قالت: «يا نعمة قف على قدميك وكذا قفى أنت يا نعم». فقالت أخت الخليفة: «يا أمير المؤمنين إن هذه الواقفة هى نعم المسروقة سرقها الحجاج بن يوسف الثقفى وأوصلها إليك وكذب فيما ادعاه فى كتابه من أنه اشتراها بعشرة آلاف دينار، وهذا الواقف هو نعمة بن الربيع سيدها. وأنا أسألك بحرمة آبائك الطاهرين وبحمزة والعقيل والعباس أن تعفو عنهما وتصفح عن جريمتهما وتهبهما لبعضهما لتغنم أجرهما وثوابهما فإنهما فى قبضتك وقد أكلا من طعامك وشربا من شرابك، وأنا الشفيعة فيهما المستوهبة دمهما». فعند ذلك قال الخليفة: «صدقت أنا حكمت بذلك وما أحكم بشىء وأرجع فيه». ثم قال: «يا نعم هل هذا مولاك»؟ قالت له: «نعم يا أمير المؤمنين». فقال: «لا بأس عليكما فقد وهبتكما لبعضكما». ثم قال: «يا نعمة وكيف عرفت بمكانها ومن وصف لك هذا المكان»؟ فقال: «يا أمير المؤمنين اسمع خبرى وانصت إلى حديثى فوحق آبائك وأجدادك الطاهرين لا أكتم عنك شيئًا».

ثم حدثه بجميع ما كان من أمره وما فعله معه الحكيم الأعجمي وما فعلته القهرمانة وكيف دخلت به القصر وغلط في الأبواب، فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب، ثم قال: «عليَّ بالأعجمي فأحضروه بين يديه، فجعله من جملة خواصه وخلع عليه الخلع وأمر له بجائزة مليحة وقال: «من يكون هذا تدبيره يجب أن نجعله من خواصنا» ثم إن الخليفة أحسن إلى نعمة ونعم وأنعم عليهما. وأنعم على القهرمانة وقعدا عنده سبعة أيام في سرور وحظ وأرغد عيش. ثم طلب نعمة منه الإذن في السفر هو وجاريته، فأذن لهما في السفر إلى الكوفة، فسافرا واجتمع بوالده ووالدته وأقاموا في أطيب عيش وأرغده إلى أن دار عليهم هادم اللذات، ومفرق الجماعات. فلما سمع الأمجد والأسعد هذا الحديث من بهرام، تعجبا من ذلك غاية العجب وقالا: «إن هذا الحديث عجيب» فباتا تلك الليلة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

بقية حكاية قمر الزمان

قالت شهر زاد: فلما أصبح الصباح ركب الأمجد والأسعد وأرادا أن يدخلا على الملك، فاستأذنا في الدخول عليه فأذن لهما. فلما دخلا عليه أكرمهما وجلسوا يتحدثون. فبينما هم كذلك وإذا بأهل المدينة يصيحون ويتصارخون ويستغيثون، فدخل الحاجب على الملك وأعلمه أن ملكًا من الملوك نزل بعساكره على المدينة. فأخبر الملك وزيره الأمجد وأخاه الأسعد بما سمعه من الحاجب. فقال الأمجد: «أنا أخرج إليه وأكشف خبره». فخرج الأمجد إلى ظاهر المدينة فوجد الملك ومعه عسكر كثير ومماليك راكبة. فلما نظروا إلى الأمجد عرفوا أنه رسول من عند ملك المدينة فأخذوه وأحضروه قدام السلطان.

فلما صار قدامه قبل الأرض بين يديه، وإذا بالملك امرأة ضاربة لها لثامًا. فقالت: «اعلم إنه ما لي عندكم غرض في هذه المدينة وما جئتكم إلا في طلب مملوك أمرد فإن وجدته عندكم فلا بأس عليكم، وإن لم أجده وقع بيني وبينكم القتال الشديد». فقال أمجد: «أيتها الملكة وما صفة هذا المملوك وما خبره وما اسمه»؟ فقالت: «اسمه الأسعد وأنا اسمي مرجانة، وهذا المملوك ان جاءني بصحبة بهرام المجوسي وما رضي أن يبيعه فأخذته منه غصبًا، فعدا عليه وأخذه من عندي وفي الليل سرقه، وأما أوصافه فإنها كذا وكذا». فلما سمع الأمجد ذلك علم أنه أخوه الأسعد. فقال لها: «يا ملكة الزمان الحمد لله الذي جاءنا بالفرج إن هذا المملوك أخي». ثم حكى لها حكايته وما جرى لهما في بلاد الغربة وأخبرها بسبب خروجهما من جزائر الأبنوس. فتعجبت الملكة مرجانة من ذلك وفرحت بلقاء الأسعد وخلعت على أخيه الأمجد. وبعد ذلك عاد الأمجد إلى الملك وأعلمه بما جرى، ففرحوا بذلك، ونزل الملك هو والأمجد والأسعد طالبين لقاء الملكة، فلما دخلوا عليها جلسوا يتحدثون. فبينما هم كذلك إذا بغبار ثار، حتى سد الأقطار. وبعد ساعة انكشف ذلك الغبار عن عسكر جرار مثل البحر الزخار، وهم لابسون الدروع والسلاح، فقصدوا المدينة ثم داروا بها كما يدور الخاتم بالخنصر وشهروا سيوفهم. فقال الأمجد والأسعد: «إنا لله وإنا إليه راجعون» ما هذا الجيش الكبير؟ إن هؤلاء أعداء لا محالة، وإن لم نتفق مع الملكة مرجانة على قتالهم أخذوا منا المدينة وقتلونا،

وليس لنا حيلة إلا أن نخرج إليهم وكشف خبرهم». فقام الأمجد وخرج من باب المدينة وتجاوز جيش الملكة مرجانة، فلما وصل إلى العسكر وجده عسكر جده الملك الغيور أبى أمه الملكة بدور، أما ذلك الملك فهو صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: فلما صار الأمجد قدامه قبَّل الأرض بين يديه وبلغه الرسالة، فقال الملك: «أنا اسمى الملك الغيور وقد جئت عابر سبيل لأن الزمان قد فجعنى بابنتى بدور، فإنها فارقتنى وما رجعت إلى ولاسمعت لها ولا لزوجها قمر الزمان خبرا، فهل عندكم بهما خبر؟» فلما سمع الأمجد ذلك أطرق إلى الأرض ساعة يتفكر حتى تحقق أنه جده أبو أمه، ثم رفع رأسه وقبل الأرض بين يديه وأخبره إنه ابن بنته بدور.

فلما سمع الملك أنه ابن بنته رمى روحه عليه وصارا يبكيان، ثم قال الملك الغيور: «الحمد لله يا ولدى على السلامة حيث اجتمعت بك». ثم حكى له الأمجد أن ابنته بدور فى عافية وكذلك أبوه قمر الزمان، وأخبره أنهما فى مدينة يقال لها جزيرة الأبنوس وحكى له أن والده قمر الزمان غضب عليه وعلى أخيه وأمر بقتلهما وأن الخازندار رق لهما وتركهما بلا قتل، فقال الملك الغيور: «أنا أرجع بك وأخيك إلى والدك وأصلح بينكما وأقيم عندكم». فقبل الأرض بين يديه وفرح به. ثم خلع الملك الغيور على الأمجد ابن بنته ورجع متبسماً إلى الملك وأعلمه بقصة الملك الغيور، فتعجب منها غاية العجب، ثم أرسل آلات الضيافة من الأغنام والخيول والجمال والعليق وغير ذلك. وأخرج للملكة مرجانة كذلك وأعلموهم بما جرى، فقالت «أنا أذهب معكم بعسكرى وأكون ساعية فى الصلح». فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد سار، حتى سد الأقطار، واسود منه النهار، وسمعوا من تحته صياحاً وصراخاً وصهيل الخيل، ورأوا سيوفاً تلمع، وأسنة رماح تشرع، فلما قربوا من المدينة ورأوا العسكرين دقوا الطبول. فلما رأى الملك ذلك قال: «ما هذا النهار إلا نهار مبارك، الحمد لله الذى أصلحنا مع هذين العسكرين، إن شاء الله يصلحنا مع هذا العسكر أيضاً». ثم قال: «يا أمجد ويا أسعد اخرجا واكتشفا لنا خبر هذه العساكر فإنها جيش ثقيل ما رأيت أثقل منه». فخرج الاثنان الأمجد وأخوه الأسعد بعد أن أغلق الملك باب المدينة خوفاً من العسكر المحيط بها. ففتحا الأبواب ثم سارا حتى وصلا إلى العسكر. فوجداه عسكراً عظيماً، فدخلا عليه فإذا هو عسكر ملك جزائر الأبنوس وفيه والدهما قمر الزمان. فلما نظراه قبلا الأرض بين يديه وبكيا.

فلما رآهما قمر الزمان رمى روحه عليهما وبكى بكاءً شديداً واعتذر لهما وضمهما إلى صدره ساعة زمانية، ثم حكى لهما ما قاساه من الوحشة الشديدة لفراقهما. أما الأمجد والأسعد فذكرا له عن الملك الغيور أنه وصل إليهم، فركب قمر الزمان فى خواصه وأخذ ولديه الأمجد والأسعد معه وساروا حتى وصلوا إلى قرب عسكر الملك الغيور، فسبق واحد منهم إلى الملك الغيور وأخبره أن قمر الزمان وصل، فطلع إلى ملاقاته، فاجتمعوا بعضهم ببعض وتعجبوا من هذه الأمور وكيف تم التقاؤهم فى هذا المكان. وصنع أهل المدينة الولائم وأنواع الطعامات والحلويات ثم قدموا الخيول والجمال والضيافات والعليق وما تحتاج إليه العساكر. فبينما هم

كذلك وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وارتجت الأرض من الخيول وصارت الطبول كعواصف الرياح. والجيش جميعه بالعدد والأزراد، وكلهم لابسون السواد، وفى وسطهم شيخ كبير لحيته واصلة إلى صدره وعليه ملابس سود.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهرزاد: فلما نظر أهل المدينة هذه العساكر العظيمة قال صاحب المدينة للملوك: «الحمد لله الذى اجتمعتم بإذن الله تعالى فى يوم واحد وكنتم كلكم معارف. فما هذا العسكر الجرار الذى قد سد الأقطار؟» فقال له الملوك: «لا تخف منه فنحن ثلاثة ملوك وكل ملك له عساكر كثيرة فإن كانوا أعداء نقاتلهم معك ولو زادوا ثلاثة أمثالهم».

فبينما هم كذلك وإذا برسول من تلك العساكر قد أقبل طالب المدينة، فقدموه بين يدى قمر الزمان والملك الغيور والملكة مرجانة والملك صاحب المدينة، فقبل الأرض وقال: «إن هذا الملك من بلاد العجم وقد فقد ولده من مدة سنين، وهو دائر يفتش عليه فى الأقطار، فإن وجده عندكم فلا بأس عليكم، وإن لم يجده وقع الحرب بينه وبينكم وأخرب مدينتكم». فقال له قمر الزمان: «ما يصل إلى هذا، ولكن ما يقال له فى بلاد العجم؟» فقال الرسول: «يقال له الملك شهرمان صاحب الجزائر الخالدات، وقد جمع هذه العساكر من الأقطار التى مر بها وهو دائر يفتش على ولده».

فلما سمع قمر الزمان كلام الرسول صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيا عليه واستمر فى غشيته ساعة. ثم أفاق وبكى بكاءً شديداً وقال للأمجد والأسعد وخواصهما: «امشوا يا أولادى مع الرسول وسلموا على جدكم والدى الملك شهرمان وبشروه بى فإنه حزين على فقدى وهو إلى الآن لابس الملابس السود لأجلى». ثم حكى للملوك الحاضرين جميع ما جرى له فى أيام صباه. فتعجب جميع الملوك من ذلك. ثم نزلوا هم وقمر الزمان وأتوا إلى والده، فسلم قمر الزمان على والده وعانقا بعضهما ووقعا مغشيا عليهما ساعة من شدة الفرح. فلما أفاقا حكى لأبيه جميع ما جرى له، ثم سلم عليه بقية الملوك وردوا مرجانة إلى بلدها بعد أن زوجوها للأسعد ووصوها أنها لا تقطع عنهم مراسلتها وسافرت ثم زوجوا الأمجد بستان بنت بهرام. وسافر الجميع إلى مدينة الأبنوس، ودخل قمر الزمان على عمه وأعلمه بجميع ما جرى له وكيف اجتمع بأولاده، ففرح وهنأه بالسلامة. ثم دخل الملك الغيور أبو الملكة بدور على بنته وسلم عليها وبل شوقه منها وقعدوا فى مدينة الأبنوس شهراً كاملاً، ثم سافر الملك الغيور بابنته إلى بلده، وأخذ الأمجد معهم وارتحلوا إلى بلادهم.

فلما استقر فى مملكته أجلس الأمجد يحكم مكان جده. وأما قمر الزمان فإنه أجلس ابنه الأسعد يحكم مكانه فى مدينة جده أرمانوس ورضى به جده. ثم تجهز قمر الزمان وسافر مع أبيه الملك شهرمان إلى أن وصلا إلى الجزائر الخالدات. فزينت لهما المدينة واستمرت البشائر تدق شهراً كاملاً. وجلس قمر الزمان يحكم مكان أبيه إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات، والله أعلم.

فقال الملك لشهرزاد: «إن هذا الحكاية عجيبة جداً». قالت: «أيها الملك ليست هذه الحكاية بأعجب من حكاية علاء الدين أبى الشامات». قال: «وما حكاية علاء الدين أبى الشامات»؟.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

حكاية علاء الدين أبى الشامات

قالت شهرزاد: بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان، رجل تاجر بمصر يقال له شمس الدين وكان من أحسن التجار وأصدقهم مقالاً وهو صاحب خدم وحشم وعبيد وجوار ومماليك ومال كثير وكان شاه بندر التجار بمصر.

وكان معه زوجة يحبها وتحبه. إلا أنه عاش معها أربعين عاماً ولم يرزق ولداً لا ذكر ولا أنثى. فجلس يوماً من الأيام فى دكانه فرأى التجار وكل واحد منهم له ولد أو ولدان أو أكثر وهم قاعدون فى دكاكين مثل آبائهم، وكان ذلك يوم جمعة، فدخل ذلك التاجر الحمام واغتسل غسل الجمعة. ولما طلع أخذ مرآة المزين فنظر وجهه فيها وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله». ثم نظر إلى لحيته فرأى البياض غطى السواد وتذكر أن الشيب نذير الموت. وكانت زوجته تعرف ميعاد مجيئه فتتهيأ، فلما أتى إلى البيت قالت له: «مساء الخير». فقال لها: «أنا ما رأيت الخير». فقالت للجارية: «هاتى سفرة العشاء». فأحضرت الطعام وقالت له: «تعش يا سيدى». فقال لها: «ما آكل شيئاً». ورفسها برجله وأعرض عنها بوجهه.

فقالت له: «ما سبب ذلك وأى شىء أحزنك»؟ فقال لها: «سبب حزنى هو أننى عن قريب أموت ولا أترك نسلاً أذكر به». فقالت له زوجته وكانت امرأة صالحة: «تضرع إلى الله تعالى لكى يعطيك مرغوبك». فتضرعا وصاما وتصدقا على الفقراء. فتحنن البارى عليهما ورزقهما بولد. فحملت المرأة، ثم وفت أيام حملها ولحقها الطلق وقامت الزغاريد، فقاست القابلة المشقة فى الخلاص ورقته باسمى محمد وعلى، وكبرت وأذنت فى أذنه ولفته وأعطته لأمه، فأعطته ثديها وأرضعته فرضع وشبع ونام. وأقامت القابلة عندهم ثلاثة أيام حتى عملوا مأمونية وحلاوة وفرقوها فى اليوم السابع. ثم رشوا ملحه، ودخل التاجر وهنأ زوجته بالسلامة وقال لها: «أين وديعة الله»؟ فقدمت له مولوداً بديع الجمال صنع المدبر الموجود وهو ابن سبعة أيام ولكن الذى ينظره يقول عليه أنه ابن عام.

فنظر التاجر فى وجهه فرآه بدرا مشرقاً وله شامات على الخدين، فقال لها: «ما سميته»؟ فقالت له: «لو كانت بنتاً كنت سميتها وهذا صبى فلا يسميه إلا أنت». وكان أهل ذلك الزمن يسمون أولادهم بالفال. فبينما هم يتشاورون فى الاسم وإذا بواحد يقول لرفيقه: «يا سيدى علاء الدين». فقال لها: «نسميه بعلاء الدين أبى الشامات». ووكل به المراضع والقوابل فشرب اللبن عامين، ثم فطموه فكبر ونشأ، وعلى الأرض مشى فلما بلغ من العمر سبع سنين أدخلوه طابقاً خوفاً عليه من العين وقال: «هذا لا يخرج من الطابق حتى تطلع لحيته». ووكل به جارية وعبداً فصارت الجارية تهيء له السفرة والعبد يحملها إليه. ثم إنه ختنه وعمل له وليمة عظيمة، وبعد ذلك أحضر له فقيهاً يعلمه، فعلمه الخط والقرآن والعلوم إلى أن صار ماهراً

وصاحب معرفة. فاتفق أن العبد أوصل إليه السفرة فى بعض الأيام ونسى الطابق مفتوحاً، فطلع علاء الدين من الطابق ودخل على أمه وكان عندها محضر من أكابر النساء، فبينما النساء يتحدثن مع أمه وإذا بهذا الولد دخل عليهن كالمملوك السكران من فرط جماله، فحين رأته النسوة غطين وجوههن وقلن لأمه: «الله يجازيك يا فلانة كيف تدخلين علينا هذا المملوك الأجنبى، أما تعلمين أن الحياء من الإيمان». فقالت لهن: «سمين الله إن هذا ولدى وثمرة فؤادى وابن شاه بندر التجار شمس الدين». فقلن لها: «عمرنا ما رأينا لك ولداً». فقالت: «إن اباه خاف عليه من العين فجعل مرباه فى طابق تحت الأرض، فلعل الخادم نسى الطابق مفتوحاً فطلع منه، ولم يكن مرادنا أن يطلع حتى تنبت لحيته». فهنأتها النسوة بذلك.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهرزاد: وخرج الغلام من عند النسوة إلى حوش البيت ثم خرج إلى المقعد وجلس فيه فبينما هو جالس وإذا بالعبيد قد دخلوا ومعهم بغلة أبيه. فقال لهم علاء الدين: «أين كانت هذه البغلة؟» فقالوا له: «نحن أوصلنا أباك عليها إلى الدكان وجئنا بها». فقال لهم: «أى شىء صنعة أبى؟» فقالوا له: «إن أباك شاه بندر التجار بأرض مصر وهو سلطان أولاد العرب». فدخل علاء الدين على أمه وقال لها: «يا أمى ما صناعة أبى؟» فقالت له: «يا ولدى إن أباك تاجر وهو شاه بندر التجار بأرض مصر وسلطان أولاد العرب، وعبيده لا يشاورونه فى البيع إلا على البيعة التى يكون أقل ثمنها ألف دينار، وأما البيعة التى تكون بتسعمائة دينار فأقل فإنهم لا يشاورونه عليها بل يبيعونها بأنفسهم ولا يأتى متجر من بلاد الناس قليلاً أو كثيراً إلا ودخل تحت يده ويتصرف فيه كيف يشاء، ولا ينحزم متجر يروح إلى بلاد الناس إلا ويكون من تحت يد أبيك، والله تعالى أعطى أباك يا ولدى مالاً كثيراً لا يحصى له». فقال لها: «يا أمى الحمد لله لأنى ابن سلطان أولاد العرب ووالدى شاه بندر التجار. ولأى شىء يا أمى تضعوننى فى الطابق وتتركوننى محبوساً فيه؟» فقالت له: «يا ولدى نحن ما وضعناك فى الطابق إلا خوفاً عليك من أعين الناس، فإن العين حق وأكثر أهل القبور من العين».

فقال لها: «يا أمى وأين المفر من القضاء والحذر لا يمنع القدر، والمكتوب ما منه مهروب، وإن الذى أخذ جدى ما يخلينى، وأبى فإنه إن عاش اليوم ما يعيش غداً. وإذا مات أبى وقلت: أنا علاء الدين ابن التاجر شمس الدين لا يصدقنى أحد من الناس والشيوخ يقولون: عمرنا ما رأينا لشمس الدين ولداً ولا بنتاً، فينزل بيت المال ويأخذ مال أبى ويحرمنى منه، ورحم الله من قال: يموت الفتى ويذهب ماله، ويأخذ أنذال الرجال نساءه. فأنت يا أمى تكلمى مع أبى حتى يأخذنى معه إلى السوق ويفتح لى دكاناً وأقعد فيه ببضائع ويعلمنى البيع والشراء، والأخذ والعطاء». فقالت له: «يا ولدى عندما يحضر أبوك أخبره بذلك». فلما رجع التاجر إلى بيته وجد ابنه علاء الدين أبى الشامات قاعداً عند أمه، فقال لها: «لأى شىء أخرجته من الطابق؟» فقالت له: «يا ابن عمى أنا ما أخرجته ولكن الخدم نسوا أن يقفلوا الطابق وتركوه مفتوحاً، فبينما أنا قاعدة وعندى محضر من أكابر النساء إذا به دخل علينا». وأخبرته بما قاله ولده، فقال له: «يا ولدى فى غد إن شاء الله آخذك معى إلى السوق، ولكن يا ولدى قعود الأسواق والدكاكين يحتاج إلى الأدب والكمال فى كل حال». فبات علاء الدين وهو فرحان من كلام أبيه.

فلما أصبح الصباح أدخله الحمام وألبسه بدلة تساوى جملة من المال. ولما فطروا وشربوا الشربات ركب بغلته وأركب ولده بغلة وأخذه وراءه وتوجه به إلى السوق. فنظر أهل السوق شاه بندر التجار مقبلاً ووراءه غلام ذكر، كأنه القمر فى ليلة أربعة عشر.

فقال واحد منهم لرفيقه: «انظر هذا الغلام الذى وراء شاه بندر التجار قد كنا نظن به الخير وهو مثل الكراث شائب وقلبه أخضر». فقال الشيخ محمد سمسم النقيب للتجار: «نحن يا تجار ما بقينا نرضى به أن يكون شيخاً علينا أبداً».

وكان من عادة شاه بندر التجار أنه عندما يأتى من بيته فى الصباح ويقعد فى دكانه يتقدم نقيب السوق ويقرأ الفاتحة للتجار فيقومون معه ويأتون إلى شاه بندر التجار ويقرأون له الفاتحة ويصبحون عليه ثم ينصرف كل واحد منهم إلى دكانه. فلما قعد شاه بندر التجار فى دكانه ذلك اليوم على عادته لم تأت إليه التجار حسب عادتهم. فنادى النقيب وقال له: «لأى شىء لم تجتمع التجار على جرى عادتهم؟» فقال له: «أنا ما أعرف نقل الفتن، وأن التجار اتفقوا على عزلك من المشيخة ولا يقرءون له فاتحة». فقال له: «ما سبب ذلك؟» فقال له: «ما شأن هذا الولد بجانبك وأنت شيخ ورئيس التجار، فهل هذا الولد مملوكك أو قريب لزوجتك؟» فصرخ عليه وقال له: «اسكت قبح الله ذاتك وصفاتك هذا ولدى». فقال له: «عمرنا ما رأينا لك ولداً». فقال له: «لما تضرعت «إلى الله تعالى حملت زوجتى وولدته، ولكن أنا من خوفى عليه من العين ربيته فى طابق تحت الأرض وكان مرادى أنه لا يخرج من الطابق حتى يمسك لحيته بيده، فلما رضيت أمه وطلبت منى أن أفتح له دكاناً وأحط عنده بضائع وأعلمه البيع والشراء».

فذهب النقيب إلى التجار وأخبرهم بحقيقة الأمر، فقاموا كلهم بصحبة النقيب وتوجهوا إلى شاه بندر التجار ووقفوا بين يديه وقرأوا الفاتحة وهنأوه بذلك الغلام وقالوا له: «ربنا يبقى الأصل والفرع، ولكن الفقير منا عندما يأتيه ولد أو بنت لا بد أن يصنع لإخوانه دست عصيدة ويدعو معارفه وأقاربه، وأنت لم تعمل ذلك». فقال لهم: «لكم على ذلك ويكون اجتماعنا فى البستان».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهرزاد: فلما أصبح الصباح أرسل الفراش للقاعة والقصر اللذين فى البستان وأمره بفرشهما وأرسل آلة الطبخ من أغنام وسمن وغير ذلك مما يحتاج إليه الحال، وعمل سماطين سماطاً فى القصر وسماطاً فى القاعة، وتحزم التاجر شمس الدين وتحزم ولده علاء الدين وقال له: «يا ولدى إذ تنظر الولد الأمرد داخلاً فخذه وادخل به القاعة وأقعده على السماط». فقال له: «لأى شىء يا أبى وما سبب أنك تعمل سماطين واحداً للرجال وواحداً للأولاد؟» فقال: «يا ولدى إن الأمرد يستحى أن يأكل عند الرجال». فاستحسن ذلك ولده.

فلما جاء التجار صار شمس الدين يقابل الرجال ويجلسهم فى القصر وولده علاء الدين يقابل الأولاد ويجلسهم فى القاعة. ثم وضعوا الطعام، فأكلوا وشربوا وتلذذوا وشربوا الشربات وأطلقوا البخورات، فقعد الشيوخ فى مذاكرة العلم والحديث، وكان بينهم رجل تاجر يسمى محمود البلخى، وكان مسلماً فى الظاهر مجوسيا فى الباطن وكان يبغى الفساد، فنظر

فى وجه علاء الدين نظرة أعقبته ألف حسرة. وكان ذلك التاجر اسمه محمود البلخى يأخذ القماش والبضائع من والد علاء الدين.

ثم إن محموداً البلخى قام يتمشى وانعطف نحو الأولاد، فقاموا للتقاء وقام علاء الدين لبعض حاجته، فالتفت التاجر محمود إلى الأولاد وقال لهم: «إن طيبتم خاطر علاء الدين على السفر معى لأعطين كل واحد منكم ثوباً يساوى جملة من المال». ثم توجه من عندهم إلى مجلس الرجال. فبينما الأولاد جالسون وإذ بعلاء الدين أقبل عليهم، فقاموا للتقاء وأجلسوه بينهم فى صدر المقام، فقام ولد منهم وقال لرفيقه: «يا سيدى حسن أخبرنى برأس المال الذى عندك تبيع فيه وتشترى من أين جاءك؟ فقال له: «أنا لما كبرت وانتشأت وبلغت مبلغ الرجال قلت لأبى: يا والدى أحضر لى متجراً. فقال لى، يا ولدى ما عندى شىء ولكن رح خذ لك مالاً من أحد التجار واتجر به وتعلم البيع والشراء والأخذ والعطاء. فتوجهت إلى واحد من التجار واقترضت منه ألف دينار فاشتريت بها قماشاً وسافرت به إلى الشام فربحت المثل مثلين، ثم أخذت متجراً من الشام وسافرت به إلى حلب وبعته فربحت ربحاً كثيراً، ولم أزل أتجر به حتى صار رأس مالى نحو عشرة آلاف دينار». وصار كل واحد من الأولاد يقول لرفيقه مثل ذلك إلى أن جاء دور علاء الدين أبى الشامات. فقالوا له: «وأنت تعودت على قعود البيت ولا تعرف لذة السفر والسفر ما يكون إلا للرجال». فقال لهم: «أنا مالى حاجة إلى السفر وليس للراحة قيمة عندى». فقال واحد منهم لرفيقه: «هذا مثل السمك إذا فارق الماء مات». ثم قالوا له: «يا علاء الدين ما فخر أولاد التجار إلا فى السفر لأجل الكسب». فحصل لعلاء الدين غيظ بسبب ذلك وطلع من عند الأولاد وهو باكى العين حزين الفؤاد وركب بغلته وتوجه إلى البيت. فنظرته أمه فى غيظ زائد باكى العين فقالت له: «مايبكيك يا ولدى»؟ فقال لها: «إن أولاد التجار جميعاً عيرونى وقالوا لى: ما فخر أولاد التجار إلا بالسفر لأجل كسب الدراهم».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهرزاد: فقالت له أمه: «يا ولدى هل مرادك السفر»؟ قال: «نعم» قالت له: «إلى أى البلاد تسافر»؟ فقال لها: «إلى مدينة بغداد فإن الإنسان يكسب فيها المثل الذى معه مثلين». فقالت له: «يا ولدى إن أباك عنده مال كثير وإن لم يجهز لك متجراً من ماله فأنا أجهز لك متجراً من عندى». فقال لها: «خير البر عاجله وإن كان معروفاً فهذا وقته». فأحضرت العبيد وأرسلتهم إلى الذين يحزمون القماش وفتحت حاصلاً وأخرجت له منه قماشاً وحزموا له عشرة أحمال.

هذا ما كان من أمر أمه. وأما ما كان من أمر أبيه فأنه التفت فلم يجد ابنه علاء الدين فى البستان. فسأل عنه فقالوا له: «إنه ركب بغلته وراح إلى البيت». فركب وتوجه خلفه، فلما دخل منزله رأى أحمالاً محزومة، فسأل عنها فأخبرته زوجته بما وقع من أولاد التجار لولده علاء الدين، فقال له: «يا ولدى خيب الله الغربة فقد قال رسول الله ﷺ: من سعادة المرء أن يرزق فى بلده. وقال الأقدمون: دع السفر ولو كن ميلاً».

ثم قال لولده: «هل صممت على السفر ولا ترجع عنه»؟ فقال له ولده: «لا بد لي من السفر إلى بغداد بمتجر وإلا قلعت أثوابي ولبست ثياب الدراويش وخرجت سائحاً في البلاد».
فقال له: «ما أنا معوز ولا معدم بل عندي مال كثير».

ثم إن والده أراه جميع ما عنده من المال والمتاجر والقماش وقال له: «أنا عندي لكل بلد ما يناسبها من القماش والمتاجر». وأراه من جملة ذلك أربعين حملاً محزومة مكتوباً على كل حمل ثمنه ألف دينار. ثم قال له: «يا ولدي خذ الأربعين حملاً والعشرة أحمال التي من عند أمك وسافر مع سلامة الله تعالى. ولكن يا ولدي أخاف عليك من غابة في طريقك تسمى غابة الأسد وواد هنالك يقال له وادي الكلاب، تروح فيها الأرواح بغير سماح». فقال له: «لماذا يا والدي»؟ فقال له: «من بدوي قاطع الطريق يقال له عجلان». فقال له: «الرزق رزق الله وإن كان لي فيه نصيب لم يصيبني ضرر». ثم ركب مع والده وسار إلى الدواب، وإذا بعكام نزل من فوق بغلته وقبل يد شاه بندر التجار وقال له: «والله من زمان يا سيدي ما استقضيتنا في تجارات» فقال له: «لكل زمان دولة ورجال، ورحم الله من قال:

«وشيخ في جهات الأرض يمشي ولحيته تقابل ركبتيه
فقل له لماذا أنت محني فقال وقد لوى نحوي يديه
شبابي في الثرى قد ضاع مني وها أنا منحن بحثاً عليه»

فلما فرغ من شعره قال: «يا مقدم ما يريد السفر إلا ولدي هذا». فقال له العكام: «الله يحفظه عليك». ثم إن شاه بندر التجار أقام ذلك العكام وكيلاً على ولده وأوصاه به وقال له: «خذ هذه المائة دينار لغلمانك». ثم اشترى ستين بغلاً وقنديلاً وستراً لسيدي عبد القادر الجيلاني وقال له: «يا ولدي أنا غائب وهذا أبوك عوضاً عني وجميع ما يقوله لك طاوعه فيه». ثم توجه بالبغال والغلمان في تلك الليلة ختمة ومولوداً للشيخ عبدالقادر الجيلاني. فلما أصبح أعطى شاه بندر التجار لولده عشرة آلاف دينار وقال له: «إذا دخلت بغداد ولقيت حال القماش رائجاً فبعه، وإن لقيت حاله واقفاً فاصرف من هذه الدنانير». ثم حملوا البغال وودعوا بعضهم وساروا متوجهين حتى خرجوا من المدينة، وكان محمود البلخي تجهز للسفر إلى جهة بغداد وأخرج حموله ونصب صواوينه خارج المدينة. وكان لأبي الولد ألف دينار عند محمود البلخي بقية معاملة، فذهب إليه وودعه وقال له: «اعط الألف دينار لولدي علاء الدين». وأوصاه به وقال له: «إنه مثل ولدك». فاجتمع علاء الدين بمحمود البلخي.

فقام محمود البلخي وأوصى طباخ علاء الدين أن يطبخ شيئاً، وصار محمود يقدم لعلاء الدين المآكل والمشرب له ولجماعته، ثم توجهوا للسفر. وكان للتاجر محمود البلخي أربعة بيوت واحد في مصر وواحد في الشام وواحد في حلب وواحد في بغداد.

ولم يزالوا مسافرين في البراري والقفار حتى أشرفوا على الشام، فأرسل محمود البلخي عبده إلى علاء الدين فرآه قاعداً يقرأ، فتقدم وقبل أياديه. فقال له: «ما تطلب»؟ فقال له: «سيدي يسلم عليك ويدعوك إلى منزله». فقال له: «دعني أشاور أبي المقدم كمال الدين العكام». فشاوره على الرواح فقال له: «لا ترح».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: ثم سافروا من الشام إلى أن دخلوا حلب فعمل محمود البلخي مأدبة وأرسل يطلب علاء الدين، فشاور المقدم فمنعه. ورحلوا من حلب إلى أن بقي بينهم وبين بغداد مرحلة، فعمل محمود البلخي وليمة وأرسل يطلب علاء الدين، فشاور المقدم فمنعه، فقال علاء الدين «لابد لي من الرواح». ثم قام وتقلد سيفاً تحت ثيابه وسار إلى أن دخل على محمود البلخي، فقام لملتقاه وسلم عليه وأحضر سفرة عظيمة. فأكلوا وشربوا وغسلوا أيديهم ومال محمود البلخي على علاء الدين يريدأن يقبله فلاقاها في كفه.

ثم إن محمود البلخي هم ثاني مرة أن يقبله، فقام علاء الدين وجرد سيفه وقال له: «واشيبتاه، أما تخشى الله، وهو شديد المحال، ورحم الله من قال:

«احفظ مشيبك من عيب يدنسه إن البياض سريع الحمل للدنس»

فلما فرغ من شعره قال لمحمود البلخي: «إن هذا البضاعة أمانه لله لا تباع ولو بعت هذه البضاعة لغيرك بالذهب لبعتها لك بالفضة، ولكن والله يا خبيث ما بقيت أرافقك أبداً».
ثم رجع علاء الدين إلى المقدم كمال الدين وقال له: «إن هذا رجل فاسق ما بقيت أرافقه أبداً ولا أمشي معه في طريق». فقال له: «يا ولدي أما قلت لك لا تذهب إليه؟ ولكن يا ولدي إن افترقنا عنه نخشى على أنفسنا التلف فخلنا قفلاً واحداً». فقال له: «لا يمكن أن أرافقه في الطريق أبداً». فحمل حموله هو ومن معه إلى أن نزلوا في واد وأرادوا أن يحطوا فيه فقال المكام: «لا تحطوا هنا واستمروا رائحين وأسرعوا في المسير لعلنا نحصل بغداد قبل أن تقفل أبوابها، فإنهم لا يفتحونها ولا يقفلونها إلا بشمس خوفاً على المدينة أن يملكها الروافض ويرموا كتب العلم في دجلة». فقال له: «يا والدي أنا ما توجهت بهذا المتجر إلى هذه البلدة لأجل المكسب بل لأجل الفرجة على بلاد الناس». فقال له: «يا ولدي نخشى عليك وعلى مالك من العرب». فقال له: «يا رجل هل أنت خادم أم مخدوم؟ أنا ما أدخل بغداد إلا مع الصباح لتنظر أولاد بغداد إلى متجري ويعرفوني». فقال له المقدم: «افعل ما تريد فأنا نصحتك وأنت تعرف خلاصك». فأمرهم علاء الدين بتنزيل الأحمال عن البغال، فأنزلوا الأحمال ونصبوا الصيوان واستمروا مقيمين إلى نصف الليل.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهرزاد: ثم خرج علاء الدين يزيل ضرورة فرأى شيئًا يلمع على بعد، فقال للمكام: «يا مقدم ما هذا الشيء الذي يلمع؟» فقعد المقدم على حيله وتأمل وحقق النظر فرأى الذي يلمع أسنة رماح وحديد سلاح وسيوفًا بدوية، وإذا بهم عرب ومقدمهم يسمى شيخ العرب عجلان أبو نائب. ولما قرب العرب منهم ورأوا حمولهم قالوا لبعضهم: «يا ليلة الغنيمة». فلما سمعوهم يقولون ذلك قال المقدم كمال الدين المكام: «حاس يا أقل العرب». فطعنه أبو نائب بحربته في صدره فخرجت تلمع من ظهره، فوقع على باب الخيمة قتيلاً.

فقال السقاء: «حاس يا أخس العرب» فضربوه بسيف على عاتقه فخرج يلمع من علائقه ووقع قتيلاً. هذا كل ما جرى وعلاء الدين واقف ينظر. ثم إن العرب جالوا وصالوا

على القافلة فقتلوهم ولم يبقوا أحدًا من طائفة علاء الدين. ثم حملوا الأحمال على ظهر البغال وراحوا . فقال علاء الدين لنفسه: «ما يقتلك إلا بغلتك وبدلتك هذه» فقام وقلع البدلة ورماها على ظهر البغلة إلى أن بقى بالقميص واللباس فقط. والتفت قدامه إلى باب الخيمة فرأى بركة دم سائلة من دم القتلى فصار يتمرغ فيها بالقميص واللباس حتى صار كالقتيل الغريق فى دمه.

هذا ما كان من أمر علاء الدين. وأما ما كان من شيخ العرب عجلان فإنه قال لجماعته: «يا عرب هذه القافلة آتية من مصر أو خارجة من بغداد»؟ فقالوا له: «هذه آتية من مصر إلى بغداد». فقال لهم: «ارجعوا على القتلى لأنى أظن صاحب هذه القافلة لم يمت». فارتد العرب على القتلى وصاروا يزيدون القتلى طعنًا وضربًا إلى أن وصلوا إلى علاء الدين وكان قد ألقى نفسه بين القتلى. فلما وصلوا إليه قالوا له: «أنت جعلت نفسك ميتًا فنحن نكمل قتلك». وسحب البدوى الحربة وأراد أن يغرزها فى صدر علاء الدين، فقال علاء الدين: «يا بركتك يا سيدى عبد القادر يا جيلانى». فنظر علاء الدين إلى يد حولت الحربة عن صدره إلى صدر المقدم كمال الدين المكام، فطعنه البدوى وامتنع عن علاء الدين.

ثم حملوا الأحمال على ظهور البغال ومشوا بها، فنظر علاء الدين فرأى الطير قد طارت بأرزاقها فقعد على حيله وقام يجرى، وإذا بالبدوى أبو نائب قال لرفاقه: «أنا رأيت زوالاً يا عرب». فطلع واحد منهم فرأى علاء الدين يجرى، فقال له: «لا ينفعك الهرب ونحن وراءك». ولكز فرسه فأسرعت وراءه. وكان علاء الدين قد رأى أمامه حوضًا فيها ماء وبجانبه صهريج، فطلع إلى شباك الصهريج وامتد وجعل نفسه أنه نائم وقال: «يا جميل الستر سترك الذى لا ينكشف». وإذا بالبدوى وقف تحت الصهريج فى الركابين ومد يده ليقبض علاء الدين فقال علاء الدين: «يا بركتك يا سيدتى نفسية هذا وقتك». وإذا بعقرب لدغت البدوى فى كفه، فصرخ وقال: «آه تعالوا إلىَّ يا عرب فإنى لدغت». فنزل من فوق ظهر الحجرة. فأتاه رفقاؤه وأركبوه ثانيًا على فرسة حجرة وقالوا له: «أى شىء أصابك»؟ فقال لهم: لدغتنى عقرب.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: هذا ما كان من أمرهم. وأما ما كان من أمر علاء الدين فإنه استمر نائمًا فى شباك الصهريج. وأما ما كان من التاجر محمود البلخى فإنه أمر بتحميل الأحمال وسافر إلى أن وصل إلى غابة الأسد. فلقى غلمان علاء الدين كلهم قتلى، ففرح بذلك وترجل إلى أن وصل إلى الصهريج والحوض، وكانت بغلة محمود البلخى عطشانة، فقامت لتشرب من الحوض فرأت خيال علاء الدين نائمًا فجفلت منه. فرفع محمود البلخى عينه فرأى علاء الدين نائمًا وهو عريان بالقميص واللباس فقط. فقال له: «من فعل بك هذه الفعال وخلاك فى أسوأ حال»؟ فقال له: «العرب». فقال له: «يا ولدى فداؤك البغال والأموال، وتسل بقول من قال:

إذا سلمت هام الرجل من الردى   فما المال إلا مثل قص الأظافر

ولكن يا ولدى انزل ولا تخش بأسًا». فنزل علاء الدين من شباك الصهريج وأركبه بغلة. ثم سافروا إلى أن دخلوا مدينة بغداد فى دار محمود البلخى، فأمر بدخول علاء الدين الحمام

وقال له: «المال والأحمال فداؤك يا ولدى إن طاوعتنى أعطيك قدر مالك وأحمالك مرتين». وبعد خروجه من الحمام أدخله قاعة مزركشة بالذهب فيها أربعة أواوين. ثم أمر بإحضار سفرة فيها من جميع الأطعمة فأكلوا وشربوا. ومال محمود البلخى على علاء الدين ليأخذ منه قبلة، فلقيها علاء الدين بكفه وقال له: «هل أنت إلا تابع لضلالك معى؟ أما قلت لك أنا لو كنت بعت هذه البضاعة لغيرك بالذهب لكنت أبيعها لك بالفضة»؟ فقال له: «أنا ما أعطيك المتجر والبغلة والبدلة إلا لأجل هذه القضية». فقال له علاء الدين: «إن هذا شيء لا يمكن أبدًا، فخذ بدلتك وبغلتك وافتح لى الباب حتى أروح». ففتح له الباب فخرج علاء الدين وسار.

فبينما هو سائر فى الظلام إذ رأى باب مسجد فدخل فى دهليز المسجد واستكن فيه. وإذا بنور مقبل عليه فتأمله فرأى فانوسين فى يدى عبدين قدام اثنين من التجار واحد منهما شيخ حسن الوجه والثانى شاب، فسمع الشاب يقول للشيخ: «بالله يا عمى أن ترد لى بنت عمى». فقال له: «أما نهيتك مرارًا عديدة وأنت تجعل الطلاق مصحفك»؟

ثم التفت الشيخ إلى يمينه فرأي ذلك الولد كأنه القمر فقال له: «السلام عليك». فرد عليه السلام. فقال له: «يا غلام من أنت»؟ فقال له: «أنا علاء الدين بن شمس الدين شاه بندر التجار بمصر، وتمنيت على والدى المتجر فجهز لى خمسين حملاً من القماش والبضاعة وأعطانى عشرة آلاف دينار وسافرت إلى أن وصلت إلى غابة الأسد فخرج علىَّ العرب وأخذوا مالى وأحمالى، فدخلت هذه المدينة وما أدرى أين أبيت، فرأيت هذا المحل فاختفيت فيه». فقال له: «يا ولدى ما تقول إذا أعطيتك ألف دينار وبدلة بألف دينار وبغلة بألف دينار»؟ فقال له علاء الدين: «على أى وجه تعطينى ذلك يا عمى»؟ فقال له: «إن هذا الغلام الذى معى ابن أخى ولم يكن لأبيه غيره، وأنا عندى بنت لم يكن لى غيرها تسمى زبيدة العودية وهى ذات حسن وجمال، فزوجتها له وهو يحبها وهى تكرهه فحنث فى يمينه بالطلاق الثلاث، فما صدقت زوجته بذلك حتى افترقت منه، فساق على جميع الناس لأردها له فقلت له: هذا لا يصح إلا بالمحلل، واتفقت معه على أن نجعل المحلل واحدًا غريبًا حتى لا يعيره أحد بهذا الأمر وحيث كنت أنت غريبًا فتعال معنا لنكتب كتابك عليها وتصبح تطلقها ونعطيك ما ذكرته لك».

فسار معهما إلى القاضى. فلما نظر القاضى إلى علاء الدين وقعت محبته فى قلبه وقال لأبى البنت: «أى شيء مرادكم»؟ فقال: «مرادنا أن نعمل مستحلاً لبنتنا على هذا الغلام، ولكن نكتب عليه حجة بمقدم الصداق عشرة آلاف دينار. فإن طلقها فى غد أعطيناه بدلة بألف دينار». فعقدوا العقد على هذا الشرط. وأخذ أبو البنت حجة بذلك. ثم أخذ علاء الدين معه وألبسه البدلة وساروا به إلى أن وصلوا إلى دار بنته، فأوقفه على باب الدا ودخل على بنته وقال لها: «خذى حجة صداقك فإنى كتبت كتابك على شاب مليح يسمى علاء الدين أبا الشامات فتوصى به غاية الوصية». ثم أعطاها الحجة وذهب إلى بيته.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما أصباح الصباح قال علاء الدين لزوجته: «يا فرحة ما تمت أخذها الغراب وطار». فقالت له: «ما معنى هذا الكلام»؟ فقال لها: «سيدتى ما بقى لى قعود معك

غير هذه الساعة. فقالت له: «من يقول ذلك»؟ فقال لها: «إن أباك كتب على حجة بعشرة آلاف دينار مهرك وإن لم أردها في هذا اليوم حبسوني عليها في بيت القاضي، والآن يدي قصيرة عن نصف فضة واحدة من العشرة آلاف دينار».

فقالت له: «يا سيدي هل العصمة بيدك أو بأيديهم»؟ فقال لها: «العصمة بيدي ولكن ما معي شيء». فقالت له: «إن الأمر سهل ولا تخش شيئًا فخذ هذه المائة دينار ولو كان معي غيرها لأعطيتك ما تريد،، فإن أبي من محبته لابن أخيه حول جميع ماله من عندي إلى بيته حتى صيغتي أخذها كلها، وإذا أرسل إليك رسولاً من طرف الشرع في غد وقال لك القاضي وأبي: طلق. فقل لهما: في أي مذهب يجوز أن أتزوج في العشاء وأطلق في الصباح؟ ثم إنك تقبل يد القاضي وتعطيه إحسانًا، وكذا كل شاهد تقبل يده وتعطيه عشرة دنانير فكلهم يتكلمون معك. فإذا قالوا لك: لأي شيء ما تطلق وتأخذ ألف دينار والبغلة والبدلة على حكم الشرط الذي شرطناه عليك؟ فقل لهم: أنا عندي فيها كل شعرة بألف دينار ولا أطلقها أبدًا ولا آخذ بدلة ولا غيرها. فإذا قال لك القاضي: ادفع المهر. فقل له: أنا معسر الآن وحينئذ يترفق بك القاضي والشهود ويمهلونك مدة».

فبينما هما في الكلام وإذا برسول القاضي يدق الباب، فخرج إليه، فقال له الرسول: «كلم الأفندي فإن نسيبك طالبك». فأعطاه خمسة دنانير وقال له: «يا محضر في أي شرع يجوز أن أتزوج في العشاء وأطلق في الصباح»؟ فقال له: لا يجوز عندنا أبدًا وإن كنت تجهل الشرع فأنا أكون وكيلك. وساروا إلى المحكمة. فقال له القاضي: «لأي شيء لم تطلق المرأة وتأخذ ما وقع عليه الشرط»؟ فتقدم إلى القاضي وقبل يده ووضع فيها خمسين دينارًا وقال له: «يا مولانا القاضي في أي مذهب يجوز أن أتزوج في العشاء وأطلق في الصباح قهرًا عني»؟ فقال القاضي: «لا يجوز الطلاق بالإجبار في مذهب من مذاهب المسلمين». فقال أبو الصبية: «إن لم تطلق فادفع لي الصداق عشرة آلاف دينار». فقال علاء الدين: «أمهلني ثلاثة أيام». فقال القاضي: «لا تكفي ثلاثة أيام في المهلة بل يمهلك عشرة أيام». واتفقوا على ذلك وشرطوا عليه بعد العشرة الأيام إما المهر وإما الطلاق. وخرج من عندهم على هذا الشرط. فأخذ اللحم والأرز والسمن وما يحتاج إليه الأمر من المأكل وتوجه إلى البيت. فدخل على الصبية وحكى لها جميع ما جرى له. فقالت له: «بين الليل والنهار عجائب»، ولله در من قال:

«كن حليمًا إذا بليت بغيظ وصبورًا إذا أتتك مصيبه
إن الليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيبه»

ثم قامت وهيأت الطعام وأحضرت السفرة، فأكلا وشربا وتلذذا وطربا. ثم طلب منها أن تغني، فأخذت العود وغنت غناء يطرب منه الحجر الجلمود. فبينما هما في حظ ومزاح وبسط وانشراح وإذا بالباب يطرق. فقالت له: «قم وانظر من بالباب». فنزل وفتح الباب فوجد أربعة دراويش واقفين. فقال لهم: «أي شيء تطلبون»؟ فقالوا له: «يا سيدي نحن دراويش غرباء الديار وقوت أرواحنا السماع ورقائق الأشعار ومرادنا أن نرتاح عندك هذه الليلة إلى وقت الصباح ثم نتوجه إلى حال سبيلنا وأجرك على الله تعالى فإننا نحب السماع وما فينا واحد إلا ويحفظ القصائد والأشعار والموشحات». فقال لهم: «عليَّ مشورة». ثم طلع وأعلمها. فقالت له: «افتح لهم

الباب». ففتح لهم الباب وأطلعهم وأجلسهم ورحب بهم، ثم أحضر لهم طعامًا، فلم يأكلوا وقالوا له: «يا سيدى إن زادنا ذكر الله بقلوبنا وسماع الأغانى بآذاننا، ولله در من قال:

«ومـا القصد إلا أن يكون اجتماعنا ... ومـا الأكـل إلا سمة للبهـائم»

وقد كنا نسمع عندك سماعًا لطيفًا، فلما طلعنا بطل السماع، فهل التى كانت تغنى جارية بيضاء أو سوداء أو بنت ناس»؟ فقال لهم: «هذه زوجتى». وحكى لهم جميع ما جرى له وقال لهم: «إن نسيبى عمل على عشرة آلاف مهرها وأمهلونى عشرة أيام». فقال له درويش منهم: «لا تحزن ولا تأخذ فى خاطرك إلا الطيب، فأنا شيخ التكية وتحت يدى أربعون درويشًا أحكم عليهم وسوف أجمع لك العشرة الآلاف دينار منهم وتوفى المهر الذى عليك لنسيبك، ولكن مرها أن تغنى لأجل أن يحصل لنا حظ وانتعاش، فإن السماع لقوم كالغذاء ولقوم كالدواء ولقوم كالمروحة».

وكان هؤلاء الدراويش الأربعة الخليفة هارون الرشيد والوزير جعفر البرمكى وأبو نواس الحسن بن هانىء ومسرور سياف النقمة. وسبب مرورهم على هذا البيت أن الخليفة حصل له ضيق صدر فقال للوزير: «يا وزير إن مرادنا أن ننزل ونشق المدينة لأنه حصل لى ضيق صدر». فلبسوا لبس الدراويش ونزلوا فى المدينة وجازوا على تلك الدار فسمعوا الغناء فأحبوا أن يعرفوا حقيقة الأمر، ثم إنهم باتوا فى حظ ونظام ومناقلة كلام، إلى أن أصبح الصباح فحط الخليفة مائة دينار تحت السجادة، ثم أخذوا خاطره وتوجهوا إلى حال سبيلهم. فلما رفعت الصبية السجادة رأت مائة دينار تحتها، فقالت لزوجها: خذ هذه المائة دينار التى وجدتها تحت السجادة فإن الدراويش حطوها قبل ما يروحون وليس لنا علم بذلك». فأخذها علاء الدين وذهب بها إلى السوق واشترى منها اللحم والأرز والسمن وجميع ما يحتاج إليه. وفى ثانى ليلة أوقد الشمع وقال لها: «إن الدراويش لم يأتوا بالعشرة الآلاف دينار التى وعدونى بها ولكن هؤلاء فقراء».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فبينما هما فى الكلام وإذا بالدراويش قد طرقوا الباب. فقالت له: «انزل افتح لهم». ففتح لهم وطلعوا وقال لهم: «هل أحضرتم العشرة الآلاف التى وعدتمونى بها»؟ فقالوا له: «ما تيسر منها شىء ولكن لا تخش بأسًا، إن شاء الله تعالى فى غد نطبخ لك طبخة كيمياء فمر زوجتك أن تسمعنا غناء تنتعش به قلوبنا فإننا نحب السماع» فغنت لهم على العود غناء يرقص الحجر الجلمود. فباتوا فى هناء وسرور ومسامرة وحبور إلى أن طلع الصابح وأضاء بنوره ولاح. فحط الخليفة مائة دينار تحت السجادة ثم أخذوا خاطره وانصرفوا إلى حال سبيلهم. ولم يزالوا يأتون إليه على هذه الحال مدة تسع ليال وكل ليلة يحط الخليفة تحت السجادة مائة دينار إلى أن أقبلت الليلة العاشرة فلم يأتوا. وكان السبب فى انقطاعهم أن الخليفة أرسل إلى رجل عظيم من التجار وقال له: «احضر لى خمسين حملاً من الأقمشة التى تجىء من مصر يكون كل حمل ثمنه ألف دينار، واكتب على كل حمل قدر ثمنه وأحضر لى عبدًا حبشيًا» فأحضر التاجر ما أمره به. ثم إن الخليفة أعطى العبد طستًا

وابريقًا من الذهب وهدية والخمسين حملاً وكتب كتابًا على لسان شمس الدين شاه بندر التجار بمصر والد علاء الدين وقال له: «خذ هذه الأحمال وما معها ورح بها إلى الحارة الفلانية التي فيها بيت شاه بندر التجار وقل: أين سيدي علاء الدين أبو الشامات فإن الناس يدلونك على الحارة وعلى البيت». فأخذ العبد الأحمال وما معها وتوجه كما أمره الخليفة.

هذا ما كان من أمره. وأما ما كان من أمر ابن عم الصبية فإنه توجه إلى أبيها وقال له: «تعال نروح لعلاء الدين لنطلق بنت عمي». فنزل وسار هو وإياه وتوجها إلى علاء الدين. فلما وصلا إلى البيت وجدا خمسين بغلاً وعليها خمسون حملاً من القماش وعبدًا راكبًا بغلة. فقالا له: «لمن هذه الأحمال»؟ فقال لسيدي علاء الدين أبي الشامات، فإن أباه كان جهز له متجرًا وسفره إلى مدينة بغداد فخرج عليه العرب فأخذوا ماله وأحماله، فبلغ الخبر أباه فأرسلني إليه بأحمال عوضها وأرسل له معي بغلاً عليه خمسون ألف دينار وبقجة تساوي جملة من المال وكرك سمور وطستًا وإبريقًا من الذهب». فقال له أبو البنت: «هذا نسيبي وأنا أدلك على بيته».

فبينما علاء الدين قاعد في البيت وهو في غم شديد وإذا بالباب يطرق. فقال علاء الدين: «يا زبيدة الله أعلم أن أباك أرسل إليَّ رسولاً من طرف القاضي أو من طرف الوالي». فقالت له: «انزل وانظر الخبر» فنزل وفتح الباب فرأى نسيبه شاه بندر التجار أبا زبيدة ووجد عبدًا حبشيًا أسمر اللون حلو المنظر راكبًا فوق بغلة. فنزل العبد وقبل يديه، فقال له: «أي شيء تريد»؟ فقال له: «أنا عبد سيدي علاء الدين أبي الشامات ابن شمس الدين شاه بندر التجار بأرض مصر وقد أرسلني إليه أبوه بهذه الأمانة». ثم أعطاه الكتاب. فأخذه علاء الدين وفتحه وجعل يتصفحه فإذا به قد رأى مكتوبًا فيه:

يا كتابي إذا رآك حبيبي ... قبل الأرض والنعال لديه
وتمهل ولا تكونن عجولاً ... إن روحي وراحتي في يديه

بعد السلام التام، والتحية والإكرام، من شمس الدين إلى ولده أبي الشامات. اعلم يا ولدي أنه بلغني خبر قتل رجالك، ونهب أموالك وأحمالك، فأرسلت إليك غير هذه الخمسين حملاً من القماش المصري والبدلة والكرك السمور والطست والإبريق الذهب، ولا تخش بأسًا، والمال فداؤك يا ولدي ولا يحصل لك حزن أبدًا، وإن أمك وأهل البيت طيبون بخير وعافية وهم يسلمون عليك كثير السلام. وبلغني يا ولدي خبر أنهم عملوك مستحلاً للبنت زبيدة العودية وعملوا عليك مهرها خمسين ألف دينار، فهي واصلة إليك صحبة الأحمال مع عبدك سليم».

فلما فرغ من قراءة الكتاب تسلم الأحمال، ثم التفت إلى نسيبه وقال له: «يا نسيبي خذ الخمسين ألف دينار مهر بنتك زبيدة وخذ الأحمال تصرف فيها ولك المكسب ورد لي رأس المال». فقال له: «لا والله لا آخذ شيئًا وأما مهر زوجتك فانفق أنت وإياها من جهته». فقام علاء الدين هو ونسيبه ودخلا البيت بعد إدخال الأحمال. فقالت زبيدة لأبيها: «يا أبي لمن هذه الأحمال»؟ فقال لها: «هذه الأحمال لعلاء الدين زوجك أرسلها إليه أبوه عوضًا عن الأحمال التي أخذها العرب منه وأرسل إليه خمسين ألف دينار وبقجة وكرك سمور وبغلة وطستًا وإبريقًا ذهبًا، وأما من جهة مهرك فالرأي لك فيه».

فقام علاء الدين وفتح الصندوق وأعطاها مهرها. فقال الولد ابن عم البنت: «يا عمى خل علاء الدين يطلق لى امرأتى» فقال له: «هذا شىء ما بقى يصح أبدًا والعصمة بيده». فراح الولد مغمومًا مقهورًا ورقد فى بيته ضعيفًا. فكان فيها القاضية فمات.

وأما علاء الدين فإنه خرج إلى السوق بعد أن أخذ الأحمال وأخذ ما يحتاج إليه من المأكل والمشرب والسمن وعمل نظامًا مثل كل ليلة وقال لزبيدة: «انظرى هؤلاء الدراويش الكذابين قد وعدونا وأخلفوا وعدهم». فقالت له: «أنت ابن شاه بندر التجار وكانت يدك قصيرة على نصف فضة فكيف بالمساكين الدراويش»؟ فقال لها: «أغناها الله تعالى عنهم، ولكن ما بقيت أفتح لهم الباب إذا أتوا إلينا». فقالت له: «لأى شىء والخير ما جانا إلا على قدومهم وكل ليلة يحطون لنا تحت السجادة مائة دينار فلا بد أن تفتح لهم الباب إذا جاءوا». فلما ولى النهار بضيائه وأقبل الليل أضاء الشمع وقال لها: «يا زبيدة قومى اعملى لنا نوبة». وإذا بالباب طرق، فقالت له: «قم انظر من بالباب». فنزل وفتح فرأى الدراويش. فقال: «يا مرحبًا بالكذابين اطلعوا» فطلعوا معه وأجلسهم وجاء لهم بسفرة الطعام فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا. وبعد ذلك قالوا له: «يا سيدى إن قلوبنا عليك مشغولة أى شىء جرى لك مع نسيبك»؟ فقال لهم: «عوض الله علينا بما فوق المراد». فقالوا له: «والله إنا كنا خائفين عليك وما منعنا عنك إلا قصر أيدينا عن الدراهم». فقال لهم: «قد أتانى الفرج من عند ربى».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: ثم إن علاء الدين قال لهم: «قد أرسل إلىَّ والدى خمسين ألف دينار وخمسين حملاً من القماش ثمن كل حمل ألف دينار وبدلة وكرك سمور وبغلة وعبدًا وطستًا وإبريقًا من الذهب، ووقع الصلح بينى وبين نسيبى وطابت لى زوجتى، والحمد لله على ذلك». ثم إن الخليفة قام يزيل ضرورة. فمال الوزير جعفر على علاء الدين وقال له: «الزم الأدب فإنك فى حضرة أمير المؤمنين»؟ فقال له: «أى شىء وقع منى من قلة الأدب فى حضرة أمير المؤمنين؟ ومن هو أمير المؤمنين منكم»؟ فقال: «إن الذى كان يكلمك وقام يزيل الضرورة أمير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد، وأنا الوزير جعفر وهذا مسرور سياف نقمته وهذا أبو نواس الحسن بن هانئ، فتأمل بعقلك يا علاء الدين وانظر مسافة كم يوم فى السفر من مصر إلى بغداد»؟ فقال: «خمسة وأربعون يومًا». فقال له: «إن حمولك نهبت منذ عشرة أيام فقط فكيف يروح الخبر لأبيك ويحزم لك الأحمال وتقطع مسافة خمسة وأربعين يومًا فى العشرة أيام» فقال له: «يا سيدى ومن أين أتانى هذا»؟ فقال له: «من عند الخليفة أمير المؤمنين بسبب فرط حبه لك».

فبينما هم فى هذا الكلام وإذا بالخليفة قد أقبل، فقام علاء الدين وقبل الأرض بين يديه وقال له: «الله يحفظك يا أمير المؤمنين ويديم بقاءك ولا عدم الناس فضلك وإحسانك». فقال: «يا علاء الدين خل زبيدة تعمل لنا نوبة حلوان السلامة». فعملت نوبة على العود، من غرائب الموجود، إلى أن طرب لها الحجر الجلمود، وصاح العود فى الحضر يا داود، فباتوا على أسر حال إلى الصباح. فلما أصبحوا قال الخليفة لعلاء الدين: «فى غد تذهب إلى الديوان».

فقال له: «سمعًا وطاعة يا أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى وأنت بخير». ثم إن علاء الدين أخذ عشرة أطباق ووضع فيها هدية سنية وذهب بها إلى الديوان فى ثانى يوم. فبينما الخليفة قاعد على الكرسى فى الديوان وإذا بعلاء الدين مقبل من باب الديوان وهو ينشد هذين البيتين:

تصبحك السعادة كل يوم بإجلال وقد رغم الحسود
ولا زالت لك الأيام بيضًا وأيام الذى عاداك سود

فقال له الخليفة: «مرحبًا يا علاء الدين». فقال علاء الدين: «يا أمير المؤمنين إن النبى ﷺ قبل الهدية، وهذه العشرة الأطباق وما فيها هدية منى إليك». فقبل منه ذلك أمير المؤمنين وأمر له بخلعة وجعله شاه بندر التجار وأقعده فى الديوان. فبينما هو جالس وإذا بنسيبه أبى زبيدة مقبل، فوجد علاء الدين جالسًا فى رتبته وعليه خلعة. فقال لأمير المؤمنين: «يا ملك الزمان لأى شىء هذا جالس فى رتبتى وعليه هذه الخلعة؟» فقال له الخليفة: «إنى جعلته شاه بندر التجار، والمناصب تقليد لا تخليد وأنت معزول». فقال له: «إنه منا وإلينا ونعم ما فعلت يا أمير المؤمنين، الله يجعل خيارنا أولياء أمورنا، وكم صغيرًا صار كبيرًا». ثم إن الخليفة كتب فرمانًا لعلاء الدين وأعطاه للوالى والوالى أعطاه للمشاعلى ونادى فى الديوان: «ما شاه بندر إلا علاء الدين أبو الشامات، وهو مسموع الكلمة، محفوظ الحرمة، يجب له الإكرام والاحترام ورفع المقام».فلما انفض الديوان نزل الوالى بالمنادى بين يدى علاء الدين وصار المنادى يقول: «ما شاه بندر التجار إلا سيدى علاء الدين أبو الشامات». وداروا به فى شوارع بغداد والمنادى ينادى ويقول «ما شاه بندر التجار إلا سيدى علاء الدين أبو الشامات». فلما أصبح الصباح فتح دكانًا للعبد وأجلسه فيها يبيع ويشترى، وأما علاء الدين فإنه كان يركب ويتوجه إلى مرتبته فى ديوان الخليفة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فاتفق أنه جلس فى مرتبته يومًا على عادته. فبينما هو جالس وإذا بقائل يقول للخليفة: «يا أمير المؤمنين يعيش رأسك فى فلان النديم فإنه توفى إلى رحمة الله تعالى وحياتك الباقية». فقال الخليفة: «أين علاء الدين أبو الشامات؟» فحضر بين يديه. فلما رآه خلع عليه خلعة سنية وجعله نديمه وكتب له جامكية ألف دينار كل شهر وأقام عنده يتنادم معه. فاتفق أنه كان جالسًا يومًا من الأيام فى مرتبته على عادته فى خدمة الخليفة وإذا بأمير طالع إلى الديوان بسيف وترس فقال: «يا أمير المؤمنين يعيش رأسك فى رئيس الستين فإنه مات فى هذا اليوم». فأمر الخليفة بخلعة لعلاء الدين أبى الشامات وجعله رئيس الستين مكانه. وكان رئيس الستين لا ولد له ولا بنت ولا زوجة فنزل علاء الدين ووضع يده على ماله. وقال الخليفة لعلاء الدين: «واره فى التراب وخذ جميع ما تركه من مال وعبيد وجوار وخدم». ثم نفض الخليفة المنديل وانفض الديوان.

فنزل علاء الدين وفى ركابه المقدم أحمد الدنف مقدم ميمنة الخليفة هو وأتباعه الأربعون. وفى يساره حسن شومان مقدم ميسرة الخليفة هو وأتباعه الأربعون. فالتفت علاء

الدين إلى المقدم حسن شومان وإلى أتباعه وقال لهم: «أنتم سباق على المقدم أحمد الدنف لعله يقبلني ولده في عهد الله». فقبله وقال له: «أنا وأتباعي الأربعون نمشي قدامك إلى الديوان في كل يوم». ثم إن علاء الدين مكث في خدمة الخليفة مدة أيام واتفق له أنه عندما نزل من الديوان يومًا من الأيام وسار إلى بيته وصرف أحمد الدنف هو ومن معه إلى حال سبيلهم جلس مع زوجته زبيدة العودية وقد أوقد الشموع، فقامت زوجته في حاجة لها. فبينما هو جالس في مكانه إذ سمع صرخة عظيمة فقام مسرعًا لينظر الذي صرخ، فرأى صاحبة الصرخة زوجته زبيدة العودية وهي مطروحة، فوضع يده على صدرها فوجدها ميتة. وكان بيت أبيها قدام بيت علاء الدين فسمع صرختها. فقال لعلاء الدين: «ما الخبر يا سيدي علاء الدين»؟ فقال له: «يعيش رأسك يا والدي في بنتك زبيدة العودية، ولكن يا والدي إكرام الميت دفنه». فلما أصبح الصباح واراها التراب وصار علاء الدين يعزي أباها وأبوها يعزيه.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: هذا ما كان من أمر زبيدة العودية. وأما ما كان من أمر علاء الدين فإنه لبس ثياب الحزن وانقطع عن الديوان وصار باكي العين حزين القلب. فقال الخليفة لجعفر: «يا وزير ما سبب انقطاع علاء الدين عن الديوان»؟ فقال له الوزير: «يا أمير المؤمنين إنه حزين على امرأته زبيدة». فقال الخليفة للوزير: «واجب علينا أن نعزيه». فقال الوزير: «سمعًا وطاعة». ثم نزل الخليفة هو والوزير وبعض الخدم وركبوا وتوجهوا إلى بيت علاء الدين. فبينما هو جالس وإذا بالخليفة والوزير ومن معهما مقبلون عليه، فقام للقياهم وقبل الأرض بين يدي الخليفة. فقال له الخليفة: «عوضك الله خيرًا». فقال علاء الدين: «أطال الله لنا بقاءك يا أمير المؤمنين» فقال الخليفة: «يا علاء الدين ما سبب انقطاعك عن الديوان»؟ فقال له: «حزني على زوجتي زبيدة يا أمير المؤمنين» فقال له الخليفة: «ادفع الهم عن نفسك فإنها ماتت إلى رحمة الله تعالى والحزن لا يفيدك شيئًا أبدًا» فقال: «يا أمير المؤمنين أنا لا أترك الحزن عليها إلا إذا مت ودفنوني عندها».

فقال الخليفة: «إن في الله عوضا عن كل فائت ولا يخلص من الموت حيلة ولا مال، ولله در من قال:

«كل ابن أنثى وإن طـ[...]ـت سلامته ... يومًا على آلة حدباء محمول

وكيف يلهو بعيش[...]و يلذ به ... من التراب على خده مجبول»

ولما فرغ من عزائه أوصاه [...] لا ينقطع عن الديوان وتوجه إلى محله. ثم بات علاء الدين. ولما أصبح الصباح ركب وسا[...]ى الديوان فدخل على الخليفة وقبل الأرض بين يديه، فتحرك له الخليفة من على الكر[...] ورحب به وحياه وأنزله في منزلته وقال له: «يا علاء الدين أنت ضيفي في هذه الليلة». [...]خل سرايته ودعا بجارية تسمى قوت القلوب وقال لها: «إن علاء الدين كان عنده زوجة تسمـ[...] زبيدة وكانت تسليه عن الهم والغم فماتت إلى رحمة الله تعالى ومرادي أن تسمعيه نوبة على العود من غرائب الموجود لأجل أن يتسلى عن الهم والأحزان».

فقامت الجارية وعملت نوبة من الغرائب. فقال الخليفة: «ما تقول يا علاء الدين فى صوت هذه الجارية»؟ فقال له: «إن زبيدة أحسن صوتًا منها إلا أنها صاحبة صناعة فى ضرب العود لأنها تطرب الحجر الجلمود». فقال له: «هل أعجبتك»؟ فقال له: «أعجبتنى يا أمير المؤمنين». فقال الخليفة: «وحياة رأسى وتربة أجدادى إنها هبة منى إليك هى وجواريها». فظن علاء الدين أن الخليفة يمزح معه.

فلما أصبح الخليفة دخل على جاريته قوت القلوب وقال لها: «أنا وهبتك لعلاء الدين». ففرحت بذلك لأنها رأته وأحبته. ثم تحول الخليفة عن قصر السرايا إلى الديوان ودعا بالحمالين وقال لهم: «انقلوا أمتعة قوت القلوب وحطوها فى التختروان هى وجواريها وأمتعتها واذهبوا بها إلى بيت علاء الدين». فنقلوها هى وجواريها وأمتعتها إلى بيت علاء الدين وأدخلوها القصر. وجلس الخليفة فى مجلس الحكم إلى آخر النهار. ثم انفض الديوان ودخل قصره.

هذا ما كان من أمره. وأما ما كان من أمر قوت القلوب فإنها لما دخلت قصر علاء الدين هى وجواريها وكن أربعين جارية غير الطواشية قالت لاثنين من الطواشية: «أحدكما يقعد على كرسى فى ميمنة الباب والثانى يقعد على كرسى فى ميسرته، وعندما يأتى علاء الدين قبلا يديه وقولا له: إن سيدتنا قوت القلوب تطلبك إلى القصر فإن الخليفة وهبها لك هى وجواريها». فقالا لها: «سمعًا وطاعة». فلما أقبل علاء الدين وجد اثنين من طواشية الخليفة جالسين بالباب. فاستغرب الأمر وقال فى نفسه: «لعل هذا ما هو بابى وإلا فما الخبر»؟ فلما رآه الطواشيان قاما إليه وقبلا يديه وقالا: «نحن من أتباع الخليفة ومماليك قوت القلوب وهى تسلم عليك وتقول لك: «إن الخليفة قد وهبها لك هى وجواريها وتطلبك إليها». فقال لهما: «قولا لها مرحبًا بك ولكن ما دمت عنده لا يدخل القصر الذى أنت فيه، لأن ما كان للمولى لا يصلح أن يكون للخدام». ثم قولا لها: «ما مقدار مصروفك عند الخليفة فى كل يوم»؟ فطلعا إليها وقالا لها ذلك. فقالت: «كل يوم مائة دينار». فقال فى نفسه: «ليس لى حاجة أن يهب لى الخليفة قوت القلوب حتى أصرف عليها هذا المصروف ولكن لا حيلة فى ذلك».

ثم إنها أقامت عنده مدة أيام وهو يرتب لها كل يوم مائة دينار إلى أن انقطع علاء الدين عن الديوان يومًا من الأيام. فقال الخليفة: «يا وزير جعفر أنا ما وهبت قوت القلوب لعلاء الدين إلا لتسليه عن زوجته وما سبب انقطاعه عنا». فقال: «يا أمير المومنين لقد صدق من قال: من لقى أحبابه نسى أصحابه». فقال الخليفة: «لعله ما قطعه عنا إلا عذر ولكن نحن نزوره». وكان قبل ذلك بأيام قال علاء الدين للوزير: «أنا شكوت للخليفة ما أجده من الحزن على زوجتى زبيدة العودية فوهب لى قوت القلوب» فقال له الوزير: «لولا أنه يحبك ما وهبها لك». فقال له علاء الدين: «أنا لحد الآن ما كتبت عليها كتابى». فقال له: «ما سبب ذلك»؟ فقال: «يا وزير الذى يصلح للمولى لا يصلح للخدام». ثم إن الخليفة وجعفرًا استخفيا وسارا لزيارة علاء الدين ولم يزالا سائرين إلى أن دخلا على علاء الدين. فعرفهما وقام وقبل يدى الخليفة. ولما رآه الخليفة وجد عليه علامة الحزن فقال له: «يا علاء الدين ما سبب هذا الحزن الذى أنت فيه»؟ فقال: «يا أمير المؤمنين الذى يصلح للمولى لا يصلح للخدام، وإنى إلى

الآن لا أعرف لها وجهًا فاتلنى منها». فقال الخليفة: «إن مرادى أن أراها حتى أسألها عن حالها».

فقال علاء الدين : «سمعًا وطاعة يا أمير المؤمنين».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم إن الخليفة دخل إلى دار قوت القلوب، فلما رأته قامت وقبلت الأرض بين يديه. فقال لها: «هل كتب كتابه عليك؟» فقالت: «لا يا أمير المؤمنين». فأمر الخليفة برجوعها إلى السرايا وقال لعلاء الدين: «لا تنقطع عنها». ثم توجه الخليفة إلى داره. فبات علاء الدين تلك الليلة. ولما أصبح ركب وسار إلى الديوان فجلس فى رتبة رئيس الستين. فأمر الخليفة الخازندار أن يعطى للوزير جعفر عشرة آلاف دينار، فأعطاه ذلك المبلغ ثم قال الخليفة للوزير: «ألزمتك أن تنزل إلى سوق الجوارى وتشترى لعلاء الدين بالعشرة آلاف دينار جارية». فامتثل الوزير أمر الخليفة ونزل وأخذ معه علاء الدين وسار به إلى سوق الجوارى.

فاتفق فى هذا اليوم أن والى بغداد الذى من طرف الخليفة وكان اسمه الأمير خالد نزل إلى السوق من أجل اشتراء جارية لولده. وسبب ذلك أنه كان له زوجة تسمى خاتونًا وكان رزق منها ولدًا قبيح المنظر يسمى حبظلم بظاظة، وكان بلغ من العمر عشرين سنة ولا يعرف أن يركب الحصان، وكان أبوه شجاعًا قرمًا مناعًا، وكان يركب الخيل، ويخوض بحار الليل. فقالت والدته لأبيه: «مرادى أن نزوجه». فقال لها: «هذا قبيح المنظر كريه الرائحة دنس وحش». فقالت: «نشترى له جارية». فلأمر قدره الله تعالى أن اليوم الذى نزل فيه الوزير وعلاء الدين إلى السوق نزل فيه الأمير خالد الوالى هو وولده حبظلم بظاظة. فبينما هم فى السوق وإذا بجارية ذات حسن وجمال وقد واعتدال، فى يد رجل دلال. فقال الوزير: «شاور يا دلال عليها بألف دينار». فمر بها على الوالى فرآها حبظلم بظاظة. فقال: «يا أبت اشتر لى هذه الجارية». فنادى الدلال وسأل الجارية عن اسمها. فقالت: «اسمى ياسمين». فقال له أبوه: «يا ولدى إن كانت أعجبتك زد فى ثمنها». فقال: «يا دلال كم معك من الثمن؟» قال: «ألف دينار». قال: على بألف دينار ودينار». فجاء لعلاء الدين، فعملها بألفين.

ثم إن علاء الدين صار كلما يزيد ابن الوالى دينارًا فى الثمن يزيد هو ألف دينار. فاغتاظ ابن الوالى وقال: «يا دلال من يزيد على فى ثمن الجارية؟» فقال له الدلال، «إن الوزير جعفرًا يريد أن يشتريها لعلاء الدين أبى الشامات. فعملها علاء الدين بعشرة آلاف دينار، فسمح له سيدها وقبض ثمنها وأخذها علاء الدين وقال لها: «أعتقتك لوجه الله تعالى». ثم إنه كتب كتابه عليها وتوجه إلى البيت. ورجع الدلال ومعه دلالته، فناداه ابن الوالى وقال له: «أين الجارية؟» فقال له: «اشتراها علاء الدين بعشرة آلاف دينار وأعتقها وكتب كتابه عليها».

فانكمد الولد وزادت به الحسرات ورجع ضعيفًا إلى البيت وارتمى فى الفراش وقطع الزاد. فلما رأته أمه ضعيفًا قالت له: «سلامتك يا ولدى ما سبب ضعفك؟» فقال لها: «اشترى لى ياسمين يا أمى». فقالت له أمه: «عندما يدخل صاحب الرياحين أشترى لك باقة ياسمين». فقال لها: «ليس هو الياسمين الذى يشم، وإنما هى جارية اسمها ياسمين لم يشترها لى أبى». فقالت لزوجها: «لأى شيء ما اشتريت له هذه الجارية؟» فقال لها: «الذى يصلح للمولى لا

يصلح للخدام وليس لى قدرة على أخذها، فإنه ما اشتراها إلا علاء الدين رئيس الستين».
فزاد الضعف بالولد حتى جفا الرقاد، وقطع الزاد، فتعصبت أمه بعصائب الحزن. فبينما هى جالسة فى بيتها حزينة على ولدها وإذا بعجوز دخلت عليها اسمها أم أحمد قماقم السراق. وكان هذا السراق ينقب وسطانيًا، ويقف فوقانيا، ويسرق الكحل من العين. وكان بهذه الصفات القبيحة فى أول أمره، ثم جعلوه مقدم الدرك فسرق عملة فوقع بها وهجم عليه الوالى فأخذه وعرضه على الخليفة فأمر بقتله فى بقعة الدم، فاستجار بالوزير وكان للوزير عند الخليفة شفاعة لا ترد، فشفع فيه. فقال له الخليفة: «كيف تشفع فى آفة تضر الناس»؟ فقال له: «يا أمير المؤمنين احبسه فإن الذى بنى السجن كان حكيمًا لأن السجن قبر الأحياء وشماتة الأعداء». فأمر الخليفة بوضعه فى قيد وكتب قيده مخلد إلى الممات لا يفك إلى على دكة المغسل. فوضعوه مقيدًا فى السجن. وكانت أمه تتردد على بيت الأمير خالد الوالى وتدخل على ابنها فى السجن وتقول له: «أما قلت لك تب عن الحرام»؟ فيقول لها: «قدر الله على ذلك، ولكن يا أمى إذا دخلت على زوجة الوالى فخليها تشفع لى عنده».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما دخلت العجوز على زوجة الوالى وجدتها معصبة بعصائب الحزن فقالت لها: «مالك حزينة»؟ فقالت: «على فقد ولدى حبظلم بظاظة». فقالت لها: «سلامة ولدك، ما الذى أصابه»؟ فحكت لها الحكاية. فقالت العجوز: «ما تقولين فيمن يعمل حيلة تكون فيها سلامة ولدك»؟ فقالت لها: «وما الذى تعملينه»؟ فقالت: «أنا لى ولد يسمى أحمد قماقم السراق وهو مقيد فى السجن ومكتوب على قيده مخلد إلى الممات. فأنت تقومين وتلبسين أفخر ما عندك وتتزينين بأحسن الزينة وتقابلين زوجك ببشر وبشاشة وتقولين له: لى عندك حاجة. فيقول لك: وما حاجتك؟ فقولى له: حتى تحلف لى. فإذا حلف لك بحياة رأسه أو بالله فقول له: احلف لى بالطلاق منى. فإذا حلف لك بالطلاق فقولى له: عندك بالسجن واحد مقدم اسمه أحمد قماقم وله أم مسكينة قد ترامت على وساقتنى إليك وقالت لى: خليه يشفع له عند الخليفة لأجل أن يتوب ويحصل له الثواب». فقالت لها: «سمعًا وطاعة».

فلما امتثلت أمام زوجها قالت له ذلك الكلام، وحلف لها بالطلاق. ولما أصبح الصباح صلى الصبح وجاء إلى السجن وقال: «يا أحمد قماقم يا سراق هل تتوب مما أنت فيه»؟ فقال: «إنى تبت إلى الله ورجعت وأقول بالقلب واللسان: أستغفر الله» فأطلقه الوالى من السجن وأخذه معه إلى الديوان وهو فى القيد، ثم تقدم إلى الخليفة وقبل الأرض بين يديه. فقال له: «يا أمير خالد أى شىء تطلب»؟ فقدم أحمد قماقم يخطر فى القيد قدام الخليفة. فقال له: «يا قماقم هل أنت حى إلى الآن»؟ فقال له: «يا أمير المؤمنين إن عمر الشقى بطىء». فقال الخليفة: «أيها الأمير خالد لأى شىء جئت به إلى هنا»؟ فقال له: «إن له أما مسكينة منقطعة وليس لها أحد غيره وقد وقعت على عبدك أن يتشفع عندك يا أمير المؤمنين فى أنك تفكه من القيد وهو يتوب عما كان فيه وتجعله مقدم الدرك كما كان أولاً». فقال الخليفة لأحمد قماقم: «هل تبت عما كنت فيه»؟ فقال له: «تبت إلى الله يا أمير المؤمنين».

فعند ذلك أمر الخليفة بإحضار الحداد وفك قيده وجعله مقدم الدرك وأوصاه بالسلوك الطيب والاستقامة. فقبل يدى الخليفة ونزل بخلعة الدرك ونادوا له بالتقديم. فمكث مدة من الزمان فى منصبه. ثم دخلت أمه على زوجة الوالى. فقالت لها: «الحمد لله الذى خلص ابنك من السجن وهو على قيد الصحة والسلامة فلأى شىء لم تقولى له أن يدبر أمرًا فى مجيئه بالجارية ياسمين إلى ولدى حبظلم بظاظة؟ فقالت: «أقول له» . ثم قامت من عندها ودخلت على ولدها فوجدته سكران. فقالت له: «يا ولدى ما سبب خلاصك من السجن إلا زوجة الوالى وتريد منك أن تدبر لها أمرًا فى قتل علاء الدين أبى الشامات وتجىء بالجارية ياسمين إلى ولدها حبظلم بظاظة». فقال لها: «هذا أسهل ما يكون لا بد أن أدبر أمرًا فى هذه الليلة».

وكانت تلك الليلة أول ليلة من الشهر الجديد، وكان من عادة أمير المؤمنين أن يصرفها عند السيدة زبيدة لعتق جارية أو مملوك أو نحو ذلك، وأيضًا كان من عادة الخليفة أنه يخلع ثوب الملك ويترك السبحة والنمجاء وخاتم الملك ويضع الجميع فوق الكرسى فى قاعة الجلوس. وكان عند الخليفة مصباح من ذهب وفيه ثلاث جواهر منظومة فى سلك من ذهب وكان ذلك المصباح عزيزًا عند الخليفة. ثم إن الخليفة وكَّلَ الطواشية بالثوب والمصباح وباقى الأمتعة ودخل مقصورة السيدة زبيدة. فصبر أحمد قماقم السراق إلى أن انتصف الليل وأضاء سهيل ونامت الخلائق، وتجلى عليهم بالستر الخالق. ثم سحب سيفه فى يمينه وأخذ ملقفة فى يساره وأقبل على قاعة الجلوس التى للخليفة ونصب سلم التسليك ورمى ملقفة على قاعة الجلوس فتعلق بها وصعد على السلم إلى السطوح ورفع طابق القاعة ونزل إليها فوجد الخصيين نائمين. فبنجهما وأخذ بدلة الخليفة والسبحة والنمجاء والمنديل والخاتم والمصباح الذى بالجواهر ثم نزل من الموضع الذى صعد منه وسار إلى بيت علاء الدين أبى الشامات.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد وكان علاء الدين فى هذه الليلة مشغولاً بفرح الجارية، فنزل أحمد قماقم السراق على قاعة علاء الدين وقلع لوحًا رخامًا من دار القاعة وحفر تحته ووضع بعض المصالح وأبقى بعضها معه. ثم حبس اللوح الرخام كما كان ونزل من الموضع الذى طلع منه وقال فى نفسه: «أنا أقعد أسكر وأحط المصباح قدامى وأشرب الكأس على نوره» ثم سار إلى بيته.

فلما أصبح الصباح ذهب الخليفة إلى القاعة فوجد الخصيين مبنجين، فأيقظهما، ونظر فلم يجد البدلة ولا الخاتم ولا السبحة ولا النمجاء ولا المنديل ولا المصباح. فاغتاظ لذلك غيظًا شديدًا ولبس بدلة الغضب وهى بدلة حمراء وجلس فى الديوان. فتقدم الوزير وقبل الأرض بين يديه وقال: «يكفى الله شر أمير المؤمنين». فقال له: «يا وزير إن الشر فائض». فقال له الوزير: «أى شىء حصل؟» فحكى له جميع ما وقع وإذا بالوالى طالع وفى ركابه أحمد قماقم السراق فوجد الخليفة فى غيظ عظيم، فلما نظر الخليفة إلى الوالى قال له: «أيها الأمير خالد كيف حال بغداد؟» فقال له: «سالمة أمينة». فقال له: «تكذب». فقال: «لأى شىء يا أمير المؤمنين؟» فقص عليه القصة وقال له: «ألزمتك أن تجىء لى بذلك كله». فقال

له: «يا أمير المؤمنين دود الخل منه فيه، ولا يقدر غريب أن يصل إلى هذا المحل أبدًا». فقال: «إن لم تجيء بهذه الأمور قتلتك». فقال له: «قبل أن تقتلنى اقتل أحمد قماقم السراق لأنه لا يعرف الخائن إلا مقدم الدرك».

فقام أحمد وقال للخليفة: «شفعنى فى الوالى وأنا أضمن لك عهدة الذى سرق وأقص الأثر وراءه حتى أعرفه، ولكن أعطنى اثنين من القضاة واثنين من الشهود فإن الذى فعل هذا الفعل لا يخشاك ولا يخشى الوالى ولا من غيره». فقال الخليفة: «لك ما طلبت، ولكن أول التفتيش يكون فى سرايتى وبعدها فى سراية الوزير، وفى سراية رئيس الستين». فقال أحمد قماقم: «صدقت يا أمير المؤمنين ربما يكون الذى عمل هذه العملة واحدًا قد تربى فى سراية أمير المؤمنين أو فى سراية أحد من خواصه». فقال الخليفة: «وحياة رأسى كل ما ظهرت عليه هذه العملة لا بد من قتله ولو كان ولدى».

ثم إن أحمد قماقم أخذ ما أراده وأخذ فرمانًا بالهجوم على البيوت وتفتيشها ونزل وبيده قضبان ثلاثة من الشوم وثلاثة من النحاس وثلاثة من الحديد وثلاثة من الفولاذ وفتش سراية الخليفة وسراية الوزير وجعفر ودار على بيوت الحجاب والنواب إلى أن مر على بيت علاء الدين أبى الشامات، فلما سمع علاء الدين الضجة قدام بيته قام ونزل وفتح الباب فوجد الوالى. فقال له: «ما الخبر أيها الأمير خالد؟» فحكى له جميع القضية.

فقال علاء الدين: «ادخلوا بيتى وفتشوه». فقال الوالى: «العفو يا سيدى أنت أمين وحاشا أن يكون الأمين خائنًا». فقال له: «لا بد من تفتيش بيتى». فدخل الوالى والقضاة والشهود وتقدم أحمد قماقم إلى دار القاعة وجاء إلى الرخامة التى دفن تحتها الأمتعة وأرخى القضيب على اللوح الرخام بعزمه فانكسرت الرخامة، وإذا بشيء ينير تحت، فقال المقدم: «بسم الله، ما شاء الله، على بركة قدومنا انفتح لنا كنز، ها أنا أنزل إلى هذا المطلب وأنظر ما فيه»، فنظر القاضى والشهود إلى ذلك المحل فوجدوا الأمتعة بتمامها، فكتبوا ورقة مضمونها أنهم وجدوا الأمتعة فى بيت علاء الدين ثم وضعوا فى تلك الورقة ختومهم وأمروا بالقبض على علاء الدين وأخذوا عمامته من فوق رأسه وضبطوا جميع ما له ورزقه فى قائمة وقبض أحمد قماقم السراق على الجارية ياسمين وكانت حاملاً وأعطاها لأمه وقال لها: «سلميها لخاتون امرأة الوالى».

فأخذت ياسمين ودخلت بها على زوجة الوالى. فلما رآها حبظلم بظاظة جاءت له العافية وقام من وقته وساعته وفرح فرحًا شديدًا. فسحبت خنجرًا من حياصتها وقالت له: «بهذا الخنجر أقتلك وأقتل نفسى». فقالت له أمه خاتون: «ولماذا تريدين قتل ولدى؟» فقالت لها: «يا كلبة فى أى مذهب يجوز للمرأة أن تتزوج باثنين وأى شيء أوصل الكلاب أن تدخل فى موطن السباع؟» فزاد بالولد المرض وأضعفه الوجع وقطع الزاد ولزم الوساد، فقالت لها امرأة الوالى: «كيف تحسريني على ولدى؟ لا بد من تعذيبك، وأما علاء الدين فإنه لا بد من شنقه». فقالت لها: «أنا أموت على محبته».

فقامت زوجة الوالى ونزعت عنها ما كان عليها من الصيغة وثياب الحرير وألبستها لباسًا من الخيش وقميصًا من الشعر وأنزلتها فى المطبخ وعملتها من جوارى الخدمة وقالت لها: «جزاؤك أنك تكسرين الحطب وتقشرين البصل وتحطين النار تحت الحلل». فقالت لها:

«أرضى بكل عذاب وخدمة ولا أرضى برؤية ولدك». فحنن الله عليها قلوب الجوارى وصرن يتعاطين الخدمة عنها فى المطبخ.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: هذا ما كان من أمر ياسمين وأما ما كان من أمر علاء الدين أبى الشامات فإنهم أخذوه هو وأمتعة الخليفة إلى أن وصلوا إلى الديوان، فبينما الخليفة جالس على الكرسى إذا بهم صاعدون بعلاء الدين ومعه الأمتعة، فقال الخليفة: أين وجدتموها»؟ فقالوا له: «فى وسط بيت علاء الدين أبى الشامات». فامتزج الخليفة بالغضب وأخذ الأمتعة فلم يجد فيها المصباح. فقال: «يا علاء الدين أين المصباح؟» فقال: «أنا لا سرقت ولا علمت ولا رأيت ولا معى خبر». فقال له: «يا خائن كيف أقربك إلىّ وتبعدنى عنك، وأستأمنك وتخوننى؟» ثم أمر بشنقه. فنزل الوالى والمنادى ينادى عليه هذا جزاء وأقل جزاء من يخون الخلفاء الراشدين، فاجتمع الخلائق عند المشنقة.

هذا ما كان من أمر علاء الدين. وأما ما كان من أمر أحمد الدنف كبير علاء الدين فإنه كان قاعدًا هو وأتباعه فى بستان، فبينما هم جالسون فى حظ وسرور وإذا برجل سقاء من السقائين الذين فى الديوان دخل عليهم وقبل يد أحمد الدنف وقال: «يا مقدم أحمد الدنف أنت قاعد فى صفاء والماء تحت رجليك وما عندك علم بما حصل». فقال له أحمد الدنف: «ما الخبر؟» فقال السقاء: «إن ولدك فى عهد الله علاء الدين نزلوا به إلى المشنقة». فقال له أحمد الدنف: «وما عندك من الحيلة يا حسن شومان؟» فقال له: «إن علاء الدين برىء من هذا الأمر وهذا ملعوب عليه من واحد عدو». فقال له: «ما الرأى عندك؟» فقال له: «خلاصه علينا إن شاء المولى».

ثم إن حسنًا شومان ذهب إلى السجن وقال للسجان: «أعطنا واحدًا يكون مستوجبًا للقتل». فأعطاه واحدًا كان أشبه البرايا بعلاء الدين أبى الشامات. فغطى رأسه وأخذه أحمد الدنف بينه وبين على الزيبق المصرى، وكانوا قدموا علاء الدين إلى الشنق. فتقدم أحمد الدنف وحط رجله على رجل المشاعلى، فقال له المشاعلى: «أعطنى الوسع حتى أعمل صنعتى». فقال له: «يا لعين خذ هذا الرجل واشنقه موضع علاء الدين أبى الشامات فإنه مظلوم ونفدى إسماعيل بالكبش». فأخذ المشاعلى ذلك الرجل وشنقه عوضًا عن علاء الدين، ثم إن أحمد الدنف وعليا الزيبق المصرى أخذا علاء الدين وسارا به إلى قاعة أحمد الدنف.

فلما دخلوا عليه قال له علاء الدين: «جزاك الله خيرًا يا كبيرى». فقال له: «يا علاء الدين ما هذا الفعل الذى فعلته و[illegible]حم الله من قال: من ائتمنك لا تخنه ولو كنت خائنًا، والخليفة مكنك عنده وسماك بالثقة الأمين كيف تفعل معه هكذا وتأخذ أمتعته؟» فقال له علاء الدين: «والاسم العظيم يا كبيرى ما هى عملتى ولا لى فيها ذنب ولا أعرف من عملها». فقال أحمد الدنف: «إن هذه العملية ما عملها إلا عدو مبين، ومن فعل شيئًا يجازى به، ولكن يا علاء الدين ما بقى لك إقامة فى بغداد فإن الملوك لا تعادى يا ولدى، ومن كانت الملوك فى طلبه يا طول تعبه». فقال علاء الدين: «أين أروح يا كبيرى؟» فقال له: «أنا أوصلك إلى

الإسكندرية، فإنها مباركة وعيشتها هنيئة». فقال: «سمعًا وطاعة يا كبيرى». فقال أحمد الدنف لحسن شومان: «خل بالك، وإذا سألك عنى الخليفة فقل له: إنه راح يطوف البلاد».

ثم أخذه وخرج من بغداد ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى الكروم والبساتين فوجدا يهوديين من عمال الخليفة راكبين على بغلتين، فقال أحمد الدنف لليهود: «هاتوا الغفر» فقال اليهود: «نعطلك الغفر على أى شىء؟» فقال لهم: «أنا غفير هذا الوادى». فأعطاه كل واحد منهما مائة دينار، وبعد ذلك قتلهما أحمد الدنف وأخذ البغلتين، فركب بغلة وركب علاء الدين بغلة وسارا إلى مدينة إياس، فأدخلا البغلتين فى خان وباتا فيه.

ولما أصبح الصباح باع علاء الدين بغلته وأوصى البواب ببغلة أحمد الدنف ونزلا فى مركب من مينا إياس حتى وصلا إلى الاسكندرية، فطلع أحمد الدنف ومعه علاء الدين ومشيا فى السوق. وإذا بدلال يدلل على دكان ومن داخل الدكان طبقة على تسعمائة وخمسين، فقال علاء الدين: «بألف»، فسمح له البائع وكانت لبيت المال. فتسلم علاء الدين المفاتيح وفتح الدكان وفتح الطبقة فوجدها مفروشة بالفرش والمساند ورأى فيها حاصلاً فيه قلاع وصوار وحبال وصناديق وأجرية ملآنة خرزًا وودعًا وركابات وأطيارًا ودبابيس وسكاكين ومقصات وغير ذلك لأن صاحبه كان سقطيا.

فقعد علاء الدين أبو الشامات فى الدكان، وقال له أحمد الدنف: «يا ولدى الدكان والطبقة وما فيها صارت ملكك فاقعد فيها وبع واشتر ولا تتكر، فإن الله تعالى بارك فى التجارة». وأقام عنده ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أخذ خاطره وقال له: «استقر فى هذا المكان حتى أروح وأعود إليك بخبر من الخليفة بالأمان عليك وأنظر الذى عمل معك هذا الملعوب». ثم توجه مسافرًا حتى وصل مدينة إياس فأخذ البغلة من الخان وسار إلى بغداد فاجتمع بحسن شومان وأتباعه وقال له: «يا حسن الخليفة سأل عنى؟» فقال: لا ولا خطرت على باله». فأقام فى خدمة الخليفة وصار يستنشق الأخبار. فرأى الخليفة التفت إلى الوزير جعفر يومًا من الأيام وقال له: «انظر يا وزير هذه العملة التى عملها معى علاء الدين». فقال له: «يا أمير المؤمنين أنت جازيته بالشنق وجزاؤه ما حل به». فقال له: «يا وزير مرادى أن أنزل وأنظره وهو مشنوق». فقال الوزير: «افعل ما شئت يا أمير المؤمنين». فنزل الخليفة ومعه الوزير جعفر إلى جهة المشنقة، ثم رفع طرفه فرأى المشنوق غير علاء الدين أبى الشامات الثقة الأمين. فقال: «يا وزير ما هذا علاء الدين». فقال له: «كيف عرفت أنه غيره؟» فقال : «إن علاء الدين كان قصيرًا وهذا طويل. فقال له الوزير: «إن المشنوق يطول». فقال له: «إن علاء الدين كان أبيض وهذا وجهه أسود». فقال له: «أما تعلم يا أمير المؤمنين أن الموت له غبرات». فأمر بتنزيله من فوق المشنقة. فلما أنزلوه وجد مكتوبًا على كعبيه الاثنين اسمى الشيخين. فقال له: «يا وزير إن علاء الدين كان سُنيًا وهذا رافضى». فقال له: «سبحان الله علام الغيوب ونحن لا نعلم هل هذا علاء الدين أو غيره». فأمر الخليفة بدفنه فدفنوه. وصار علاء الدين نسيًا منسيًا.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية أصلان بن علاء الدين أبى الشامات

قالت شهرزاد: هذا ما كان من أمره، وأما ما كان من أمر حبظلم بظاظة ابن الوالى

فإنه قد زاد به المرض حتى مات وواروه فى التراب. وأما ما كان من أمر الجارية ياسمين فإنها وفت حملها ولحقها الطلق فوضعت ولدًا ذكرًا كأنه القمر، فقالت لها الجوارى: «ما تسمينه؟» فقالت: «لو كان أبوه طيبًا كان سماه ولكن أنا أسميه أصلان». ثم أرضعته اللبن عامين متتابعين وفطمته وحبا ومشى، فاتفق أن أمه اشتغلت بخدمة المطبخ يومًا من الأيام فمشى الغلام وراء سلم المقعد فطلع عليه. وكان الأمير خالد الوالى جالسًا فأخذه وأقعده فى حجره وسبح مولاه فيما خلق وصور، وتأمل وجهه فرآه أشبه البرايا بعلاء الدين أبى الشامات.

ثم إن أمه ياسمين فتشت عليه فلم تجده، فصعدت إلى المقعد فرأت الأمير خالدًا جالسًا والولد فى حجره يلعب وقد ألقى الله محبة الولد فى قلب الأمير خالد. فالتفت الولد فرأى أمه فرمى نفسه عليها. فدفعه الأمير خالد فى حضنه وقال لها: «تعالى يا جارية». فلما جاءت قال لها: «هذا الولد ابن من؟» فقالت له: «هذا ولدى وثمرة فؤادى». فقال لها: «ومن أبوه؟» فقالت: «أبوه علاء الدين أبو الشامات والآن صار ولدك» فقال لها: «إن علاء الدين كان خائنًا». فقالت: «سلامته من الخيانة حاشا وكلا أن يكون الأمين خائنًا». فقال لها: «إذا كبر هذا الولد وانتشأ وقال لك من أبى فقولى له: أنت ابن الأمير خالد الوالى صاحب الشرطة». فقالت له: «سمعًا وطاعة».

ثم إن الأمير خالدًا الوالى ربى الولد وأحسن تربيته وجاء له بفقيه خطاط فعلمه الخط والقراءة، فقرأ وأعاد وختم وصار يقول للأمير خالد: «يا والدى»، وصار الوالى يعمل الميدان ويجمع الخيل وينزل ويعلم الولد أبواب الحرب، ومقام الطعن والضرب إلى أن تناهى فى الفروسية، وتعلم الشجاعة، وبلغ من العمر أربع عشرة سنة ووصل إلى درجة الإمارة.

فاتفق أن أصلان اجتمع مع أحمد قماقم السراق يومًا من الأيام وصارا أصحابًا، فتبعه إلى الخمارة وإذا بأحمد قماقم السراق أطلع المصباح الجوهر الذى أخذه من أمتعة الخليفة وحطه قدامه وتناول الكأس على نوره وسكر، فقال له أصلان: «يا مقدم أعطنى هذا المصباح». فقال له: «ما أقدر أن أعطيك إياه». فقال له: «لأى شىء؟» فقال له: «لأنه راحت على شأنه الأرواح». فقال له: «أى روح راحت على شأنه؟» فقال له: «كان واحد جاءنا هنا وصار رئيس الستين يسمى علاء الدين أبا الشامات ومات بسبب ذلك». فقال له: «ما حكايته وما سبب موته؟» فقال له: «كان لك أخ يسمى حبظلم بظاظة وبلغ من العمر ستة عشر عامًا. وطلب أبوه أن يشترى له جارية..» وأخبره بالقصة من أولها إلى آخرها وأعلمه بضعف حبظلم بظاظة وما وقع لعلاء الدين ظلمًا، فقال أصلان فى نفسه: «لعل هذه الجارية أمى وما أبى إلا علاء الدين أبو الشامات». فصعد الولد أصلان من عنده حزينًا، فقابل المقدم أحمد الدنف. فلما رآه أحمد الدنف قال: «سبحان من لا شبيه له». فقال له حسن شومان: «يا كبيرى من أى شىء تتعجب؟» فقال له: «من خلقة هذا الولد أصلان فإنه أشبه البرايا بعلاء الدين أبى الشامات». فنادى أحمد الدنف وقال: «يا أصلان» فرد عليه. فقال له: «ما اسم أمك؟» فقال له: «تسمى الجارية ياسمين»، فقال له: «يا أصلان طب نفسًا وقر عينًا فما أبوك إلا علاء الدين أبو الشامات، ولكن يا ولدى ادخل على أمك واسألها عن أبيك». فقال: «سمعًا وطاعة». ثم دخل على أمه وسألها، فقالت له: «أبوك الأمير خالد». فقال لها: «ما أبى إلا علاء الدين

أبو الشامات». فبكت أمه وقالت له: «من أخبرك بهذا يا ولدى؟» فقال: «المقدم أحمد الدنف أخبرنى بذلك». فحكت له جميع ما جرى وقالت له: «يا ولدى قد ظهر الحق واختفى الباطل واعلم أن أباك علاء الدين أبو الشامات إلا أنه ما رباك إلا الأمير خالد وجعلك ولده، فيا ولدى إن اجتمعت بالمقدم أحمد الدنف قل له: يا كبيرى سألتك بالله أن تأخذ لى ثارى من قاتل أبى علاء الدين أبى الشامات».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



قالت شهرزاد: فخرج من عندها وسار إلى أن دخل على المقدم أحمد الدنف وقبل يديه، فقال له: «ما لك يا أصلان؟» فقال له: «إنى قد عرفت وتحققت أن أبى علاء الدين أبو الشامات ومرادى أنك تأخذ لى ثارى من قاتله». فقال له: «من الذى قتل أباك؟» فقال له: «أحمد قماقم السراق». فقال له: «ومن الذى أعلمك بهذا الخبر؟» فقال: «رأيت معه مصباح الجوهر الذى ضاع من جملة أمتعة الخليفة وقلت له: «أعطنى هذا المصباح فما رضى وقال لى: هذا راحت على شأنه الأرواح، وحكى لى أنه هو الذى نزل وسرق العملة ووضعها فى دار أبى». فقال له أحمد الدنف: «إذا رأيت الأمير خالدًا الوالى يلبس لباس الحرب فقل له: «ألبسنى مثلك. فإذا خرجت معه وأظهرت بابًا من أبواب الشجاعة قدام أمير المؤمنين فإن الخليفة يقول لك: «تمن على يا أصلان». فقل له: أتمنى عليك أن تأخذ لى ثأر أبى من قاتله، فيقول لك : إن أباك حى وهو الأمير خالد الوالى. فقل له: إن أبى علاء الدين أبو الشامات وخالد الوالى له على حق التربية فقط. وأخبره بجميع ما وقع بينك وبين أحمد قماقم السراق، وقل له: يا أمير المؤمنين مُر بتفتيشه وأنا أخرجه من جيبه». فقال له: «سمعًا وطاعة».

ثم خرج أصلان فوجد الأمير خالدًا يتجهز إلى ديوان الخليفة فقال له: «مرادى أن تلبسنى لباس الحرب مثلك وتأخذنى معك إلى ديوان الخليفة. فألبسه وأخذه معه إلى الديوان، ونزل الخليفة بالعسكر خارج البلد ونصبوا الصواوين والخيام واصطفت الصفوف وطلعوا بالأكرة والصولجان، فصار الفارس منهم يضرب الأكرة بالصولجان فيردها عليه الفارس الثانى، وكان بين العسكر رجل جاسوس مغرى بقتل الخليفة. فأخذ الأكرة وضربها بالصولجان وحررها على وجه الخليفة، وإذا بأصلان استلقاها عن الخليفة. وضرب بها راميها فوقعت بين أكتافه فوقع على الأرض. فقال الخليفة: «بارك الله فيك يا أصلان».

ثم نزلوا من على ظهور الخيل وقعدوا على الكراسى وأمر الخليفة بإحضار الذى ضرب الأكرة، فلما حضر بين يديه قال له: «من أغراك على هذا الأمر وهل أنت عدو أو حبيب؟» فقال له: «أنا عدو وكنت مضمرًا قتلك». فقال له: «ما سبب ذلك أما أنت مسلم؟» فقال : «لا وإنما أنا رافضى». فأمر الخليفة بقتله وقال لأصلان: «تمنَّ علىَّ». فقال له: «أتمنى عليك أن تأخذ لى ثأر أبى من قاتله». فقال له: «إن أباك حى وهو واقف على رجليه». فقال له: «من هو أبى؟» فقال له: «الأمير خالد الوالى». فقال له: «يا أمير المؤمنين ما هو أبى إلا فى التربية وما والدى إلا علاء الدين أبو الشامات». فقال له: «إن أباك كان خائنًا». فقال : «يا أمير المؤمنين حاشا أن يكون الأمين خائنًا، وما الذى خانك فيه؟» فقال له: «سرق بدلتى وما معها». فقال:

«يا أمير المؤمنين حاشا أن يكون أبى خائنًا ولكن يا سيدى لما عدمت بدلتك وعادت إليك هل رأيت المصباح رجع إليك أيضًا؟» فقال: «ما وجدناه». فقال: أنا رأيته مع أحمد قماقم وطلبته منه فلم يعطنى إياه وقال لى: هذا راحت عليه الأرواح. وحكى لى عن ضعف حبظلم بظاظة ابن الأمير خالد وخلاصه من القيد وأنه هو الذى سرق البدلة والمصباح، وأنت يا أمير المؤمنين تأخذ لى بثار والدى من قاتله».

فقال الخليفة: «اقبضوا على أحمد قماقم». فقبضوا عليه، وقال: «أين المقدم أحمد الدنف؟» فحضر بين يديه. فقال له الخليفة: «فتش قماقم». فحط يديه فى جيبه فأطلع منه المصباح الجوهر، فقال الخليفة: «تعال يا خائن، من أين لك هذا المصباح؟» قال له: «اشتريته يا أمير المؤمنين» فقال له: «من أين اشتريته ومن يقدر على مثله حتى يبيعه لك؟» وضربوه فأقر أنه هو الذى سرق البدلة والمصباح، فقال له الخليفة: «أى شىء تفعل هذه الفعال يا خائن حتى ضيعت علاء الدين أبو الشامات وهو الثقة الأمين؟» ثم أمر الخليفة بالقبض عليه وعلى الوالى، فقال الوالى: «يا أمير المؤمنين أنا مظلوم وأنت أمرتنى بشنقه ولم يكن عندى خبر هذه الحيلة فإن التدبير كان بين العجوز وأحمد قماقم وزوجتى وليس عندى خبر وأنا فى جيرتك يا أصلان». فشفع فيه أصلان عند الخليفة، ثم قال أمير المؤمنين: «ما فعل الله بأم هذا الولد؟» فقال له: «عندى» فقال: «أمرتك أن تأمر زوجتك أن تلبسها بدلتها وصيغتها وتردها إلى سيادتها، وأن تفك الختم الذى على بيت علاء الدين وتعطى ابنه رزقه وماله». فقال: «سمعًا وطاعة».

ثم نزل الوالى وأمر امرأته فألبستها بدلتها، وفك الختم عن بيت علاء الدين وأعطى أصلان المفاتيح، ثم قال الخليفة: «تمنّ علىّ يا أصلان». فقال له: «تمنيت عليك أن تجمع شملى بأبى». فبكى الخليفة وقال: «الغالب أن أباك هو الذى شنق ومات، ولكن وحياة أجدادى كل من بشرنى بأنه على قيد الحياة أعطيته جميع ما يطلبه».

فتقدم أحمد الدنف وقبل الأرض بين يديه وقال له: «أعطنى الأمان يا أمير المؤمنين». فقال له: «عليك الأمان». فقال: «أبشرك أن علاء الدين أبا الشامات الثقة الأمين طيب على قيد الحياة». فقال له: «ما الذى تقول؟» فقال له: «وحياة رأسك إن كلامى حق وفديته بغيره ممن يستحق القتل وأوصلته إلى الإسكندرية وفتحت له دكان سقطى». فقال الخليفة: «ألزمتك أن تجيء به». فقال له: «سمعًا وطاعة». فأمر له الخليفة بعشرة آلاف دينار وسار متوجهًا إلى الإسكندرية.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

بقية حكاية علاء الدين أبى الشامات

قالت شهر زاد: هذا ما كان من أمر أصلان، وأما ما كان من أمر والده علاء الدين أبى الشامات فإنه باع ما كان عنده فى الدكان جميعها ولم يبق فى الدكان إلا القليل وجراب، فنفض الجراب فنزلت منه خرزة تملأ الكف فى سلسلة من الذهب ولها خمسة وجوه وعليها أسماء وطلاسم كدبيب النمل، فدعك الخمسة وجوه، فلم يجاوبه أحد، فقال فى نفسه: «لعلها خرزة من جزع»، ثم علقها فى الدكان، وإذا بقنصل داخل فى الطريق، فرفع بصره فرأى الخرزة معلقة فقعد على دكان علاء الدين وقال له: «يا سيدى هل هذه الخرزة للبيع؟» فقال

له: «جميع ما عندى للبيع» فقال له: «أتبيعنى إياها بثمانين ألف دينار؟» فقال له علاء الدين: «يفتح الله». فقال له: «أتبيعها بمائة ألف دينار؟» فقال: «بعتها لك بمائة ألف دينار، فانقدنى الدنانير». فقال له القنصل: ما أقدر أن أحمل ثمنها معى والإسكندرية فيها لصوص وشرطة فأنت تروح معى إلى مركبى وأعطيك الثمن ورزمة صوف أنجورى ورزمة أطلس ورزمة قطيفة ورزمة جوخ». فقام علاء الدين وقفل الدكان بعد أن أعطاه الخرزة وأعطى المفاتيح لجاره وقال له: «خذ هذه المفاتيح عندك أمانة حتى أروح إلى المركب مع هذا القنصل وأجىء بثمن خرزتى فإن تعوقت عنك وورد عليك المقدم أحمد الدنف الذى كان وطننى فى هذا المكان فأعطه المفاتيح وأخبره بذلك». ثم توجه مع القنصل إلى المركب.

فلما نزل به المركب نصب له كرسيًا وأجلسه عليه وقال: «هاتوا المال». فدفع له الثمن والخمس رزم التى وعده بها وقال له: «يا سيدى اقصد جبرى بلقمة أو شربة ماء» فقال: «إن كان عندك ماء فاسقنى». فأمر بالشربات فإذا فيها بنج، فلما شرب انقلب على ظهره، فرفعوا الكرسى وحطوا المدارى وحلوا القلوع وأسعفتهم الرياح حتى وصلوا إلى وسط البحر، فأمر القبطان بإخراج علاء الدين من بطن المركب، فأخرجوه وشمموه ضد البنج ففتح عينيه وقال: «أين أنا؟» فقال: «أنت معى مربوط وديعة، ولو كنت تقول يفتح الله لكنت أزيدك». فقال له علاء الدين: «ما صناعتك؟» فقال له: «أنا قبطان ومرادى أن آخذك إلى بلادى».

فبينما هما فى هذا الكلام وإذا بمركب فيه أربعون من تجار المسلمين، فخرج القبطان بمركبه عليهم ووضع الكلاليب فى مركبهم ونزل هو ورجاله فنهبوه وأخذوه وساروا به إلى مدينة جنوى، فأقبل القبطان الذى معه علاء الدين إلى باب قصر فيطون، وإذا بصبية نازلة وهى ضاربة لثامًا، فقالت له: «هل جئت بالخرزة وصاحبها؟» فقال لها: «جئت بهما». فقالت له: «هات الخرزة». فأعطاها وتوجه إلى الميناء وأطلق مدافع السلامة، فعلم ملك المدينة بوصول ذلك القبطان فخرج إلى مقابلته، وقال له: «كيف كانت سفرتك؟» فقال له: «كان طيبة جدًا وقد كسبت فيها مركبًا فيه واحد وأربعون من تجار المسلمين». فقال له: «أخرجهم إلى الميناء». فأخرجهم فى الحديد ومن جملتهم علاء الدين، وركب الملك هو والقبطان ومشوا هم قدامهم إلى أن وصلوا إلى الديوان، فجلسوا وقدموا أول واحد، فقال له الملك: «من أين يا مسلم؟» فقال: «من الإسكندرية». فقال: «يا سياف اقتله». فضربه السياف بالسيف فرمى رقبته. وهكذا جرى على الثانى والثالث إلى تمام الأربعين.

وكان علاء الدين فى آخرهم فشرب حسرتهم وقال لنفسه: رحمة الله عليك يا علاء الدين فرغ عمرك. فقال له الملك: «وأنت من أى بلاد؟» فقال: «من الإسكندرية». فقال: «يا سياف ارم عنقه». فرفع السياف يده بالسيف وأراد أن يرمى رقبة علاء الدين وإذا بعجوز ذات هيبة تقدمت بين أيادى الملك فقام تعظيمًا لها، فقالت: «يا ملك ! أما قلت لك عندما يجىء القبطان بالأسرى اذكر الدير بأسير أو بأسيرين يخدمان فى الكنيسة؟» فقال لها: «يا أمى ليتك سبقت بساعة ولكن خذى هذا الأسير الذى بقى». فالتفتت إلى علاء الدين وقالت له: «هل أنت تخدم فى الكنيسة أو أخلى الملك يقتلك؟» فقال لها: «أنا أخدم فى الكنيسة». فأخذته وطلعت به من الديوان وتوجهت إلى الكنيسة.

فقال لها علاء الدين: «ما أعمل في الخدمة؟ فقالت له: «تقوم في الصبح وتأخذ خمسة بغال وتسير بها إلى الغابة وتقطع ناشف الحطب وتكسره وتجيء به إلى مطبخ الدير، وبعد ذلك تلم البسط وتكنس البلاط والرخام وترد الفرش مثل ما كان، وتأخذ نصف أردب قمح وتغربله وتطحنه وتعجنه وتعمله منينات للدير، وتأخذ ويبة عدس تغربلها وتدشها وتطبخها، ثم تملأ الأربع فساقي ماء وتحول بالبراميل، وتملأ ثلاثمائة وستة وستين قصعة وتفتت فيها المنينات وتسقيها من العدس وتدخل لكل راهب قصعته». فقال لها علاء الدين: «رديني إلى الملك وخليه يقتلني أسهل على من هذه الخدمة». فقالت له: «إن خدمت ووفيت الخدمة التي عليك خلصت من القتل، وإن لم تف خليت الملك يقتلك». فقعد علاء الدين مهمومًا، وكان في الكنيسة عشرة عميان كسحان، فقال له واحد منهم: «هات لي الحاجة الفلانية»، وكل واحد يقول له كذلك ويدعون له قائلين «يبارك فيك المسيح يا خادم الكنيسة».

وإذا بالعجوز أقبلت وقالت له: «لأي شيء ما وفيت الخدمة في الكنيسة؟» فقال لها: «كم لي يدًا حتى أقدر على توفية هذه الخدمة؟» فقالت: «يا مجنون أنا ما جئت بك إلا للخدمة»، ثم قالت له: «خذ يا ابني هذا القضيب وكان من النحاس وفي رأسه صليب واخرج إلى الشارع فإذا قابلك والي البلد فقل له: إني أدعوك إلى خدمة الكنيسة من أجل السيد المسيح فإنه لا يخالفك، فخلّه يأخذ القمح ويغربله ويطحنه وينخله ويعجنه ويخبزه منينات، وكل من يخالفك اضربه ولا تخف من أحد». فقال: «سمعًا وطاعة»، وعمل كما قالت.

ولم يزل يسخر الأكابر والأصاغر مدة سبعة عشر عامًا، فبينما هو قاعد في الكنيسة وإذا بعجوز داخلة عليه فقالت له: «اطلع إلى خارج الدير»، فقال لها: «أين أروح؟» فقالت له: «بت هذه الليلة في خمارة أو عند واحد من أصحابك». فقال لها: «لأي شيء تطردينى من الكنيسة؟» فقالت له: «إن حسن مريم بنت الملك يوحنا ملك هذه المدينة مرادها أن تدخل هذه الكنيسة للزيارة ولا ينبغي أن يقعد أحد في طريقها». فامتثل كلامها وقام وأراها أنه رائح إلى خارج الكنيسة وقال في نفسه: أنا لا أروح حتى أتفرج عليها، فاستخفى في مخدع له طاقة تطل على الكنيسة، فبينما هو ينظر في الكنيسة وإذا ببنت الملك مقبلة فنظر إليها فوجدها كأنها البدر إذا بزغ من تحت الغمام وصحبتها صبية وهي تقول لتلك الصبية: «آنست يا زبيدة». فأمعن علاء الدين النظر في تلك الصبية فرآها زوجته العودية التي كانت ماتت. ثم إن بنت الملك قالت لزبيدة: «قومي اعملي لنا نوبة على العود»، فقالت لها: «أنا لا أعمل لك نوبة حتى تبلغيني مرادي وتفي لي بما وعدتني به»، فقالت لها: «ما الذي وعدتك به؟» قالت لها: «وعدتني بجمع شملي بزوجي علاء الدين أبي الشامات الثقة الأمين». فقالت لها: «يا زبيدة طيبي نفسًا وقري عينًا واعملي لنا نوبة حلوان اجتماع شملنا بزوجك علاء الدين». فقالت لها: «وأين هو؟» فقالت لها: «إنه في هذا المخدع يسمع كلامنا». فعملت نوبة على العود ترقص الحجر الجلمود. وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد فلما سمع ذلك علاء الدين هاجت بلابله وخرج من المخدع وهجم عليهما وأخذ زوجته زبيدة العودية وعرفته، فاعتنق الاثنان بعضهما ووقعا على الأرض مغشيًا

عليهما، فتقدمت الملكة حسن مريم ورشت عليهما ماء الورد وأيقظتهما وقالت: «جمع الله شملكما». فقال لها علاء الدين: «على محبتك يا سيدتي». ثم التفت علاء الدين إلى زوجته زبيدة العودية وقال لها: «أنت قد مت يا زبيدة ودفناك في القبر فكيف حييت وجئت إلى هذا المكان؟» فقالت له: «يا سيدي أنا ما متُّ وإنما اختطفني عون من أعوان الجان، وطار بي إلى هذا المكان، وأما التي دفنتموها فإنها جنية وتصورت في صورتي وتظاهرت أنها ميتة وبعد ما دفنتوها شقت القبر وخرجت منه وراحت إلى خدمة سيدتها حسن مريم بنت الملك.

وأما أنا فإني صرعت وفتحت عيني فرأيت نفسي عند حسن مريم بنت الملك وهي هذه، فقلت لها: لأي شيء جئت بي إلى هنا، فقالت لي: أنا موعودة بزواجي بزوجك علاء الدين أبي الشامات فهل تقبليني يا زبيدة أن أكون ضرتك؟ فقلت لها: سمعًا وطاعة يا سيدتي ولكن أين زوجي؟ فقالت: إنه مكتوب على جبينه ما قدر الله عليه فمتى استوفى ما على جبينه لا بد أن يجيء إلى هذا المكان. لكن نتسلى على فراقه بالنغمات والضرب على الآلات حتى يجمعنا الله به. فمكثت عندها هذه المدة إلى أن جمع الله شملي بك في هذه الكنيسة».

ثم إن حسن مريم التفتت إليه وقالت له: «يا سيدي علاء الدين هل تقبلني أن أكون لك أهلاً وتكون لي بعلاً؟» فقال لها: «يا سيدتي أنا مسلم وأنت نصرانية فكيف أتزوج بك؟» فقالت: «ما أنا نصرانية بل أنا مسلمة ولي ثمانية عشر عامًا متمسكة بدين الإسلام وإني بريئة من كل دين يخالف دين الإسلام».

فقال لها: «يا سيدتي مرادي أن أروح إلى بلادي». فقالت له: «اعلم أني رأيت مكتوبًا على جبينك أمورًا لا بد أن تستوفيها وتبلغ غرضك، واعلم يا علاء الدين أنه ظهر لك ولد اسمه أصلان وهو جالس في مرتبتك عند الخليفة وقد بلغ من العمر ثمانية عشر عامًا وقد ظهر الحق واختفى الباطل، ورينا كشف الستر عن الذي سرق أمتعة الخليفة وهو أحمد قماقم السراق الخائن، وهو الآن في السجن محبوس ومقيد، واعلم أني أنا التي أرسلت إليك الخرزة وحطيتها لك في داخل الجراب الذي في الدكان، وأنا التي أرسلت القبطان وجاء بك وبالخرزة، واعلم أن هذا القبطان مختص بخدمتي وأعطيته مائة كيس وأرسلته في صفة تاجر وهو قبطان، ولما قدموك إلى القتل بعد قتل الأربعين أسيرًا الذين كنت معهم أرسلت إليك هذه العجوز». فقال لها: «جزاك الله عنا كل خير ونعم ما فعلت». ثم إن حسن مريم جددت إسلامها على يديه، ولما عرف صدق كلامها قال لها: «أخبريني عن فضيلة هذه الخرزة ومن أين هي؟» فقالت له: «هذه خرزة من كنز مرصود وفيها خمس فضائل تنفعنا عند الاحتياج إليها في وقتها، وإن جدتي أم أبي كانت ساحرة تحل الرموز، وتختلس ما في الكنوز، فوقعت لها هذه الخرزة من كنز، فلما بلغت من العمر أربعة عشر عامًا قرأت الكتب فرأيت اسم محمد ﷺ مكتوبًا في كلها فآمنت بمحمد وأسلمت وتحققت بعقلي أنه لا يُعبد بحق إلا الله تعالى. وكانت جدتي حين ضعفت وهبت لي هذه الخرزة وعلمتني بما فيها من الخمس الفضائل وقبل أن تموت جدتي قال لها أبي: اضربي تخت رمل وانظري عاقبة أمري وما يحصل لي. فقالت له: إن البعيد يموت قتيلاً من أسير يجيء من الإسكندرية، فحلف أبي أنه يقتل كل أسير يجيء منها وأخبر القبطان بذلك وقال له: لا بد أن تهجم على مراكب المسلمين

وتكبسهم وكل من رأيته من الإسكندرية تقتله أو تجيء به إليَّ، فامتثل أمره حتى قتل عدد شعر رأسه، ثم هلكت جدتي، فطلعت أنا وضربت لي تخت رمل وأضمرت ما في نفسي وقلت: يا هل ترى من يتزوج بي، فظهر لي أنه ما يتزوج بي إلا واحد يسمى علاء الدين أبو الشامات الثقة الأمين، فتعجبت من ذلك وصبرت إلى أن آن الأوان واجتمعت بك».

ثم إنه تزوج بها وقال لها: «أنا مرادي أن أروح إلى بلادي»، فقالت له: «إذا كان الأمر كذلك قم تعالى معي»، فأخذته وخبأته في مخدع قصرها ودخلت على أبيها، فقال لها: «يا بنتي أنا عندي اليوم قبض زائد فاقعدي حتى أسكر أنا وإياك»، فقعدت ودعا بسفرة المدام وصارت تملأ وتسقيه حتى غاب عن الوجود، ثم إنها وضعت له البنج في قدح فشرب القدح وانقلب على قفاه، ثم جاءت إلى علاء الدين وأخرجته من المخدع وقالت له: «قم تعال إن خصمك مطروح على قفاه، فافعل به ما شئت فإني أسكرته وبنجته»، فدخل علاء الدين فرآه مبنجًا فكتفه تكتيفًا وثيقًا وقيده، ثم أعطاه ضد البنج فأفاق منه فوجد علاء الدين وابنته راكبين على صدره، فقال لها: «يا بنتي أتفعلين معي هذه الفعال؟» فقالت له: «إن كنت بنتك فأسلم لأني أسلمت وقد تبين لي الحق فاتبعته. والباطل فاجتنبته، وقد أسلمت وجهي لله رب العالمين وإني بريئة من كل دين يخالف دين الإسلام في الدنيا والآخرة، فإن أسلمت فحبا وكرامة وإلا فقتلك أولى من حياتك».

ثم نصحه أيضًا علاء الدين فأبى وتمرد، فسحب علاء الدين خنجرًا ونحره من الوريد إلى الوريد وكتب ورقة بصورة الذي جرى ووضعها على جبهته وأخذ ما خف حمله وغلا ثمنه وطلعا من القصر وتوجها إلى الكنيسة، فأحضرت الخرزة وحطت يدها على الوجه الذي هو منقوش عليه السرير ودعكته، وإذا بسرير وضع قدامها فركبت هي وعلاء الدين وزوجته زبيدة العودية في ذلك السرير وقالت: «بحق ما كتب على هذه الخرزة من الأسماء والطلاسم وعلوم الأقلام أن ترتفع بنا يا سرير»، فارتفع بهم السرير وسار بهم إلى واد لا نبات فيه، فأقامت الأربعة الوجوه الباقية من الخرزة إلى السماء وقلبت الوجه المرسوم عليه السرير فنزل بهم إلى الأرض، وقلبت الوجه المرسوم عليه هيئة صيوان وصكته وقالت: «لينتصب صيوان في هذا الوادي»، فانتصب الصيوان وجلسوا فيه.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: وكان ذلك الوادي أقفر ما فيه شيء من النبات والماء، فقلبت الأربعة الوجوه نحو السماء وقالت: «بحق أسما[ء] الله أن تنبت هنا أشجار ويجري بجانبها بحر»، فنبتت الأشجار في الحال وجرى بجانبها بح[ر] عجاج متلاطم بالأمواج، فتوضأوا منه وصلوا وشربوا، ثم قلبت الثلاثة الوجوه الباقية من الـ[خـ]رزة إلى الوجه الذي على هيئة سفرة الطعام وقالت: «بحق أسماء الله يُمد السماط»، وإذا بسماط امتد وفيه من سائر الأطعمة المفتخرة، فأكلوا وشربوا. هذا ما كان من أمرهم، وأما ما كان من أمر ابن الملك فإنه دخل ينبه أباه فوجده قتيلاً ووجد الورقة التي كتبها علاء الدين فقرأ وعرف ما فيها، ثم فتش على أخته فلم يجدها، فذهب إلى العجوز في الكنيسة ووجدها، فسألها عنها، فقالت: «من أمس ما رأيتها»، فعاد إلى

العسكر وقال لهم: «الخيل يا أربابها»، وأخبرهم بالذى جرى فركبوا الخيل وسافروا إلى أن قربوا من الصيوان، فقامت حسن مريم فرأت الغبار قد سد الأقطار، وبعد أن علا وطار، انكشف وإذا بأخيها والعسكر وهم ينادون: «إلى أين تقصدون ونحن وراءكم؟» فقالت الصبية لعلاء الدين: «كيف ثبات رجليك فى القتال؟» فقال لها: «لا أعرف الحرب والكفاح ، ولا السيوف والرماح»، فسحبت الخرزة ودعكت الوجه المرسوم عليه صورة الفرس والفارس، وإذا بفارس ظهر من البر ، ولم يزل يقاتلهم ويضرب فيهم بالسيف إلى أن كسرهم وطردهم.

ثم قالت له: «أتسافر إلى مصر أو إلى الإسكندرية؟» فقال: «إلى الإسكندرية» فركبوا على السرير وعزمت عليه فسار بهم فى لحظة إلى أن نزلوا فى الإسكندرية، فأدخلهما علاء الدين فى مغارة وذهب إلى الإسكندرية فأتاهما بثياب وألبسهما إياها وتوجه بهما إلى الدكان والطبقة ثم خرج يجيء لهما بغذاء، وإذا بالمقدم أحمد الدنف قادم من بغداد فرآه فى الطريق، فقابله بالعناق ورحب به ثم إن المقدم أحمد الدنف بشره بولده أصلان وأنه بلغ من العمر عشرين عاما. وحكى له علاء الدين جميع ما جرى له من الأول إلى الآخر وأخذه إلى الدكان والطبقة، فتعجب أحمد الدنف من ذلك غاية العجب، وباتوا تلك الليلة. فلما أصبحوا باع علاء الدين الدكان ووضع ثمنه على ما معه، ثم إن أحمد الدنف أخبر علاد الدين بأن الخليفة طالبه، فقال له: «أنا رائح إلى مصر أسلم على أبى وأمى وأهل بيتى»، فركبوا السرير جميعًا وتوجهوا إلى مصر السعيدة ونزلوا فى الدرب الأصفر، لأن بيتهم كان فى تلك الحارة ودق باب بيتهم، فقالت أمه: «من بالباب بعد فقد الأحباب؟» فقال لها: «أنا علاء الدين» فنزلوا وأخذوه بالأحضان، ثم أدخل زوجته وما معه فى البيت، وبعد ذلك دخل وأحمد الدنف صحبته وأخذوا لهم راحة ثلاثة أيام، ثم طلب السفر إلى بغداد، فقال له أبوه: «اجلس يا ولدى عندى» فقال: «ما أقدر على فراق ولدى أصلان»، ثم إنه أخذ أباه وأمه معه وسافروا إلى بغداد، فدخل أحمد الدنف وبشر الخليفة بقدوم علاء الدين وحكى حكايته. فطلع الخليفة لملتقاه وأخذ ولده أصلان معه وقابلوه بالأحضان، وأمر الخليفة بإحضار أحمد قماقم السراق فأحضروه، فلما حضر بين يديه قال: «يا علاء الدين دونك وخصمك»، فسحب علاء الدين السيف وضرب أحمد قماقم السراق فرمى رقبته، ثم عمل الخليفة لعلاء الدين فرحًا عظيمًا بعد أن أحضر القضاة والشهود وكتب كتابه على حسن مريم، ثم جعل ولده أصلان رئيس الستين وخلع الخلع السنية، وأقاموا فى أرغد عيش وأهناه إلى أن أتاهم هادم اللذات، ومفرق الجماعات.

وأما حكايات الكرام فإنها كثيرة جدًا منها ما روى عن كرم حاتم الطائى.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية حاتم الطائى

قالت شهر زاد: يحكى عن حاتم الطائى أنه لما مات دُفن فى رأس جبل وعملوا على قبره حوضين من حجرين وصور بنات محلولات الشعور من حجر، وكان تحت ذلك الجبل نهر جار. فإذا نزلت الوفود يسمعون الصراخ فى الليل من العشاء إلى الصباح، فإذا أصبحوا لم يجدوا أحدًا غير البنات المصورة من الحجر، فلما نزل ذو الكراع ملك حمير بذلك الوادى

خارجًا عن عشيرته بات تلك الليلة هناك، وتقرب من ذلك الموضع فسمع الصراخ فقال: «ما هذا العويل الذى فوق الجبل؟» فقالوا له: «إن هذا قبر حاتم الطائى وإن عليه حوضين من حجر وصور بنات من حجر محلولات الشعور وكل ليلة يسمع النازلون فى هذا المكان هذا العويل والصراخ»، فقال ذو الكراع ملك حمير يهزأ بحاتم الطائى: «يا حاتم نحن الليلة ضيوفك ونحن خماص». قال: فغلب عليه النوم. ثم استيقظ وهو مرعوب وقال: «يا عرب الحقونى وأدركوا راحلتى» فلما جاءوه وجدواالناقة تضطرب فذبحوها وشووا لحمها وأكلوه، ثم سألوه عن سبب ذلك فقال: «غفلت عينى فرأيت فى منامى حاتمًا الطائى وقد جاءنى بالسيف وقال: «جئتنا ولم يكن عندنا شىء، وضرب ناقتى بالسيف، فلو لم تحصلوها وتنحروها لماتت . فلما أصبح الصباح ركب ذو الكراع راحلة واحد من أصحابه وأردفه خلفه، فلما كان وسط النهار رأوا راكبًا على راحلة وفى يده راحلة أخرى، فقالوا له: «من أنت؟» فقال: «أنا عدى بن حاتم الطائى». ثم قال: «أين ذو الكراع الأمير ؟» فقالوا له: «هذا هو»، فقال له: «اركب هذه الناقة عوضا عن راحلتك فإن ناقتك قد ذبحها أبى لك». قال: «ومن أخبرك؟» قال: «أتانى فى المنام فى هذه الليلة وأنا نائم وقال لى: يا عدى إن ذا الكراع ملك حمير استضافنى فنحرت له ناقته، فأدركه بناقة يركبها فإنى لم يكن عندى شىء». (قال) فأخذها ذو الكراع وتعجب من كرم حاتم الطائى حيًا وميتًا.

ومن حكايات الكرام أيضًا ما يروى عن معن بن زائدة

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية معن بن زائدة

قالت شهر زاد: يروى عن معن بن زائدة أنه كان يومًا من الأيام فى الصيد والقنص، فعطش فلم يجد مع غلمانه ماءً، فبينما هو كذلك وإذا بثلاث جوار قد أقبلن عليه حاملات ثلاث قرب ماء، فاستسقاهن، فأسقينه، فطلب شيئًا من غلمانه ليعطيه للجوارى، فلم يجد معهم مالاً فدفع لكل واحدة منهن عشرة أسهم من كنانته نصولها من الذهب، فقالت إحداهن لصاحبتها: «ويلك لم تكن هذه الشمائل إلا لمعن بن زائدة، فلتقل كل واحدة منكن شيئًا من الشعر مدحًا فيه». فقالت الأولى:

«يركب فى السهام نصول تبر ... ويرمى للعدا كرمًا وجودًا
فللمرضى علاجٌ من جراح ... وأكفان لمن سكن اللحودا»

وقالت الثانية:

«ومحارب من فرط جود بنانه ... عمت مكارمه الأحبة والعدا
صيغت نصول سهامه من عسجد ... كى لا تعوقه الحروب عن الندى»

وقالت الثالثة:

«من جوده يرمى العداة بأسهم ... من الذهب الإبريز صيغت نصولها
لينفقها المجروح عند دوائه ... ويشترى الأكفان منها قتيلها»

وقيل إن معن بن زائدة خرج فى جماعة إلى الصيد، فقرب منهم قطيع الظباء، فافترقوا فى طلبه وانفرد معن خلف ظبى، فلما ظفروا به نزل فذبحه فرأى شخصًا مقبلاً من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه وقال له: «من أين أتيت؟» فقال له: «أتيت من أرض قضاعة وإن لها مدة من السنين مجدبة وقد أخصبت فى هذه السنة، فزرعت فيها قثاء فطرحت فى غير وقتها، فجمعت منها ما استحسنته من القثاء وقصدت الأمير معن بن زائدة لكرمه المشهور، ومعروفه المأثور». فقال له: «كم أملت منه؟» قال: «ألف دينار». فقال له: «إن قال لك هذا القدر كثير؟» فقال: «خمسمائة دينار». فقال له: «فإن قال لك كثير؟» قال: «ثلاثمائة دينار». فقال: «فإن قال لك كثير؟» قال: مائتا دينار». قال: «فإن قال لك كثير؟»قال: مائة دينار». قال: «فإن قال لك كثير؟» قال: «خمسين دينارًا». قال: «فإن قال لك كثير؟» قال: «ثلاثين دينارًا». قال: فإن قال لك كثير؟». قال: «أدخلت قوائم حمارى فى فكه وأرجع إلى أهلى خائبًا صفر اليدين».

فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق بعسكره ونزل فى منزله وقال لحاجبه: «إذا أتاك شخص على حمار بقثاء فادخله على»، فأتى ذلك الرجل بعد ساعة فأذن له الحاجب فى الدخول، فلما دخل على الأمير معن لم يعرف أنه هو الذى قابله فى البرية لهيبته وجلالته وكثرة خدمه وحشمه وهو متصدر فى دست مملكته والحفدة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه، فلما سلم عليه قال له الأمير: «ما الذى أتى بك يا أخا العرب؟» قال: «أملت الأمير وأتيت له بقثاء فى غير أوانها». فقال له: «كم أملت منا؟» قال: «ألف دينار ». قال: «هذا القدر كثير» قال: «خمسمائة دينار». قال: «كثير قال: «ثلاثمائة دينار». قال: «كثير» قال: «مائتا دينار». قال: «كثير» قال: «مائة دينار». قال: «كثير» قال: «خمسين دينارًا». قال: «كثير» قال: «ثلاثين دينارًا». قال: «كثير» قال: والله لقد كان ذا الرجل الذى قابلنى فى البرية مشئومًا، أفلاأقل من ثلاثين دينارًا»، فضحك معن وسكت. فعلم الأعرابى أنه هو الرجل الذى قابله فى البرية فقال له: «يا سيدى إذا لم تجىء بالثلاثين دينارًا فها هو الحمار مربوط بالباب وها معن جالس»، فضحك معن حتى استلقى على قفاه، ثم استدعى بوكيله وقال له: «أعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلاثمائة دينار ومائتى دينار ومائة دينار وخمسين دينارًا وثلاثين دينارًا ودع الحمار مربوطًا مكانه»، فبهت الأعرابى وتسلم الألفين ومائة دينار وثمانين دينارًا، فرحمة الله عليهم أجمعين.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية بلدة لبطيط

قالت شهر زاد: بلغنى أيها الملك السعيد أن بلدة يقال لها لبطيط، وكانت دار مملكة بالروم، وكان فيها قصر مقفول دائمًا وكلما مات ملك وتولى بعده ملك آخر من الروم رمى عليه قفلاً محكمًا فاجتمع على الباب أربعة وعشرون قفلاً، من كل ملك قفل، ثم تولى بعدهم رجل ليس من بيت أهل المملكة فأراد فتح تلك الأقفال ليرى ما داخل ذلك القصر، فمنعه من ذلك أكابر الدولة وأنكروا عليه وزجروه، فأبى وقال: «لا بد من فتح ذلك القصر»، فبذلوا جميع ما بأيديهم من نفائس الأموال والذخائر على عدم فتحه فلم يرجع عن فتحه. فأزال الأقفال وفتح

الباب فوجد فيه صور العرب على خيلها وجمالها وعليهم العمائم المسبلة وهم متقلدون بالسيوف وبأيديهم الرماح الطوال، ووجد كتابًا فيه، فأخذ الكتاب وقرأه فوجد مكتوبًا فيه: «إذا فتح هذا الباب يغلب على هذه الناحية قوم من العرب وهم على هيئة هذه الصور فالحذر ثم الحذر من فتحه».

وكانت تلك المدينة بالأندلس ففتحها طارق بن زياد فى تلك السنة فى خلافة الوليد بن عبد الملك من بنى أمية وقتل ذلك الملك شر قتلة ونهب بلاده وسبى من بها من النساء والغلمان وغنم أموالها ووجد فيها ذخائر عظيمة فيها ما ينيف عن مائة وسبعين تاجًا من الدر والياقوت والأحجار النفيسة، ووجد فيها إيوانًا ترمح فيه الخيل برماحهم، ووجد بها من أوانى الذهب والفضة ما لا يحيط به وصف ، ووجد بها المائدة التى كانت لنبى الله سليمان بن داود عليهما السلام ، وكانت على ما ذكر من زمرد أخضر.

وهذه المائدة إلى الآن باقية فى مدينة رومة وأوانيها من الذهب وصحافها من الزبرجد ووجد بها الزبور مكتوبًا بخط يونانى فى ورق من الذهب مفصص بالجواهر، ووجد فيها كتابًا يذكر فيها منافع الأحجار والنباتات والمدائن والقرى والطلاسم وعلم الكيمياء من الذهب والفضة، ووجد كتابًا آخر يحكي فيه صناعة صياغة اليواقيت والأحجار وتركيب السموم والترياقات وصورة شكل الأرض والبحار والبلدان والمعادن.

ووجد فيها قاعة كبيرة ملآنة من الإكسير الذى يحول الدرهم من ألف درهم من الفضة ذهبًا خالصًا، ووجد بها مرآة كبيرة مستديرة عجيبة من أخلاط صنعت لنبى الله سليمان بن داود عليهما السلام. إذا نظر فيها نظر الأقاليم السبعة عيانًا، ورأى فيها مجلسًا فيه من الياقوت البهرمانى ما لا يحيط به وصف وسق جمل فحمل ذلك كله إلى الوليد بن عبد الملك وتفرق العرب فى مدنها وهى من أعظم البلاد، وهذا آخر حكاية لبطيط.

حكاية هشام بن عبد الملك مع صبي العرب

ومما يحكى أيضًا أن هشام بن عبد الملك بن مروان إذا كان فى بعض الأيام يتصيد نظر إلى ظبى فألحق الكلاب به، فبينا هو خلف الظبى إذ نظر إلى صبى من الأعراب يرعى غنمًا، فقال هشام : «يا صبى دونك هذا الظبى فإنه فاتنى»، فرفع الصبى رأسه إليه وقال: «يا جاهلاً بقدر الأخيار، ولقد نظرت إلىَّ بالاستصغار، ثم كلمتنى بالاحتقار، فكلامك كلام جبار، وفعلك فعل حمار».

فقال له هشام: «ويلك أما تعرفنى؟» فقال: «قد عرفنى بك سوء أدبك. إذ بدأتنى بكلامك دون سلامك». فقال: «ويلك أنا هشام بن عبد الملك»، فقال له الأعرابى: «لا قرب الله ديارك، ولا حيا مزارك، فما أكثر كلامك وأقل إكرامك ، فما استتم كلامه حتى أحدقت به الجند من كل جانب وكل واحد منهم يقول: «السلام عليك يا أمير المؤمنين»، فقال هشام: «اقصروا عن هذا الكلام، واحفظوا هذا الغلام»، فقبضوا عليه.

فلما رأى الغلام كثرة الحجاب والوزراء وأرباب الدولة لم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره ونظر حيث يقع قدمه إلى أن وصل إلى هشام ، فوقف بين يديه ونكس رأسه إلى الأرض وسكت عن السلام، وامتنع عن الكلام، فقال له بعض الخدام: «يا كلب العرب

ما منعك عن أن تسلم على أمير المؤمنين؟» فالتفت إلى الخادم مغضبًا وقال: «يا بردعة الحمار منعنى من ذلك طول الطريق، وصعود الدرجة والتعريق». فقال هشام وقد تزايد به الغضب: «يا صبى لقد حضرت فى يوم حضر فيه أجلك، وغاب عنك أملك، وانصرم عمرك»، فقال: «والله يا هشام لئن كان فى المدة تقصير، ولم يكن فى الأجل تأخير ، فما ضرنى من كلامك لا قليل ولا كثير». فقال له الحاجب: «هل بلغ من مقامك يا أخس العرب أن تخاطب أمير المؤمنين كلمة بكلمة؟» فقال مسرعًا: «لقيت الخبل، ولا فارقك الويل والهبل، أما سمعت ما قال الله تعالى: ﴿يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها﴾ فعند ذلك قام هشام واغتاظ غيظًا شديدًا وقال: «يا سياف عليَّ برأس هذا الغلام، فقد أكثر الكلام، مما لا يخطر بالأوهام».

فأخذ الغلام ونزل به إلى نطع الدم وسل سيفه على رأسه وقال السياف: «يا أمير المؤمنين هذا عبدك المذل بنفسه، الصائر إلى رمسه، هل أضرب عنقه وأنا برىء من دمه؟» قال: «نعم»، فاستأذن ثانيًا فأذن له، فاستأذن ثالثًا، ففهم الفتى أنه إذا أذن له هذه المرة يقتله، فضحك الصبى حتى بدت نواجزه، فازداد هشام غضبًا وقال: «يا صبى أظنك معتوهًا، أما ترى أنك مفارق الدنيا فكيف تضحك هزؤًا بنفسك؟» فقال: «يا أمير المؤمنين لئن كان فى العمر تأخير، لا يضرنى قليل ولا كثير، ولكن حضرتنى أبيات فاسمعها فإن قتلى لا يفوتك». فقال هشام: «هات وأوجز»، فأنشد يقول:

نبئت أن الباز علق مرة ... عصفور بر ساقه المقدور
فتكلم العصفور فى أظفاره ... والباز منهمك عليه يطير
ما فى ما يغنى لمثلك شبعةً ... ولئن أكلت فإننى لحقير
فتبسم الباز المدل بنفسه ... عجبًا وأطلق ذلك العصفور

فتبسم هشام وقال: «وحق قرابتى من الرسول لو تلفظ بهذا اللفظ فى هذا الوقت من أوقاته وطلب ما دون الخلافة لأعطيته إياه، يا خادم أحش فاه جوهرًا وأحسن جائزته»، فأعطاه الخادم صلة عظيمة، فأخذها وانصرف الأعرابى إلى حال سبيله.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



حكاية إبراهيم بن المهدى

قالت شهر زاد: إن إبراهيم بن المهدى أخا هارون الرشيد لما آل أمر الخلافة إلى المأمون ابن أخيه هارون الرشيد لم يبايعه بل ذهب إلى الرى وادعى الخلافة لنفسه وأقام على ذلك سنة واحدة وأحد عشر شهراً واثنى عشر يوماً وابن أخيه المأمون يتوقع منه العود إلى الطاعة وانتظامه فى سلك الجماعة، حتى يئس من عوده، فركب بخيله ورجله ودخل الرى فى طلبه، فلما بلغ إبراهيم الخبر لم يسعه إلا أنه جاء إلى بغداد واختفى خوفا على دمه، فجعل المأمون لمن يدل عليه مائة ألف دينار.

قال إبراهيم: «لما سمعت بهذه الجعالة خفت على نفسى وتحيرت فى أمرى، فخرجت من دارى متنكراً وقت الظهيرة وأنا لا أدرى أين أتوجه، فدخلت شارعاً غير نافذ فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون عرضت نفسى للعطب، إن عدت على أثرى يرتاب فى أمرى وأنا على هيئة

المتنكر، فرأيت فى صدر الشارع عبداً أسود قائماً على باب داره فتقدمت إليه وقلت له: «هل عندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار؟» قال: «نعم» وفتح الباب. ودخلت إلى بيت نظيف فيه فرش وبسط ومخدات جلود، ثم إنه بعد أن أدخلنى أغلق على الباب ومضى، فتوهمت أنه سمع بالجعالة فى فقلت فى نفسى: إنه خرج ليدل على. فبقيت أغلى مثل القدر على النار وأنا متفكر فى أمرى.

فبينما أنا كذلك إذ أقبل ومعه حمال عليه كلما يحتاج إليه من خبز ولحم وقدور جديدة وآلتها وجرة جديدة وكيزان جدد، فحط عن الحمال ثم التفت إلى وقال لى: «جعلت نفسي فداءك أنا رجل حجام وأنا أعلم أنك تتقرف مني لما أتولاه من معيشتي فشأنك وهذه الأشياء التي لم يقع عليها يد فافعل ما بدالك».

قال إبراهيم: وكان لي حاجة إلى الطعام فطبخت لنفسي قدرًا ما أذكر أني أكلت مثلها. فلما قضيت أربي قال لي: «يا سيدي جعلني الله فداءك هل لك في الشراب فإنه يطيب النفس ويذهب الغم». فقلت: «ما أكره ذلك رغبة في مؤانسة الحجام»، فجاءني بأواني زجاج جديدة لم تمسها يد وجرة مطيبة وقال: «روق لنفسك كما تحب» فروقت شربًا في غاية الجودة، وأحضر لي قدحًا جديدًا وفاكهة وزهورًا في أواني فخار جديدة ثم قال: «أتأذن لي أن أجلس ناحية وأشرب وحدي من شراب لي سرورًا بك ولك؟» فقلت له: «افعل».

فشربت وشرب وأحسست بالشراب دب فينا، فقام الحجام ودخل خزانة له فأخرج عودًا مصفحًا ثم قال: «يا سيدي ليس من قدري أن أسألك الغناء ولكن قد وجب علي عظيم مروءتك حق حرمتي فإن رأيت أن تشرف عبدك فلك علو الرأى». فقلت له وما أظن أنه يعرفني: «ومن أين لك أني أحسن الغناء؟» فقال: يا سبحان الله مولانا أشهر من ذلك أنت سيدي إبراهيم ابن المهدي خليفتنا بالأمس الذي جعل فيك المأمون لمن دلَّه عليك مائة ألف دينار وعليك مني الأمان». فقال إبراهيم: «فلما قال ذلك عظم في عيني وثبتت مروءته عندي، فوافقته علي بغيته وتناولت العود وأصلحته وغنيت وقد مر بخاطري فراق ولدي وعيالي فجعلت أقول:

«وعسى الذي أهدى ليوسف أهله ... وأعزه في السجن وهو أسير
أن يستجيب لنـــا فيجمع شملنا ... والله رب العالميــن قـــدير

فاستولى عليه الطرب المفرط وطاب عيشه كثيرًا»، ويقال إن جيران إبراهيم كانوا إذا سمعوه يقول يا غلام شد البغلة يحصل لهم طرب بهذه الكلمة، ولما طابت نفس الحجام وتحكم منه الطرب قال: «يا سيدي أتأذن لي أن أقول ما سنح بخاطري وإن كنت من غير أهل الصناعة؟» فقلت له: «افعل وهذا من زيادة أدبك ومروءتك»، فأخذ العود وغنى:

شكونا إلى أحبابنا طــول ليلــنا ... فقالوا لنا مــا أقصــر الليل عندنا
وذاك أن النــوم يغشى عيونهــم ... سريعًا ولا يغشى لنا النوم أعينا
إذا مـا دنا الليل المضر بذي الهــوى ... جزعنا وهـم يستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقــون مثل مــا ... نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

(قال إبراهيم) فقلت له: والله لقد أحسنت يا لبيبي كل الإحسان، وأذهبت عني ألم الأحزان، فزدني من هذه الترهات، فأنشد هذه الأبيات.

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل
وأنا لقوم لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول
وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

(قال إبراهيم) فلما سمعت منه هذا الشعر تعجبت منه غاية العجب ومال بي عظيم الطرب، ونمت فلم أستيقظ إلا بعد العشاء، فغسلت وجهي وعاودني فكري في نفاسة هذا الحجام وحسن أدبه، فأيقظته وأخذت خريطة كانت صحبتي فيها دنانير لها قيمة ورميت بها إليه وقلت له: «أستودعك الله إني ماض من عندك وأسألك أن تصرف ما في هذه الخريطة في بعض مهماتك ولك عندي المن الزائد إذا أمنت من خوفي».

(قال إبراهيم) فأعاد لي الخريطة وقال: «يا سيدي إن الصعاليك منا لا قدر لهم عندكم ولكن بمقتضى مروءتي كيف آخذ ثمنًا على ما أوهبنيه الزمان من قربك وحلولك عندي، ولئن أرجعتني في هذا الكلام ورميت بالخريطة إلي مرة أخرى قتلت نفسي».

(قال إبراهيم) فأخذت الخريطة في كمي وقد أثقلني حملها وانصرفت.

فلما انتهيت إلى باب داره قال لي: «يا سيدي إن هذا المكان أخفى لك من غيره وليس علي في مؤنتك ثقل فأقم عندي إلى أن يفرج الله عنك» فرجعت وقلت له: «بشرط أن تنفق من تلك الخريطة»، فأوهمني الرضا بذلك الشرط. ثم أقمت عنده أيامًا على تلك الحالة في ألذ عيش ولم يصرف من الخريطة شيئًا، فتذممت من الإقامة في مؤنته واحتشمت من التثقيل عليه فتركته وقمت، ثم تزييت بزي النساء كالخف والنقاب وخرجت من داره.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: قال إبراهيم: فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف أمرٌ شديد وجئت لأعبر الجسر وإذا بموضع مرشوش بماء، فنظرني جندي ممن كان يخدمني فعرفني وصاح وقال: «هذه حاجة المأمون» فتعلق بي، فمن حلاوة الروح دفعته وفرسه ورميتهما في ذلك الزلق فصار عبرة لمن اعتبر وتبادر الناس إليه، فاجتهدت أنا في مشيتي حتى قطعت الجسر فدخلت شارعًا فوجدت باب دار مفتوحًا وامرأة واقفة في دهليزه فقلت: «يا سيدتي ارحميني واحقني دمي فإني رجل خائف». فقالت: «على الرحب والسعة ادخل». وأطلعتني إلى غرفة وفرشت لي فيها وقدمت لي طعامًا وقالت لي: «ليهدأ روعك فما علم بك مخلوق».

فبينما هي كذلك وإذا بالباب يدق دقًا عنيفًا، فخرجت وفتحت الباب، وإذا بصاحبي الذي دفعته على الجسر مقبل وهو مشدود الرأس ودمه يجري على ثيابه وليس معه فرسه فقالت له: «يا هذا ما دهاك؟» فقال: «كنت ظفرت بالفتى فانفلت مني». وأخبرها بالحال. فأخرجت حراقًا فأعملته في خرقة وعصبت بها رأسه وفرشت له ونام عليلاً، ثم طلعت إلي وقالت لي: «أظنك صاحب القضية؟» فقلت لها: «نعم». فقالت لي: «لا

بأس عليك»، ثم جددت لي الكرامة فأقمت عندها ثلاثة أيام، ثم قالت لي إني خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع عليك فينم بك فيما تخافه فانج بنفسك: «ثم إني سألتها المهلة إلى الليل. فقالت: لا بأس بذلك».

فلما دخل الليل لبست زي النساء وخرجت من عندها فأتيت إلى بيت مولاة كانت لنا، فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله تعالى على سلامتي وخرجت كأنها تريد السوق للاهتمام بالضيافة فظننت خيرًا، فما شعرت إلا وإبراهيم الموصلي مقبل في غلمانه وجنده وامرأة قدامهم، فتأملتها فإذا هي المولاة صاحبة الدار التي أنا بها، ولم تزل ماشية قدامهم حتى أسلمتني إليهم، فرأيت الموت عيانًا وحملت بالزي الذي أنا فيه إلى المأمون، فعقد مجلسًا عامًا وأدخلني عليه، فلما دخلت سلمت عليه بالخلافة، فقال: «لا سلمك الله ولا حياك»، فقلت له: «على رسلك يا أمير المؤمنين إن ولي الثأر محكم في القصاص أو العفو، ولكن العفو أقرب للتقوى، وقد جعل الله عفوك فوق كل عفو كما جعل ذنبي فوق كل ذنب، فإن تؤاخذ فبحقك، وإن تعفو فبفضلك»، ثم أنشدت هذه الأبيات:

ذنبي إليك عظيم ... وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أو لا ... واصفح بحلمك عنه
إن لم أكن في فعالي ... من الكرام فكنه

(قال إبراهيم) فرفع المأمون إلى رأسه، فبادرت إليه بإنشاد هذين البيتين:

أتيت ذنبًا عظيمًا ... وأنت للعفو أهل
فإن عفوت فمَنٌّ ... وإن جزيت فعدل

فأطرق المأمون رأسه وأنشد:

وكنت إذا الصديق أراد غيظي ... وأشرقني على حنقي بريقي
غفرت ذنوبه وعفوت عنه ... مخافة أن أعيش بلا صديق

(قال إبراهيم) فلما سمعت منه هذا الكلام استروحت روائح الرحمة من شمائله. ثم أقبل على ابنه العباس وأخيه أبي إسحاق وجميع من حضر من خاصته وقال لهم: «ما ترون في أمره؟» فكل أشار عليه بقتلي إلا أنهم اختلفوا في القتلة كيف تكون. فقال المأمون لأحمد بن خالد: «ما تقول يا أحمد؟» فقال: «يا أمير المؤمنين إن قتلته وجدنا مثلك من قتل مثله، وإن عفوت عنه فما وجدنا مثلك عفا عن مثله».

فلما سمع المأمون كلام أحمد بن خالد نكس رأسه وأنشد قول الشاعر:

قومي هم قتلوا أميم أخي ... فإذا رميت يصيبني سهمي

◆◆◆

سامح أخاك إذا خلط ... منه الإصابة بالغلط
واحفظ صنيعك عنده ... شكر الصنيعة أم غمط
وتجاف عن تعنيفه ... إن زاغ يومًا أو قسط
أو ما ترى المحبوب والـ ... ـمكروه لزًّا في نمط
ولذاذة العمر الطويل ... يشوبها نقص الشمط

والورد يبـــدو في الغـصــون مع الجنـــي الملتــقـــط
مـن ذا الـذي مــا ســـاء قط ومـن لـه الحـسـنـى فـقط
ولـو اخـتـبـرت بني الزمــان وجــدت أكــثـرهـم سـقط

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهر زاد: (قال إبراهيم بن المهدي) فلما سمعت منه هذه الأبيات كشفت المقنعة عن رأسي وكبرت تكبيرة عظيمة وقلت: «عفا والله أمير المؤمنين عني». فقال: «لا بأس عليك يا عم». فقلت: «ذنبي يا أمير المؤمنين أعظم من أن أتفوه معه بعذر وعفوك أعظم من أن أنطق معه بشكر». وأطربت بالنغمات، وأنشدت هذه الأبيات:

إن الذي خلق المكــارم حــازها في صلب آدم للإمــام السـابع
مُلئت قلوب الناس منك مـهـابة والكـل تكلأهـم بقلــب طامع
مــا إن عـصـيـت والغـواة تمدني أسـبـابهـا إلا بنيـــة طامــع
فـعـفـوت عـمَّن لم يكن عن مـثله عـفـوٌ ولم يشفـع إليك بشافع
ورحـمـت أطفـالاً كـأفـراخ القطـا وحنين والـــدة بقلـــب جـــازع

فقال المأمون: «أقول اقتداءً بسيدنا يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام: «لا تثريب عليكم اليـوم يغـفـر الله لكم وهو أرحم الراحمين». قد عـفـوت عنك ورددت عليك أموالك وضياعك يا عم ولا بأس عليك». فابتهلت له بصالح الدعوات، وأنشدت هذه الأبيات:

رددت مــالي ولـم تبـخـل علي به وقـبـل ردك مــالي قـد حـقنت دمي
فلو بذلت دمـي أبغـي رضـاك به والمال حـتى أسُلَّ النعل من قـدمي
مـا كـان ذاك سـوى عـارية رجعت إليـك لو لـم تعرها كنت لم تلـم
فإن جـحـدتك مـا أوليـت من نعم إنـي إلى اللـوم أولى منـك بالكـرم

فأكرمه المأمون وأنعم عليه وقال له: «يا عم إن أبا إسحاق والعباس أشارا علي بقتلك». فقلت: «إنهـمـا نصـحـا لك يا أمـيـر المؤمنين ولكنك أتيت بما أنت أهله ودفـعـت مـا خفت بما رجوت». فقال المأمون: «يا عم أمتَّ حقدي بحياة عذرك وقد عفوت عنك ولم أجرعك مرارة امتنان الشافعين». ثم سجد المأمون طويلاً ورفع رأسه وقال: «يا عم أتدري لأي شيء سجدت؟» قالت: «لعلك سجدت شكرًا لله الذي أظفرك بعدوك».

فقال: «ما أردت هذا ولكن شكرًا لله الذي ألهمني العفو عنك وصفاء الخاطر لك فحدثني الآن حديثك». فشرحت له صورة أمري وما جرى لي مع الحجام والجندي وزوجته ومولاتي التي غمزت علي. فأمر المأمون بإحضار المولاة وهي في دارها تنتظر إرسال الجائزة إليها، فلما حضرت بين يدي المأمون قال لها: «ما حملك على ما فعلت مع سيدك؟» فقالت: «الرغبة في المال». فقال لها: «هل لك ولد أو زوج؟» فقالت: «لا». فأمر بضربها مائة سوط وأن تخلد في السجن.

ثم أحضر الجندي وامرأته والحجام فسأل الجندي عن السبب الذي حمله على ما فعل، فقال: «الرغبة في المال». فقال المأمون: «يجب أن تكون حجامًا». ووكل به من يضمه في دكان الحجام حتى يتعلم الحجامة، وأكرم زوجة الجندي وأدخلها القصر وقال: «هذه امرأة

عاقلة تصلح للمهمات»، ثم قال للحجام: «قد ظهر من مروءتك ما يوجب المبالغة في إكرامك»، وأمر أن يسلم إليه دار الجندي بما فيها، وخلع عليه وأعطاه زيادة على ذلك خمسة عشر ألف دينار في كل سنة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية عبد الله بن أبي قلابة

قالت شهر زاد حُكي أن عبد الله بن أبي قلابة خرج في طلب إبل شردت له. فبينما هو سائر في صحارى أراضي اليمن وأرض سبأ إذ وقع على مدينة عظيمة وحولها حصن عظيم وحول ذلك الحصن قصور شاهقة في الجو، فلما دنا منها ظن أن بها سكانًا يسألهم عن إبله فقصدها، فلما وصل إليها وجدها قفراء ليس فيها أنيس، قال: «فنزلت عن ناقتي وعقلتها ثم سليت نفسي ودخلت البلد ودنوت من الحصن فوجدت له بابين عظيمين لم ير في الدنيا مثلهما في العظم والارتفاع وهما مرصعان بأنواع الجواهر واليواقيت ما بين أبيض وأحمر وأخضر. فلما رأيت ذلك تعجبت منه غاية العجب وأعظمت ذلك الأمر، فدخلت الحصن وأنا مرعوب ذاهل اللب فرأيت ذلك الحصن طويلاً مديدًا مثل المدينة في السعة وبه قصور شاهقة في كل قصر منها غرف وكلها مبنية بالذهب والفضة ومرصعة باليواقيت والجواهر الملونة والزبرجد واللؤلؤ، ومصاريع أبواب تلك القصور كمصاريع الحصن في الحسن، وقد فرشت أرضها باللؤلؤ الكبار وبنادق المسك والعنبر والزعفران.

«فلما انتهيت إلى داخل المدينة ولم أر بها مخلوقًا من بني آدم كدت أموت من الفزع فنظرت من أعالي الغرف والقصور فرأيت الأنهار تجري من تحتها وشوارعها فيها الأشجار المثمرات والنخيل الباسقات وبناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، فقلت في نفسي: لا شك أن هذه هي الجنة الموعود بها في الآخرة، فحملت من جواهر حصبائها ومسك ترابها ما أمكنني حمله وعدت إلى بلادي وأعلمت الناس بكل ذلك.

«فبلغ الخبر إلى معاوية بن أبي سفيان وهو يومئذ خليفة فكتب إلى عامله بصنعاء اليمن أن يحضر إليه ذلك الرجل ويسأله عن حقيقة الأمر، فأحضرني عامله واستخبرني عما كان من أمري وما وقع لي، فأخبرته بما رأيته، فأرسلني إلى معاوية فأخبرته أيضًا بما رأيته، فأنكر معاوية ذلك، فأظهرت له شيئًا من ذلك اللؤلؤ وبنادق العنبر والمسك والزعفران وفيها بعض رائحة طيبة ولكن اللؤلؤ قد اصفر وتغير لونه».

فتعجب من ذلك معاوية بن أبي سفيان لما رأى مع أبي قلابة اللؤلؤ وبنادق المسك والعنبر، وبعث إلى كعب الأحبار فأحضره وقال له: «يا كعب الأحبار إني دعوتك لأمر أطلب تحقيقه وأرجو أن يكون عندك حقيقة خبره»، فقال له: «ما هو يا أمير المؤمنين؟» قال له معاوية: «هل عندك علم بأنه يوجد مدينة مبنية بالذهب والفضة عمدانها من الزبرجد والياقوت وحصباؤها من اللؤلؤ وبنادق المسك والعنبر والزعفران؟».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: قال: «نعم يا أمير المؤمنين هي إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها

في البلاد، وقد بناها شداد بن عاد الأكبر». فقال معاوية: «فحدثنا بشيء من حديثها». قال كعب الأحبار: «إن عادًا الأكبر كان له ولدان شديد وشداد، فلما هلك أبوهما ملك البلاد بعده شديد وأخوه شداد، ولم يكن أحد من ملوك الأرض إلا تحت طاعتهما، فمات شديد بن عاد فملك أخوه شداد الأرض من بعده على الانفراد وكان مولعًا بقراءة الكتب القديمة، فلما مر به ذكر الآخرة والجنة وما فيها من القصور والغرف والأشجار والثمار وغيرها مما في الجنة دعته نفسه إلى أن يبني مثلها في الدنيا على هذه الهيئة المتقدم ذكرها». «وكان تحت يده مائة ألف ملك تحت يد كل مالك مائة ألف قهرمان تحت يد كل قهرمان مائة ألف عسكر، فأحضر الجميع بين يديه وقال لهم: «إني أسمع في الكتب القديمة والأخبار بصفة الجنة التي توجد في الآخرة وأنا أحب أن أجعل مثلها في الدنيا، فانطلقوا إلى أطيب فلاة في الأرض وأوسعها وابنوا لي فيها مدينة من الذهب والفضة واجعلوا حصاها الزبرجد والياقوت واللؤلؤ واجعلوا تحت عقود تلك المدينة أعمدة من زبرجد واملأوها قصورًا واجعلوا فوق القصور غرفًا واغرسوا تحت القصور في أزقتها وشوارعها أصناف الأشجار المختلفة الأثمار اليانعة وأجروا تحتها الأنهار في قنوات الذهب والفضة». قالوا بأجمعهم: «كيف نقدر على ما وصفت لنا وكيف بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ الذي ذكرت؟» قال: «ألستم تعلمون أن ملوك الدنيا طوعٌ لي وتحت يدي وكل من فيها لا يخالف أمري؟». قالوا: «نعم نعلم ذلك»، قال: «فانطلقوا إلي معادن الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فاستخرجوها واجمعوا ما فيها من الأرض ولا تبقوا مجهودًا، ومع ذلك فخذوا لي ما بأيدي العالم من أصناف ذلك ولا تبقوا مجهودًا ولا تذروا واحذروا المخالفة». ثم كتب كتابًا إلى كل ملك كان في أقطار الأرض وأمرهم أن يجمعوا ما كان عند الناس من أصناف ذلك وأن يذهبوا إلى معادنها ويستخرجوا ما فيها من الأحجار النفيسة ولو من قمور البحار، فجمعا ذلك في مدة عشرين سنة، وكان عدة الملوك المتمكنين في الأرض ثلاثمائة وستين ملكًا، ثم أخرج المهندسين والحكماء والفعلة والصناع من سائر البلاد والبقاع وانتشروا في البراري والقفار والجهات والأقطار حتى وصلوا إلى صحراء فيها فسحة عظيمة نقية خالية من الأكام والجبال وبها عيون نابعة وأنهار جارية فقالوا: «هذه صفة الأرض التي أمرنا بها الملك وندبنا إليها».

ثم اشتغلوا ببنائها على قدر ما أمرهم به الملك شداد ملك الأرض في الطول والعرض وأجروا بها قنوات الأنهار، ووضعوا الأساسات على المقدار المذكور، وأرسل إليها ملوك الأقطار، بالجواهر والأحجار، واللؤلؤ الكبار والصغار، والعقيق والنضار، على الجمال في البراري والقفار، وأرسلوا بها السفن الكبار في البحار، ووصل إلى العمال من تلك الأصناف ما لا يحصى، فأقاموا في عمل ذلك ثلثمائة سنة».

«فلما فرغوا من ذلك أتوا إلى الملك وأخبروه بالإتمام، فقال لهم: «انطلقوا فاجعلوا عليها حصنًا منيعًا شاهقًا رفيعًا، واجعلوا حول الحصن ألف قصر تحت كل قصر ألف علم ليكون في كل قصر منها وزير»، فمضوا من وقتهم وفعلوا ذلك في عشرين سنة، ثم حضروا بين يدي شداد وأخبروه بحصول الغرض، فأمر وزراءه وهم ألف وزير وكذلك أمر خاصته ومن يثق

به من الجنود وغيرهم أن يستعدوا للرحلة ويتهيئوا للنقلة إلى إرم ذات العماد، تحت ركاب ملك الدنيا شداد بن عاد، وأمر من أراد من نسائه وحريمه كجواريه وخدمه أن يأخذوا في التجهيز، فأقاموا في أخذ الأهبة عشرين سنة». ثم سار شداد ومن معه من الجيوش مسرورًا ببلوغ المرام حتى بقي بينه وبين إرم ذات العماد مرحلة واحدة فأرسل الله عليه وعلى من معه من الكفرة الجاحدين صيحة من سماء قدرته فأهلكتهم جميعًا بصوت عظيم، ولم يصل شداد ولا واحد ممن كان معه إليها، ولم يشرف عليها ومحا الله آثار محجتها، فهي باقية على حالها في مكانها إلى قيام الساعة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فتعجب معاوية من إخبار كعب الأحبار بهذا الخبر وقال له: «هل يصل أحد إلى تلك المدينة من البشر؟» قال: «نعم رجل من أصحاب محمد ﷺ وهو بصفة هذا الرجل الجالس بلا شك ولا إيهام». (قال الشعبي): «حكى عن علماء حمير من اليمن أنه لما هلك شداد ومن معه من الصيحة ملك بعده ابنه شداد الأصغر، وكان أبوه شداد الأكبر خلفه على ملكه بأرض حضرموت وسبأ بعد أن ارتحل بمن معه من العساكر إلى إرم ذات العماد، فلما بلغه خبر موت أبيه في الطريق قبل وصوله إلى مدينة إرم أمر بحمل أبيه من تلك المفاوز إلى حضرموت، وأمر أن يحفر له حفيرة في مغارة، فلما حفروا تلك الحفرة وضعه فيها على سرير من الذهب وألقى عليه سبعين حلة منسوجة بالذهب مرصعة بنفيس الجواهر ووضع عند رأسه لوحًا من الذهب مكتوبًا فيه هذه الأبيات:

اعتبر يا أيها المغرور	بالعمر المديد
أنا شداد بن عاد	صاحب الحصن المشيد
صاحب القدرة والـ	ـقوة والبأس الشديد
كان أهل الأرض طوعي	خوف قهري ووعيدي
وملكت الشرق والـ	ـغرب بسلطان شديد
فدعانا للهدى من	جاء بالأمر الرشيد
فعصيناه وناديـنا	ألا هل من محيد؟
فأتتنا صيحة من	جانب الأفق البعيد
فترامينا كزرع	وسط بيدا في الحصيد
وانتظرنا تحت أطبا	ق الثرى يوم الوعيد

(قال الثعالبي): «واتفق أن رجلين دخلا هذه المغارة فوجدا في صدرها درجًا فنزلا فيه فوجدا حفيرة طولها مقدار مائة ذراع وعرضها أربعون ذراعًا وارتفاعها مائة ذراع وفي وسط تلك الحفرة سرير من الذهب وعليه رجل عظيم الجسم قد أخذ طول السرير وعرضه وعليه الحلي والحلل المنسوجة بالذهب والفضة وعلى رأسه لوح من ذهب فيه كتابة فأخذا ذلك اللوح وحملا من ذلك الموضع ما أطاقا حمله من الذهب والفضة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية إسحاق الموصلي

قالت شهر زاد: حُكى أن إسحاق الموصلي قال: «خرجت ليلة من عند المأمون متوجهًا إلى بيتى فعمدت إلى زقاق فرأيت شيئًا معلقًا من تلك الدور فلمسته لأعرف ما هو فوجدته زنبيلاً كبيرًا بأربعة آذان ملبسًا ديباجًا فقلت فى نفسى: لا بد لهذا من سبب وصرت متحيرًا فى أمرى. فحملنى السكر على أن أجلس فيه. وإذا بأصحاب الدار جذبوه بى وظنوا أننى الذى كانوا يرتقبونه، ثم رفعوا الزنبيل إلى رأس الحائط وإذا بأربع جوار يقلن لى: «انزل على الرحب والسعة»، ومشت بين يدى جارية بشمعة حتى نزلت إلى دار فيها مجالس مفروشة لم أر مثلها إلا فى دار الخلافة، فجلست فما شعرت بعد ساعة إلا بستور قد رفعت فى ناحية من الجدار وإذا بوصائف يتماشين وفى أيديهن الشموع ومجامر البخور من العود القاقلى وبينهن جارية كأنها البدر الطالع، فنهضت وقالت: «مرحبًا بك من زائر». ثم أجلستنى وسألتنى عن خبرى، فقلت لها: «إنى انصرفت من عند بعض إخوانى وغر بى الوقت فملت إلى هذا الزقاق، فوجدت زنبيلا ملقى فأجلسنى النبيذ فى الزنبيل ورفع بى الزنبيل إلى هذه الدار، هذا ما كان من أمرى» فقالت: «لا ضير عليك وأرجو أن تحمد عاقبة أمرك» ثم قالت لى: «فما صناعتك؟» فقلت: «تاجر فى سوق بغداد» فقالت: «هل تروى من الأشعار شيئًا؟» فقلت: «أروى شيئًا ضعيفًا»، قالت: «فذاكرنا فيه وأنشدنا شيئًا منه».

فقلت: «إن للداخل دهشة ولكن تبدأين أنت»، قالت: «صدقت»، ثم أنشدت شعرًا رقيقًا من كلام القدماء والمحدثين وهو من أجود أقاويلهم وأنا أسمع ولا أدرى أأعجب من حسن أدبها أم حسن روايتها، ثم قالت: «هل ذهب ما كان عندك من الدهشة؟. قلت: «أى والله قالت: «إن شئت فانشدنا شيئًا من روايتك»، فانشدتها لجماعة من القدماء ما فيه الكفاية، فقالت: «والله ما ظننت أن يوجد فى أبناء السوقة مثل هذا».. ثم أمرت بالطعام فأحضر، فجعلت تأخذ وتضع قدامى، وكان فى المجلس من أصناف الرياحين وغريب الفواكه ما لا يكون عند الملوك، ثم دعت بالشراب فشربت قدحًا، ثم ناولتنى قدحًا وقالت: «هذا أوان المذاكرة والأخبار»، فاندفعت أذاكرها وقلت: «بلغنى أنه كان كذا وكذا حتى حكيت لها عدة أخبار حسان» فسرت بذلك وقالت: «إنى لأعجب كيف يكون أحد من التجار يحفظ مثل هذه الأخبار وإنما هى أحاديث ملوك»، فقلت: «كان لى جار يحادث الملوك وينادمهم، وإذا تعطل حضرت بيته فربما حدث بما سمعت» فقالت: «لعمرى لقد أحسنت الحفظ».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم أخذنا فى المذاكرة. وكلما أسكت ابتدأت هى حتى قطعنا أكثر الليل وبخور العود يعبق. فقالت: «إنك من ألطف الرجال وأظرفهم لأنك ذو أدب بارع وما بقى إلا شىء واحد»، فقلت لها: «وما هو؟» قالت: «لو كنت تترنم بالأشعار على العود» فقلت لها: «إنى كنت تعلقت بهذا قديمًا ولكن لما لم أرزق حظًا فيه أعرضت عنه وفى قلبى حرارة وكنت أحب فى هذا المجلس أن أحسن شيئًا منه لتكمل ليلتى»، قالت: «كأنك عرضت بإحضار العود» فقلت: «الرأى لك وأنت صاحبة الفضل ولك المنة فى ذلك».

فأمرت بعود فحضر وغنت بصوت ما سمعت بمثل حسنه مع حسن الأدب وجودة الضرب والكمال الراجح، ثم قالت: «هل تعرف هذا الصوت لمن وهذا الشعر لمن؟». قلت: «لا». قالت: «الشعر لفلان والمغنى لإسحاق». قلت: «وهل إسحاق بهذه الصفة؟» قال: «بخ بخ إسحاق بارع فى هذا الشأن». فقلت: «سبحان الله الذى أعطى هذا الرجل ما لم يعطه أحدًا سواه». قالت: «فكيف لو سمعت هذا الصوت منه؟». ثم لم تزل على ذلك حتى إذا كان انشقاق الفجر أقبلت عليها عجوز كأنها قابلتها، وقالت: «إن الوقت قد حضر» فنهضت عند قولها وقالت: «لتستر ما كان منا فإن المجالس بالأمانات». فقلت لها: «جعلت فداءك لم أكن محتاجًا إلى وصية فى ذلك». ثم ودعتها وأرسلت جارية تمشى بين يدى إلى باب الدار. ففتحت لى وخرجت متوجهًا إلى دارى فصليت الصبح ونمت. فأتانى رسول المأمون فسرت إليه وأقمت نهارى عنده، فلما كان وقت العشاء تفكرت فيما كنت فيه البارحة، فخرجت وجئت إلى الزنبيل وجلست فيه ورفعت إلى موضعى الذى كنت فيه البارحة. فقالت لى الجارية: «لقد عاودت؟» فقلت: «لا أظن إلا أننى قد غفلت». ثم أخذنا فى المحادثة على عادتنا فى الليلة السالفة من المذاكرة والمناشدة وغريب الحكايات منها ومنى إلى الفجر.

ثم انصرفت إلى منزلى وصليت الصبح ونمت، فأتانى رسول المأمون فمضيت إليه وأقمت نهارى عنده. فلما كان وقت العشاء قال لى أمير المؤمنين: «أقسمت عليك أن تجلس حتى أذهب إلى غرض وأحضر»، فلما ذهب الخليفة وغاب عنى جالت وساوسى وتذكرت ما كنت فيه، فهان على ما يحصل لى من أمير المؤمنين فوثبت مدبرًا وخرجت جاريًا حتى وصلت إلى الزنبيل فجلست فيه ورفع بى إلى مجلسى، فقالت: «لعلك صديقنا؟». قلت: «أى والله». قالت: «أجعلتنا دار إقامة؟» قلت: «جعلت فداءك حق الضيافة ثلاثة أيام فإن رجعت بعد ذلك فأنتم فى حل من دمى».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم جلسنا على تلك الحالة، فلما قرب الوقت علمت أن المأمون لا بد أن يسألنى فلا يقنع إلا بشرح القصة، فقلت لها: «أراك ممن يعجب بالغناء ولى ابن عم أشرف منى قدرًا وأكثر أدبًا وهو أعرف خلق الله تعالى بإسحاق». قالت: «أطفيلى وتقترح؟». قلت لها: «أنت المحكمة فى الأمر» فقالت: «إن كان ابن عمك على ما تصفه فما نكره معرفته». ثم جاء الوقت فنهضت وقمت متوجهًا إلى دارى، فلم أصل إلى دارى إلا ورسل المأمون قد هجموا علىَّ وحملونى حملاً عنيفًا وذهبوا بى إليه، فوجدته قاعدًا على كرسى وهو مغتاظ منى. فقال: «يا إسحاق أخروجًا عن الطاعة». فقلت: «لا والله يا أمير المؤمنين». فقال: «فما قصتك أصدقنى الخبر؟» فقلت: «نعم ولكن فى خلوة».

فأومأ إلى من بين يديه فتنحوا، فحدثته الحديث وقلت له: «إنى وعدتها بحضورك». قال: «أحسنت». ثم أخذنا فى لذتنا ذلك اليوم، فما صدقنا بمجىء الوقت، وسرنا وأنا أوصيه وأقول له: «تجنب أن تناديني باسمى قدامها بل أنا تبعٌ فى حضرتها». واتفقنا على ذلك، ثم سرنا إلى أن أتينا مكان الزنبيل، فوجدنا زنبيلين فقعدنا فيهما ورفعا بنا إلى الموضع المعهود،

فأقبلت وسلمت علينا، فلما رآها المأمون تحير من حسنها وجمالها وأخذت تذاكره الأخبار وتناشده الأشعار، ثم أحضرت النبيذ فشربنا وهى مقبلة عليه، مسرورة به وهو أيضًا مقبل عليها مسرور بها. ثم أخذت العود وغنت طريقة وبعد ذلك قالت لى: «وهل ابن عمك من التجار؟» وأشارت إلى المأمون.

قلت: «نعم»، قالت: «إنكما لقريبا الشبه من بعضكما». قلت: «نعم»، فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال داخله الفرح والطرب فصاح وقال: «يا إسحاق»، قلت: «لبيك يا أمير المؤمنين». قال: «غن بهذه الطريقة». فلما علمت أنه الخليفة مضت إلى مكان ودخلت فيه. فلما فرغت من الغناء قال لى المأمون: «انظر من رب هذه الدار» فبادرت عجوز بالجواب وقالت: «هى للحسن بن سهل»، فقال: «على به».

فغابت العجوز ساعة وإذا بالحسن قد حضر، فقال له المأمون: «ألك بنت؟» قال نعم اسمها خديجة، قال له: «هل هى متزوجة؟» قال: «لا والله». قال: «فإنى أخطبها منك». قال: «هى جاريتك وأمرها إليك يا أمير المؤمنين». قال الخليفة: «قد تزوجتها على نقد ثلاثين ألف دينار تحمل إليك صبيحة يومنا هذا فإذا قبضت المال فاحملها إلينا من ليلتنا». قال «سمعًا وطاعة».

ثم خرجنا. فقال: «يا إسحاق لا تقص هذا الحديث على أحد»، فسترته إلى أن مات المأمون. فما اجتمع لأحد مثل ما اجتمع لى فى هذه الأربعة أيام مجالسة المأمون بالنهار ومجالسة خديجة بالليل، والله ما رأيت أحدًا من الرجال مثل المأمون ولا شاهدت امرأة من النساء مثل خديجة بل ولا تقارب خديجة فهمًا ولا عقلاً ولا لفظًا. والله أعلم.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الرجل الحشاش

قالت شهر زاد: حُكى انه كان فى أوان الحج والناس فى الطواف، فبينما المطاف مزدحم بالناس وإذا بإنسان متعلق بأستار الكعبة وهو يقول من صميم قلبه: «أسألك يا الله انها تغضب على زوجها حتى تطعمنى». فسمعه جماعة من الحجاج فقبضوا عليه وأتوا به إلى أمير الحاج بعد أن أشبعوه ضربًا وقالوا له: «أيها الأمير إنا وجدنا هذا فى الأماكن الشريفة يقول كذا وكذا»، فأمر أمير الحاج بشنقه، فقال له: «أيها الأمير بحق الرسول ﷺ أن تسمع قصتى وحديثى وبعد ذلك فافعل بى ما تريد». قال: «تحدث».

قال: «اعلم أيها الأمير أننى رجل حشاش أعمل فى مسالخ الغنم فأحمل الدم والوسخ إلى الكيمان، فاتفق أننى كنت رائحًا بحمارى يومًا من الأيام وهو محمل فوجدت الناس هاربين، فقال واحد منهم: «ادخل هذا الزقاق لئلا يقتلوك». فقلت: «ما للناس هاربين؟» فقال لى واحد من الخدام: «هذه حريم لبعض الأكابر». وصار الخدم ينحون الناس من الطريق قدامها ويضربون جميع الناس ولا يبالون بأحد.

«فدخلت بالحمار عطفة ووقفت أنتظر انفضاض الزحمة، فرأيت الخدم وبأيديهم العصى ومعهم نحو ثلاثين امرأة وبينهن واحدة كأنها قضيب بان، أو غزال عطشان، كاملة الحسن والظرف والدلال والجميع فى خدمتها، فلما وصلت إلى باب العطفة التى أنا واقف بها التفتت يمينًا وشمالاً ثم دعت بطواشى، فحضر بين يديها، فسارته فى أذنه. وإذا بالطواشى

جاء إلىّ وقبض على فتهاريت الناس، وإذا بطواشى آخر أخذ حمارى ومضى به، ثم جاء الطواشى وربطنى بحبل وجرنى خلفه وأنا لم أعرف ما الخبر والناس من خلفنا يصيحون ويقولون: «ما يحل من الله، هذا رجل حشاش فقير الحال، ما سبب ربطه بالحبال؟» ويقولون للطواشية: «ارحموه يرحمكم الله وأطلقوه». فقلت أنا فى نفسى: ما أخذنى الطواشية إلا لأن سيدتهم شمت رائحة الوسخ فاشمأزت من ذلك أو حصل لها ضرر، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وما زلت ماشيًا خلفهم إلى أن وصلوا إلى باب دار كبيرة فدخلوا وأنا خلفهم، واستمروا داخلين بى حتى وصلت إلى قاعة كبيرة ما أعرف كيف أصف محاسنها، وهى مفروشة بفرش عظيم، ثم دخلت النساء تلك القاعة وأنا مربوط مع الطواشى، فقلت فى نفسى: لا بد أنهم يعاقبوننى فى هذا البيت حتى أموت ولا يدرى بموتى أحد ثم بعد ذلك ادخلونى حماما لطيفًا من داخل القاعة».

«فبينما أنا فى الحمام وإذا بثلاثة خدام دخلوا وقعدوا حوالى وقالوا لى: «اقلع حوائجك وما عليك من الخلقان»، وصار واحد منهم يحك رجلى وواحد منهم يغسل رأسى وواحد منهم يكيسنى، فلما فرغوا من ذلك حطوا لى بقجة قماش وقالوا لى: «البس هذه». فقلت: «والله ما أعرف كيف البس». فتقدموا إلى وألبسونى وهم يتضاحكون علىّ.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: «ثم جاءوا بقماقم مملوءة بماء الورد ورشوا على وخرجت معهم إلى قاعة أخرى والله ما أعرف كيف أصف محاسنها من كثرة ما فيها من النقش والفرش، فلما دخلت تلك القاعة وجدت واحدة قاعدة على تخت من الخيزران وقوائمه من عاج وبين يديها جملة جوار، فلما رأتنى قامت إلى ونادتنى، فجئت عندها فأمرتنى بالجلوس، فجلست إلى جانبها وأمرت الجوارى أن يقدمن الطعام، فقدمن لى طعامًا فاخرًا من جميع الألوان ما أعرف اسمه ولا أعرف صفته فى عمرى، فأكلت منه على قدر كفايتى.

«وبعد رفع الزباد وغسل الأيادى أمرت بإحضار الفواكه، فحضرت بين يديها فى الحال، فأمرتنى بالأكل، فأكلت. فلما فرغنا من الأكل أمرت بعض الجوارى بإحضار الشراب، فأحضرن شيئًا مختلف الألوان، ثم أطلقن المباخر وأدرن كئوس الشراب إلى أن أقبل الليل. فسألتنى عن مكانى، فقلت: فى المحل الفلانى، فأمرت بخروجى وأعطتنى منديلاً مطرزًا بالذهب والفضة وعليه شيء مربوط، فخرجت وقلت فى نفسى: إن كان ما عليه خمسة فلوس فإنها تكفى لغدائى فى هذا اليوم، ثم خرجت من عندها كأنى خارج من الجنة وجئت عند الصباح إلى المخزن الذى أنا فيه ففتحت المنديل فوجدت فيه خمسين مثقالاً من الذهب، فدفنتها وقعدت عند الباب بعد أن اشتريت بفلسين خبزًا وإدامًا.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: قال: «ثم صرت متفكرًا فى أمرى، فبينما أنا كذلك إلى وقت العصر وإذا بخادم قد أتى وقال لى: «إن سيدتى تطلبك»، فخرجت معه إلى باب الدار واستأذن على بالدخول، فدخلت وقبلت الأرض بين يديها. فأمرتنى بالجلوس وأمرت بإحضار الطعام

والشراب على العادة، ثم ناولتنى منديلاً ثانيًا فيه خمسون مثقالاً من الذهب، فأخذتها وخرجت وجئت إلى المخزن ودفنتها ، ومكثت على هذا مدة ثمانية أيام أدخل إليها فى كل يوم وآكل وأخرج وقد كسبت خمسين دينارًا . فبينما أن آكل ثامن يوم وإذا بجارية دخلت وهى تجرى وقالت لى: «قم اطلع إلى هذه الطبقة»، فطلعت فى تلك الطبقة فوجدتها تُشرف على الطريق، فبينما أنا جالس وإذا بضجة عظيمة ودبدبة خيل فى الزقاق وكان فى الطبقة طاقة تشرف على الباب، فنظرت منها فرأيت شابًا راكبًا كأنه القمر الطالع ليلة تمامه وبين يديه مماليك وجند يمشون فى خدمته، فتقدم إلى الباب وترجل ودخل القاعة، فرآها قاعدة على السرير، فقبل الأرض بين يديها ثم قبل يديها فلم تكلمه، فما برح يتخضع لها حتى صالحها».

«فلما أصبح الصباح أتته الجنود وخرج من الباب، فأمرت حينئذ بإحضارى وقالت لى: «أرأيت هذا الرجل أمس؟» قلت لها: «نعم». قالت: «هو زوجى ولكن أحكى لك ما جرى لى معه: اتفق أننى كنت أنا وإياه يومًا قاعدين فى الجنينة داخل البيت وإذا هو قد قام من جانبى وغاب عنى ساعة طويلة فاستبطأته وفتشت عليه فلم أجده فدخلت المطبخ فرأيت جارية فسألتها عنه، فأرتنى إياه وهو يغرف الطبيخ بأصبعه من القدر ويبلعه كالملهوف، فعند ذلك حلفت يمينًا معظمة أنى لا بد أن آكل مع أوسخ الناس وأقذرهم، ويوم قبض عليك الطواشى كان لى أربعة أيام أدور فى البلد على واحد يكون بهذه الصفة فما وجدت أحدًا أوسخ ولا أقذر منك فطلبتك وقد خلصت من اليمين التى حلفتها، فمتى عاد زوجى إلى فعله مرة أخرى أعدتك إلى ما كنت عليه».

«ثم إنها أمرت بخروجى من عندها وقد تحصل لى منها أربعمائة مثقال من الذهب وأنا أصرف منها، وجئت إلى هنا أدعو الله سبحانه وتعالى أن زوجها يعود إلى سوء أدبه مرة أخرى لعلى أعود إلى ما كنت عليه من الرفاهية والعيش الرغد»، فلما سمع أمير الحاج قصة ذلك الرجل أطلقه وقال للحاضرين: «بالله عليكم تدعوا له فإنه معذور».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية الخليفة هارون الرشيد مع الخليفة الثانى

قالت شهرزاد: حكى أن الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة من الليالى قلقًا شديدًا، فاستدعى بوزيره جعفر البرمكى وقال له: «إن صدرى ضيق ومرادى فى هذه الليلة أن أتفرج فى شوارع بغداد وأنظر فى مصالح العباد، بشرط أننا نتزيا بزى التجار حتى لا يعرفنا أحَد من الناس». فقال له الوزير: «سمعًا وطاعة». ثم قاما فى الوقت والساعة ونزعا ما عليهما من ثياب الافتخار ولبس ثياب التجار، واستصحبا معهما مسرورًا السياف وتمشى الجميع من مكان إلى مكان حتى وصلوا إلى دجلة، فرأوا شيخًا قاعدًا فى زورق فتقدموا إليه وقالوا له: «إننا نشتهى من فضلك وإحسانك أن تفرجنا فى مركبك هذا وخذ هذا الدينار أجرتك».

فقال لهم: «من ذا الذى يقدر على الفرجة والخليفة هارون الرشيد ينزل فى كل ليلة بحر دجلة فى حُراقة صغيرة ومعه مناد ينادى يقول: «يا معشر الناس كافة من كبير وصغير

وخاص وعام، وصبي وغلام، كل من نزل في مركب وشق في دجلة ضربت عنقه أو شنقته على صاري مركبه، وكأنكم به في هذه الساعة وحراقته مقبلة».

فقال الخليفة وجعفر: «يا شيخ خذ هذين الدينارين وادخل بنا قبة من هذه القباب إلى أن يمر زورق الخليفة». فقال لهم الشيخ: «هاتوا الذهب والتوكل على الله تعالى». فأخذ الذهب وعوم بهم قليلاً وإذا بالزورق قد أقبل من كبد دجلة وفيه الشموع والمشاعل مضيئة. فقال لهم الشيخ: «أما قلت لكم إن الخليفة يشق كل ليلة؟».

ثم إن الشيخ صار يقول: «يا ستار لا تكشف الأستار». ودخل بهم في قبة ووضع عليهم مئزرًا أسود وصاروا يتفرجون من تحت المئزر، فرأوا في مقدم الزورق رجلاً بيده مشعل من الذهب الأحمر وهو يشعل فيه بالعود القاقلي. وعلى ذلك قباء من الأطلس الأحمر وعلى كتفه مزركش أصفر وعلى رأسه شاش موصلي وعلى كتفه الآخر مخلاة من الحرير الأخضر ملآنة بالعود القاقلي يوقد منها المشعل عوضًا عن الحطب، ورأى رجلاً آخر في مؤخر الزورق لابسًا مثل لبسه وبيده مشعل مثل المشعل الذي معه، ورأى في الزورق مائتي مملوك واقفين يمينًا ويسارًا، ووجد كرسيًا من الذهب الأحمر منصوبًا وعليه شاب حسن كالقمر وعليه خلعة سوداء بطرازات من الذهب الأصفر، وبين يديه إنسان كأنه الوزير جعفر، وعلى رأسه خادم كأنه مسرور وبيده سيف مشهور، ورأى عشرين نديمًا.

فلما رأى الخليفة ذلك قال: «يا جعفر». فقال: «لبيك يا أمير المؤمنين». قال: «لعل هذا واحد من أولادي إما المأمون وإما الأمين». ثم تأمل الشاب وهو جالس على الكرسي فرآه كامل الحسن والجمال، والقد والاعتدال، فلما تأمله التفت إلى الوزير وقال: «يا وزير». قال: «لبيك». قال: «والله إن هذا الجالس لم يترك شيئًا من شكل الخليفة والذين بين يديه كأنه أنت يا جعفر، والخادم الذي واقف على رأسه كأنه مسرور، وهؤلاء الندماء كأنهم ندمائي، وقد حار عقلي، والله إني تعجبت من هذا الأمر يا جعفر».

فقال له جعفر: «وأنا والله يا أمير المؤمنين». ثم ذهب الزورق حتى غاب عن العين، فعند ذلك خرج الشيخ بزورقه وقال: «الحمد لله على السلامة حيث لم يصادفنا أحد». فقال الخليفة: «يا شيخ وهل الخليفة في كل ليلة ينزل دجلة؟» قال: «نعم يا سيدي وله على هذه الحالة سنة كاملة». فقال: «يا شيخ نشتهي من فضلك أن تقف لنا هنا الليلة القابلة ونحن نعطيك خمسة دنانير ذهبًا فإننا قوم غرباء وقصدنا النزهة ونحن نازلون في الخندق». فقال له الشيخ: «حبا وكرامة».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم إن الخليفة وجعفر ومسرورًا توجهوا من عند الشيخ إلى القصر وخلعوا ما كان عليهم من لبس التجار ولبسوا ثياب الملك وجلس كل واحد في مرتبته ودخل الأمراء والوزراء والحجاب والنواب وانعقد المجلس بالناس، فلما انقضى النهار وتفرقت أجناس البشر وراح كل أحد إلى حال سبيله قال الخليفة هارون الرشيد: «يا جعفر انهض بنا للفرجة على الخليفة الثاني». فضحك جعفر والسياف مسرور ولبسوا لبس التجار وخرجوا يشقون وهم في غاية الانشراح وكان خروجهم من باب السر.

فلما وصلوا إلى دجلة وجدوا الشيخ صاحب الزورق قاعدًا لهم فى الانتظار، فنزلوا عنده فى المركب، فما استقر بهم الجلوس مع الشيخ ساعة حتى جاء زورق الخليفة الثانى وأقبل عليهم، فالتفتوا إليه فرأوا فيه مائتى مملوك غير المماليك الأول والمشاعلية ينادون على عادتهم، فقال الخليفة: «يا وزير هذا شىء لو سمعت به ما كنت أصدقه ولكننى رأيت ذلك عيانًا»، ثم إن الخليفة قال لصاحب الزورق الذى هم فيه: «خذ يا شيخ هذه العشرة دنانير وسر بنا فى محاذاتهم فإنهم فى النور ونحن فى الظلام فننظرهم ونتفرج عليهم وهم لا ينظروننا»، فأخذ الشيخ الدنانير ومشى بزورقه فى محاذاتهم وسار فى ظلام زورقهم. وما زالوا سائرين فى ظلام الزورق إلى البساتين فى محاذاتهم، فلما وصلوا إلى البساتين رأوا زريبة، فرسى عليها الزورق وإذا بغلمان واقفين ومعهم بغلة مسرجة ملجمة، فطلع الخليفة الثانى وركب البغلة وسار بين الندماء وصاحب المشاعلية واشتغلت الغاشية بشأن الخليفة الثانى. فطلع هارون الرشيد هو وجعفر ومسرور إلى البر وشقوا بين المماليك وساروا قدامهم، فلاحت من المشاعلية التفاتة فرأوا ثلاثة أشخاص لبسهم لبس تجار وهم غرباء الديار فأنكروا عليهم وغمزوا عليهم وأحضروهم بين يدى الخليفة الثانى.

فلما نظرهم الخليفة الثانى قال لهم: «كيف وصلتم إلى هذا المكان وما الذى جاء بكم فى هذا الوقت؟» فقالوا: «يا مولانا نحن قوم من التجار. غرباء الديار، وقدمنا فى هذا اليوم وخرجنا نتمشى الليلة وإذا بكم قد أقبلتم، فجاء هؤلاء وقبضوا علينا وأوقفونا بين يديك وهذا خبرنا». فقال الخليفة الثانى: «لا بأس عليكم لأنكم قوم غرباء ولو كنتم من بغداد ضربت أعناقكم». ثم التفت إلى وزيره وقال له: «خذ هؤلاء صحبتك فإنهم ضيوفنا فى هذه الليلة»، فقال : «سمعًا وطاعة لك يا مولانا».

ثم ساروا معه إلى أن وصلوا إلى قصر عال عظيم الشأن، محكم البنيان، ما حواه ملك ولا سلطان، قام من التراب، وتعلق بأكتاف السحاب، وبابه من خشب الساج، مرصع بالذهب الوهاج، يصل منه الداخل إلى إيوان، بفسقية وشاذروان، وبسط ومخدات، ومن الديباج نمارق وطوالات، وهناك ستر مسبول، وفرش يذهل العقول، ويعجز من يقول، وعلى الباب مكتوب هذان البيتان:

قصر عليه تحية وسلام ... خلعت عليه جمالها الأيام
فيه العجائب والغرائب نوعت ... فتحيرت فى فنها الأقلام

ثم دخل الخليفة الثانى والجماعة صحبته إلى أن جلس على كرسى من الذهب مرصع بالجواهر وعلى الكرسى سجادة من الحرير الأصفر، وقد جلست الندماء ووقف سيف النقمة بين يديه، فمدوا السماط وأكلوا ، ورفعت الأوانى وغسلت الأيادى وأحضروا آلة المدام واصطفت القنانى والكاسات ودار الدور إلى أن وصل إلى الخليفة هارون الرشيد فامتنع من الشراب، فقال الخليفة الثانى لجعفر: «ما بال صاحبك لا يشرب؟» فقال: «يا مولاى إن له مدة ما شرب من هذا».

فقال الخليفة الثانى: عندى مشروب غير هذا يصلح لصاحبك وهو من شراب التفاح»، ثم أمر به فأحضروه فى الحال، فتقدم الخليفة الثانى بين يدى هارون الرشيد وقال له: «كلما

وصل إليك الدور فاشرب من هذا الشراب». وما زالوا فى انشراح، وتعاطى أقداح الراح، إلى أن تمكن الشراب من رءوسهم واستولى على عقولهم، فقال هارون الرشيد لوزيره: «يا جعفر والله ما عندنا آنية مثل هذه الآنية، فيا ليت شعرى ما شأن هذا الشاب؟».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فبينما هما يتحدثان سرًا إذ لاحت من الشاب التفاتة فوجد الوزير يسار الخليفة. فقال: «إن المسارّة عربدة». فقال الوزير: «ما ثمّ عربدة، إلا أن رفيقى هذا يقول: إنى سافرت إلى غالب البلاد ونادمت أكبر الملوك وعاشرت الأجناد فما رأيت أحسن من هذا النظام ولا أبهج من هذه الليلة، وغير أن أهل بغداد يقولون: الشراب بلا سماع، ربما أورث الصداع».

فلما سمع الخليفة الثانى ذلك الكلام تبسّم وانشرح، وكان فى يده قضيب فضرب به على مدورة، وإذا بباب فتح وخرج منه خادم يحمل كرسيًا من العاج، مصفحًا بالذهب وخلفه جارية بارعة فى الحسن والجمال، والبهاء والكمال.

فنصب الخادم الكرسى وجلست عليه الجارية، وهى كالشمس الضاحية، فى السماء الصاحية، وبيدها عود، عمل صناع الهنود، فوضعته فى حجرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها، وغنّت عليه بعد أن طربت وقلبت أربعا وعشرين طريقة حتى أذهلت العقول، ثم عادت إلى طريقتها الأولى وأطربت بالنغمات، وأنشدت هذين البيتين:

لسان الهوى فى مهجتى لك ناطق   يخبر عنى أننى لك عاشق

وما كنت أدرى قبل حبك ما الهوى   ولكن قضاء الله فى الخلق سابق

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما سمع الخليفة الثانى هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق الثوب الذى كان عليه إلى الذيل، فأسبلت عليه الستارة وأتوه بثوب آخر أحسن منه فلبسه ثم جلس على عادته، فلما وصل إليه القدح ضرب بالقضيب على المدورة وإذا بباب قد فتح وخرج منه خادم يحمل كرسيًا من الذهب وخلفه جارية أحسن من الجارية الأولى، فجلست على الكرسى وبيدها عود، يكمد قلب الحسود، فغنت عليه بهذين البيتين:

كيف اصطبارى ونار الشوق فى كبدى   والدمع من مقلتى طوفانه أبدى

والله ما طاب لى عيش أسر به   فكيف يفرح قلب حشوه كمدى

فلما سمع الشاب هذا الشعر صرخ صرخة عظيمة وشق ما عليه من الثياب إلى الذيل وانسدلت عليه الستارة، وأتوه ببدلة أخرى فلبسها واستوى جالسًا ورجع إلى حالته الأولى وانبسط فى الكلام، فلما وصل القدح إليه ضرب على المدورة، فخرج خادم ووراءه جارية ومعه كرسى، فجلست الجارية على الكرسى وبيدها عود فغنت عليه بهذين البيتين:

أقصروا هجركم أقلّوا جفاكم   ففؤادى وحقكم ما سلاكم

يا بدورًا مطلعهم فى فؤادى   كيف أختار فى الأنام سواكم

فلما سمع الشاب هذه الأبيات صرخ صرخة عظيمة وشقَّ ما كان عليه من الثياب، فأرخوا عليه الستارة وأتوا بثياب غيرها، ثم عاد إلى حالته مع ندمائه ودارت الأقداح، فلما وصل القدح إليه ضرب على المدورة فانفتح الباب وخرج منه غلام ومعه كرسى وخلفه جارية فنصب لها الكرسى وجلست عليه وأخذت العود وغنت عليه هذه الأبيات:

حتى متى يمضى التهاجر والقلى ... ويعود لى ما قد مضى لى أولا

من أمس كنا والديار تلمنا ... فى أنسنا ونرى الحواسد غفلا

غدر الزمان بنا وفرَّق شملنا ... من بعد ما ترك المنازل كالخلا

أتروم منى يا عذولى سلوة ... وأرى فؤادى لا يطيع العذَّلا

فدع الملام وخلِّنى بصبابتى ... فالقلب من أنس الأحبة ما خلا

يا سادة نقضوا العهود وبدلوا ... لا تحسبوا قلبى ببعدكم سلا

فلما سمع الخليفة الثانى إنشاد الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق ما عليه من الثياب وخرَّ مغشيًا عليه. فأرادوا أن يرخوا عليه الستارة بحسب العادة فتوقفت حبالها. فلاحت من هارون الرشيد التفاتة إليه فنظر على بدنه آثار ضرب مقارع، فقال الرشيد بعد النظر والتأكيد: يا جعفر والله إنه شاب مليح، إلا أنه لص قبيح». فقال جعفر: «من أين عرفت ذلك يا أمير المؤمنين؟» فقال: «أما رأيت ما على جنبيه من أثر السياط؟».

ثم أسبلوا عليه الستارة وأتوه ببدلة غير التى كانت عليه فلبسها واستوى جالسًا على حالته الأولى مع الندماء، فلاحت منه التفاتة فوجد الخليفة وجعفر يتحدثان سرًا، فقال لهما: «ما الخبر يا فتيان؟». فقال جعفر: «يا مولانا خير، غير أنه لا خفاء عليك أن رفيقى هذا من التجار، وقد سافر إلى جميع الأمصار والأقطار، وصحب الملوك والأخيار، وهو يقول لى: إن الذى حصل من مولانا الخليفة فى هذه الليلة إسراف عظيم ولم أر أحدًا فعل مثل فعله فى سائر الأقاليم لأنه شقَّ كذا وكذا بدلة كل بدلة بألف دينار وهذا إسراف زائد».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فقال الخليفة الثانى: «يا هذا إن المال مالى والقماش قماشى، وهذا من بعض الإنعام على الخدام والحواشى، فإن كل بدلة شققتها لواحد من الندماء والحضار، وقد رسمت لهم مع كل بدلة بخمسمائة دينار». فقال الوزير جعفر: «نِعمَ ما فعلت يا مولانا، ثم أنشد هذين البيتين:

بنت المكارم وسط كفك منزلاً ... وجعلت مالك للأنام مباحا

فإذا المكارم أغلقت أبوابها ... كانت يداك لقفلها مفتاحا

فلما سمع الشاب هذا الشعر من الوزير جعفر رسم له بألف دينار وبدلة، ثم دارت بينهم الأقداح، وطال لهم الراح، فقال الرشيد: «يا جعفر اسأله عن الضرب الذى على جنبيه حتى ننظر ما يقول فى جوابه». فقال: «لا تعجل يا مولانا وترفق بنفسك فإن الصبر أجمل». فقال: «وحياة رأسى وتربة العباس، إن لم تسأله لأخمدنَّ منك الأنفاس»! فعند ذلك التفت الشاب إلى وزيره وقال له: «ما لك مع رفيقك تتساران فأخبرانى بشأنكما؟» فقال: «خير».

فقال الشاب: «سألتك بالله أن تخبرني بخبركما ولا تكتم عني شيئًا من أمركما». فقال: «يا مولاي إنه أبصر على جنبيك ضربًا وأثر سياط ومقارع فتعجب من ذلك غاية العجب وقال: كيف يُضرب الخليفة، وقصده أن يعلم ما السبب؟».

فلما سمع الشاب ذلك تبسم وقال: «اعلموا أن حديثي غريب، وأمري عجيب، ولو كتب بالإبر على آماق البصر، لكان عبرة لمن اعتبر، ثم صعد الزفرات، وأنشد:

حديثي عجيبٌ فاق كل العجائب وحق الهوى ضاقت على مذاهبي
فإن شئتم أن تسمعوا لى فأنصتوا ويسكت هذا الجمع من كل جانب
وأصغوا إلى قولي ففيه إشارة وإن كلامي صادقٌ غير كاذب
وقد حسنٌ قلبي أن فيكم إمامنا خليفة هذا الوقت وابن الأطائب
وثانيكم وهو المنادى بجعفر لدية وزير صاحبٌ وابن صاحب
وثالثكم مسرور سياف نقمة فإن كان هذا القول ليس بكاذب
فقد نلت ما أرجو من الأمر كله وجاء سرور القلب من كل جانب

فلما سمعوا منه هذا الكلام حلف له جعفر وورى في يمينه أنهم لم يكونوا المذكورين فضحك الشاب وقال: «اعلموا يا سادتي أني لست أمير المؤمنين، وإنما سميت نفسي بهذا الاسم، وأن اسمي محمد بن علي الجوهري، وكان أبي من الأعيان فمات وخلف لي مالاً كثيرًا من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان وياقوت وزبرجد وجواهر وعقارات وحمامات وغيطان وبساتين ودكاكين وطواحين وعبيد وجوار وغلمان».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: «فاتفق في بعض الأيام أنني كنت جالسًا في دكاني وحولي الخدم والحشم وإذا بجارية قد أقبلت راكبة على بغلة وفي خدمتها ثلاث جوار كأنهن الأقمار، فلما قربت مني نزلت على دكاني وجلست عندي وقالت لي: «هل أنت محمود الجوهري؟» فقلت لها: «نعم هو أنا مملوكك وعبدك». فقالت: «هل عندك عقد جوهر يصلح لي؟» فقلت: «يا سيدتي الذي عندي أعرضه عليك وأحضره بين يديك، فإن أعجبك منه شيء كان بسعد المملوك، وإن لم يعجبك شيء فبسوء حظي». وكان عندي مائة عقد من الجوهر فعرضت عليها الجميع، فلم يعجبها شيء من ذلك وقالت: «أريد أحسن مما رأيت» وكان عندي عقد صغير اشتراه والدي بمائة ألف دينار، ولم يوجد مثله عند أحد من السلاطين الكبار، فقلت لها: «يا سيدتي بقي عندي عقد من الفصوص والجواهر، الذي لا يملك مثله أحد من الأكابر والأصاغر» فقالت لي: «أرني إياه» فلما رأته قالت: «هذا مطلوبي وهو الذي طول عمري أتمناه» ثم قالت لي: «كم ثمنه؟» فقلت لها: «ثمنه على والدي مائة ألف دينار» فقالت: «ولك خمسة آلاف دينار فائدة». فقلت: «يا سيدتي العقد وصاحبه بين يديك ولا خلاف عندي». فقالت: «لا بد من الفائدة، ولك المنة الزائدة». ثم قامت من وقتها وركبت البغلة بسرعة وقالت لي: «يا سيدي بسم الله تفضل صحبتنا لتأخذ الثمن، فإن نهارك اليوم بنا مثل اللبن». فقمت وقفلت الدكان، وسرت معها في أمان، إلى أن وصلنا إلى الدار، فوجدتها دارًا عليها آثار السعادة لائحة، وبابها مزركش بالذهب والفضة واللازورد، ومكتوب عليه هذان البيتان:

ألا يا دار لا يدخلك حزنٌ ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار أنت لكل ضيف إذا ما ضاق بالضيف المكان

فنزلت الجارية ودخلت الدار وأمرتني بالجلوس على مصطبة الباب إلى أن يأتي الصيرفي، فجلست على باب الدار ساعة، وإذا بجارية خرجت إليّ وقالت لي: «يا سيدي ادخل الدهليز فإن جلوسك على الباب قبيح»، فقمت ودخلت الدهليز وجلست على الدكة، فبينما أنا جالس وإذا بجارية خرجت وقالت لي: «يا سيدي إن سيدتي تقول لك ادخل واجلس على باب الإيوان حتى تقبض مالك». فقمت ودخلت البيت وجلست لحظة وإذا بكرسي من الذهب عليه ستارة من الحرير، وإذا بتلك الستارة قد رُفعت فبان من تحتها تلك الجارية التي اشترت مني ذلك العقد، وقد أسفرت عن وجه كأنه دائرة القمر والعقد في عنقها». فلما رأتني قامت من فوق الكرسي وسعت إلى نحوي وقالت لي: «إني لست مجهولة في البلد، أتعلم من أنا؟» فقلت: «لا والله يا سيدتي». فقالت: «أنا السيدة دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكي وأخي جعفر وزير الخليفة»، فلما سمعت ذلك منها قلت لها: «يا سيدتي ما لي ذنب في الدخول إلى بيتك أنت التي أدخلتني». فقالت: «لا بأس عليك ولا بد من بلوغك المراد بما يرضي الله، فإن أمري بيدي وولي عقدي، والقصد أن أكون لك أهلا وتكون لي بعلاً». ثم إنها دعت بالقاضي والشهود، وبذلت المجهود، فلما حضروا قالت لهم: «محمد علي بن علي الجوهري قد طلب زواجي ودفع لي هذا العقد في مهري وأنا قبلت ورضيت»، فكتبوا كتابها علي، وأحضرت آلات الراح، ودارت الأقداح، بأحسن نظام وأتم إحكام، ولما شعشعت الخمرة في رءوسنا أمرت جارية عوادة أن تغني، فأخذت العود وأطربت بالنغمات، وأنشدت هذه الأبيات:

نبي جمال كل ما فيه معجزٌ من الحسن لكن وجهه الآية الكبرى
أقام بلال الخال في صحن خدِّه يراقب من لألاء غرته الفجرا
يريد سلوى العاذلون جهالة وما كنت أرضى بعد إيماني الكفرا

فأطربت الجارية بما أبدته من نغمات الأوتار ورقيق الأشعار، ولم تزل الجواري تغني جارية بعد جارية وينشدن الأشعار إلى أن غنَّت عشر جوار».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهر زاد: ثم أقمت عندها شهرًا كاملاً وقد تركت الدكان والأهل والأوطان، فقالت لي يومًا من الأيام: «يا نور عيني يا سيدي محمد إني قد عزمت اليوم على المسير إلى الحمام فاستقر أنت على هذا السرير ولا تنتقل من مكانك إلى أن أرجع إليك»، وحلفتني على ذلك. فقلت لها: «سمعًا وطاعة»، ثم إنها حلفتني أني لا أنتقل من موضعي. وأخذت جواريها وذهبت إلى الحمام، فو الله يا إخواني إنها ما وصلت إلى رأس الزقاق إلا والباب قد فُتح ودخلت منه عجوز وقالت: «يا سيدي محمد إن السيدة زبيدة تدعوك فإنها سمعت بأدبك وظرفك وحسن غنائك»، فقلت لها: «والله ما أقوم من مكاني حتى تأتي السيدة دنيا». فقالت العجوز: «يا سيدي لا تخل السيدة زبيدة تغضب عليك وتبقى عدوتك فقم كلمها وارجع مكانك». فقمت من وقتي وتوجهت إليها والعجوز أمامي إلى أن أوصلتني إلى السيدة زبيدة. فلما

وصلت إليها قالت لى: «يا نورالعين هل أنت زوج السيدة دنيا؟» فقلت : «أنا مملوكك وعبدك»، فقالت: «صدق الذى وصفك بالحسن والجمال، والأدب والكمال، فإنك فوق الوصف والمقال، ولكن غنِّ لى حتى أسمعك». فقلت لها: «سمعًا وطاعة» فأتتنى بعود فغنيت عليه شعرًا:

قلب المحب مع الأحباب متعوبُ   وجسمه بيد الأسقام منهوب

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: «فلما فرغت من الغناء قالت لى: «أصح الله بدنك وطيب نفسك، فلقد كملت فى الحسن والأدب والغناء، فقم وامض إلى مكانك قبل أن تجىء السيدة دنيا فلا تجدك فتغضب عليك». فقبلت الأرض بين يديها وخرجت والعجوز أمامى إلى أن وصلت إلى الباب الذى خرجت منه فدخلت وجئت إلى السرير فوجدتها قد جاءت من الحمام وهى نائمة على السرير، فلما أحست بدخولى فتحت عينيها فرأتنى، فجمعت رجليها ورفستنى فرمتنى من فوق السرير وقالت لى: «يا خائن خنت اليمين وحنثت فيه ووعدتنى أنك لا تنتقل من مكانك وأخلفت الوعد وذهبت إلى السيدة زبيدة، والله لولا خوفى من الفضيحة لهدمت قصرها على رأسها». ثم قالت لعبدها: «يا صواب. قم اضرب رقبة هذا الخائن الكذاب، فلا حاجة لنا به. فتقدم العبد وشرط من ذيلة رقعة وعصب بها عينى وأراد أن يضرب عنقى». «فقامت إليها الجوارى الكبار والصغار وقلن لها: «يا سيدتنا ليس هذا أول من أخطأ وهو لا يعرف خُلقك، وما فعل ذنبًا يوجب القتل»، فقالت: «والله لا بد أن أعمل فيه أثرًا»، ثم أمرت بضربى، فضربونى على أضلاعى، وهذا الذى رأيتموه أثر ذلك الضرب، وبعد ذلك أمرت بإخراجى، فأخرجونى وأبعدونى عن القصر ورمونى، فحملت نفسى ومشيت قليلاً قليلاً حتى وصلت إلى منزلى وأحضرت جرائحيًا وأريته الضرب، فلاطفنى وسعى فى مداواتى».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: «فلما شفيت ودخلت الحمام، وزالت الأوجاع والأسقام، جئت إلى الدكان وأخذت جميع ما فيها وبعته وجمعت ثمنه واشتريت لى أربعمائة مملوك، ما جمعهم أحد من الملوك وصار يركب معى منهم فى كل يوم مائتان، وعملت هذا الزورق وصرفت عليه خمسة آلاف دينار من الذهب، وسميت نفسى بالخليفة، ورتبت من معى من الخدم كل واحد فى وظيفة واحد من أتباع الخليفة وهيأته بهيئته، وناديت: «كل من تفرج فى دجلة، ضربت عنقه بلا مهلة»، ولى على هذا الحال سنة كاملة وأنا لم أسمع لها خبرًا ولم أقف بها على أثر»، ثم إنه بكى وأفاض العبرات. فلما سمع هارون الرشيد كلامه، وعرف وجده ولوعته وغرامه، تدله ولها، وتحير عجبا وقال: «سبحان الذي جعل لكل شيء سببًا»، ثم إنهم استأذنوا من الشاب فى الانصراف، فأذن لهم وأضمر له الرشيد على الإنصاف ، وأن يتحفه غاية الإتحاف، ثم انصرفوا من عنده سائرين، وإلى محل الخلافة متوجهين. فلما استقر بهم الجلوس، وغيروا ما عليهم من الملبوس، ولبسوا أثواب المواكب ووقف بين يديهم مسرور سياف النقمة قال الخليفة لجعفر: «يا وزير على بالشاب الذى كنا عنده فى الليلة الماضية»، فقال: «سمعًا وطاعة».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد ثم إن جعفرًا توجه إلى الشاب وسلم عليه وقال له: «أجب أمير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد، فسار معه إلى القصر وهو من الترسيم عليه فى حصر، فلما دخل على الخليفة قبل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العز والإقبال، وبلوغ الآمال، ودوام النعم، وإزالة البؤس والنقم، وقد أحسن ما به تكلم حيث قال: «السلام عليك يا أمير المؤمنين، وحامى حومة الدين، ثم أنشد هذين البيتين:

لا زال بابك كعبة مقصودة وترابها فوق الجباه رسوم
حتى ينادى فى البلاد بأسرها هذا المقام وأنت إبراهيم

فتبسم الخليفة فى وجهه ورد عليه السلام، والتفت إليه بعين الإكرام، وقربه لديه، وأجلسه بين يديه، وقال له: «يا محمد على أريد منك أن تحدثنى بما وقع لك فى هذه الليلة فإنه من العجائب، وبديع الغرائب». فقال الشاب: «العفو يا أمير المؤمنين، أعطنى منديل الأمان ليسكن روعى ويطمئن قلبى». فقال له الخليفة: «لك الأمان، من الخوف والأحزان»، فشرع الشاب يحدثه بالذى حصل له من أوله إلى آخره. فقال له حينئذ الخليفة: «أتحب أن أرد عليك زوجتك؟» قال: «هذا من فضل أمير المؤمنين. ثم أنشد هذين البيتين:

الثم أناملـه فلسن أناملاً لكنهنَّ مفاتحُ الأرزاق
واشكر صنائعه فلسن صنائعًا لكنهنَّ قلائد الأعناق

فعند ذلك التفت الخليفة إلى الوزير وقال: «يا جعفر أحضر لى أختك السيدة دنيا بنت الوزير يحيى بن خالد». فقال: «سمعًا وطاعة يا أمير المؤمنين»، ثم أحضرها فى الوقت والساعة فلما تمثلت بين يديه قال لها الخليفة: «أتعرفين من هذا؟ قالت: «يا أمير المؤمنين من أين للنساء معرفة الرجال؟» فتبسم الخليفة وقال لها: «يا دنيا هذا زوجك محمد على بن الجوهرى وقد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من أولها إلى آخرها، وفهمنا ظاهرها وباطنها، والأمر لا يخفى وإن كان مستورًا». فقالت: «يا أمير المؤمنين كان ذلك فى الكتاب مسطورًا، وأنا أستغفر الله العظيم مما جرى منى، وأسألك من فضلك العفو عنى». فضحك الخليفة هارون الرشيد وأحضر القاضى والشهود وجدد عقدها على زوجها محمد على بن الجوهرى، وحصل لها وله سعد السعود، وإكماد الحسود، وجعله من جملة ندمائه، واستمروا فى عيش وسرور، ولذة وحبور، إلى أن أتاهم هادم اللذات، ومفرق الجماعات.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

حكاية على الأعجمى

قالت شهر زاد: حُكى أن هارون الرشيد قلق ليلة من الليالى فاستدعى بوزيره، فلما حضر بين يديه قال له: «يا جعفر إنى قلقت الليلة قلقًا عظيمًا وضاق صدرى، وأريد منك شيئًا يسر خاطرى وينشرح به صدرى»، فقال له جعفر: «لى صديق اسمه على الأعجمى وعنده من الحكايات والأخبار المطربة ما يسر النفس، ويزيل عن القلب البؤس»، فقال: «علىَّ به»، فقال: «سمعًا وطاعة»، ثم إن جعفرًا خرج من عند الخليفة فى طلب الأعجمى وأرسل إليه، فلما حضر قال له: «أجب الخليفة أمير المؤمنين، فقال: «سمعًا وطاعة»، ثم توجه معه إلى الخليفة.

فلما تمثل بين يديه أذن له فى الجلوس فجلس، فقال له الخليفة: «يا على إنه ضاق صدرى فى هذه الليلة، وقد سمعت عنك أنك تحفظ حكايات وأخبارًا، وأريد منك أن تسمعنى ما يزيل همى ويصقل فكرى»، فقال: «يا أمير المؤمنين هل أحدثك بالذى رأيته بعينى أو بالذى سمعته بأذنى؟» فقال: «إن كنت رأيت شيئًا فاحكه»، فقال «سمعًا وطاعة». اعلم يا أمير المؤمنين أنى سافرت فى بعض السنين من بلدى هذه وهى مدينة بغداد وصحبتى غلام ومعه جراب لطيف ودخلنا مدينة، فبينما أنا أبيع وأشترى وإذا برجل كردى ظالم متعد قد هجم على وأخذ منى الجراب، وقال: «هذا جرابى وكل ما فيه متاعى». فقلت: «يا معشر المسلمين خلصونى من يد أفجر الظالمين»، فقال الناس جميعا: «اذهبا إلى القاضى، واقبلا حكمه بالتراضى»، فتوجهنا إلى القاضى، وأنا بحكمه راضى، فلما دخلنا عليه، وتمثلنا بين يديه، قال القاضى: «فى أى شىء جئتما، وما خبركما؟» فقلت: «نحن خصمان إليك تداعينا، وبحكمك تراضينا»، فقال: «أيكما المدّعى؟».

فتقدم الكردى وقال: «أيد الله مولانا القاضى، إن هذا الجراب جرابى وكل ما فيه متاعى، وقد ضاع منى ووجدته مع هذا الرجل». فقال القاضى: «ومتى ضاع منك؟» فقال الكردى: «من أمس هذا اليوم، وبتُّ لفقده بلا نوم»، فقال القاضى: إن كنت عرفته فصف لى ما فيه»، فقال الكردى: «فى جرابى هذا مرودان من لجين، وفيه أكحال للعين، ومنديل لليدين، ووضعت فيه شربتين مذهبتين، وشمعدانين، وهو مشتمل على بيتين، وطبقين، وملعقتين، ومخدة ونطعين، وإبريقين، وصينية وطشتين، وقدرة وزلعتين، ومغرفة ومسلة ومزودين ، وهرة وكلبتين، وقصعة وقعيدتين وجبة وفروتين، وبقرة وعجلين، وعنزة وشاتين، ونعجة وسخلين، وصيوانين أخضرين، وجمل وناقتين، وجاموسة وثورين، ولبوءة وسبعين، ودُبَّة وثعلبين، ومرتبة وسريرين، وقصر وقاعتين، ورواق ومقعدين، ومطبخ ببابين، وجماعة أكراد يشهدون أن الجراب جرابى».

فقال القاضى: «ما تقول أنت يا هذا ؟» فتقدمت إليه يا أمير المؤمنين وقد أبهتنى الكردى بكلامه فقلت: «أعز الله مولانا القاضى إنَّ ما فى جرابى هذا إلا دويرة خراب وأخرى بلا باب، ومقصورة للكلاب، وفيه للصبيان كتاب، وشباب يلعبون بالكعاب، وفيه خيام وأطناب، ومدينة البصرة وبغداد، وقصر شداد بن عاد، وكور حداد، وشبكة صياد، وعصى وأوتاد، وبنات وأولاد، وألف قواد يشهدون أن الجراب جرابى».

فلما سمع الكردى هذا الكلام بكى وانتحب وقال: «يا مولانا القاضى إن جرابى هذا معروف، وكل ما فيه موصوف، فى جرابى هذا حصون وقلاع، وكراكى وسباع، ورجال يلعبون الشطرنج والرقّاع، وفى جرابى هذا حجرة ومهران، وفحل وحصانان، ورمحان طويلان، وهو مشتمل على سبع وأرنبين، ومدينة وقريتين، وأعمى وبصيرين وأعرج وكسيحين، وقاضى وشاهدين، وهم يشهدون أن الجراب جرابى».

فقال القاضى: «ما تقول يا على؟» فامتلأت غيظًا يا أمير المؤمنين وتقدمت إليه وقلت: «أيد الله مولانا القاضى إن فى جرابى هذا زرد وصفاح، وخزائن سلاح، وألف كبش نطاح، وفيه للغنم مراح، وألف كلب نباح، وبساتين وكروم، وأزهار ومشموم، وتين وتفاح، وصور وأشباح، وقنانى

وأقداح، وعرائس ملاح، ومغنيات وأفراح، وهرج وصياح، وأقطار فساح، وأخوة نجاح، ورفقة صباح، ومعهم سيوف ورماح، وقسى ونشاب، وأصدقاء وأحباب، وخلان وأصحاب، ومحابس للعقاب، وندماء للشراب، وطنبور ونايات، وأعلام ورايات، وصبيان وبنات، وعرائس مجليات وجوار مغنيات، وخمس حبشيات، وثلاث هنديات، وأربع مدنيات، وعشرون روميات، وخمسون تركيات، وسبعون عجميات، وثمانون كرديات، وتسعون جرجيات، والدجلة والفرات، وشبكة صياد، وقداحة وزناد، وإرم ذات العماد، وميادين واصطبلات، ومساجد وحمامات، وبناء ونجار، وخشبة ومسمار، وعبد أسود بمزمار، ومقدم وركبان، ومدن وأمصار، ومائة ألف دينار، والكوفة مع الأنبار، وعشرون صندوقًا ملآنة بالقماش، وعشرون حاصلاً للمعاش، وغزة وعسقلان، ومن دمياط إلى أسوان، وإيوان كسرى أنو شروان، وملك سليمان، ومن وادى نعمان إلى أرض خراسان، وبلخ وأصبهان، ومن الهند إلى بلاد السودان، وفيه أطال الله عمر مولانا القاضى، غلائل وعراض، وألف موسى ماض، تحلق ذقن القاضى، إن لم يخش عقابى، ولم يحكم بأن الجراب جرابى».

فلما سمع القاضى كلامى تحير عقله من ذلك وقال: «ما أراكما إلا شخصين نحسين أو رجلين زنديقين، تلعبان بالقضاة والحكام، ولا تخشيان من الملام؛ لأنه ما وصف الواصفون، ولا سمع السامعون، بأعجب مما وصفتما، ولا تكلم بمثل ما تكلمتما، والله إن من الصين إلى شجرة أم غيلان، ومن بلاد فارس إلى أرض السودان، ومن وادى نعمان إلى أرض خراسان، لا يسمع ما ذكرتماه، ولا يصدق ما ادعيتماه، فهل هذا الجراب بحر ليس له قرار، أو يوم العرض الذى يجمع الأبرار والفجار؟».

ثم إن القاضى أمر بفتح الجراب، ففتحه وإذا فيه خبز وليمون وجبن وزيتون، ثم رميت الجراب قدام الكردى ومضيت، فلما سمع الخليفة هذه الحكاية من على الأعجمى استلقى على قفاه من الضحك وأحسن جائزته.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية هارون الرشيد مع الإمام أبى يوسف تلميذ أبى حنيفة

قالت شهر زاد: حكى أن جعفر البرمكى نادم الرشيد ليلة، فقال الرشيد: «يا جعفر بلغنى أنك اشتريت الجارية الفلانية ولى مدة أتطلبها فبعها لى» فقال: «لا أبيعها يا أمير المؤمنين». فقال: «هبها لى». فقال: «لا أهبها». فقال الرشيد: «زبيدة طالق ثلاثًا إن لم تبعها لى أو تهبها لى».

قال جعفر: «زوجتى طالق ثلاثًا إن بعتها أو وهبتها لك». ثم أفاقا من نشوتهما وعلما أنهما وقعا فى أمر عظيم وعجزا عن تدبير الحيلة، فقال الرشيد: «هذه واقعة ليس لها غير أبى يوسف»، فطلبوه وكان ذلك فى نصف الليل، فلما جاء الرسول قام فزعًا وقال فى نفسه: «ما طلبت إلا لأمر حدث فى الإسلام»، ثم خرج مسرعًا وركب بغلته وقال لغلامه: «خذ معك مخلاة البغلة لعلها لم تستوف عليقها، فإذا دخلنا دار الخلافة فضع لها المخلاة حتى تأكل ما بقى من عليقها إلى حين خروجى»، فقال الغلام: «سمعًا وطاعة».

فلما دخل على الرشيد قام له وأجلسه على سريره بجانبه وكان لا يجلس معه أحدًا غيره وقال له: «ما طلبناك فى هذا الوقت إلا لأمر مهم وهو كذا وكذا، وقد عجزنا عن تدبير

الحيلة». فقال: «يا أمير المؤمنين إن هذا الأمر أسهل ما يكون عندي». ثم قال: «يا جعفر، بع لأمير المؤمنين نصفها وهب له نصفها وتبرآن في يمينكما بذلك». فانسر أمير المؤمنين بذلك وفعلا ما أمرهما به.

ثم قال الرشيد: «أريد أن أتزوج بالجارية في هذا الوقت»، فقال أبو يوسف: «ائتوني بمملوك من مماليك أمير المؤمنين الذي لم يجر عليهم العتق»، فأحضروا مملوكًا فقال أبو يوسف: «ائذن لي أن أزوجها منه ثم يطلقها فيحل أن تهدى لك في هذا الوقت من غير استبراء»، فأعجب الرشيد بذلك أكثر من الأول، فلما حضر المملوك قال الخليفة للقاضي: «أذنت لك في العقد»، فأوجب القاضي الزواج ثم قبله المملوك، وبعد ذلك قال له القاضي: «طلقها ولك مائة دينار»، فقال: «لا أفعل»، ولم يزل يزيده وهو يمتنع إلى أن عرض عليه ألف دينار، ثم قال للقاضي: «هل الطلاق بيدي أم بيدك أم بيد أمير المؤمنين؟». قال: «بل بيدك». قال: «والله لا أفعل أبدًا».

فاشتد غضب أمير المؤمنين وقال: «ما الحيلة يا أبا يوسف؟» قال القاضي: «يا أمير المؤمنين لا تجزع فإن الأمر هين، ملك هذا المملوك للجارية»، قال: «ملكته لها». فقال لها القاضي: «قولي قبلت»، فقالت: «قبلت»، فقال القاضي: «حكمت بينهما بالتفريق لأنه دخل في ملكها فانفسخ الزواج».

فقام أمير المؤمنين على قدميه وقال: «مثلك من يكون قاضيًا في زماني»، واستدعى بأطباق الذهب فأفرغت بين يديه وقال للقاضي: «هل معك شيء تضعه فيه؟» فتذكر مخلاة البغلة فاستدعى بها، فملئت له ذهبًا فأخذها وانصرف إلى بيته، فلما أصبح قال لأصحابه: «لا طريق إلى الدين والدنيا أسهل وأقرب من طريق العلم فإني أعطيت هذا المال العظيم في مسألتين أو ثلاث»، فانظر أيها المتأدب إلى لطف هذه الواقعة فإنها اشتملت على محاسن منها دلال الوزير على الرشيد وعلم الخليفة وزيادة علم القاضي. فرحم الله تعالى أرواحهم أجمعين.وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية خالد بن عبد الله القسري

قالت شهر زاد: حُكي أن خالدًا بن عبد الله القسري كان أمير البصرة، فجاء إليه جماعة متعلقون بشاب ذي جمال باهر، وأدب ظاهر، وعقل وافر، وهو حسن الصورة وعليه سكينة ووقار، فقدموه إلى خالد، فسألهم عن قصته، فقالوا: «هذا لص أصبناه البارحة في منزلنا» فنظر إليه خالد فأعجبه حسن هيئته ونظافته فقال: «خلوا عنه»، ثم دنا منه وسأله عن قصته، فقال: «إن القوم صادقون فيما قالوه والأمر على ما ذكروا»، فقال له خالد: «ما حملك على ذلك وأنت في هيئة جميلة وصورة حسنة؟» قال: «حملني على ذلك الطمع في الدنيا وقضاء الله سبحانه وتعالى» فقال له خالد: ثكلتك أمك أما كان لك في جمال وجهك وكمال عقلك وحسن أدبك زاجرًا يزجرك عن السرقة؟» قال: «دع عنك هذا أيها الأمير وامض إلى ما أمر الله تعالى به، فذلك بما كسبت يداي وما الله بظلام للعبيد».

فسكت خالد ساعة يفكر في أمر الفتى ثم أدناه منه وقال له: «إن اعترافك على رءوس

الأشهاد قد رابنى وأنا ما أظنك سارقًا ولعل لك قصة غير السرقة فأخبرنى بها». قال: «أيها الأمير لا يقع فى نفسك شىء سوى ما اعترفت به عندك وليس لى قصة أشرحها إلا أنى دخلت دار هؤلاء فسرقت ما أمكننى فادركونى وأخذوه منى وحملونى إليك». فأمر خالد بحبسه وأمر مناديًا ينادي بالبصرة: «الا من أحب أن ينظر إلى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغداة إلى المحل الفلانى». فلما استقر الفتى فى الحبس ووضعوا فى رجليه الحديد تنفس الصعداء وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

هددنى خالدٌ بقطع يدى ... إلا لم أبح عنده بقصتها

فقلت هيهات أن أبوح بما ... تضمن القلب من محبتها

قطع يدى بالذى اعترفت به ... أهون للقلب من فضيحتها

فسمع ذلك الموكلون به فاتوا خالدًا وأخبروه بما حصل منه، فلما جن الليل أمر بإحضاره عنده، فلماحضر استنطقه فرآه عاقلاً أديبًا فطنًا ظريفًا لبيبًا، فأمر له بطعام، فأكل وتحدث معه ساعة، ثم قال له خالد: «قد علمت أن لك قصة غير السرقة، فإذا كان الصباح وحضر الناس وحضر القاضى وسألك عن السرقة فانكرها واذكر ما يدرأ عنك حد القطع، فقد قال الرسول ﷺ: «ادرأوا الحدود بالشبهات»، ثم أمر به إلى السجن فمكث فيه ليله.

فلما أصبح الصباح حضرت الناس ينظرون قطع يد الشاب ولم يبق أحد فى البصرة من رجل ولا امرأة إلا وقد حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى، وركب خالد ومعه وجوه أهل البصرة وغيرهم، ثم استدعى بالقضاة وأمر بإحضار الفتى، فاقبل يحجل فى قيوده، ولم يره أحد من الناس إلا بكى عليه، وارتفعت أصوات النساء بالنحيب، فأمر القاضى بتسكيت النساء ثم قال له: «إن هؤلاء القوم يزعمون أنك دخلت دارهم وسرقت مالهم، لعلك سرقت دون النصاب»، قال: «بل سرقت نصابًا كاملاً»، قال: «لعلك شريك القوم فى شىء منه؟» قال: «بل هو جميعه لهم لا حق لى فيه». فغضب خالد وقام إليه بنفسه وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلاً بهذا البيت:

يريد المرء أن يعطى مناه ... ويأبى الله إلا ما يريد

ثم دعا بالجزار ليقطع يده، فحضر وأخرج السكين ومد يده ووضع عليها السكين، فبادرت جارية من وسط النساء عليها أطمار وسخة، فصرخت ورمت بنفسها عليه، ثم أسفرت عن وجه كأنه القمر، وارتفع للناس ضجة عظيمة وكاد أن يقع بسبب ذلك فتنة طائرة الشرر، ثم نادت تلك الجارية بأعلى صوتها: «ناشدتك الله أيها الأمير لا تعجل بالقطع حتى تعرف حقيقة الأمر».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما سمع خالد هذا الكلام تنحى وانفرد عن الناس وأحضر المرأة، ثم سألها عن القصة، فأخبرته أن هذا الفتى أحب أن يكون لها بعلاً، ولما أراد زيارتها توجه إلى دار أهلها ورمى حجرًا فى الدار ليعلمها بمجيئه ويكلمها فى أمر الخطبة من غير علمهم، فسمع أبوها وأخوتها صوت الحجر فصعدوا إليه، فلما أحس بهم جمع قماش البيت كله

وأراهم أنه سارق، سترًا على تلك الجارية لئلا يمنعها أهلها، فلما رأوه على هذه الحالة أخذوه وقالوا سارق وأتوا به إليك، فاعترف بالسرقة وأصر على ذلك حتى لا يفضحنى وقد ارتكب هذه الأمور من رمى نفسه بالسرقة لفرط مروءته وكرم نفسه، فقال خالد: «إنه لخليق بأن يُسعف مراده». ثم استدعى الفتى إليه فقبله بين عينيه وأمر بإحضار أبى الجارية وقال له: «يا شيخ إنا كنا عزمنا على إنفاذ الحكم فى هذا الفتى بالقطع، ولكن الله عز وجل قد حفظنى من ذلك، وقد أمرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده حفظًا لعرضك وعرض بنتك وصيانتكما من العار، وقد أمرت لابنتك بعشرة آلاف درهم حيث أخبرتنى بحقيقة الأمر وأنا أسألك أن تأذن لى فى تزويجها منه».

فقال الشيخ: «أيها الأمير قد أذنت لك فى ذلك». فحمد الله خالد وأثنى عليه وخطب خطبة حسنة وقال للفتى: «قد زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة بإذنها ورضائها وإذن أبيها على هذا المال وقدره عشرة آلاف درهم»، فقال الفتى: «قبلت منك هذا التزويج»، ثم إن خالدًا أمر بحمل المال إلى دار الفتى مزفوفًا فى الصوانى، وانصرف الناس وهم مسرورون، فما رأيت يومًا أعجب من ذلك اليوم أوله بكاء وشرور وآخره فرح وسرور.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية كرم جعفر البرمكى مع بائع الفول

قالت شهر زاد: حُكى أن جعفرًا البرمكى لما صلبه هارون الرشيد أمر بصلب كل من نعاه أو رثاه، فكف الناس عن ذلك، فاتفق أن أعرابيًا كان ببادية بعيدة وفى كل سنة يأتى بقصيدة إلى جعفر البرمكى المذكور فيعطيه ألف دينار جائزة على تلك القصيدة، فيأخذها وينصرف ويستمر ينفق منها على عياله إلى آخر العام، فجاء ذلك الأعرابى بالقصيدة على عادته، فلما جاء وجد جعفر مصلوبًا، فجاء إلى المحل الذى هو مصلوب فيه وأناخ راحلته وبكى بكاءً شديدًا وحزن حزنًا عظيمًا وأنشد القصيدة ونام، فرأى جعفرًا البرمكى فى المنام يقول له: «إنك قد أتعبت نفسك وجئتنا فوجدتنا على ما رأيت، ولكن توجه إلى البصرة واسأل عن رجل اسمه كذا وكذا من تجار البصرة وقل له: «إن جعفرًا البرمكى يُقرئك السلام ويقول لك: أعطنى ألف دينار بأمارة الفولة».

فلما انتبه الأعرابى من نومه توجه إلى البصرة فسأل عن ذلك التاجر واجتمع به وبلغه ما قاله جعفر فى المنام، فبكى التاجر بكاءً شديدًا حتى كاد يفارق الدنيا، ثم إنه أكرم الأعرابى وأجلسه عنده وأحسن مثواه ومكث عنده ثلاثة أيام مكرمًا، ولما أراد الانصراف أعطاه ألفًا وخمسمائة دينار وقال له: «الألف هى المأمور لك بها والخمسمائة إكرام منى إليك ولك فى كل سنة ألف دينار». وعندما حان انصراف الأعرابى قال للتاجر: «بالله عليك أن تخبرنى بخبر الفولة حتى أعرف أصلها». فقال له: «إنى كنت فى ابتداء الأمر فقير الحال أطوف بالفول الحار فى شوارع بغداد وأبيعه حيلة على المعاش، فخرجت فى يوم بارد ماطر وليس على بدنى ما يقينى من البرد، فتارة أرتعد من شدة البرد، وتارة أقع فى ماء المطر، وأنا فى حالة كريهة تقشعر منها الجلود، وكان جعفر فى ذلك اليوم جالسًا فى قصر مشرف على الشارع وعنده

خواصه، فوقع نظره على فرق لحالى وأرسل إلى بعض أتباعه فأخذنى إليه وأدخلنى عليه، فلما رآنى قال لى: «بع ما معك من الفول على طائفتى».

فأخذت أكيله بمكيال كان معى، فكل من أخذ كيلة فول يملأها ذهبًا، حتى فرغ جميع ما معى ولم يبق فى القفة شىء، ثم جمعت الذهب الذى حصل لى على بعضه، فقال لى: «هل بقى معك شىء من الفول؟» قلت : «لا أدرى»، ثم فتشت القفة فلم أجد فيها سوى فولة واحدة، فأخذها منى جعفر وفلقها نصفين، فأخذ نصفها وأعطى النصف الثانى لإحدى نسائه وقال: «بكم تشترين نصف هذه الفولة؟» فقالت بقدر هذا الذهب مرتين»، فصرت متحيرًا فى أمرى وقلت فى نفسى: هذا محال.

فبيما أنا متعجب وإذا بالمرأة أمرت بعض جواريها فأحضرت ذهبًا قدر الذهب المجتمع مرتين، فقال جعفر: «وأنا أشترى النصف الذى أخذته بقدر الجميع مرتين»، ثم قال لى جعفر: «خذ ثمن فولك»، وأمر بعض خدامه فجمع المال كله ووضعه فى قفتى فأخذته وانصرفت، ثم جئت إلى البصرة واتجرت بما معى من المال فوسع الله علىَّ ولله الحمد والمنة، فإذا أعطيتك كل سنة ألف دينار من بعض إحسان جعفر ما ضرنى شىء. فانظر مكارم أخلاق جعفر والثناء عليه حيًا وميتًا، رحمة الله تعالى عليه.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية هارون الرشيد مع أبى محمد الكسلان

قالت شهر زاد: حُكى أن هارون الرشيد كان جالسًا ذات يوم فى تخت الخلافة إذ دخل عليه غلام من الطواشية ومعه تاج من الذهب الأحمر، مرصع بالدر والجوهر، وفيه سائر اليواقيت والجواهر ما لا يفى به مال. ثم إن ذلك الخادم قبل الأرض بين يدى الخليفة وقال له: «يا أمير المؤمنين، إن السيدة زبيدة تقبل الأرض بين يديك وتقول لك: أنت تعرف أنها قد عملت هذا التاج وأنه محتاج إلى جوهرة كبيرة تكون فى رأسه وفتشت ذخائرها فلم تجد فيها جوهرة كبيرة على غرضها». فقال الخليفة للحجاب والنواب: «فتشوا على جوهرة كبيرة على غرض زبيدة»، ففتشوا فلم يجدوا شيئًا مما يوافقها فأعلموا الخليفة بذلك، فضاق صدره وقال: «كيف أكون خليفة وملك ملوك الأرض وأعجز عن جوهرة؟ ويلكم فاسألوا التجار». فسألوا التجار، فقالوا لهم: «لا يجد مولانا الخليفة تلك الجوهرة إلا عند رجل بالبصرة يسمى أبا محمد الكسلان، فأخبروا الخليفة بذلك.

فأمر الخليفة وزيره جعفر أن يرسل بطاقة إلى الأمير محمد الزبيدى المتولى على البصرة أن يجهز أبا محمد الكسلان ويحضر به بين يدى أمير المؤمنين، فكتب الوزير بطاقة بمضمون ذلك وأرسلها مع مسرور، ثم توجه بالبطاقة إلى مدينة البصرة ودخل علىَّ الأمير محمد الزبيدى، ففرح به وأكرمه غاية الإكرام، ثم قرأ عليه بطاقة أمير المؤمنين هارون الرشيد، فقال: «سمعًا وطاعة». ثم أرسل مسرورًا مع جماعة من أتباعه إلى أبى محمد الكسلان، فتوجهوا إليه وطرقوا عليه الباب، فخرج لهم بعض الغلمان، فقال له مسرور، «قل لسيدك إن أمير المؤمنين يطلبك»، فدخل الغلام وأخبره بذلك، فخرج فوجد مسرورًا حاجب الخليفة ومعه أتباع الأمير محمد الزبيدى، فقبل الأرض بين يديه وقال: «سمعًا وطاعة لأمير

المؤمنين، ولكن ادخلوا عندنا». فقالوا: «ما نقدر على ذلك إلا على عجل كما أمرنا أمير المؤمنين فإنه ينتظر قدومك». فقال «اصبروا على يسيرًا حتى أجهز أمرى».

ثم دخلوا معه إلى الدار بعد جهد جهيد واستعطاف زائد، فرأوا فى الدهليز ستورًا من الديباج الأزرق المطرز بالذهب الأحمر، ثم إن أبا محمد الكسلان أمر بعض غلمانه أن يدخلوا مع مسرور الحمام الذى فى الدار ففعلوا، فرأى حيطانه ورخامه من الغرائب وهو مزركش بالذهب والفضة وماؤه ممزوج بماء الورد، واحتفل الغلمان بمسرور ومن معه وخدموهم أتم الخدمة، ولما خرجوا من الحمام ألبسوهم خلعًا من الديباج منسوجة بالذهب، ثم دخل مسرور وأصحابه فوجدوا أبا محمد الكسلان جالسًا فى قصره وقد عُلقت على رأسه ستور من الديباج المنسوج بالذهب المرصع بالدر والجواهر، والقصر مفروش بمساند مزركشة بالذهب الأحمر، وهو جالس على مرتبة والمرتبة على سرير مرصع بالجواهر.

فلما دخل عليه مسرور رحب به وتلقاه وأجلسه بجانبه، ثم أمر بإحضار السماط، فلما رأى مسرور ذلك السماط قال: «والله ما رأيت عند أمير المؤمنين مثل هذا السماط أبدًا». وكان فى ذلك السماط أنواع الأطعمة وكلها موضوعة فى أطباق صينى مذهبة.

(قال مسرور): «فأكلنا وشربنا وفرحنا إلى آخر النهار، ثم أعطانا كل واحد خمسة آلاف دينار، ولما كان اليوم الثانى ألبسونا خلعًا خضرًا مذهبة وأكرمونا غاية الإكرام»، ثم قال له مسرور: «لا يمكننا أن نقعد زيادة على تلك المدة خوفًا من الخليفة». فقال له أبو محمد الكسلان: «يا مولانا اصبر علينا إلى غد حتى نتجهز ونسير معكم». فقعدوا ذلك اليوم وباتوا إلى الصباح.

ثم إن الغلمان شدوا لأبى محمد الكسلان بغلةً بسرج من الذهب، مرصع بأنواع الدر والجواهر، فقال مسرور فى نفسه: «يا ترى إذا حضر أبو محمد بين يدى أمير المؤمنين بتلك الصفة هل يسأله عن سبب تلك الأموال؟» ثم بعد ذلك ودعوا أبا محمد الزبيدى وطلعوا من البصرة وساروا، ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى مدينة بغداد، فلما دخلوا على الخليفة ووقفوا بين يديه أمره بالجلوس، فجلس ثم تكلم بأدب وقال: «يا أمير المؤمنين إنى جئت معى بهدية على وجه الخدمة فهل أحضرها عن إذنك؟» قال الرشيد: «لا بأس بذلك». فأمر بصندوق ففتحه وأخرج تحفًا من جملتها أشجار من الذهب وأوراقها من الزمرد الأبيض وثمارها ياقوت أحمر وأصفر ولؤلؤ أبيض. فتعجب الخليفة من ذلك، ثم أحضر صندوقًا ثانيا وأخرج منه خيمة من الديباج مكللة باللؤلؤ والياقوت والزمرد والزبرجد وأنواع الجواهر وقوائمها من عود هندى رطب، وأذيال تلك الخيمة مرصعة بالزمرد الأخضر وفيها تصوير كل الصور من سائر الحيوانات كالطيور والوحوش، وتلك الصور مكللة بالجواهر واليواقيت والزمرد والزبرجد وسائر المعادن.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد فلما رأى الرشيد ذلك فرح فرحًا شديدًا ، ثم قال أبو محمد الكسلان: «يا أمير المؤمنين لا تظن أنى حملت لك هذا فزعًا من شىء ولا طمعًا فى شىء، وإنما رأيت نفسى رجلاً عاميا ورأيت هذا لا يصلح إلا لأمير المؤمنين، وإن أذنت لى فرجتك على بعض ما

أقدر عليه». فقال الرشيد: «افعل ما شئت حتى ننظر». فقال: «سمعًا وطاعة». ثم حرك شفتيه وأومأ إلى شراريف القصر فمالت إليه، ثم أشار إليها فرجعت إلى موضعها، ثم أشار بعينيه فظهرت إليه مقاصير مقفلة الأبواب، ثم تكلم عليها وإذا بأصوات طيور تجاوبه، فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب وقال له: «من أين لك هذا كله وأنت ما تعرف إلا بأبى محمد الكسلان وأخبرونى أن أباك كان حجامًا يخدم فى الحمام وما خلف لك شيئًا؟» فقال: «يا أمير المؤمنين اسمع حديثى فإنه عجيب وأمره غريب، لو كتب بالإبر على آماق البصر، لكان عبرة لمن اعتبر». فقال الرشيد: «حدث بما عندك وأخبرنى به».

فقال: «اعلم يا أمير المؤمنين، أدام الله لك العز والتمكين، أن إخبار الناس بأنى أعرف بالكسلان، وإن أبى لم يخلف لى مالاً، صدقٌ، لأن أبى لم يكن إلا كما ذكرت، فإنه كان حجامًا فى حمام، وكنت أنا فى صغرى أكسل من يوجد على وجه الأرض، وبلغ من كسلى أنى إذا كنت نائمًا فى أيام الحر وطلعت الشمس أكسل عن أن أقوم وأنتقل من الشمس إلى الظل، وأقمت على ذلك خمسة عشر عامًا، ثم إن أبى توفى إلى رحمة الله تعالى ولم يخلف لى شيئًا، وكانت أمى تخدم الناس وتطعمنى وتسقينى وأنا راقد على جنبى، فاتفق أن أمى دخلت على فى بعض الأيام ومعها خمسة دراهم من الفضة وقالت لى: «يا ولدى بلغنى أن الشيخ أبا المظفر عزم على أن يسافر إلى الصين». وكان ذلك الشيخ يحب الفقراء وهو من أهل الخير، فقالت أمى: «يا ولدى خذ هذه الخمسة الدراهم وامض بنا إليه ونسأله أن يشترى لك بها شيئًا من بلاد الصين لعله يحصل لك فيه ربح من فضل الله تعالى». فكسلت عن القيام معها، فأقسمت بالله إن لم أقم معها لا تطعمنى ولا تسقينى ولا تدخل على بل تتركنى أموت جوعًا وعطشًا».

فلما سمعت كلامها يا أمير المؤمنين علمت أنها تفعل ذلك لما تعلم من كسلى، فقلت لها: «اقعدينى»، فاقعدتنى وأنا باكى العين، وقلت: «ائتينى بمداسى»، فأتتنى به. فقلت: «ضعيه فى رجلى»، فوضعته فيهما. فقلت: «احملينى حتى ترفعينى من الأرض»، ففعلت ذلك. فقلت: أسنديني حتى أمشى». فصارت تسندنى. وما زلت أمشى وأتعثر فى أذيالى إلى أن وصلنا إلى ساحل البحر فسلمنا على الشيخ وقلت له: «يا عم أنت أبو المظفر؟» قال: «لبيك». قلت: «خذ هذه الدراهم واشتر بها لى شيئًا من بلاد الصين عسى الله أن يربحنى فيه».

فقال الشيخ أبو المظفر لأصحابه: «أتعرفون هذا الشاب؟» قالوا: «نعم، هذا يعرف بأبى محمد الكسلان وما رأيناه قط خرج من داره إلا فى هذا الوقت». فقال أبو المظفر: «يا ولدى هات الدراهم على بركة الله تعالى». ثم أخذ منى الدراهم وقال: «بسم الله».

ثم رجعت مع أمى إلى البيت، وتوجه أبو المظفر إلى السفر ومعه جماعة من التجار، ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا إلى بلاد الصين، ثم إن الشيخ باع واشترى وبعد ذلك توجه إلى الرجوع هو ومن معه بعد قضاء أغراضهم وساروا فى البحر ثلاثة أيام، فقال أبو المظفر لأصحابه: «قفوا بالمركب». فقال التجار: «ما حاجتك؟» فقال: «اعلموا أن الرسالة التى معى لأبى محمد الكسلان نسيتها، فارجعوا بنا حتى نشترى له بها شيئًا ينتفع به». فقالوا: «سألناك بالله تعالى أن لا تردنا فإننا قطعنا مسافة طويلة زائدة وحصل لنا فى ذلك أهوال عظيمة ومشقة زائدة». فقال: «لابد لنا من الرجوع». فقالوا: «خذ منا أضعاف ربح الخمسة الدراهم ولا تردنا». فسمع منهم وجمعوا له مالاً جزيلاً.

ثم ساروا حتى أشرفوا على جزيرة فيها خلق كثير فأرسوا عليها وطلع التجار يشترون منها متجراً من معادن وجواهر ولؤلؤ وغير ذلك، ثم رأى أبو المظفر رجلاً جالساً وبين يديه قرود كثيرة وبينهم قرد منتوف الشعر، وكانت تلك القرود كلما غفل صاحبها تمسك ذلك القرد المنتوف وتضربه وترميه على صاحبها، فيقوم بضربها ويقيدها ويعذبها على ذلك، فتغتاظ القرود كلها من ذلك القرد وتضربه.

ثم إن الشيخ أبا المظفر لما رأى ذلك القرد حزن عليه ورفق به. فقال لصاحبه: «أتبيعني هذا القرد؟» قال: «اشتر». قال: «إن معي لصبي يتيم خمسة دراهم هل تبيعني إياه بها؟» قال له: «بعتك بارك الله لك فيه». ثم سلمه وأقبضه الدراهم وأخذ القرد عبيد الشيخ وربطوه في المركب، ثم حلوا وسافروا إلى جزيرة أخرى فأرسوا عليها. فنزل الغطاسون الذين يغطسون على المعادن واللؤلؤ والجواهر وغير ذلك، فأعطاهم التجار دراهم على الغطس فغطسوا، فرآهم القرد يفعلون ذلك فحل نفسه من رباطه ونط من المركب وغطس معهم، فقال أبو المظفر: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قد عدم القرد منا ببخت هذا المسكين الذي أخذناه له». ويئسوا من القرد، ثم طلع جماعة الغطاسين وإذا بالقرد طلع معهم وفي يديه نفائس الجواهر فرماها بين يدي أبا المظفر، فتعجب من ذلك وقال: «إن هذا القرد فيه سر عظيم».

ثم حلوا وسافروا إلى أن وصلوا إلى جزيرة تسمى جزيرة الزنوج وهم قوم من السوادن يأكلون لحم بني آدم. فلما رآهم السودان ركبوا عليهم في القوارب وأتوا إليهم وأخذوا كل من في المركب وكتفوهم وأتوا بهم إلى الملك، فأمرهم بذبح جماعة من التجار، فذبحوهم وأكلوا لحومهم، ثم إن بقية التجار باتوا محبوسين وهم في نكد عظيم، فلما كان وقت الليل قام القرد إلى أبي المظفر وحل قيده، فلما رأى التجار أبا المظفر قد انحل قالوا: «عسى الله أن يكون خلاصنا على يديك يا أبا المظفر» فقال لهم: «اعلموا أنه ما خلصني بإرادة الله تعالى إلا هذا القرد، وقد خرجت له ألف دينار» فقال التجار: «ونحن كذلك كل واحد منا خرج له عن ألف دينار «إن خلصنا».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فقام القرد إليهم وصار يحل واحداً بعد الواحد حتى حل الجميع من قيودهم وذهبوا إلى المركب وطلعوا فيه فوجدوه سالماً ولم ينقص منه شيء، ثم حلوا وسافروا، فقال أبو المظفر: «يا تجار أوفوا بالذي قلتم عليه للقرد». فقالوا: «سمعاً وطاعة»، ودفع له كل واحد منهم ألف دينار فاجتمع للقرد من المال شيء عظيم». ثم سافروا حتى وصلوا إلى مدينة البصرة، فتلقاهم أصحابهم حتى طلعوا من المركب، فقال أبو المظفر: «أين أبو محمد الكسلان؟» فبلغ الخبر إلى أمي. فبينما أنا نائم إذا أقبلت على أمي وقالت لي: «يا ولدي إن أبا المظفر قد أتى ووصل إلى المدينة، فقم وتوجه إليه وسلم عليه واسأله عن الذي جاء به لك فلعل الله تعالى يكون قد فتح عليك بشيء». فقلت لها: «احمليني من الأرض وأسنديني حتى أخرج وأمشي إلى ساحل البحر» ثم مشيت وأنا أتعثر بأذيالي حتى وصلت إلى الشيخ أبي المظفر، فلما رآني قال لي: «أهلاً بمن كانت دراهمه سبباً لخلاصي وخلاص هؤلاء التجار

بإرادة الله تعالى». ثم قال لى: «خذ هذا القرد فإنى اشتريته لك وامض به إلى بيتك حتى أجىء إليك». فأخذت القرد ومضيت وقلت فى نفسى: «والله ما هذا إلا متجر عظيم».

ثم دخلت بيتى وقلت لأمى: «كلما نمت تأمريننى بالقيام لأتجر فانظرى بعينك إلى هذا المتجر». ثم جلست، فبينما أنا جالس وإذا بعبيد أبى المظفر قد أقبلوا على وقالوا لى: «هل أنت أبو محمد الكسلان؟» فقلت لهم: «نعم». وإذا بأبى المظفر أقبل خلفهم، فقمت إليه وقبلت يديه، فقال لى: «سر معى إلى دارى». فقلت: «سمعاً وطاعة». وسرت معه إلى أن دخلت الدار، فأمر عبيده أن يحضروا بالمال، فحضروا به. فقال: «ياولدى لقد فتح الله عليك بهذا المال من الربح الخمسة الدراهم». ثم حملوه فى صناديقه على رؤوسهم وأعطانى مفاتيح تلك الصناديق وقال لى: «امض قدام العبيد إلى دارك فإن هذا المال كله لك». فمضيت إلى أمى ففرحت بذلك وقالت لى: «ياولدى لقد فتح الله عليك بهذا المال الكثير فدع عنك هذا الكسل وانزل السوق وبع واشتر».

فتركت الكسل وفتحت دكاناً فى السوق وصار القرد يجلس معى على مرتبتى، فإذا أكلت يأكل معى وإذا شربت يشرب معى، وصار كل يوم من بكرة النهار يغيب إلى وقت الظهر، ثم يأتى ومعه كيس فيه ألف دينار فيضعه فى جانبى ويجلس، ولم يزل على هذه الحالة مدة من الزمان حتى اجتمع عندى مال كثير، فاشتريت يا أمير المؤمنين الأملاك والربوع وغرست البساتين واشتريت المماليك والعبيد والجوارى، فاتفق فى بعض الأيام أننى كنت جالساً والقرد جالس معى على المرتبة وإذا به التفت يميناً وشمالاً، فقلت فى نفسى: «أى شىء خبر هذا؟» فانطلق الله القرد بلسان فصيح وقال: «يا أبا محمد».

فلما سمعت كلامه فزعت فزعاً شديداً. فقال لى: «لا تفزع أنا أخبرك بحالى، اعلم أنى مارد من الجن ولكني جئتك بسبب ضعف حالك وأنت اليوم لا تدرى قدر مالك، وقد وقعت لى عندك حاجة وهى خير لك». فقلت: «ما هى؟». قال: «أريد أن أزوجك بصبية مثل بدر». فقلت له: «وكيف ذلك؟» فقال لى: «فى غد البس قماشك الفاخر واركب بغلتك بالسرج الذهب وامض إلى سوق العلافين واسأل عن دكان الشريف واجلس عنده وقل له: «إنى جئتك خاطباً راغباً فى ابنتك. فإن قال لك: أنت ليس لك مال ولا حسب ولا نسب فادفع له ألف دينار، فإن قال لك: «زدنى فزده ورغبه فى المال». فقلت: «سمعاً وطاعة، فى غد أفعل ذلك إن شاء الله تعالى».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهرزاد: قال أبو محمد: «فلما أصبحت لبست أفخر قماشى وركبت البغلة بالسرج الذهب، ثم مضيت إلى سوق العلافين وسألت عن دكان الشريف فوجدته جالساً فى دكانه، فنزلت وسلمت عليه وجلست عنده وكان معى عشرة من العبيد والمماليك، فقال الشريف: «لعل لك عندنا حاجة نفوز بقضائها؟» فقلت: «نعم لى عندك حاجة». قال: «وما حاجتك؟» فقلت: «جئتك خاطبا راغباً فى ابنتك». فقال لى: «أنت ليس لك مال ولا حسب ولا نسب». فأخرجت له كيساً فيه ألف دينار ذهباً أحمر وقلت له: «هذا حسبى ونسبى، وقد قال الرسول ﷺ: «نعم الحسب المال»، وما أحسن قول من قال:

«من كان يملك درهمين تعلمت ... شفتاه أنواع الكلام فقالا
وتقدم الإخوان فاستمعوا له ... ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التى يزهو بها ... لوجدته فى الناس أسوأ حالا
إن الغنى إذا تكلم بالخطا ... قالوا صدقت وما نطقت محالا
أما الفقير إذا تكلم صادقا ... قالوا كذبت وأبطلوا ما قالا
إن الدراهم فى المواطن كلها ... تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة ... وهى السلاح لمن أراد قتالا»

فلما سمع منى الشريف هذا الكلام، وفهم الشعر والنظام، أطرق برأسه إلى الأرض ساعة، ثم رفع رأسه وقال لى: «إن كان ولا بد فإنى أريد منك ثلاثة آلاف دينار أخرى»، فقلت: «سمعاً وطاعة». ثم أرسلت بعض المماليك إلى منزلى فجاء لى بالمال الذى طلبه، فلما رأى ذلك وصل إليه قام من الدكان وقال لغلمانه: «اقفلوها». ثم دعا أصحابه من السوق إلى داره وكتب كتابى على بنته وقال لى: «بعد عشرة أيام أزفها إليك».

-ثم مضيت إلى منزلى وأنا فرحان، فخلوت مع القرد وأخبرته بما جرى لى، فقال: «نعم ما فعلت». فلما قرب ميعاد الشريف قال لى القرد: «إن لى عندك حاجة إن قضيتها لى فلك عندى ما شئت». قلت: «وما حاجتك؟». قال لى: «إن فى صدر القاعة التى أعدت لبنت الشريف خزانة وعلى بابها حلقة من نحاس والمفاتيح تحت الحلقة فخذها وافتح الباب تجد صندوقاً من حديد على أركانه أربع رايات من الطلسم وفى وسط ذلك طست ملآن من المال وفى جانبه إحدى عشرة حية، وفى الطست ديك أفرق أبيض مربوط وهناك سكين بجانب الصندوق، فخذ السكين واذبح بها الديك واقطع الرايات وكب الصندوق، فهذه حاجتى عندك». فقلت له: «سمعاً وطاعة».

ثم مضيت إلى دار الشريف فدخلت القاعة ونظرت إلى الخزانة التى وصفها لى القرد فلما خلوت بالعروس تعجبت من حسنها وجمالها، وقدها واعتدالها، لأنها لا تستطيع الألسن أن تصف حسنها وجمالها، ففرحت بها فرحاً شديداً.

فلما كان نصف الليل ونامت العروس قمت وأخذت المفاتيح وفتحت الخزانة وأخذت السكين وذبحت الديك ورميت الرايات وقلبت الصندوق، فاستيقظت الصبية فرأت الخزانة قد فتحت والديك قد ذبح، فقالت: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، قد أخذنى المارد». فما استتمت كلامها إلا وقد أحاط المارد بالدار وخطف العروس، فعند ذلك وقعت الضجة، وإذا بالشريف قد أقبل وهو يلطم على وجهه وقال: «يا أبا محمد ما هذا الفعل الذى فعلته معنا هل هذا جزاؤنا منك؟ وأنا قد عملت هذا الطلسم فى هذه الخزانة خوفاً على بنتى من هذا الملعون فإنه كان يقصد أخذ هذه الصبية منذ ست سنين ولا يقدر على ذلك، ولكن ما بقى لك عندنا مقام فامض إلى حال سبيلك».

فخرجت من دار الشريف وجئت إلى دارى وفتشت على القرد فلم أجده ولم أر له أثراً، فعلمت أنه هو المارد الذى أخذ زوجتى وتحيل على حتى فعلت ذلك بالطلسم والديك اللذين كانا يمنعانه من أخذها، فندمت وقطعت أثوابى ولطمت على وجهى ولم تسعنى أرض، فخرجت من

ساعتى وقصدت البرية، ولم أزل سائراً إلى أن أمسى على المساء ولا أعلم أين أروح، فبينما أنا مشغول الفكرة إذ أقبل على حيتان واحدة سمراء والأخرى بيضاء وهما تتقاتلان، فأخذت حجراً من الأرض وضربت به الحية السمراء فقتلتها فإنها كانت باغية على البيضاء، ثم ذهبت الحية البيضاء فغابت ساعة وعادت ومعها عشر حيات بيض فجاءت إلى الحية التى ماتت وقطعنها قطعاً حتى لم يبق إلا رأسها، ثم مضت إلى حال سبيلها، واضطجعت فى مكانى من التعب، فبينما أنا مضطجع متفكر فى أمرى وإذا بهاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه وهو يقول:

دع المقادير تجرى فى أعنتها ... ولا تبيتن إلا خالى البال

ما بين طرفة عين وانتباهتها ... يغير الله من حال إلى حال

فلما سمعت ذلك لحقنى يا أمير المؤمنين أمر شديد، وفكر ما عليه من مزيد، وإذا بصوت من خلفى أسمعه ينشد هذين البيتين:

يا مسلما إمامه القرآن ... أبشر به قد جاءك الأمان

ولا تخف ما سول الشيطان ... فنحن قوم ديننا الإيمان

فقلت له: «بحق معبودك أن تعرفنى من أنت؟» فانقلب ذلك الهاتف فى صورة إنسان وقال لى: «لا تخف فإن جميلك قد وصل إلينا ونحن قوم من جن المؤمنين. فإن كان لك حاجة فأخبرنا بها حتى تفوز بقضائها». فقلت له: «إن لى حاجة عظيمة لأنى أصبت بمصيبة جسيمة ومن الذى حصل له مثل مصيبتى؟» فقال لى: «لعلك أبو محمد الكسلان». فقلت: «نعم». فقال: «يا أبا محمد أنا أخو الحية البيضاء التى قتلت أنت عدوها ونحن أربعة إخوة من أب وأم وكلنا شاكرون لفضلك، واعلم أن القرد الذى فعل معك المكيدة مارد من مردة الجن، ولولا أنه تحيل بهذه الحيلة ما كان يقدر على أخذها أبداً لأن له مدة طويلة يريد أخذها فيمنعه من ذلك هذا الطلسم، ولو بقى ذلك الطلسم ما كان يمكنه الوصول إليها، ولكن لا تجزع من هذا الأمر فنحن نقتل المارد فإن جميلك لا يضيع عندنا».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: ثم إنه صاح صيحة عظيم بصوت هائل، وإذا بجماعة قد أقبلوا عليه، فسألهم عن القرد، فقال واحد منهم: «أنا أعرف مستقره». قال: «أين مستقره؟». قال: «فى مدينة النحاس التى لا تطلع عليها الشمس». فقال: «يا أبا محمد خذ عبداً من عبيدنا وهو يحملك على ظهره ويعلمك كيف تأخذ الصبية، واعلم أن ذلك العبد مارد من المردة فإذا حملك لا تذكر اسم الله وهو حاملك فإنه يهرب منك فتقع وتهلك». فقلت: «سمعاً وطاعة». وأخذت عبداً من عبيدهم فانحنى وقال: «اركب». فركبت، ثم طار فى الجو حتى غاب عن الدنيا، ورأيت النجوم كالجبال الرواسى وسمعت تسبيح الملائكة فى السماء، كل هذا والمارد يحدثنى ويفرجنى ويلهينى عن ذكر الله تعالى.

فبينما أنا كذلك وإذا بشخص عليه لباس أخضر وذوائب شعر ووجهه منير وفى يده حربة يطير منها الشرر قد أقبل على وقال لى: «يا أبا محمد قل: لا إله إلا الله محمد رسول الله وإلا ضربتك بهذا الحربة». وكانت مهجتى قد تقطعت من سكوتى عن ذكر الله تعالى،

فقلت: «لا إله إلا الله محمد رسول الله». ثم إن ذلك الشخص ضرب المارد بالحربة فذاب وصار رماداً وسقطت من فوق ظهره فصرت أهوى إلى الأرض حتى وقعت فى بحر عجاج متلاطم بالأمواج، وإذا بسفينة فيها خمسة أشخاص بحرية فلما راونى أتوا إلى وحملونى فى السفينة وجعلوا يكلمونى بكلام لا أعرفه، فأشرت إليهم: أنى لا أعرف كلامكم، فساروا إلى آخر النهار، ثم رموا شباكهم واصطادوا حوتاً وشووه وأطعمونى، ولم يزالوا سائ وصلوا بى إلى مدينتهم فدخلوا بى إلى ملكهم وأوقفونى بين يديه، فقبلت الأرض ? وكان ذلك الملك يعرف بالعربية، فقال: «قد جعلتك من أعوانى». فقلت له: «م المدينة؟»، قال: «اسمها هناد وهى فى بلاد الصين».

ثم إن الملك سلمنى إلى وزير المدينة وأمره أن يفرجنى فى المدينة، وكان أهل تلك المدي فى الزمن الأول كفاراً فمسخهم الله تعالى حجارة، فتفرجت فيها ولم أر أكثر من أشج وأثمارها، فأقمت فيها مدة شهر، ثم أتيت إلى نهر وجلست على شاطئه، فبينما أنا جالس بفارس قد أتى وقال: «هل أنت أبو محمد الكسلان؟»، فقلت له: «نعم»، قال: «لا تخف جميلك قد وصل إلينا»، فقلت له: «من أنت؟» قال: «أنا أخو الحية وأنت قريب من مكان زوجتك». ثم خلع أثوابه وألبسني إياها وقال لى: «لا تخف فإن العبد الذى هلك من تحت بعض عبيدنا، ثم إن ذلك الفارس أردفنى خلفه وسار بى إلى برية وقال: «انزل من خلفى وسر بين هذين الجبلين حتى ترى مدينة النحاس، فقف بعيداً عنها ولا تدخلها حتى أعود إليك وأقول لك كيف تصنع». فقلت له: «سمعاً وطاعة».

ثم إنى نزلت من خلفه ومشيت حتى وصلت إلى المدينة فرأيت سورها من نحاس فجعلت أدور حولها لعلى أجد لها باباً، فما وجدت لها بابًا، فبينما أنا أدور حولها وإذا بأخى الحية قد أقبل على وأعطانى سيفاً مطلمساً حتى لا يرانى أحد ثم إنه مضى إلى حال سبيله، فلم يغب عنى قليلاً وإذا بصياح قد علا ورأيت خلقاً كثيراً وأعينهم فى صدورهم، فلما رأونى قالوا: «من أنت وما الذى رماك فى هذا المكان؟» فأخبرتهم بالواقعة، فقالوا: «إن الصبية التى ذكرتها مع المارد فى هذه المدينة ما ندرى ما فعل بها ونحن أخوة الحية».

ثم قالوا: «امض إلى تلك العين وانظر من أين يدخل الماء وادخل معه فإنه يوصلك إلى المدينة». ففعلت ذلك ودخلت مع الماء فى سرداب تحت الأرض، ثم طلعت منه فرأيت نفسى فى وسط المدينة ووجدت الصبية جالسة على سرير من ذهب وعليها ستارة من ديباج وحول الستارة بستان فيه أشجار من الذهب وأثمارها من نفيس الجواهر كالياقوت والزبرجد واللؤلؤ والمرجان.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما رأتنى تلك الصبية عرفتنى وابتدأتنى بالسلام وقالت لى: «يا سيدى من أوصلك إلى هذا المكان؟» فأخبرتها بما جرى، فقالت لى: «اعلم أن هذا الملعون من كثرة محبته لى أعلمنى بالذى يضره والذى ينفعه، وأعلمنى أن فى هذه المدينة طلسما إن شاء هلاك جميع من فى المدينة أهلكهم به، ومهما أمر العفاريت فإنهم يمتثلون أمره، وذلك الطلسم فى عمود». فقلت لها: «وأين العمود؟». فقالت: «فى المكان الفلانى». فقلت: «وأى شيء يكون

ذلك الطلسم؟» قالت: «هو صورة عقاب وعليه كتابة لا أعرفها فخذه بين يديك وخذ مجمرة نار وارم فيها شيئًا من المسك فيطلع دخان يجذب العفاريت، فإذا فعلت ذلك فإنهم يحضرون بين يديك كلهم ولا يغيب منهم أحد ويمتثلون أمرك ومهما أمرتهم به فإنهم يفعلونه، فقم وافعل ذلك على بركة الله تعالى». فقلت لها: «سمعًا وطاعة».

ثم قمت وذهبت إلى ذلك العمود وفعلت جميع ما أمرتنى به، فجاءت العفاريت وحضرت بين يدى وقالوا: «لبيك يا سيدنا فمهما أمرتنا به فعلناه». فقلت لهم: «قيدوا المارد الذى جاء بهذه الصبية من مكانها». فقالوا: «سمعًا وطاعة». ثم ذهبوا إلى ذلك المارد وقيدوه وشدوا وثاقه ورجعوا إلى وقالوا: «قد فعلنا ما أمرتنا به». فأمرتهم بالرجوع. ثم رجعت إلى الصبية وأخبرتها بما حصل، ثم قلت: «يا زوجتى هل تذهبين معى؟» فقالت: «نعم». ثم إنى طلعت بها من السرداب الذى دخلت منه وسرنا حتى وصلنا إلى القوم الذين كانوا دلونى عليها.

ثم قلت: «دلونى على طريق توصلنى إلى بلادى». فدلونى ومشوا معى إلى ساحل البحر وأنزلونى فى مركب وطابت لنا الريح وسار بنا المركب حتى وصلنا إلى مدينة البصرة، فلما دخلت الصبية دار أبيها رآها أهلها ففرحوا بها فرحًا شديدًا، ثم إنى بخرت العقاب بالمسك، وإذا بالعفاريت قد أقبلوا على من كل مكان وقالوا: «لبيك فما تريد نفعل؟» فأمرتهم أن ينقلوا كل ما فى مدينة النحاس من المال والمعادن والجواهر إلى دارى التى فى البصرة، ففعلوا ذلك، ثم أمرتهم أن يأتوا بالقرد، فأتوا به ذليلا حقيراً، فقلت له: «يا ملعون لأى شىء غدرت بى؟». ثم أمرتهم أن يدخلوه فى قمقم من نحاس، فأدخلوه فى قمقم ضيق من نحاس وسدوا عليه بالرصاص.

وبعد ذلك أقمت أنا وزوجتى فى هناء وسرور، وعندى الآن يا أمير المؤمنين من الذخائر وغرائب الجواهر كثير الأموال ما لا يحيط به عد، ولا يحصره حد، وإذا طلبت شيئًا من المال أو غيره أمرت الجن أن يأتوا لك به فى الحال وكل ذلك من فضل الله تعالى». فتعجب أمير المؤمنين من ذلك غاية العجب، ثم أعطاه من مواهب الخلافة عوضًا عن هديته وأنعم عليه إنعامًا يليق به.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية كرم يحيى بن خالد البرمكى

حكى أن هارون الرشيد استدعى رجلا من أعوانه يقال له صالح قبل الوقت الذى تغير فيه على البرامكة، فلما حضر بين يديه قال له: «يا صالح سر إلى منصور وقل له: إن لنا عندك ألف ألف درهم والرأى قد اقتضى أنك تحمل لنا هذا المبلغ فى هذه الساعة، وقد أمرتك يا صالح أنه إن لم يحصل لك ذلك المبلغ من هذه الساعة إلى قبل المغرب أن تزيل رأسه عن جسده وتأتنى به». فقال صالح: «سمعًا وطاعة».

ثم سار إلى منصور وأخبره بما ذكر أمير المؤمنين. فقال منصور: «قد هلكت، والله إن جميع تعلقاتى وما تملكه يدى إذا بيعت بأغلى قيمة لا يزيد ثمنها على مائة ألف فمن أين أقدر يا صالح على التسعمائة ألف درهم الباقية؟» فقال له صالح: «دبر لك حيلة تتخلص بها عاجلاً وإلا هلكت، فإنى لا أقدر أن أتمهل عليك لحظة بعد المدة التى عينها لى الخليفة ولا أقدر أن

أخل بشىء مما أمرنى به أمير المؤمنين، فأسرع بحيلة تخلص بها نفسك قبل أن تتصرم الأوقات». فقال المنصور: «يا صالح أسألك من فضلك أن تحملنى إلى بيتى لأودع أولادى وأهلى وأوصى لأقاربى». قال صالح: «فمضيت معه إلى بيته فجعل يودع أهله وارتفع الضجيج فى منزله وعلا البكاء والصياح والاستغاثة بالله تعالى». فقال صالح: «قد خطر ببالى أن الله يجعل لك الفرج على يد البرامكة فاذهب بنا إلى دار يحيى بن خالد».

فلما ذهبا إلى يحيى بن خالد أخبره بحاله. فاغتم لذلك وأطرق إلى الأرض ساعة، ثم رفع رأسه واستدعى خازن داره وقال له: «كم فى خزنتنا من المال؟» فقال له: «مقدار خمسة آلاف درهم». فأمر بإحضارها، ثم أرسلك رسولاً إلى ولده الفضل برسالة مضمونها: «أنه قد عرض على للبيع ضياع جليلة لا تخرب أبدًا فارسل إلينا شيئًا من الدراهم».

فارسل إليه ألف ألف درهم، ثم أرسل إنسانًا آخر إلى ولده جعفر برسالة مضمونها: «أنه قد حصل لنا شغل مهم ونحتاج فيه إلى شىء من الدراهم». فأنفذ له جعفر فى الحال ألف ألف درهم، ولم يزل يحيى يرسل أناسًا إلى البرامكة حتى جمع منهم لمنصور مالا كثيرًا، وصالح ومنصور لا يعلمان بهذا الأمر فقال منصور ليحيى: «يا مولاى قد تمسكت بذيلك وما أعرف هذا المال إلا منك كما هو عادة كرمك، فتمم لى بقية دينى واجعنى عتيقك». فأطرق يحيى وبكى وقال: «يا غلام إن أمير المؤمنين كان قد وهب لجاريتنا دنانير جوهرة عظيمة القيمة، فاذهب إليها وقل لها ترسل لنا هذه الجوهرة».

فمضى الغلام وأتى بها إليه، فقال: «يا صالح أنا ابتعت هذه الجوهرة لأمير المؤمنين من التجار بمائتى ألف دينار، ووهبها أمير المؤمنين لجاريتنا دنانير العوادة، وإذا رآها معك عرفها وأكرمك وحقن دمك من أجلنا إكرامًا لنا وقد تم الآن مالك يا منصور» قال صالح: «فحملت المال والجوهرة إلى الرشيد ومنصور معى، فبينما نحن فى الطريق إذ سمعته ينشد متمثلاً بهذا البيت:

وما حبًا سعت قدمى إليهم ولكن خفت من ضرب النبال

فعجبت من سوء طبعه ورداءته وفساده، وخبث أصله وميلاده، ورددت عليه وقلت له: «ما على وجه الأرض خير من البرامكة ولا أخبث ولا أشر منك، فإنهم اشتروك من الموت وأنقذوك من الهلاك، ومنوا عليك بالفكاك، ولم تشكرهم ولم تحمدهم ولم تفعل فعل الأحرار، بل قابلت إحسانهم بهذا المقال».

ثم مضيت إلى الرشيد وقصصت عليه القصة وأخبرته بجميع ما جرى، فتعجب الرشيد من كرم يحيى وسخائه ومروءته، وخساسة منصور ورداءته، وأمر أن ترد الجوهرة إلى يحيى بن خالد، وقال: «كل شىء قد وهبناه لا يجوز أن نعود فيه».

وعاد صالح إلى يحيى بن خالد وذكر له قصة منصور وسوء فعله، فقال يحيى: «يا صالح إذا كان الإنسان مقلا ضيق الصدر مشغول الفكر فمهما صدر منه لا يؤاخذ به لأنه ليس ناشئًا عن قلبه، وصار يتطلب العذر لمنصور». فبكى صالح وقال: «لايجرى الفلك الدائر بإبراز رجل إلى الوجود مثلك، فوا أسفًا كيف يتوارى من له خلق مثل خلقك وكرم مثل كرمك تحت التراب، وأنشد هذين البيتين:

بادر إلى أى معروف هممت به — فليس فى كل وقت يمكن الكرم
كم مانع نفسه إمضاء مكرمة — عند التمكن حتى عقه العدم

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية الكتاب المزور

قالت شهرزاد: حكى أنه كان بين يحيى بن خالد وبين عبدالله بن مالك الخزاعى عداوة فى السر ما كانا يظهرانها، وسبب العداوة بينهما أن أمير المؤمنين هارون الرشيد كان يحب عبد الله بن مالك محبة عظيمة بحيث أن يحيى بن خالد وأولاده كانوا يقولون: إن عبد الله يسحر أمير المؤمنين، حتى مضى على ذلك زمان طويل والحقد فى قلوبهما.

فاتفق أن الرشيد قلد ولاية أرمينية لعبد الله بن مالك الخزاعى وسيره إليها، فلما استقر فى تختها قصده رجل من أهل العراق كان فيه فضل وأدب وذكاء وفطنة إلا أنه ضاق ما بيده وفنى ماله واضمحل حاله، فزور كتابًا على لسان يحيى بن خالد إلى عبد الله بن مالك وسافر إليه فى أرمينية.

فلما وصل إلى بابه سلم الكتاب إلى بعض حجابه، فأخذ الكتاب وسلمه إلى عبد الله ابن مالك الخزاعى، ففتحه وقرأه وتدبره فعلم أنه مزور، فأمر بإحضار الرجل، فلما تمثل بين يديه ودعا له وأثنى عليه وعلى أهل مجلسه، فقال له عبد الله بن مالك: «ما حملك مع بعد المشقة على مجيئك إلى بكتاب مزور، ولكن طب نفسًا فإننا لا نخيب سعيك؟» فقال الرجل: «أطال الله بقاء مولانا الوزير إن كان ثقل عليك وصولى فلا تحتج فى منعى بحجة فإن أرض الله واسعة والرازق حى والكتاب الذى أوصلته إليك من يحيى بن خالد صحيح غير مزور» فقال عبد الله: «أنا أكتب كتابًا لوكيلى ببغداد وآمره أن يسأل عن حال هذا الكتاب الذى أتيتنى به فإن كان ذلك حقا صحيحاً غير مزور قلدتك إمارة بعض بلادى أو أعطيتك مائتى ألف درهم مع الخيل والنجب الجليلة والتشريف إن أردت العطاء، وإن كان الكتاب مزوراً أمرت أن تضرب مائتى خشبة وأن تحلق لحيتك». ثم أمر به عبد الله أن يحمل إلى حجرة وأن يجعل له فيها ما يحتاج إليه حتى يتحقق أمره. ثم كتب كتاباً إلى وكيله ببغداد مضمونه»: أنه قد وصل إلى رجل ومعه كتاب يزعم أنه من يحيى بن خالد وأنا أسيء الظن بهذا الكتاب فيجب أن لا تهمل هذا الأمر بل تمضى بنفسك وتحقق أمر هذا الكتاب وتسرع إلى برد الجواب لأجل أن نعلم صدقه من كذبه». فلما وصل إليه الكتاب ببغداد ركب من ساعته ومضى إلى دار يحيى بن خالد فوجده جالسا مع ندمائه وخواصه، فسلم عليه وسلم إليه الكتاب، فقرأه يحيى بن خالد ثم قال للوكيل: «عد إلى من الغد حتى أكتب لك الجواب». ثم التفت إلى ندمائه بعد انصراف الوكيل وقال: «ما جزاء من تحمل عنى كتاباً مزوراً وذهب به إلى عدوى؟» فقال كل واحد من الندماء مقالاً وجعل كل واحد يذكر نوعاً من العذاب.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فقال لهم يحيى: «لقد أخطأتم فيما ذكرتم وهذا الذى أشرتم به من

دناءة الهمم وخستها، وكلكم تعرفون قرب منزلة عبد الله من أمير المؤمنين وتعلمون ما بيني وبينه من الغضب والعداوة، وقد سبب الله تعالى هذا الرجل وجعله واسطة فى الصلح بيننا ووفقه لذلك وقيضه ليخمد نار الحقد من قلوبنا وهى تتزايد من مدة عشرين سنة وتتصلح بواسطته شئوننا، وقد وجب على أن أفى لهذا الرجل بتحقيق ظنونه وإصلاح شئونه وأكتب له كتاباً إلى عبد الله بن مالك الخزاعى مضمونه أنه يزيد فى إكرامه ويستمر على إعزازه واحترامه». فلما سمع الندماء ذلك دعوا له بالخيرات وتعجبوا من كرمه ووفور مروءته.

ثم إنه طلب الورقة والدواة وكتب إلى عبد الله كتاباً بخط يده مضمونه: «بسم الله الرحمن الرحيم. وصل كتابك أطال الله بقاءك وقرأته وسررت بسلامتك وابتهجت باستقامتك وشمول سعادتك، وكان ظنك أن ذلك الرجل الحر زور عنى كتابا، ولم يحمل مني خطاباً، وليس الأمر كذلك فإن الكتاب أنا كتبته وليس بمزور ورجائى من إكرامك وإحسانك وحسن شيمتك أن تفى لذلك الرجل الحر الكريم بأمله وأمنيته وترعى له حق حرمته وتوصله إلى غرضه، وأن تخصه منك بغامر الإحسان ووافر الامتنان، ومهما فعلته فأنا المقصود به والشاكر عليه». ثم عنون الكتاب وختمه وسلمه إلى الوكيل، فأنفذه الوكيل إلى عبد الله، فحين قرأه ابتهج بما حواه وأحضر ذلك الرجل وقال له: «أى الأمرين اللذين وعدتك بهما أحب إليك لأحضره لك بين يديك؟». فقال الرجل: «العطاء أحب إلى من كل شىء». فأمر له بمائتى ألف درهم وعشرة أفراس عربية، خمسة منها بالجلال الحرير وخمسة بسروج المواكب المحلاة، وبعشرين تختاً من الثياب وعشرة من المماليك وركاب خيل وما يليق بذلك من الجواهر المثمنة، ثم خلع عليه وأحسن إليه ووجهه إلى بغداد فى هيئة عظيمة.

فلما وصل إلى بغداد قصد دار يحيى بن خالد قبل أن يصل إلى أهله وطلب الإذن فى الدخول عليه، فدخل الحاجب إلى يحيى وقال له: «يا مولاى إن ببابنا رجلاً ظاهر الحشمة جميل الخلقة حسن الحال كثير الغلمان يريد الدخول عليك». فأذن له بالدخول، فلما دخل عليه قبل الأرض بين يديه، فقال له يحيى: «من أنت؟» فقال له الرجل: «أيها السيد أنا الذى كنت ميتاً من جور الزمان فأحييتنى من رمس النوائب، وبعثتنى إلى جنة المطالب، أنا الذى زورت كتاباً عنك وأوصلته إلى عبد الله بن مالك الخزاعى».

فقال له يحيى: «ما الذى فعل معك وأى شىء أعطاك؟». فقال: «أعطانى من يدك وجميل طويتك وشمول نعمك وعموم كرمك وعلو همتك وواسع فضلك حتى أغنانى وخولنى وهادانى، وقد حملت جميع عطيته ومواهبه وها هى ببابك والأمر إليك والحكم فى يديك». فقال له يحيى: «إن صنيعك معى أجمل من صنيعى معك ولك على المنة العظيمة واليد البيضاء الجسيمة، حيث بدلت العداوة التى كانت بينى وبين ذلك الرجل المحتشم بالصداقة والمودة، فها أنا أهب لك من المال مثل ما وهب لك عبد الله بن مالك». ثم أمر له من المال والخيل والتخوت بمثل ما أعطاه عبد الله، فعادت لذلك الرجل نعمته كما كانت بمروءة هذين الكريمين.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الرجل العالم مع الخليفة المأمون

قالت شهرزاد: روى أن المأمون لم يكن فى خلفاء بنى العباس خليفة أعلم منه فى جميع

العلوم، وكان له فى كل أسبوع يومان يجلس فيهما لمناظرة العلماء فيجلس المناظرون من الفقهاء والمتكلمين بحضرته على طبقاتهم ومراتبهم، فبينما هو جالس معهم إذ دخل فى مجلسه رجل غريب وعليه ثياب بيض رثة فجلس فى آخر الناس وقعد من وراء الفقهاء فى مكان مجهول. فلما ابتدأوا فى الكلام وشرعوا فى معضلات المسائل وكان من عادتهم أنهم يديرون المسألة على أهل المجلس وحداً بعد واحد فكل من وجد زيادة لطيفة أو نكتة غريبة ذكرها فدارت المسألة إلى أن وصلت إلى ذلك الرجل الغريب، فتكلم وأجاب بجواب أحسن من أجوبة الفقهاء كلهم، فاستحسن الخليفة كلامه وأمر أن يرفع من ذلك المكان إلى أعلى منه، فلما وصلت إليه المسألة الثانية أجاب بجواب أحسن من الجواب الأول. فأمر المأمون أن يرفع إلى أعلى من تلك الرتبة.

فلما دارت المسألة الثالثة أجاب بجواب أحسن وأصوب من الجوابين الأولين، فأمر المأمون أن يجلس قريباً منه، فلما انقضت المناظرة أحضروا الماء وغسلوا أيديهم وأحضروا الطعام فأكلوا، ثم نهض الفقهاء فخرجوا ومنع المأمون ذلك الشخص من الخروج معهم وأدناه منه ولاطفه ووعده بالإحسان إليه والإنعام عليه.

ثم تهيأ مجلس الشراب وحضر الندماء الملاح ودارت الراح، فلما وصل الدور إلى ذلك الرجل الغريب وثب قائمًا على قدميه وقال: «إن أذن لى أمير المؤمنين تكلمت كلمة واحدة». قال له: «قل ما تشاء». فقال: «قد علم الرأى العالى زاده الله علوا أن العبد كان اليوم فى هذا المجلس الشريف من مجاهيل الناس، ووضعاء الجلاس، وأن أمير المؤمنين قربه وأدناه، بيسير من العقل الذى أبداه، وجعله مرفوعاً على درجة غيره وبلغ به الغاية التى لم تسم إليها همته، والآن يريد أن يفرق بينه وبين ذلك القدر اليسير من العقل الذى أعزه بعد الذلة، وكثره بعد القلة، وحاشا وكلا أن يحسده أمير المؤمنين على هذا القدر الذى معه من العقل، والنباهة والفضل، لأن العبد إذا شرب الشراب تباعد عنه العقل، وقرب منه الجهل، وسلب أدبه وعاد إلى تلك الدرجة الحقيرة كما كان، وصار فى أعين الناس حقيراً مجهولاً، فأرجو من الرأى العالى أن لا يسلب منه هذه الجوهرة بفضله وكرمه وسيادته وحسن شيمه». فلما سمع الخليفة المأمون منه هذا القول مدحه وشكره وأجلسه فى رتبته ووقره وأمر له بمائة ألف درهم وحمله على فرس وأعطاه ثياباً فاخرة، وكان فى كل مجلس يرفعه ويقربه على جماعة الفقهاء حتى صار أرفع منهم درجة وأعلى مرتبة. والله أعلم.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية على شار

قالت شهرزاد: حكى أنه كان فى قديم الزمان، وسالف العصر والأوان، تاجر من التجار فى بلاد خراسان اسمه مجد الدين، وله مال كثير وعبيد ومماليك وغلمان، إلا أنه بلغ من العمر ستين سنة ولم يرزق ولداً، وبعد ذلك رزقه الله تعالى ولداً فسماه عليا، فلما انتشأ ذلك الغلام صار كالبدر ليلة التمام، ولما بلغ مبلغ الرجال، وحاز صفات الكمال، ضعف والده بمرض الموت فدعا بولده وقال له: «يا ولدى إنه قد قرب وقت المنية، وأريد أن أوصيك وصية».

حكاية على شار مع والديه وموتهما

فقال له: «وما هى ياوالدى؟» فقال: «أوصيك بأن لا تعاشر أحداً من الناس، وتجتنب كل

ما يجلب الضر والبأس، وإياك وجليس السوء فإنه كالحداد إن لم تحرقك ناره يضر بك دخانه، وما أحسن قول الشاعر:

«ما في زمانك من ترجو مودته ... ولا صديق إذا خان الزمان وفى
فعش فريداً ولا تركن إلى أحد ... ها قد نصحتك فيما قلته وكفى»

«الناس داء دفين ... لا تركنن إليهم
فيهم خداع ومكر ... لو اطلعت عليهم»

«لقاء الناس ليس يفيد شيئاً ... سوى الهذيان من قيل وقال

◆◆◆

فأقلل من لقاء الناس إلا ... لأخذ العلم أو إصلاح حال»

◆◆◆

إذا ما الناس جربهم لبيب ... فإني قد أكلتهم ذواقا
فلم أر ودهم إلا خداعاً ... ولم أر دينهم إلا نفاقا

◆◆◆

فقال علي: «يا أبي سمعت وأطعت. ثم ماذا أفعل؟» فقال الوالد: «يا بني افعل الخير إذا قدرت عليه، ودم على صنع الجميل مع الناس واغتنم بذل المعروف، فما في كل وقت ينجح الطلب، وما أحسن قول الشاعر:

«ليس في كل ساعة وأوان ... تتأتى صنائع الإحسان
فإذا أمكنتك بادر إليها ... حذراً من تعذر الإمكان»

فقال: «سمعت وأطعت ثم ماذا؟» قال: «يا ولدي احفظ الله يحفظك وصن مالك ولا تفرط فيه فإنك إن فرطت فيه فقد تحتاج إلى أقل الناس، واعلم يا ولدي أن قيمة المرء ما ملكت يمينه، وما أحسن قول الشاعر:

«إن قل مالي فلا خل يصاحبني ... وإن زاد مالي فكل الناس خلاني
فكم عدو لأجل المال صاحبني ... وكم صديق لفقد المال عاداني»

فقال: «ثم ماذا؟» قال: «يا ولدي شاور من هو أكبر منك سناً، ولا تعجل في الأمر الذي تريده وارحم من هو دونك يرحمك من هو فوقك، ولا تظلم أحداً فيسلط الله عليك من يظلمك، وما أحسن قول الشاعر:

«اقرن برأيك رأي غيرك واستشر ... فالرأي لا يخفى على الاثنين
للمرء مرآة تريه وجهه ... ويرى قفاه بجمع مرآتين»

◆◆◆

«تأن ولا تعجل لأمر تريده ... وكن راحماً للناس تبلى براحم
فما من يد إلا يد الله فوقها ... ولا ظالم إلا سيبلى بظالم»
«ولا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ... إن الظلوم على حد من النقم
تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم»

وإياك يا ولدي وشرب الخمر فهو رأس كل شر، وشربه مذهب للعقول ويزري بصاحبه،

وما أحسن قول الشاعر:

«تالله لا خامرتنى الخمر ما علقت ... روحى بجسمى وأقوالى بإفصاحى
ولا صبوت إلى مشمولة أبدا ... يوماً ولا اخترت ندماناً سوى الصاحى»

فهذه وصيتى لك فاجعلها بين عينيك. والله خليفتى عليك». ثم غشى عليه فسكت ساعة واستفاق فاستغفر الله وتشهد وتوفى إلى رحمة الله تعالى، فبكى عليه ولده وانتحب، ثم اخذ فى تجهيزه على ما يجب، ومشت فى جنازته الأكابر والأصاغر وصار القراء يقرأون حول تابوته، وما ترك من حقه شيئاً حتى فعله، ثم صلوا عليه ووارده فى التراب، وكتبوا على قبره هذين البيتين:

خلقت من التراب فصرت حيا ... وعلمت الفصاحة فى الخطاب
وعدت إلى التراب فصرت ميتا ... كأنك ما برحت من التراب

وحزن عليه ولده على حزناً شديداً وعمل عزاءه على عادة الأعيان، واستمر حزيناً على أبيه إلى أن ماتت أمه بعده بمدة يسيرة، ففعل بوالدته مثل ما فعل بأبيه، وبعد ذلك جلس فى الدكان يبيع ويشترى ولا يعاشر أحداً من خلق الله تعالى عملاً بوصية أبيه، واستمر على ذلك سنة كاملة، وبعد السنة دخلت عليه الأولاد الأردياء بالحيل وصاحبوه حتى مال معهم إلى الفساد، وأعرض عن طريق الرشاد، وشرب الراح بالأقداح، وإلى الملاح غدا وراح، وقال فى نفسه: «إن والدى جمع هذا المال وإن أنا لم أتصرف فيه، فلمن أخليه، والله لا أفعلن إلا كما قال الشاعر:

«إن كنت دهرك كله ... تحوى إليك وتجمع
فمتى بما حصلته ... وحويته تتمتع»

وما زال على يبذر فى المال آناء الليل وأطراف النهار حتى أذهب ماله كله وافتقر، فساء حاله وتكدر باله وباع الدكان والأماكن وغيرها، ثم بعد ذلك باع ثياب بدنه، ولم يترك لنفسه غير بدلة واحدة، فلما ذهبت السكرة وجاءت الفكرة وقع فى الحسرة، وقعد يوماً من الصبح إلى العصر بغير إفطار، فقال فى نفسه: «أنا أدور على الذين كنت أنفق مالى عليهم لعل أحدا منهم يطعمنى فى هذا اليوم». فدار عليهم جميعاً وكلما طرق باب أحد منهم ينكر نفسه ويتوارى منه حتى أحرقه الجوع.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية على شار وزمرد

قالت شهرزاد: «ثم ذهب إلى سوق التجار فوجد حلقة ازدحام والناس مجتمعون فيها فقال فى نفسه: «يا ترى ما سبب اجتماع هؤلا الناس والله لا أنتقل من هذا المكان حتى أتفرج على هذا الحلقة». ثم تقدم إلى الحلقة فوجد جارية خماسية معتدلة القد، موردة الخد، قد فاقت أهل زمانها فى الحسن والجمال، والبهاء والكمال، كما قال فيها بعض واصفيها:

كما اشتهت خلقت حتى إذا كملت ... وفى قالب الحسن لا طول ولا قصر
والحسن أصبح مشغوفاً بصورتها ... والصد يمنعها والتيه والخفر
فالبدر طلعتها والغصن قامتها ... والمسك نكهتها ما مثلها بشر
كأنها أفرغت من ماء لؤلؤة ... فى كل جارحة من حسنها قمر

وكانت تلك الجارية اسمها زمرد، فلما نظرها على تعجب من حسنها وجمالها وقال: «والله لا أبرح حتى أنظر القدر الذى يبلغ ثمن هذه الجارية وأعرف الذى يشتريها، ثم وقف بجملة التجار، فظنوا أنه يشترى لما يعلمون من غناه بالمال الذى ورثه من والديه ثم إن الدلال وقف على رأس الجارية وقال: «يا تجار يا أرباب الأموال من يفتح باب السعر فى هذه الجارية سيدة الأقمار الدرة السنية، زمرد الستورية، بغية الطالب، ونزهة الراغب، فافتحوا الباب، فليس على من فتحه لوم ولا عتاب».

فقال بعض التجار: «علىَّ بخمسمائة دينار». قال آخر: «وعشرة». فقال شيخ يسمى رشيد الدين وكان أزرق العين قبيح المنظر: «ومائة». فقال آخر: «وعشرة». قال الشيخ: «بألف دينار». فحبس التجار ألسنتهم وسكتوا، فشاور الدلال سيدها، فقال: «أنا حالف أنى ما أبيعها إلا لمن تختاره فشاورها»، فجاء الدلال إليها وقال: «يا سيدة الأقمار إن هذا التاجر يريد أن يشتريك». فنظرت إليه وقالت: «أنا لا أباع لشيخ أوقعه الهرم فى أسوأ حال».

فلما سمع الدلال قولها قال لها: «والله إنك معذورة وقيمتك عشرة آلاف دينار». ثم أعلم سيدها أنها ما رضيت بذلك الشيخ الهرم، فقال: «شاورها على غيره». فتقدم إنسان آخر وقال: «علىَّ بما أعطى فيها الشيخ الذى لم ترض به». فنظرت الجارية إلى ذلك الرجل فوجدته مصبوغ اللحية فقالت: «ما هذا العيب والريب، وسواد وجه الشيب»، ثم إنها أكثرت التعجبات، وأنشدت هذه الأبيات:

«بدا لى من فلان ما بدا لى ... قفًا والله يصفع بالنعال
وذقنٌ للبعوض وبها مجالٌ ... وقرنٌ مال من ربط الحبال
أيا مفتون فى خدى وقدى ... تزور بالمحال ولا تبالى
وتصبغ بالعيوب بياض شيب ... وتخفى ما بدا للاحتيال
تروح بلحية وتجى بأخرى ... كأنك بعض صناع الخيال»

وما أحسن قول الشاعر:

قالت أراك خضبت الشيب قلت لها ... سترته عنك يا سمعى ويا بصرى
فقهقهت ثم قالت إن ذا عجبٌ ... تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما سمع الدلال شعرها قال لها: «والله إنك صدقت». فقال التاجر: «ما الذى قالت؟» فأعاد عليه الأبيات، فعرف أن الحق على نفسه وامتنع من شرائها، فتقدم تاجر آخر وقال للدلال: «شاورها علىَّ بالثمن الذى سمعته». فشاورها عليه فنظرت إليه فوجدته أعور. فقالت: «هذا أعور وقد قال فيه الشاعر:

«لا تصحب الأعور يومًا وكن ... فى حذر من شره ومينه
لو كان فى الأعور من خيرة ... ما أوجد الله العمى بعينه»

فقال لها الدلال: «أتباعين لذلك التاجر؟» فنظرت إليه فوجدته قصيرًا وذقنه سائلة إلى وسطه فقالت: «هذا الذى قال فيه الشاعر:

«فلى صديق وله لحية أنبتها الله بلا فائدة
كأنها بعض ليالى الشتا طويلة مظلمة باردة»

فقال لها الدلال: «يا سيدتى انظرى من يعجبك من الحاضرين وقولى عليه حتى أبيعك له». فنظرت إلى حلقة التجار وتفرستهم واحدًا بعد واحد فوقع نظرها على على شار وكان بديع الجمال، وألطف من نسيم الشمال، فقالت: «يا دلال أنا لا أباع إلا لسيدى هذا صاحب الوجه المليح فإن محاسنه مستوفاة، كما قال فيه الشاعر:

«يلومه الناس على تيهه والبدر مهما تاه معذور»

فلما سمع الدلال ما أنشدته من الأشعار فى محاسن على شار، تعجب من فصاحتها وإشراق بهجتها، فقال له صاحبها: «لا تعجب من بهجتها التى تفضح شمس النهار، ولا من حفظها لرقائق الأشعار، فإنها مع ذلك تقرأ القرآن العظيم بالسبع قراءات وتروى الأحاديث الشريفة بصحيح الروايات، وتكتب بالسبعة أقلام، وتعرف من العلوم ما لا يعرفه العالم العلام، ويداها أحسن من الذهب والفضة، فإنها تعمل الستور الحرير وتبيعها فتكسب فى كل واحد خمسين دينارًا، وتشتغل الستر فى ثمانية أيام». فقال الدلال: «يا سعادة من تكون هذه فى داره، ويجعلها من ذخائر أسراره»، ثم قال له سيدها: «بعها لكل من أرادته». فرجع الدلال إلى على شار وقبل يديه وقال: «يا سيدى اشتر هذه الجارية فإنها اختارتك»، وذكر له صفتها وما تعرفه وقال له: «هنيئًا لك يا سيدى إذا اشتريتها فإنه قد أعطاك من لا يبخل بالعطاء».

فأطرق على شار برأسه إلى الأرض وهو يضحك على نفسه وقال فى سره: «إنى إلى هذا الوقت من غير إفطار، ولكن أختشى من التجار أن أقول ما عندى مال أشتريها به». فنظرت الجارية إلى إطراقه وقالت للدلال: «خذ بيدى وامض بى إليه، حتى أعرض نفسى عليه، وأرغبه فى أخذى ، فإنى ما أباع إلا له». فأخذها الدلال وأوقفها قدام على شار وقال له: «ما رأيك يا سيدى؟» فلم يرد عليه جوابًا. فقالت الجارية: «يا سيدى مالك لا تشترينى فاشترنى بما شئت وأكون سبب سعادتك».

فرفع على رأسه وقال: «هل الشراء بالغصب، أنت غالية بألف دينار». فقالت له: «يا سيدى اشترنى بتسعمائة دينار». قال: «لا». قالت: «بثمانمائة». قال: «لا». فما زالت تنقص من الثمن إلى أن قالت له بمائة دينار»، قال: ما معى مائة كاملة» فضحكت وقالت له: «كم تنقص مائتك؟» قال: «ما معى لا مائة ولا غيرها أنا والله لا أملك لا أبيض ولا أحمر من درهم ولا دينار فانظرى لك مشتريًا غيرى».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما علمت أنه ما معى شىء أخرجت بحيلة من جيبها كيسًا فيه ألف دينار وقالت: «زن منه تسعمائة فى ثمنى وأبق المائة معك تنفعنا». ففعل على شار ما أمرته به الجارية واشتراها بتسعمائة دينار ودفع ثمنها من ذلك الكيس ومضى بها.

فلما وصلت إلى داره وجدتها قاعًا صفصفًا لا فرش فيها ولا أوانى، فأعطته ألف دينار وقالت له: «امض إلى السوق واشتر لنا بثلاثمائة دينار فرشًا وأوانى للبيت». ففعل. ثم قالت له

اشتر لنا مأكولاً ومشروبا بثلاثة دنانير». ففعل . ثم قالت له : «اشتر لنا خرقة حرير قدر ستر واشتر قصبًا أصفر وأبيض وحريرًا ملونًا سبعة ألوان». ففعل.

ثم إنها فرشت البيت وأوقدت الشمع وجلست تأكل وتشرب هى وإياه، وبعد ذلك أخذت الستر وطرزته بالحرير الملون وزركشته بالقصب وجعلت فيه منطقة بصور طيور وصورت فى دائرها صور الوحوش ولم تترك وحشًا فى الدنيا إلا وصورت صورته فيه، ومكثت تشتغل فيه ثمانية أيام، فلما فرغت صقلته وطوته ثم أعطته لسيدها وقالت له: «اذهب به إلى السوق وبعه بخمسين دينارًا للتاجر واحذر أن تبيعه لأحد عابر طريق فإن ذلك يكون سببًا للفراق بينى وبينك لأن لنا أعداء لا يغفلون عنا»، فقال لها: «سمعًا وطاعة».

ثم ذهب به إلى السوق وباعه لتاجر كما أمرته، وبعد ذلك اشترى الخرقة والحرير والقصب على العادة وما يحتاجان إليه من الطعام وأحضر لها ذلك وأعطاها بقية الدراهم، فصارت كل ثمانية أيام تعطيه سترًا يبيعه بخمسين دينارًا، ومكثت على ذلك سنة كاملة.

وبعد السنة راح إلى السوق بالستر على العادة وأعطاه للدلال ، فعرض له نصرانى فدفع له ستين دينارًا فامتنع، فما زال يزيده حتى عمله بمائة دينار وبرطل الدلال بعشرة دنانير، فرجع الدلال على على شار وأخبره بالثمن وتحيل عليه فى أن يبيع الستر للنصرانى بذلك المبلغ وقال له: «يا سيدى لا تخف من هذا النصرانى وما عليك منه بأس».

وقامت التجار عليه فباعه للنصرانى وقلبه مرعوب، ثم قبض المال ومضى إلى البيت فوجد النصرانى ماشيًا خلفه، فقال له : «يا نصرانى ما لك ماشيًا خلفى؟» فقال له: «يا سيدى إن لى حاجة فى صدر الزقاق، الله لا يحوجك». فلما وصل على شار إلى منزله إلا والنصرانى لاحق به، قال له: «يا ملعون ما لك تتبعنى أينما أسير؟» فقال النصرانى: «يا سيدى اسقنى شربة ماء فإنى عطشان وأجرك عند الله تعالى». فقال على شار فى نفسه «هذا رجل ذمى وقصدنى فى شربة ماء فوالله لا أخيبه».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: ثم دخل البيت وأخذ كوز ماء، فرأته جاريته زمرد فقالت له: «يا حبيبى هل بعت الستر؟» قال: «نعم»، قالت: «لتاجر أو لعابر سبيل فقد حس قلبى بالفراق». قال: «ما بعته إلا لتاجر». قالت: «أخبرنى بحقيقة الأمر حتى أتدارك شأنى وما بالك أخذت كوز الماء». قال: «لأسقى الدلال». فقالت: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم». ثم أنشدت هذين البيتين:

«يا طالبًا للفراق مهلاً ... فلا يغرنك العناق
مهلاً فطبع الزمان غدرٌ ... وآخر الصحبة الفراق»

ثم خرج بالكوز فوجد النصرانى داخلاً فى دهليز البيت، فقال له: «هل وصلت إلى هنا يا كلب كيف تدخل منزلى بغير إذنى؟ فقال: «يا سيدى لا فرق بين الباب والدهليز، وما بقيت أنتقل من مكانى هذا إلا للخروج وأنت لك الفضل والإحسان، والجود والامتنان». ثم إنه تناول كوز الماء وشرب ما فيه، وبعد ذلك ناوله إلى على شار، فأخذه وانتظره أن يقوم فما قام، فقال

له: «لأى شىء لم تقم وتذهب إلى حال سبيلك؟» فقال: «يا مولاى لا تكن ممن فعل الجميل ومَنّ به ولا من الذين قال فيهم الشاعر:

«ذهب الذين إذا وقفت ببابهم كانوا لقصدك أكرم الكرماء
وإذا وقفت بباب قوم بعدهم منوا عليك بشربة من ماء»

ثم قال: «يا مولاى إنى قد شربت ولكن أريد منك أن تطعمنى مهما كان فى البيت سواء أكان كسرة أم قرقوشة وبصلة». فقال له: «قم بلا مماحكة ما فى البيت شىء».

فقال: «يا مولاى إن لم يكن فى البيت شىء فخذ هذه المائة دينار وائتنا بشىء من السوق ولو برغيف واحد ليصير بينى وبينك خبز وملح». فقال على شار فى سره: «إن هذا النصرانى مجنون فأنا آخذ منه المائة دينار وأجيء له بشىء يساوى درهمين وأضحك عليه».
فقال له النصرانى: «يا سيدى إنما أريد شيئًا يطرد الجوع ولو رغيفًا يابسًا وبصلة فخير الزاد ما دفع الجوع لا الطعام الفاخر، وما أحسن قول الشاعر:

«الجوع يطرد بالرغيف اليابس فعلام تعظم حسرتى ووساوسى
والموت أعدل حين أصبح منصفًا بين الخليفة والفقير البائس»

فقال له على شار: «اصبر هنا حتى أقفل القاعة وآتيك بشىء من السوق». فقال له: «سمعًا وطاعة». ثم خرج وقفل القاعة وحط على الباب كيلونًا وأخذ المفتاح معه وذهب إلى السوق واشترى جبنًا مقليًا وعسلاً أبيض وموزًا وخبزًا وأتى به إليه، فلما نظر النصرانى إلى ذلك قال: «يا مولاى هذا شىء كثير يكفى عشرة رجال وأنا وحدى فلعلك تأكل معى». فقال له: «كل وحدك فإنى شبعان» فقال له: «يا مولاى قالت الحكماء: «من لم يأكل مع ضيفه فهو ولد زنا».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما سمع على شار من النصرانى هذا الكلام جلس وأكل معه شيئًا قليلاً وأراد أن يرفع يده فأخذ النصرانى موزة وقشرها وشقها نصفين وجعل فى نصفها بنجًا مكررًا ممزوجًا بأفيون الدرهم منه يرمى الفيل، ثم غمس نصف الموزة فى العسل، وقال له: «يا مولاى وحق دينك أن تأخذ هذه».

فاستحى على شار أن يحنثه فى يمينه فأخذها منه وابتلعها، فما استقرت فى بطنه حتى سبق رأسه رجليه وصار كأنه له سنة وهو راقد، فلما رأى النصرانى ذلك قام على قدميه كأنه ذئب أمعط، أو قضاء مسلط، وأخذ منه مفتاح القاعة وتركه مرميًا وذهب يجرى إلى أخيه وأخبره بالخبر، وسببه أن أخا النصرانى هو الشيخ الهرم الذى أراد أن يشتريها بألف دينار، فلم ترض به وهجته بالشعر وكان كافرًا بالباطن مسلمًا فى الظاهر وسمى نفسه رشيد الدين، ولما هجته ولم ترض به شكا إلى أخيه النصرانى الذى تحيل فى أخذها من سيدها على شار وكان اسمه برسوم، فقال له: «لا تحزن من هذا الأمر فأنا أتحيل لك فى أخذها بلا درهم ولا دينار»، لأنه كان ماكرًا مخادعًا.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية زمرد مع برسوم وأخيه

قالت شهر زاد: ثم إنه لم يزل يمكر ويتحيل حتى عمل الحيلة التى ذكرناها وأخذ المفتاح وذهب إلى أخيه وأخبره بما حصل ، فركب بغلته وأخذ غلمانه وتوجه مع أخيه إلى بيت على شار وأخذ معه كيسًا فيه ألف دينار لأجل أنه إذا صادفه الوالى يبرطله، ففتح القاعة وهجمت الرجال الذين معه على زمرد وأخذوها قهرًا وهددوها بالقتل إن تكلمت وتركوا المنزل على حاله ولم يأخذوا منه شيئًا وتركوا على شار راقدًا فى الدهليز، ثم ردوا الباب عليه وتركوا مفتاح القاعة فى جانبه ومضى النصرانى إلى قصره ووضعها بين جواريه وسراريه وقال لها: «يا فاجرة أنا الشيخ الذى ما رضيت بى وهجوتنى وقد أخذتك بلا درهم ولا دينار».

فقالت له وقد اغرورقت عيناها بالدموع: «حسبك الله شيخ السوء حيث فرقت بينى وبين سيدى». فقال لها: «يا فاجرة سوف تنظرين ما أفعل بك من العذاب إن لم تدخلى فى دينى لأعذبنك بأنواع العذاب». فقالت له: «والله لو قطعت لحمى قطعًا ما أفارق دين الإسلام، ولعل الله يأتينى بالفرج القريب إنه على ما يشاء قدير، وقد قالت العقلاء: مصيبة فى الأبدان، ولا مصيبة فى الأديان».

فعند ذلك صاح على الجوارى والخدم وقال لهم: «اطرحوها». فطرحوها وأخذ يضربها ضربًا عنيفًا وصارت تستغيث فلا تغاث. ثم أعرضت عن الاستغاثة وصارت تقول: «حسبى الله وكفى». إلى أن انقطع نفسها وخفى أنينها.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

فلما اشتفى قلبه منها قال للخدم: «اسحبوها من رجليها وارموها فى المطبخ ولا تطعموها شيئًا، ثم بات الملعون تلك الليلة ولما أصبح الصباح طلبها وكرر عليها الضرب وأمر الخدم أن يرموها فى مكانها ففعلوا، فلما برد عليها الضرب قالت: «لا إله إلا الله محمد رسول الله، حسبى الله ونعم الوكيل». ثم استغاثت بسيدنا محمد ﷺ.

قالت شهر زاد: هذا ما كان من أمرها، وأما ما كان من أمر على شار فإنه لم يزل راقدًا إلى ثانى يوم، ثم طار البنج من رأسه ففتح عينيه وصاح قائلاً: «يا زمرد» فلم يجبه أحد، فدخل القاعة فوجد الجو قفرًا والمزار بعيدًا، فعلم أنه ما جرى عليه هذا الأمر إلا من النصرانى، فحن وبكى، وأنَّ واشتكى، وأفاض العبرات، وأنشد هذه الأبيات:

«يا وجه لا تبق علىَّ ولا تذر ... ها مهجتى بين المشقة والخطر

يا سادتى رقوا لعبد ذل فى ... شرع الهوى وغنى قوم افتقر

ما حيلة الرامى إذا التقت العدى ... وأراد رمى السهم فانقطع الوتر

وإذا تكاثرت الهموم على الفتى ... وتراكمت أين المفر من القدر

ولكم أحاذر من تفرق شملنا ... لكن إذا نزل القضا عمى البصر»

فلما فرغ على شار من شعره أصعد الزفرات، وأنشد أيضًا هذه الأبيات:

«خلعت هياكلها بجرعاء الحمى ... فصبا لمغناها الكئيب تشوقًا

وتلفتت نحو الديار فشاقها ... ربع عفت أطلاله فتفرقا

وقـفـت تسـائله فـرد جـوابهـا رجع الصـدى أن لا سـبـيل إلى اللقـا
فكأنـه برقٌ تألـف بالحـمـى ومـضـى فـمـا يبـدى إليك تألقـا»

وندم حيث لا ينفعه الندم، وبكى وخرق أثوابه وأخذ بيده حجرين ودار حول المدينة وصار يدق بهما صدره ويصيح قائلاً: «يا زمرد». فدارت الصغار حوله وقالوا: «مجنون مجنون». فكان كل من عرفه يبكى عليه ويقول: «هذا فلان ما الذى جرى له» ولم يزل على هذه الحالة إلى آخر النهار، فلما جن عليه الليل نام فى بعض الأزقة إلى الصباح، ثم أصبح دائرًا بالأحجار حول المدينة إلى آخر النهار، وبعد ذلك رجع على شار إلى قاعته ليبيت فيها، فنظرته جارته وكانت امرأة عجوزًا من أهل الخير، فتأثرت لحالته وقالت له: «يا ولدى سلامتك متى جننت؟» فأجابها بهذا البيت:

«دعـوا جنونى وهـاتوا من جننت به إن كـان يشـفى جنونى لا تلومـونى»

فعلمت جارته العجوز أنه حزين لمن فارق فقالت: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم يا ولدى أشتهى منك أن تحكى لى خبر مصيبتك عسى الله أن يقدرنى على مساعدتك عليها بمشيئته».

فحكى لها جميع ما وقع له مع برسوم النصرانى الذى سمى نفسه رشيد الدين، فلما علمت ذلك قالت له: «يا ولدى إنك معذور». ثم أفاضت دمع العين وبكت لحاله ثم قالت له: «يا ولدى قم الآن واشتر قفصًا مثل أقفاص الصاغة واشتر أساور وخواتم وحلقًا وحليًا يصلح للنساء ولا تبخل بالمال، وضع جميع ذلك فى القفص وهات القفص وأنا أضعه على رأسى فى صورة دلالة وأدور أفتش عليها فى البيوت حتى أقع على خبرها». ففرح على شار بكلامها وقبل يديها، ثم ذهب بسرعة وأتى لها بما طلبته.

فلما حضر ذلك عندها قامت ولبست مرقعة ووضعت على رأسها إزارًا عسليًا وأخذت فى يدها عكازًا وحملت القفص ودارت فى العطفات والبيوت، ولم تزل دائرة من مكان إلى مكان ومن حارة إلى حارة ومن درب إلى درب إلى أن دلها الله تعالى على قصر رشيد الدين النصرانى، فسمعت من داخله أنينًا فطرقت الباب فنزلت جارية لها ففتحت لها الباب وسلمت عليها، فقالت لها العجوز: «إن معى هذه الحويجات للبيع هل عندكم من يشترى منها شيئًا؟ فقالت لها الجارية: «نعم».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم أدخلتها الدار وجلس الجوارى حولها وأخذت كل واحدة شيئًا منه، فصارت العجوز تلاطف الجوارى وتتساهل معهن فى الثمن، ففرح بها الجوارى بسبب معروفها ولين كلامها وهى تتأمل فى جهات المكان على صاحبة الأنين، فلاحت منها التفاتة إليها وتأملت فوجدتها زمرد مطروحة فعرفتها، فبكت وقالت لهن: «يا أولادى ما بال هذه الصبية فى هذه الحال؟».

فحكت لها الجوارى جميع القصة وقلن لها: «هذا الأمر ليس باختيارنا ولكن سيدنا أمرنا بهذا وهو مسافر الآن». فقالت لهن: «يا أولادى لى عندكن حاجة وهى أنكن تحللن رباط

هذه المسكينة من الرباط إلى أن تعلمن بمجيء سيدكن فتربطنها كما كانت وتكسبن الأجر من رب العالمين». فقلن لها: «سمعًا وطاعة».

ثم إنهن حللنها وأطعمنها وأسقينها، ثم قالت للعجوز: «يا ليت رجلى انكسرت ولم ادخل لكم منزلاً»، وبعد ذلك ذهبت إلى زمرد وقالت لها: «يا بنتى سلامتك سيفرج الله عنك». ثم ذكرت لها أنها جاءت من عند سيدها على شار، ووعدتها أنها فى ليلة غد تكون حاضرة وتلقى سمعها للصوت وقالت لها: «إن سيدك يأتى إليك تحت مصطبة القصر ويصفر لك، فإذا سمعت ذلك فاصفرى له وتدلى له من الطاقة بحبل وهو يأخذك ويمضى بك»، فشكرتها على ذلك. ثم خرجت العجوز وذهبت إلى على شار وأعلمته وقالت له: «توجه فى الليلة القابلة نصف الليل إلى الحارة الفلانية فإن بيت الرجل هناك وعلامته كذا وكذا فقف تحت قصره وأصفر فإنها تتدلى إليك، فخذها وامض حيث شئت»، فشكرها على ذلك، ثم إنه أفاض العبرات، وأنشد هذه الأبيات:

«كف العواذل عن قيل وعن قال ... قلبى معنى وجسمى ناحلٌ بال

وللدموع أحاديث مسلسلة ... عن الصحيح بإعضال وإرسال

يا خالى البال من همى ومن هممى ... أقصر عناك عن التسآل عن حالى

ما قر قلبى مذ غبتم ولا هجعت ... عينى ولا نجعت فى الصبر آمالى

تركتمونى رهين الشوق مكتئبًا ... مذبذبا بين حساد وعذال

أما السلو فشىء لست أعرفه ... وغيركم قط لم يخطر على بالى»

فلما فرغ من شعره تنهد وأفاض دمع العين، وأنشد هذين البيتين:

«لله در مبشرى بقدومكم ... فلقد أتى بلطائف المسموع

لو كان يقنع بالخليع منحته ... قلبًا تمزق ساعة التوديع»

ثم إنه صبر إلى أن جنى الليل وجاء وقت الميعاد فذهب إلى تلك الحارة التى وصفتها له جارته ورأى القصر فعرفه وجلس على مصطبة تحته وغلب عليه النوم فنام، وجل من لا ينام، وكان له مدة لم ينم من الوجد الذى صار به فصار كالسكران.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية زمرد وجوان الكردى

قالت شهر زاد: فبينما هو نائم وإذا بلص من اللصوص خرج تلك الليلة فى أطراف المدينة ليسرق شيئًا فرمته المقادير تحت قصر ذلك النصرانى، فدار حوله فلم يجد سبيلاً إلى الصعود إليه فصار دائرًا حوله إلى أن وصل إلى المصطبة فرأى عليا نائمًا، فأخذ عمامته وبعد أن أخذها لم يشعر إلا وزمرد طلت فى ذلك الوقت فرأته واقفًا فى الظلام فحسبته سيدها فصفرت له، فصفر لها الحرامى، فتدلت له بالحبل وصحبتها خرج ملآن ذهبًا، فلما رآه اللص قال فى نفسه: «ما هذا إلا أمر عجيب، وله سبب غريب».

ثم حمل الخرج وحملها على أكتافه وذهب بها مثل البرق الخاطف، فقالت له: «إن العجوز أخبرتنى أنك ضعيف بسببى وها أنت أقوى من الفرس». فلم يرد عليها جوابًا، فمست وجهه فوجدت لحيته مثل مقشة الحمام كأنه خنزير ابتلع ريشًا فطلع زغبه من حلقه، ففزعت

منه وقالت له: «أى شىء أنت؟» فقال لها: «أنا الشاطر جوان الكردى من جماعة أحمد الدنف ونحن أربعون شاطرًا». فلما سمعت كلامه بكت ولطمت على وجهها وعلمت أن القضاء غلب عليها وأنه لا حيلة لها إلا التفويض إلى الله تعالى، فصبرت وسلمت لحكم الله تعالى وقالت: «لا إله إلا الله كلما خلصنا من هم وقعنا فى هم أكبر منه».

وكان السبب فى مجىء جوان إلى هذا المكان أنه قال لأحمد الدنف: «يا شاطر أنا دخلت هذه المدينة قبل الآن وأعرف فيها غارًا خارج البلد يسع أربعين نفسًا وأنا أريد أن أسبقكم إليه وأدخل أمى فى ذلك الغار ثم أرجع إلى المدينة وأسرق منها شيئًا على بختكم وأحفظه على اسمكم إلى أن تحضروا فتكون ضيافتكم فى ذلك النهار من عندى».

فقال له أحمد الدنف: «افعل ما تريد». فخرج قبلهم وسبقهم إلى ذلك المحل ووضع أمه فى ذلك الغار، ولما خرج من الغار وجد جنديًا راقدًا وعنده فرس مربوط، فذبحه وأخذ فرسه وسلاحه وثيابه وأخفاها فى الغار عند أمه وربط الحصان هناك، ثم رجع إلى المدينة ومشى حتى وصل إلى قصر النصرانى وفعل ما تقدم ذكره من أخذ عمامة على شار ومن أخذ زمرد جاريته، ولم يزل يجرى بها إلى أن وضعها عند أمه فى الغار وقال لها: «احتفظى عليها إلى حين أرجع إليك فى بكرة النهار»، ثم ذهب.

فقالت زمرد فى نفسها: «وما هذه الغفلة عن خلاص روحى بالحيلة؟ ثم إنها التفتت إلى العجوز أم جوان الكردى وقالت لها: «يا خالتى أما تقومين بنا إلى خارج الغار حتى أفليك فى الشمس؟ فقالت: «أى والله يا بنتى فإن لى مدة وأنا بعيدة عن الحمام لأن هؤلاء الخنازير لم يزالوا دائرين بى من مكان إلى مكان».

فخرجت معها فصارت تفليها إلى أن استلذت بذلك ورقدت، فقامت زمرد ولبست ثياب الجندى الذى قتله جوان وشدت سيفه فى وسطها وتعممت بعمامته حتى صارت كأنها رجل وركبت الفرس وأخذت الخرج الذهب معها وقالت: «يا جميل الستر استرنى بجاه الرسول ﷺ». ثم إنها قالت فى نفسها: «إن رحت إلى البلد ربما ينظرنى أحد من أهل الجندى فلا يحصل لى خير». ثم أعرضت عن دخول المدينة وسارت فى البر الأقفر.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية سلطنة زمرد

وقالت شهر زاد: ولم تزل سائرة بالخرج والفرس تأكل من نبات الأرض وتطعم الفرس منه وتشرب وتسقيها من الأنهار مدة عشرة أيام، وفى اليوم الحادى عشر أقبلت على مدينة طيبة أمينة بالخير مكينة، قد ولى عنها فصل الشتاء ببرده، وأقبل عليها فصل الربيع بزهره ووروده فزهت أزهارها وتدفقت أنهارها، وغردت أطيارها، فلما وصلت إلى المدينة وقربت من بابها وجدت العساكر والأمراء وأكابر أهل المدينة فتعجبت لما نظرتهم على هذه الحالة وقالت فى نفسها: «إن أهل هذه المدينة كلهم مجتمعون ببابها ولا بد لذلك من سبب».

ثم إنها قصدتهم فلما قربت منهم تسابق إليها العساكر وترجلوا وقبلوا الأرض بين يديها وقالوا: «الله ينصرك يا مولانا السلطان»، واصطف بين يديها أرباب المناصب فصار العساكر يرتبون ويقولون: «الله ينصرك ويجعل قدومك مباركًا على المسلمين، يا سلطان

العالمين، ثبتك الله يا ملك الزمان، يا فريد العصر والأوان». فقالت لهم زمرد: «ما خبركم يا أهل هذه المدينة؟». فقال الحاجب: «لقد أعطاك من لا يبخل بالعطاء وجعلك سلطانًا على هذه المدينة وحاكمًا على رقاب جميع من فيها، واعلم أن عادة أهل هذه المدينة إذا مات ملكهم ولم يكن له ولد تخرج العساكر إلى ظاهر المدينة ويمكثون ثلاثة أيام فأى إنسان جاء من طريقك التى جئت منها يجعلونه سلطانًا عليهم والحمد لله الذى ساق لنا إنسانًا من أولاد الترك جميل الوجه، فلو طلع علينا أقل منك كان سلطانًا».

وكانت زمرد صاحبة الرأى فى جميع أفعالها، فقالت: «لا تحسبوا أنى من أولاد عامة الأتراك بل أنا من أولاد الأكابر لكننى غضبت على أهلى فخرجت من عندهم وتركتهم، وانظروا إلى هذا الخرج الذى جئت به تحتى لأتصدق منه على الفقراء والمساكين طول الطريق، فدعوا لها وفرحوا بها غاية الفرح وكذلك زمرد فرحت بهم، ثم قالت فى نفسها بعد أن وصلت إلى هذا الأمر: «لعل الله يجمعنى بسيدى فى هذا المكان إنه على ما يشاء قدير».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهر زاد: ثم سارت فسار العسكر بسيرها حتى دخلوا المدينة وترجل العسكر بين يديها حتى أدخلوها القصر، فنزلت وأخذها الأمراء والأكابر من تحت أبطيها حتى أجلسوها على الكرسى وقبلوا الأرض جميعًا بين يديها، فلما جلست على الكرسى أمرت بفتح الخزائن ففتحت وأنفقت على جميع العساكر، فدعوا لها بدوام الملك وأطاعها العباد، وسائر أهل البلاد، واستمرت على ذلك مدة من الزمان وهى تأمر وتنهى وقد صار لها فى قلوب الناس هيبة عظيمة من أجل الكرم والعفة، وأبطلت المكوس، وأطلقت من فى الحبوس، ورفعت المظالم فأحبها جميع الناس، وكلما تذكرت سيدها تبكى وتدعو الله أن يجمع بينها وبينه، واتفق أنها تذكرته فى بعض الليالى وتذكرت أيامها التى مضت لها معه، فأخذت تبكى وأفاضت دمع العين، وأنشدت هذين البيتين:

«شوقى إليك على الزمان جديد والدمع قرح مقلتى ويزيد
وإذا بكيت بكيت من ألم الجوى إن الفراق على المحب شديد»

فلما فرغت من شعرها مسحت دموعها وصعدت القصر وأفردت للسرارى والجوارى منازل ورتبت لهن الرواتب والجرايات وزعمت أنها تريد أن تجلس فى مكان وحدها عاكفة على العبادة، وصارت تصوم وتصلى حتى قالت الأمراء: «إن هذا السلطان له ديانة عظيمة». ثم إنها لم تدع عندها أحدًا من الخدم غير طواشيين صغيرين، وجلست فى تخت الملك سنة وهى لم تسمع لسيدها خبرًا ولم تقف له على أثر فقلقت من ذلك.

فلما اشتد قلقها دعت بالوزراء والحجاب وأمرتهم أن يحضروا لها المهندسين والبنائين وأن يبنوا لها تحت القصر ميدانًا طوله فرسخ وعرضه فرسخ، ففعلوا ما أمرتهم به فى أسرع وقت فجاء الميدان على طبق مرادها، فلما تم ذلك الميدان نزلت فيه وضربت له فيه قبة عظيمة وصفت فيه كراسى الأمراء وأمرت أن يمدوا سماطًا من سائر الأطعمة الفاخرة فى ذلك الميدان ففعلوا ما أمرتهم به، ثم أمرت أرباب الدولة أن يأكلوا فأكلوا، ثم قالت للأمراء:

«أريد إذا هل الشهر الجديد أن تفعلوا هكذا وتنادوا فى المدينة أنه لا يفتح أحد دكانه بل يحضرون جميعا ويأكلون من سماط الملك، وكل من خالف منهم يشنق على باب داره».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما هل الشهر الجديد فعلوا ما أمرتهم به، واستمروا على هذه العادة إلى أن هل أول الشهر من السنة الثانية فنزلت الميدان ونادى منادى: «يا معشر الناس كافة كل من فتح دكانه أو حاصله أو منزله شُنق فى الحال على باب دكانه، بل يجب عليكم أن تحضروا جميعًا لتأكلوا من سماط الملك».

فلما فرغت المناداة وقد وضعوا السماط جاءت الخلق أفواجًا، فأمرتهم بالجلوس على السماط ليأكلوا حتى يشبعوا من سائر الألوان، فجلسوا يأكلون كما أمرتهم وجلست على كرسى المملكة تنظر إليهم، فصار كل من جلس على السماط يقول فى نفسه: «إن الملك لا ينظر إلا إلىَّ»، وجعلوا يأكلون وصار الأمراء يقولون للناس: «كلوا ولا تستحوا فإن الملك يحب ذلك». فأكلوا حتى شبعوا وانصرفوا داعين للملك، وصار بعضهم يقول لبعض: «عمرنا ما رأينا سلطانًا يحب الفقراء مثل هذا السلطان»، ودعوا له بطول العمر.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية عمل زمرد السماط وقتل برسوم

قالت شهر زاد: ثم ذهبت إلى قصرها وهى فرحانة بما رتبته وقالت فى نفسها: «إن شاء الله تعالى بسبب ذلك أقع على خبر سيدى على شار»، ولما هلَّ الشهر الثانى فعلت ذلك الأمر على جرى العادة ووضعوا السماط ونزلت زمرد وجلست على كرسيها وأمرت الناس أن يجلسوا ويأكلوا فبينما هى جالسة على رأس السماط والناس يجلسون عليه جماعة بعد جماعة وواحد بعد واحد إذ وقعت عينها على برسوم النصرانى الذى كان اشترى الستر من سيدها فعرفته وقالت: «هذا أول الفرج وبلوغ المنى»، ثم إن برسومًا تقدم وجلس مع الناس يأكل فنظر إلى صحن أرز حلو مرشوش عليه سكر وكان بعيدًا عنه، فزاحم عليه ومدَّ يده إليه وتناوله ووضعه قدامه، فقال له رجل بجانبه: «لمَ لا تأكل من قدامك، أما هذا عيب عليك، كيف تمد يدك إلى شىء بعيد عنك، أما تستحى؟» فقال له برسوم: «ما آكل إلا منه»، فقال له الرجل: «كل لا هناك الله به». فقال رجل حشاش: «دعه يأكل منه حتى آكل أنا الآخر معه». فقال له الرجل: «يا أنحس الحشاشين هذا ما مأكولكم وإنما هو مأكول الأمراء فاتركوه حتى يرجع إلى أصحابه فيأكلوه».

فخالفه برسوم وأخذ منه لقمة وحطها فى فمه، وأراد أن يأخذ الثانية والملكة تنظر إليه فصاحت على بعض الجند وقالت لهم: «هاتوا هذا الذى قدامه الصحن الأرز الحلو ولا تدعوه يأكل اللقمة التى فى يده بل ارموها من يده».

فجاءه أربعة من العساكر وسحبوه على وجهه بعد أن أرموا اللقمة من يده وأوقفوه قدام زمرد، فامتنعت الناس عن الأكل وقال بعضهم لبعض: «والله إنه ظالم لأنه لم يأكل من طعام أمثاله». فقال واحد: «أنا قنعت بهذا الكشك الذى قدامى». فقال الحشاش: «الحمد لله الذى

منعنى أن آكل من الصحن الأرز الحلو شيئًا لأنى كنت أنتظر أن يستقر قدامه ويتهنى عليه ثم آكل معه فحصل ما رأينا». فقال الناس لبعضهم: «اصبروا حتى ننظر ما يجرى عليه».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما قدموه بين يدى الملكة زمرد قالت له: «ويلك من أزرق العينين، ما اسمك وما سبب قدومك إلى بلادنا؟» فأنكر الملعون اسمه وكان متعمما بعمامة بيضاء، فقال: «يا ملك اسمى على وصنعتى حياك وجئت إلى هذه المدينة من أجل التجارة». فقالت زمرد: «ائتونى بتخت رمل وقلم نحاس». فجاءوا بما طلبته فى الحال، فأخذت التخت الرمل والقلم وضربت تخت الرمل وخطت بالقلم صورة مثل صورة قرد، ثم بعد ذلك رفعت رأسها وتأملت فى برسوم ساعة زمانية وقالت له: «يا كلب كيف تكذب على الملوك، أما أنت نصرانى واسمك برسوم، وقد أتيت إلى حاجة تفتش عليها؟ فأصدقنى الخبر وإلا وعزة الربوبية أضرب عنقك». فتلجلج النصرانى، فقال الأمراء الحاضرون: «إن هذا الملك يعرف ضرب الرمل سبحان من أعطاه». ثم صاحت على برسوم النصرانى وقالت له: «أصدقنى الخبر وإلا أهلكتك»، فقال النصرانى، وهو يرتجف من الخوف: «العفو يا ملك الزمان إنك صادق فى ضرب الرمل فإنى نصرانى» فتعجب الحاضرون من الأمراء وغيرهم من إصابة الملك فى ضرب الرمل وقالوا: «إن هذا الملك منجم ما فى الدنيا مثله».

ثم إن الملكة أمرت بأن يسلخ النصرانى ويحشى جلده تبنًا ويعلق على باب المدينة وأن يحفر حفرة فى خارج البلد ويحرق فيها لحمه وعظمه وترمى عليه الأوساخ والأقذار، فقالوا: «سمعًا وطاعة»، وفعلوا ما أمرتهم به. فلما نظر الخلق ما حل بالنصرانى قالوا: «جزاؤه ما حل به فما كان أشأمها لقمة عليه»، فقال واحد منهم: «على البعيد الطلاق، عمرى ما بقيت آكل أرزًا حلوًا». فقال الحشاش: «الحمد لله الذى عافانى مما حل بهذا النصرانى حيث حفظنى من أكل ذلك الأرز». ثم خرج الناس جميعهم وقد حرموا الجلوس على الأرز الحلو فى موضع ذلك النصرانى. ولما كان الشهر الثالث مدوا السماط على جرى العادة وملأوه بالصحون وقعدت الملكة زمرد على الكرسى ووقف العسكر على جرى العادة وداروا حول السماط ونظروا إلى موضع الصحن، فقال واحد منهم للآخر: «يا حج خلف»، قال له: «لبيك يا حج خالد». قال: «تجنب صحن الأرز الحلو واحذر أن تأكل منه فإن أكلت منه تصبح مشنوقًا».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية قتل زمرد جوان الكردى

قالت شهر زاد: ثم إنهم جلسوا حول السماط للأكل، فبينما هم يأكلون والملكة زمرد جالسة إذ حانت منها التفاتة إلى رجل داخل يهرول من باب الميدان، فتأملته فوجدته جوان الكردى اللص الذى قتل الجندى، وسبب مجيئه أنه كان ترك أمه ومضى إلى رفقائه وقال لهم: «إنى كسبت البارحة كسبًا طيبًا وقتلت جنديًا وأخذت فرسه وحصل لى فى تلك الليلة خرج

ملآن ذهبًا وصبية قيمتها أكثر من الذهب الذى فى الخرج، ووضعت جميع ذلك فى الغار عند والدتى». ففرحوا بذلك وتوجهوا إلى الغار فى آخر النهار ودخل جوان الكردى قدامهم وهم خلفه وأراد أن يأتيهم بما قال لهم فوجد المكان قفرًا فسأل أمه عن حقيقة الأمر فأخبرته بجميع ما جرى، فعض على كفيه ندمًا وقال: «والله لأدورنَّ على هذه الفاجرة وآخذها من المكان الذى هي فيه ولو كانت فى قشور الفستق».

وخرج يفتش عليها، ولم يزل دائرًا فى البلاد حتى وصل إلى مدينة الملك زمرد، فلما دخل المدينة لم يجد فيها أحدًا، فسأل بعض النساء الناظرات من الشبابيك فأعلمنه أن أول كل شهر يمد السلطان سماطًا وتروح الناس وتأكل منه، ودللنه على الميدان الذى يمد فيه السماط فجاء وهو يهرول فلم يجد مكانًا خاليًا يجلس إلا عند الصحن المتقدم ذكره. فقعد وصار الصحن قدامه فمد يده إليه، فصاحت عليه الناس وقالوا له: «يا أخانا ما تريد أن تعمل؟» قال: «أريد أن آكل من هذا الصحن حتى أشبع». فقال له واحد: «إن أكلت منه تصبح مشنوقًا». فقال له: «اسكت ولا تنطق بهذا الكلام».

ثم مد يده إلى الصحن وجره قدامه وكان الحشاش المتقدم ذكره جالسًا فى جنبه، فلما رآه جر الصحن قدامه هرب من مكانه وطارت الحشيشة من رأسه وجلس بعيدًا فى مكان آخر وقال: «أنا مالى حاجة بهذا الصحن».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: ثم إن جوان الكردى مد يده إلى الصحن وهى فى صورة رجل الغراب وغرف بها وأطلعها منه وهى فى صورة كف الجمل ودور اللقمة فى كفه حتى صارت مثل النارنجة الكبيرة ثم رماها فى فمه بسرعة فانحدرت فى حلقه ولها قرقعة مثل الرعب وبان قعر الصحن من موضعها، فقال له من بجانبه: «الحمد لله الذى لم يجعلنى طعامًا بين يديك لأنك خسفت الصحن بلقمة واحدة». فقال الحشاش: «دعوه يأكل فإنى تخيلت فيه صورة المشنوق». ثم التفت إليه وقال له: «كل لا هناك الله».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فمد يده إلى اللقمة الثانية وأراد أن يدورها فى يده مثل اللقمة الأولى وإذا بالملكة صاحت على بعض الجند وقالت لهم: «هاتوا الرجل بسرعة ولا تدعوه يأكل اللقمة التى فى يده». فتجارت عليه العساكر وهو مكب على الصحن وقبضوا عليه وأخذوه وأوقفوه قدام الملكة، فشمتت الناس به وقالوا: إنه يستاهل لأننا نصحناه فلم ينتصح وهذا المكان موعود بقتل من جلس فيه وذلك الأرز مشئوم على كل من يأكل منه».

ثم إن الملكة زمرد قالت له: «ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك إلى مدينتنا؟» قال: «يا مولانا السلطان اسمى عثمان، وصنعتى خولى بستان، وسبب مجيئى إلى هذه المدينة أننى دائر أفتش على شيء ضاع منى». فقالت الملكة: «على بتخت الرمل». فأحضروه بين يديها. فأخذت القلم وضربت تخت الرمل، ثم تأملت فيه ساعة وبعد ذلك رفعت رأسها وقالت له: «ويلك يا خبيث كيف تكذب على الملوك، هذا الرمل يخبرنى أن اسمك جوان الكردى

وصنعتك أنك لص تأخذ أموال الناس بالباطل وتقتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق». ثم صاحت عليه وقالت له: «يا خنزير اصدقنى بخبرك وإلا قطعت رأسك». فلما سمع كلامها اصفر لونه وصكت أسنانه وظن أنه إن نطق بالحق ينجو. فقال: «صدقت أيها الملك ولكننى أتوب على يديك من الآن وأرجع إلى الله تعالى». فقالت له الملكة: «لا يحل لى أن أترك آفة فى طريق المسلمين». ثم قالت لبعض أتباعها: «خذوه واسلخوا جلده وافعلوا به مثال ما فعلتم بنظيره فى الشهر الماضى»، ففعلوا ما أمرتهم به.

ولما رأى الحشاش العسكر حين قبضوا على ذلك الرجل أدار ظهره إلى صحن الأرز وقال: «إن استقبالك بوجهى حرام»، ولما فرغوا من الأكل تفرقوا وذهبوا إلى أماكنهم وصعدت الملكة قصرها وأذنت للمماليك بالانصراف.

ولما هل الشهر الثالث نزلوا إلى الميدان على جرى العادة وأحضروا الطعام وجلس الناس ينتظرون الإذن، وإذا بالملكة زمرد قد أقبلت وجلست على الكرسى وهى تنظر إليهم فوجدت موضع صحن الأرز خاليًا وهو يسع أربعة أنفس فتعجبت من ذلك.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية قتل زمرد رشيد الدين

قالت شهر زاد: فبينما هى تجول بنظرها إذ حانت منها التفاتة فنظرت إنسانًا داخلاً من باب الميدان يهرول، وما زال يهرول حتى وقف على السماط، فلم يجد مكانا خاليًا إلا عند الصحن فجلس فيه. فتأملته فوجدته النصرانى الذى سمى نفسه رشيد الدين، فقالت فى نفسها: «ما أبرك هذا الطعام الذى وقع فى حبائله هذا الكافر».

وكان لمجيئه سبب عجيب وهو أنه لما رجع من سفره أخبره أهل بيته أن زمرد قد فقدت ومعها خرج مال، فلما سمع الخبر شق أثوابه ولطم وجهه ونتف لحيته وأرسل أخاه برسومًا يفتش عنها فى البلاد، فلما أبطأ عليه خبره خرج هو بنفسه ليفتش هو عن أخيه وعن زمرد، فرمته المقادير إلى مدينة زمرد ودخل تلك المدينة فى أول يوم من الشهر فلما مشى فى شوارعها وجدها خالية ورأى الدكاكين مقفولة ونظر النساء فى الطبقان، فسأل بعضهن عن هذا الحال فقلن له: «إن الملك يعمل سماطًا فى أول كل شهر وتأكل منه الخلق جميعًا وما يقدر أحد أن يجلس فى بيته ولا دكانه»، ودللنه على الميدان.

فلما دخل الميدان وجد الناس مزدحمين على الطعام ولم يجد موضعًا خاليًا إلا الموضع الذى فيه صحن الأرز المعهود، فجلس فيه ومد يده ليأكل منه، فصاحت الملكة على بعض العسكر وقالت: «هاتوا الذى قعد على صحن الأرز»، فعرفوه بالعادة وقبضوا عليه وأوقفوه قدام الملكة زمرد، فقالت له: «ويلك ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك إلى مدينتنا؟» فقال: «يا ملك الزمان اسمى رستم ولا صنعة لى لأنى فقير درويش».

فالتفتت الملكة إلى جماعتها وقالت: «هاتوا لى تخت الرمل» فأتوها بما طلبته على العادة، فأخذت القلم وخطت به تخت رمل ومكثت تتأمل فيه ساعة ثم رفعت رأسها إليه وقالت: «يا كلب كيف تكذب على الملوك، أنت اسمك رشيد الدين النصرانى وصنعتك أن تنصب

الحيل لجوارى المسلمين وتأخذهن وأنت مسلم فى الظاهر نصرانى فى الباطن، فانطق بالحق وإلا أضرب عنقك». فتلجلج فى كلامه ثم قال: «صدقت يا ملك الزمان».

فأمرت الملكة به أن يمد ويضرب على كل رجل مائة سوط وعلى جسده ألف سوط ويسلخ ويحشى جلده سامسًا، ثم تحفر له حفرة فى خارج المدينة ويحرق وبعد ذلك يضعون عليه الأوساخ والأقذار، ففعلوا ما أمرتهم به. ثم أذنت للناس بالأكل فأكلوا ولما فرغ الناس من الأكل وانصرفوا طلعت الملكة فى قصرها وقالت: «الحمد لله الذى أراح قلبى من الذين آذونى»، ثم إنها شكرت فاطر الأرض والسماوات، وأنشدت هذه الأبيات:

«تحكموا فاستطالوا فى تحكمهم ... وبعد حين كأن الحكم لم يكن
لو أنصفوا أنصفوا لكن بغوا فبغى ... عليهم الدهر بالآفات والمحن
فأصبحوا ولسان الحال ينشدهم ... هذا بذاك ولا عتبٌ على الزمن»

ولما فرغت من شعرها خطر ببالها سيدها على شار، فبكت بالدموع الغزار، وبعد ذلك رجعت إلى عقلها وقالت فى نفسها: «لعل الذى مكننى من أعدائى يمن على برجوع أحبائى». فاستغفرت الله عز وجل وقالت: «لعل الله يجمع شملى بسيدى على شار قريبًا إنه على ما يشاء قدير، وبعباده لطيف خبير». ثم حمدت الله ووالت الاستغفار، وسلمت لمواقع الأقدار، وأيقنت أنه لا بد لكل أول من آخر، وأنشدت قول الشاعر:

هون عليك فإن الأمور ... بكف الإله مقاديرها
فليس يواتيك منهيها ... ولا قاصر عنك مأمورها

◆◆◆

درج الأيام تندرج ... وبيوت الهم لا تلج
رب أمر عز مطلبه ... قربته ساعة الفرج

◆◆◆

كن حليمًا إذا بليت بغيظ ... وصبورًا إذا أتتك مصيبه
إن الليالى من الزمان حبالى ... مثقلات يلدن كل عجيبه

◆◆◆

اصبر ففى الصبر خيرٌ لو علمت به ... لطبت نفسًا ولم تجزع من الألم
واعلم بأنك لو لم تصطبر كرمًا ... صبرت رغمًا على ما خط بالقلم

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية معرفة زمرد لعلى شار

قالت شهرزاد: فلما فرغت من شعرها مكثت بعد ذلك شهراً كاملاً وهي بالنهار تحكم بين الناس وتأمر وتنهي وبالليل تبكي وتنتحب على فراق سيدها علي شار، ولما هل الشهر الجديد أمرت بمد السماط في الميدان على جرى العادة وجلست فوق الناس وصاروا ينتظرون الإذن في الأكل وكان موضع صحن الأرز خالياً وجلست هي على رأس السماط وجعلت عينها قبال باب الميدان لتنظر كل من يدخل منه وصارت تقول في سرها: يا من رد يوسف على يعقوب، وكشف البلاء عن أيوب، أمنن على برد سيدي على شار بقدرتك وعظمتك إنك على كل شيء قدير يا رب العالمين، يا هادي الضالين، استمع مني يا رب العالمين.

فلم يتم دعاؤها إلا وشخص داخل من باب الميدان، كأن قوامه، غصن بان، إلا أنه نحيل البدن يلوح عليه الاصفرار وهو أحسن ما يكون من الشباب، كامل العقل والآداب، فلما دخل لم يجد موضعًا خاليًا إلا الموضع الذى عند صحن الأرز فجلس فيه. فلما رأته زمرد خفق قلبها فحققت النظر فيه فتبين لها أنه سيدها على شار فأرادت أن تصرخ من الفرح فثبتت نفسها وخشيت الفضيحة ولكن تقلقلت أحشاؤها واضطرب قلبها فكتمت ما بها. وكان السبب فى مجىء على شار أنه لما رقد على المصطبة ونزلت زمرد وأخذها جوان الكردى استيقظ بعد ذلك فوجد نفسه مكشوف الرأس فعرف أن إنسانًا تعدى عليه وأخذ عمامته وهو نائم. فقال الكلمة التى لا يخذل قائلها وهى: «إنا لله وإنا إليه راجعون». ثم إنه رجع إلى العجوز التى كانت أخبرته بمكان زمرد وطرق عليها الباب، فخرجت إليه فبكى بين يديها حتى وقع مغشيًا عليه، فلما أفاق أخبرها بجميع ما حصل له، فلامته وعنفته على ما وقع منه وقالت له: «إن مصيبتك يا ولدى وداهيتك من نفسك». وما زالت العجوز تلومه حتى طفح الدم من منخريه ووقع مغشيًا عليه.

فلما أفاق من غشيته رأى العجوز تبكى من أجله وتفيض دمع العين فتضجر، فقالت له: «اقعد هنا حتى أكشف لك الخبر وأعود بسرعة». فقال: «سمعًا وطاعة» ثم تركته وذهبت وغابت عنه إلى نصف النهار، ثم عادت إليه وقالت: «يا على ما أظن إلا أنك تموت بحسرتك لأنك ما بقيت تنظر محبوبتك إلا على الصراط، وذلك أن أهل القصر لما أصبحوا وجدوا الشباك الذى يطل على البستان مخلوعًا ووجدوا زمردًا مفقودة ومعها خرج مال للنصرانى، ولما وصلت هناك وجدت الوالى واقفًا على باب القصر هو وجماعته، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما سمع على شار منها هذا الكلام، تبدل الضياء فى وجهه بالظلام، ويئس من الحياة وأيقن بالوفاة، وما زال يبكى حتى وقع مغشيًا عليه، فلما أفاق أضر به الفراق ومرض مرضًا شديدًا ولزم داره، وما زالت العجوز تأتيه بالأطباء وتسقيه الأشربة وعمل له المساليق مدة سنة كاملة حتى ردت له روحه، فتذكر ما فات، وأنشد هذه الأبيات:

«الهم مجتمع والشمل مفترقٌ	والدمع مستبقٌ والقلب محترق
زاد الغرام على من لا قرار له	وقد ضناه الهوى والشوق والقلق
يا رب إن كان شىء فيه لى فرج	فامنن على به ما دام لى رمق»

ولما دخلت عليه السنة الثانية قالت له العجوز: «يا ولدى هذا الذى أنت فيه من الكآبة والحزن لا يرد عليك زوجتك فقم وشد حيلك وفتش فى عدد فى البلاد لعلك تقع لها على خبر». ولم تزل تجلده وتقويه حتى نشطته وأدخلته الحمام وسقته الشراب وأطعمته الدجاج وصارت كل يوم تفعل معه كذلك مدة شهر حتى تقوى وسافر، ولم يزل مسافرًا إلى أن وصل إلى مدينة زمرد ودخل الميدان وجلس على الطعام ومد يده ليأكل فحزنت عليه الناس وقالوا له: «يا شاب لا تأكل من هذا الصحن لأن من أكل منه يحصل له ضرر» فقال: «دعونى آكل منه ويفعلوا بى ما يريدون لعلى أستريح من هذه الحياة المتعبة».

ثم أكل أول لقمة وأرادت زمرد أن تحضره بين يديها فخطر ببالها أنه جائع، فقالت فى نفسها: المناسب أنى أدعه يأكل حتى يشبع، فصار يأكل والخلق باهتة له ينتظرون الذى يجرى له، فلما أكل وشبع قالت لبعض الطواشية: «امضوا إلى ذلك الشاب الذى يأكل من الأرز وهاتوه برفق وقولوا له: كلم الملك لسؤال لطيف وجواب». فقالوا: «سمعًا وطاعة». ثم ذهبوا إليه حتى وقفوا على رأسه وقالوا له: «يا سيدى تفضل كلم الملك وأنت منشرح الصدر». فقال: «سمعًا وطاعة». ثم مضى مع الطواشية. فقال الخلق لبعضهم: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم يا ترى ما الذى يفعله به الملك؟» فقال بعضهم: «لا يفعل به إلا خيرًا لأنه لو كان يريد ضرره ما كان تركه يأكل حتى يشبع».

فلما وقف قدام زمرد سلم وقبل الأرض بين يديها. فردت عليه السلام وقابلته بالإكرام وقالت له: «ما اسمك وما سبب مجيئك إلى هذه المدينة؟» فقال لها: يا ملك اسمى على شار، وأنا من أولاد التجار، وبلدى خراسان وسبب مجيئى إلى هذه المدينة التفتيش على جارية ضاعت منى وكانت عندى أعز من سمعى ومن بصرى، فروحى متعلقة بها من حين فقدتها، وهذه قصتى»، ثم بكى حتى غشى عليه، فأمرت أن يرشوا على وجهه ماء ورد فرشوا عليه ماء الورد حتى أفاق.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما أفاق من غشيته قالت: «على بتخت الرمل والقلم النحاس»، فجاءوا به فأخذت القلم وضربت تخت الرمل وتأملت فيه ساعة من الزمان ثم بعد ذلك قالت له: «صدقت فى كلامك الله يجمع شملك قريبًا فلا تقلق». ثم أمرت الحاجب أن يمضى به إلى الحمام ويلبسة بدلة حسنة من ثياب الملوك ويركبه فرسًا من خواص خيل الملك ويمضى به بعد ذلك إلى القصر فى آخر النهار، فقال الحاجب: «سمعًا وطاعة».

ثم أخذه من قدامها وتوجه به، فقال الناس لبعضهم: «ما بال السلطان لاطف الغلام هذه الملاطفة». وقال بعضهم: «أما قلت لكم إنه لا يسيئه فإن شكله حسن ومن حين صبر عليه إلى أن شبع عرفت ذلك». ثم صار كل واحد منهم يقول مقالة، ثم تفرق الناس.

وما صدقت زمرد أن الليل يقبل حتى ترى سيدها، فلما أتى الليل دخلت محل مبيتها وأظهرت أنه غلب عليها النوم ولم يكن لها عادة بأن ينام عندها أحد غير خادمين برسم الخدمة، فلما استقرت فى ذلك المحل أرسلت إلى على شار وقد جلست على السرير والشمع يضىء فوق رأسها وتحت رجليها والتعاليق الذهب مشرقة فى ذلك المحل فلما سمع الناس بإرسالها إليه تعجبوا من ذلك وصار كل واحد يظن ظنًا ويقول مقالة وقال بعضهم: «إن الملك على كل حال تعلق بهذا الغلام وفى غد يجعله قائد عسكر».

فلما دخلوا به عليها قبل الأرض بين يديها ودعا لها. فقالت فى نفسها: «لا بد أن أمزح معه ساعة ولا أعلمه بنفسى»، ثم قالت: «يا على هل ذهبت إلى الحمام؟» قال: «نعم يا مولاى» قالت: «قم كل من هذا الدجاج واللحم واشرب من هذا السكر والشراب فإنك تعبان وبعد ذلك تعال إلى هنا». فقال: «سمعًا وطاعة». ثم فعل ما أمرته به. ولما فرغ من الأكل والشراب قالت

له: يا على شار أما تعرفنى؟ «ما أسرع ما نسيتنى»، فقال لها: «من أنت أيها الملك؟» قالت: «أنا جاريتك زمرد». فلما سمع هذا الكلام ونظرها وتحقق الأمر وقع مغمى عليه، وأخذت هى تذرف الدموع.

ولما أفاق أرسلت زمرد إلى كامل العسكر وأرباب الدولة وأحضرتهم وقالت لهم: «أنا أريد أن أسافر إلى بلد هذا الرجل فاختاروا لكم نائبًا يحكم بينكم حتى أحضر عندكم». فأجابوا زمرد بالسمع والطاعة، ثم شرعت فى تجهيز آلة السفر من زاد وأموال وأرزاق وتحف وجمال وبغال وسافرت من المدينة، ولم تزل مسافرة إلى أن وصلت إلى بلد على شار، ودخل منزله وأعطى وتصدق ووهب، ورزقا الأولاد وعاشا فى أحسن المسرات، إلى أن أتاهما هادم اللذات، ومفرق الجماعات.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الرجل السارق

قالت شهر زاد: حُكى أن رجلاً كثرت عليه الديون وضاق عليه الحال فترك أهله وعياله وخرج هائمًا على وجهه، ولم يزل سائرًا إلى أن أقبل بعد مدة على مدينة عالية الأسوار عظيمة البنايات، فدخلها وهو فى حالة الذل والانكسار وقد اشتد به الجوع وأتعبه السفر، فمر فى بعض شوارعها فرأى جماعة من الأكابر متوجهين فذهب معهم إلى أن دخلوا فى محل يشبه محل الملوك، فدخل معهم، ولم يزالوا داخلين إلى أن انتهوا إلى رجل جالس فى صدر المكان وهو فى هيئة عظيمة، وجلالة جسيمة، وحوله الغلمان والخدم كأنه من أبناء الوزراء. فلما رآهم قام إليهم وأكرم مثواهم، فأخذ الرجل المذكور الوهم من ذلك الأمر والدهشة مما رآه من حسن البنيان والخدم والحشم، فتأخر إلى ورائه وهو فى حيرة وكرب خائفًا على نفسه حتى جلس فى محل وحده بعيدًا عن الناس بحيث لا يراه أحد.

فبينما هو جالس إذ أقبل رجل ومعه كلاب من كلاب الصيد وعليهم أنواع القز والديباج وفى أعناقهم أطواق من الذهب بسلاسل الفضة، فربط كل واحد منها فى محل منفرد له، ثم غاب وأتى كل كلب بصحن من الذهب ملآن من الأطعمة الفاخرة ووضع لكل واحد صحنه على انفراده، ثم مضى وتركها، فصار هذا الرجل ينظر إلى الطعام من شدة جوعه ويريد أن يتقدم إلى كلب منها ويأكل معه فيمنعه الخوف منها.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم إن كلبًا منها نظر إليه فألهمه الله تعالى معرفة حاله فتأخر عن الصحن وأشار إليه فأقبل وأكل حتى اكتفى وأراد أن يذهب، فأشار إليه الكلب أن يأخذ الصحن بما فيه لنفسه وألقاه له بيده، فأخذه وخرج من الدار وسار ولم يتبعه أحد، ثم سافر إلى مدينة أخرى فباع الصحن وأخذ بثمنه بضائع وتوجه بها إلى بلده فباع ما معه وقضى ما كان عليه من الديون وكثر رزقه وصار فى نعمة زائدة وبركة عميمة، لم يزل مقيمًا فى بلده مدة من الزمان، وبعد ذلك قال فى نفسه: لا بد أننى أسافر إلى بلد صاحب الصحن وآخذ له هدية مليحة لائقة وأدفع له ثمن الصحن الذى أنعم علىَّ به كلب من كلابه. ثم إنه أخذ هدية تليق به وأخذ معه

ثمن الصحن وسافر، ولم يزل مسافرًا أيامًا وليالى حتى وصل إلى تلك المدينة، فدخلها وأراد الاجتماع به، فمشى فى شوارعها حتى أقبل على محله فلم ير إلا طللاً باليًا، وغرابًا ناعبًا، وديارًا قد أقفرت، وحالاً قد تنكرت، فارتجف منه القلب والبال، وأنشد قول من قال:

خلت الزوايا من خبايـاها كـمـا　　خلت القلـوب من المعـارف والتـقى

وتنكر الوادي فـمـا غـزلانه　　تلك الظبـاء ولا النقـا ذاك النقـا

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم إن ذلك الرجل لما شاهد تلك الأطلال البالية، ورأى ما صنعت بها أيدى الدهر علانية، ولم يجد بعد العين إلا الأثر الذى أغناه الخبر عن الخبر، والتفت فرأى رجلاً مسكينًا فى حالة تقشعر منها الجلود، ويحن إليه الحجر الجلمود، فقال: «يا هذا ما صنع الدهر والزمان، بصاحب هذا المكان، وأين بدوره السافرة، ونجومه الزاهرة، وما سبب الحادث الذى حدث على بنيانه، حتى لم يبق فيه غير جدرانه؟» فقال له: «هو هذا المسكين الذى تراه، وهو يتأوه مما عراه، ولكن أما تعلم أن فى كلام الرسول عبرة لمن به اقتدى، وموعظة لمن به اهتدى، حيث قال: إن حقًا على الله أن لا يرفع شيئًا من هذه الدنيا إلا وضعه، فإن كان سؤالك عما لهذا الأمر من سبب، فليس فى انقلاب الدهر عجب، أنا صاحب هذا المكان ومنشئه ومالكه وبانيه، وصاحب بدوره السافرة، وأحواله الفاخرة، وتحفه الزاهية، وجواريه الباهية، لكن الزمان قد مال فأذهب الخدم والمال وصيرنى فى هذه الحالة الراهنة، ودهمنى بحوادث كانت عنده كامنة، لكن لا بد لسؤالك هذا من سبب، فأخبرنى عنه واترك العجب».

فأخبره الرجل بجميع القصة، وهو فى ألم وغصة، وقال له: «قد جئتك بهدية فيها النفوس ترغب، وثمن صحنك الذى أخذته من الذهب، فإنه كان سببًا لغناى بعد الفقر، ولعمار ربعى وهو قفر، ولزوال ما كان عندى من الهم والحصر». فهز الرجل رأسه وبكى، وأن واشتكى، وقال: «يا هذا أظنك مجنونًا فإن هذا الأمر لا يكون من عاقل كيف يتكرم عليك كلب من كلابنا بصحن من الذهب وأرجع أنا فيه، فرجوعى فيما تكرم به كلبى من العجب ولو كنت فى أشد الهم والوصب، والله لا يصل إلى منك شىء يساوى قلامة، فامض من حيث جئت بالصحة والسلامة». فقبل الرجل قدميه، وانصرف راجعًا يثنى عليه، ثم إنه عند فراقه ووداعه أنشد هذا البيت:

ذهب الناس والكلاب جـمـيـعًـا　　فعلى الناس والكلاب السلامُ

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الرجل الشاطر

قالت شهر زاد: حُكى أنه كان بثغر الإسكندرية وال يقال له حسام الدين، فبينما هو جالس فى دسته ذات ليلة إذا أقبل عليه رجل جندى وقال له: «اعلم يا مولانا الوالى أنى دخلت هذه المدينة فى هذه الليلة ونزلت فى خان كذا فنمت فيه إلى ثلث الليل، فلما انتبهت وجدت خرجى مشروطًا وقد سُرق منه كيس فيه ألف دينار، فلم يُتم كلامه حتى أرسل الوالى وأحضر المقدمين وأمرهم بإحضار جميع من فى الخان وأمر بسجنهم إلى الصباح.

فلما جاء الصبح أمر بإحضار آلة العقوبة وأحضر هؤلاء الناس بحضرة الجندى صاحب الدراهم وأراد عقابهم، وإذا برجل قد أقبل وشق الناس حتى وقف بين يدي الوالي والجندي وقال: «يا أمير أطلق هؤلاء الناس كلهم فإنهم مظلومون وأنا الذى أخذت مال هذا الجندى وها هو الكيس الذى أخذته من خرجه». ثم أخرجه من كمه ووضعه بين يدى الوالى والجندى لما صرف هذا الذهب ووضعه فى هذا الكيس فتبعته من زقاق إلى زقاق فلم أجد لى إلى أخذ المال منه سبيلاً، ثم إنه سافر فتبعته من بلد إلى بلد وصرت أحتال عليه فى أثناء الطريق بما قدرت على أخذه منه.

فلما دخل هذه المدينة تبعته حتى دخل فى هذا الخان إلى جانبه ورصدته حتى نام وسمعت غطيطه، فمشيت إليه قليلاً قليلاً وقطعت الخرج بهذا السكين وأخذت الكيس هكذا». ومد يده وأخذ الكيس من بين أيادى الوالى الجندى وتأخر إلى خلف الوالى والجندى والناس ينظرون ويعتقدون أنه يريهم كيف أخذ الكيس من الخرج، وإذا به قد جرى ورمى نفسه فى بركة، فصاح الوالى على حاشيته وقال: «الحقوه وانزلوا خلفه، فما أن نزعوا ثيابهم ونزلوا فى الدرج حتى كان الشاطر مضى إلى حال سبيله، وفتشوا عليه فلم يجدوه، وذلك أن أزقة الإسكندرية كلها تنفذ إلى بعضها، ورجع الناس ولم يحصلوا الشاطر، فقال الوالى للجندى : «لم يبق لك عند الناس حق لأنك عرفت غريمك وتسلمت مالك وما حفظته»، فقام الجندى وقد ضاع عليه ماله وخلصت الناس من أيدى الجندى والوالى، وكل ذلك من فضل الله تعالى.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الولاة الثلاثة قدام الملك الناصر

قالت شهر زاد: حُكى أن الملك الناصر أحضر الولاة الثلاثة فى بعض الأيام: «والى القاهرة ووالى بولاق ووالى مصر القديمة وقال: «أريد من كل واحد منكم أن يخبرنى بأعجب ما وقع له فى مدة ولايته». فأجابوه بالسمع والطاعة.

فقال والى القاهرة: «اعلم يا مولانا السلطان أن أعجب ما وقع لى فى مدة ولايتى أنه كان بهذه المدينة عدلان يشهدان على الدماء والجراحات وكانا مولعين بشرب الشراب وما قدرت عليهما بحيلة لأنتقم منهما بها وعجزت عن ذلك. فأوصيت الخمارين والنقاليين والفكهانيين والشماعين أن يخبرونى عن هذين الشاهدين متى كانا فى مكان يشتريان سواء كان مع بعضهما أو متفرقين وإن اشتريا أو اشترى أحدهما منهم شيئًا من الأشياء المعدة للشراب فلا يخفوه عنى، فقالوا: «سمعًا وطاعة»، فاتفق فى بعض الأيام أنه حضر إلى رجل ليلاً وقال: «يا مولانا اعلم أن الشاهدين فى المكان الفلانى فى الدرب الفلانى فى دار فلان وأنهما غارقان فى المدام»، فقمت وتخفيت أنا وغلامى ومضيت إليهما منفردًا من غير أحد معى غير غلامى، ولم أزل ماشيًا حتى وقفت على الباب وطرقته فأتت إلى جارية وفتحت لى الباب وقالت: «من أنت؟» فدخلت ولم أرد عليها جوابًا، فرأيت الشاهدين وصاحب الدار جلوسًا وعندهم من الشراب شيء كثير، فلما رأونى قاموا إلىّ وعظمونى وأجلسونى فى صدر المقام وقالوا لى: «مرحبًا بك من ضيف عزيز ونديم ظريف»، واستقبلونى من غير خوف منى ولا فزع.

وبعد ذلك قام صاحب الدار من عندنا وغاب ساعة ، ثم عاد ومعه ثلاثمائة دينار وليس عنده من الخوف شيء وقالوا: «اعلم يا مولانا الوالى أنك تقدر على أكثر من هتيكتنا وفى يديك تعذيرنا ولكن لا يعود عليك من ذلك إلا التعب، فالرأى أن تأخذ هذا القدر وتستر علينا فإن الله تعالى اسمه الستار ويحب من عباده الستارين ولك الأجر والثواب».

فقلت فى نفسى: آخذ هذا الذهب منهم وأستر عليهم فى هذه المرة وإذا قدرت عليهم مرة أخرى فأنتقم منهم، فطمعت فى المال وأخذته منهم وتركتهم وانصرفت ولم يشعر بى أحد، فما أشعر فى ثانى يوم إلا ورسول القاضى جاء إلىّ وقال: «أيها الوالى تفضل كلم القاضى فإنه يدعوك». فقمت معه ومضيت إلى القاضى ولا أعلم ما سبب ذلك.

فلما دخلت عليه رأيت الشاهدين وصاحب الدار الذى أعطانى الثلاثمائة الدينار جالسين عنده، فقام صاحب الدار وادعى علىّ بثلاثمائة دينار، فما وسعنى إلا الإنكار فأخرج مستورًا وشهد فيه هذان الشاهدان العدلان علىّ بثلاثمائة دينار، فثبت ذلك عند القاضى بشهادة الشاهدين فأمرنى بدفع ذلك المبلغ، فما خرجت من عندهم حتى أخذوا منى الثلثمائة دينار، فاغتظت ونويت لهم كل سوء وندمت من عدم تنكيلهم وانصرفت وأنا فى غاية الخجل، وهذا أعجب ما وقع لى فى مدة ولايتى:

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: فقام والى بولاق وقال: «وأما أنا يا مولانا السلطان فأعجب ما وقع لى فى مدة ولايتى أنه كمل على من الدين ثلاثمائة ألف دينار، فأضر بى وبعت ما ورائى وما قدامى وما كان بيدى فجمعت مائة ألف دينار من غير زيادة وبقيت فى حيرة عظيمة.

فبينما أنا جالس فى دارى ليلة من الليالى وأنا فى هذه الحال وإذا بطارق يطرق الباب فقلت لبعض الغلمان: «انظر من بالباب» فخرج ثم عاد إلى وهو مصفر الوجه متغير اللون مرتعد الفرائص. فقلت له: «ما دهاك؟» فقال: «إن بالباب رجلا عريانًا وعليه ثياب من الجلد ومعه سيف وفى وسطه سكين ومعه جماعة على هيئته وهو يطلبك». فأخذت السيف فى يدى وخرجت لأنظر من هؤلاء وإذا بهم كما قال الغلام، فقلت لهم: «ما شأنكم؟» فقالوا: «إننا لصوص وغنمنا فى هذه الليلة غنيمة عظيمة وجعلناها برسمك لتستعين بها على هذه القضية التى أنت مهموم بسببها وتسد بها الدين الذى عليك».

فقلت لهم: «وأين الغنيمة؟» فأحضروا لى صندوقًا ممتلئًا أوانى من ذهب وفضة، فلما رأيته فرحت وقلت فى نفسى: أسد الدين الذى على من هذا ويبقى لى قدر الدين مرة أخرى، فأخذته ودخلت الدار وقلت فى نفسى: «ليس من المروءة أن أدعهم يذهبون من غير شىء ، فأخذت المائة ألف الدينار التى كانت عندى ودفعتها إليهم وشكرت صنعهم، فأخذوا الدنانير ومضوا تحت الليل فى حال سبيلهم ولم يعلم بهم أحد. فلما أصبح الصباح رأيت ما فى الصندوق نحاسًا مطليًا بالذهب والقصدير يساوى كله خمسمائة درهم، فعظم على ذلك وضاعت الدنانير التى كانت معى وازددت غمًا على غمى، وهذا أعجب ما جرى لى فى زمن ولايتى».

فقام والى مصر القديمة وقال: «يا مولانا السلطان وأما أنا فأعجب ما جرى لى فى مدة ولايتى أنى شنقت عشرة لصوص وجعلت كل واحد على خشبة وحده وأوصيت الحراسين

أنهم يحفظونهم ولا يتركون الناس يأخذون واحدًا منهم.

فلما كان الغد جئت لأنظرهم فنظرت مشنوقين على خشبة واحدة، فقلت للحراسين: «من فعل هذا وأين الخشبة التى عليها المشنوق الثانى؟» فأنكروا ذلك، فأردت أن أضربهم، فقالوا: «اعلم أيها الأمير أننا نمنا البارحة فلما انتبهنا وجدنا مشنوقًا واحدًا سرق هو والخشبة التى كان عليها فخفنا منك، وإذا برجل فلاح مسافر قد أقبل علينا ومعه حمار فقبضنا عليه وقتلناه وشنقناه مكان الذى سرق على هذه الخشبة»، فتعجبت من ذلك وقلت لهم: «وما كان مع الفلاح؟» فقالوا: «كان معه خرج على الحمار». قلت لهم: «وما فيه؟» قالوا: «لا ندرى». فقلت لهم: «على به».

فلما أحضروه بين يدى أمرت بفتحه وإذا فيه رجل مقتول مقطع، فلما رأيته تعجبت من ذلك وقلت فى نفسى: «سبحان الله ما كان سبب شنق هذا الفلاح إلا ذنب هذا المقتول وما ربك بظلام للعبيد». وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية اللص مع الصيرفى

قالت شهر زاد: حكى أن رجلاً من الصيارفة كان معه كيس ملآن ذهبًا وقد مر على اللصوص، فقال واحد من الشطار: «أنا أقدر على أخذ الكيس». فقالوا له: «كيف تصنع؟» فقال: «انظروا». ثم تبعه إلى منزله، فدخل الصيرفى ورمى الكيس على الصفة وكان مزمعًا على الصلاة فقال للجارية: «هاتى أبريق ماء». فأخذت الجارية الأبريق وتبعته وتركت الباب مفتوحًا فدخل اللص وأخذ الكيس وذهب إلى أصحابه وأعلمهم بما جرى له مع الصيرفى والجارية، فقالوا له: «والله إن الذى عملته شطارة وما كان إنسان يقدر عليه ولكن فى هذا الوقت يرجع الصيرفى لا يجد الكيس فيضرب الجارية ويعذبها عذابًا أليمًا فكأنك ما عملت شيئًا تشكر عليه، فإن كنت شاطرًا فخلص الجارية من الضرب والعذاب»، فقال لهم: «إن شاء الله تعالى أخلص الجارية والكيس».

ثم إن اللص رجع إلى دار الصيرفى فوجده يعاقب الجارية لأجل الكيس، فدق عليه الباب. فقال: «من هذا؟» فقال: «أنا غلام جارك الذى فى القيسرية». فخرج إليه وقال له: «ما شأنك؟» فقال: «إن سيدي يسلم عليك ويقول لك: قد تغيرت أحوالك كلها كيف ترمى بمثل هذا الكيس على باب الدكان وتروح وتخليه، ولو لقيه أحد غريب كان أخذه وراح، ولولا أن سيدى رآه وحفظه لكان ضاع عليك»، ثم أخرج الكيس وأراه إياه، فلما رآه الصيرفى قال: «هذا كيسى بعينه»، ومد يده ليأخذه منه، فقال له: «والله ما أعطيك إياه حتى تكتب ورقة لسيدى أنك تسلمت الكيس منى فإنى أخاف أن لا يصدقنى فى أنك أخذت الكيس وتسلمته حتى تكتب لى ورقة له وتختمها»، فدخل الصيرفى ليكتب له ورقة بوصول الكيس كما ذكر، فذهب اللص بالكيس إلى حال سبيله وخلصت الجارية من العذاب .

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الرجل المحتال

قالت شهر زاد: حكى أن علاء الدين والى قوص كان جالسًا ذات ليلة من الليالى فى بيته، وإذا بشخص حسن الصورة والمنظر كامل الهيئة قد أتاه فى الليل ومعه صندوق على رأس

خادم ووقف على الباب وقال لبعض غلمان الأمير: «ادخل وأعلم الأمير أني أريد الاجتماع به من أجل سر». فدخل الغلام وأعلمه بذلك. فأمره بإدخاله، فلما دخل رآه الأمير عظيم الهيئة حسن الصورة فأجلسه إلى جانبه وأكرم مثواه وقال له: «ما حاجتك» فقال له: «أنا رجل من قطاع الطريق وأريد التوبة والرجوع إلى الله تعالى على يديك وأريد أن تساعدني على ذلك لأني صرت في طرفك وتحت نظرك، ومعي هذا الصندوق فيه شيء قيمته نحو أربعين ألف دينار، فأنت أولى بها وأعطني من خالص مالك ألف دينار حلالاً أجعلها رأس مالي وأستعين بها على التوبة وأستغني بها عن الحرام، وأجرك على الله تعالى»، ثم إنه فتح الصندوق ليرى الوالي ما فيه، وإذا به مصاغ وجواهر ومعادن وفصوص ولؤلؤ، فأدهشه ذلك وفرح به فرحًا شديدًا وصاح على خازنداره وقال له: «أحضر الكيس الفلاني»، وكان فيه ألف دينار.

فلما أحضر الخازندار ذلك الكيس أعطاه لذلك الرجل، فأخذه منه وشكره على فعله ومضى إلى حال سبيله تحت الليل، فلما أصبح الصباح أحضر الوالي قيم الصاغة، فلما حضر أراه ذلك الصندوق وما فيه من المصاغ، فوجد جميع ذلك من القصدير والنحاس، ورأى الجواهر والفصوص واللؤلؤ كلها من الزجاج، فعظم ذلك على الوالي وأرسل في طلبه فلم يقدر أحد على تحصيله. وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية إبراهيم بن المهدي مع التاجر

قالت شهر زاد: يحكى أن المأمون قال لإبراهيم بن المهدي: «حدثنا بأعجب ما رأيت». قال: «سمعًا وطاعة يا أمير المؤمنين. اعلم أني خرجت يومًا للنزهة فانتهى بي المشي إلى موضع فشممت به رائحة الطعام فاشتاقت نفسي إليه ووقفت يا أمير المؤمنين متحيرًا لا أقدر على المضي ولا على دخول ذلك الموضع، وإذا بغناء ما سمعت أحسن منه طرق أذني فطار عقلي عند سماعه ونسيت رائحة الطعام بذلك الغناء وأخذت في الحيلة على الوصول إلى ذلك الموضع، وإذا بخياط قريب من ذلك الموضع فتقدمت إليه وسلمت عليه. فرد على السلام، فقلت: «لمن هذه الدار؟» فقال: «لرجل من التجار». فقلت له: «ما اسمه؟» قال: «اسمه فلان ابن فلان وهو لا ينادم إلا التجار».

فبينما نحن في الكلام إذ أقبل رجلان نبيلان ذكيان راكبان، فأعلمني أنهما أخص الناس بصحبته وأخبرني باسمهما، فحركت دابتي حتى لقيتهما وقلت لهما: «جعلت فداءكما قد استبطأكما أبو فلان». وسايرتهما حتى وصلنا إلى الباب، فدخلت ودخل الرجلان، فلما رآني صاحب الدار لم يشك في أنني صاحبهما فرحب بي وأجلسني في أرفع المواضع، ثم جاءوه بالمائدة، فقلت في نفسي: قد من الله علي ببلوغ الغرض من هذه الأطعمة، ثم انتقلنا إلى المنادمة في موضع آخر فرأيته محفوفًا باللطائف، وجعل صاحب المنزل يتلطف بي ويقبل على بالحديث لظنه أني ضيف لأضيافه وهم كذلك يلاطفونني غاية الملاطفة لظنهم أنني صاحب رب المنزل، ولم يزل جميعهم في ملاطفتي حتى شربنا أقداحًا. ثم خرجت علينا جارية كأنها غصن بان، فأخذت العود وأطربت بالنغمات، وأنشدت بعض الأبيات:

أليس عجيبًا أن بيتًا يضمنا ... وإياك لا تدنو ولا تتكلم

فهيجت بلابلي يا أمير المؤمنين وأخذني الطرب، فحسدتها على حسن صنعتها وقلت:

«بقى عليك شىء يا جارية». فرمت العود من يدها غضبًا وقالت: «متى كنتم تحضرون السفهاء فى مجالسكم؟» فندمت على ما كان منى ورأيت القوم قد أنكروا على ذلك فقلت: قد فاتنى جميع ما أملت، ولم أر حيلة لدفع اللوم عنى إلا أننى طلبت عودًا وقلت: «أنا أبين ما فاتها من الطريقة التى ضربت بها». فقال القوم: «سمعًا وطاعة». فأحضروا لى عودًا فأصلحت منه الأوتار وغنيت شيئًا من الأشعار.

فوثبت الجارية وانكبت على رجلىَّ تقبلهما وقالت: «المعذرة إليك يا سيدى والله ما علمت بمكانك ولا سمعت بمثل هذه الصناعة». ثم أخذ القوم فى إكرامى وتبجيلى بعد ما طربوا غاية الطرب وسألنى كل منهم الغناء، فغنيت نوبة مطربة فصار القوم سكارى وذهبت عقولهم فحملوا إلى منازلهم وبقى صاحب المنزل هو والجارية، فشرب معى أقداحًا ثم قال: «يا سيدى ذهب عمرى مجانًا حيث لم أعرف مثلك قبل ذلك، فبالله يا سيدى من أنت حتى أعرف نديمى الذى منَّ الله علىَّ به فى هذه الليلة؟» فأخذت أورى ولم أصرح باسمى وهو يقسم علىَّ فأعلمته.

فلما عرف اسمى وثب قائمًا على قدميه وقال: «عجبت أن يكون هذا الفضل إلا لمثلك ولقد أهدى الزمان إلىَّ يدًا لا أقوم بشكرها ولعل هذا منام، وإلا فمتى طمعت أن تزورنى الخلافة فى منزلى وتنادمنى ليلتى هذه؟» فأقسمت عليه أن يجلس، فجلس وأخذ يسألنى عن السبب فى حضورى إليه بألطف معنى، فأخبرته القصة من أولها إلى آخرها وما سترت منها شيئًا وقلت: «أما الطعام فقد نلت منه بغيتى، وأما الغناء فلم أنل مرادى منه».

فقال: «تنال مرادك إن شاء الله». ثم قال: «يا فلانة قولى لفلانة تنزل» ثم جعل يستدعى جواريه واحدة بعد واحدة ويعرض الجميع على وأنا لا أرى صاحبة الغناء إلى أن قال: «والله يا سيدى ما بقى إلا أمى وأختى ولكن والله لا بد من إنزالهما وعرضهما عليك حتى تراهما». فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت: «جُعلت فداءك فابدأ بالأخت»، قال: «حبا وكرامة».

ثم نزلت أخته فإذا هى صاحبة الغناء الذى سمعته، فقلت: «جعلت فداءك هذه الجارية هى التى سمعتها». فأمر الغلمان أن يحضروا الشهود فى الوقت والساعة فأحضروا الشهود، ثم أحضر بدرتين من الذهب وقال للشهود: «هذا مولانا سيدى إبراهيم بن المهدى عم أمير المؤمنين يخطب أختى فلانة وأشهدكم أنى قد زوجتها له وقد أمهرها ببدرة». ثم قال: «زوجتك أختى فلانة على المهر المسمى». فقلت: «قبلت ذلك ورضيته». ثم دفع إحدى البدرتين إلى أخته والأخرى إلى الشهود، ثم قال: «يا مولانا أريد أن أمهد لك بعض البيوت»، فأحشمنى ما رأيت من كرمه فقلت له: «جهزها إلى منزلى»، فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حمل إلى من الجهاز ما ضاقت عنه بيوتنا مع سعتها، ثم رزقنى الله منها هذا الغلام القائم بين يديك» فتعجب المأمون من كرم هذا الرجل وقال: «لله دره ما سمعت قط بمثله». وأمر إبراهيم بن المهدى بإحضار الرجل ليشاهده، فأحضره بين يديه واستنطقه فأعجبه ظرفه وأدبه فصيره من جملة خواصه و الله هو المعطى الوهاب.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية المرأة المتصدقة وقطع يدها

قالت شهر زاد: يُحكى أن ملكًا من الملوك قال لأهل مملكته: «لئن تصدق أحد منكم

بشىء لأقطعن يده»، فأمسكت الناس جميعًا عن الصدقة ولم يقدر أحد أن يتصدق على أحد.

فاتفق أن سائلاً جاء إلى امرأة يومًا من الأيام وقد أضرَّ به الجوع وقال لها: «تصدقى على بشىء». فقالت: «كيف أتصدق عليك والملك يقطع يد كل من تصدق؟» فقال: «أسألك بالله تعالى أن تتصدقى علىّ» فلما سألها بالله رقت له وتصدقت عليه برغيفين، فوصل الخبر إلى الملك فأمر بإحضارها، فلما حضرت قطع يديها وتوجهت إلى دارها، ثم إن الملك بعد حين قال لأمه: «إنى أريد الزواج فزوجينى امرأة جميلة». قالت: «إن فى جوارنا امرأة لم يوجد أحسن منها ولكن بها عيب شديد». قال: «وما هو؟» قالت: «مقطوعة اليدين». قال: «أريد أن انظرها». فأتت بها إليه، وكانت تلك المرأة هى التى تصدقت على السائل برغيفين وقطع يدها من أجل ذلك».

فلما تزوج بها حسدها ضرائرها وكتبن إلى الملك يخبرنه عنها بأنها فاجرة، فكتب الملك إلى أمه كتابًا وأمرها فيه أن تخرج بها إلى الصحراء وتتركها هناك ثم ترجع، ففعلت أمه ذلك وخرجت بها إلى الصحراء ثم رجعت، فصارت المرأة تبكى على ما جرى لها وتنتحب انتحابًا شديدًا ما عليه من مزيد. فبينما هى تمشى والولد على عنقها إذ مرت على نهر فبركت لتشرب من شدة العطش الذى لحقها من مشيها وتعبها وحزنها، فعندما طاطأت سقط الولد فى الماء، فجلست تبكى على ولدها بكاءً شديدًا.

فبينما هى تبكى إذ مر عليها رجلان فقالا لها: «ما يبكيك؟» قالت لهما: «كان لى ولد على عنقى فسقط فى الماء». فقالا لها: «أتحبين أن نخرجه لك؟» قالت: «نعم». فدعوا الله تعالى فخرج الولد إليها سالمًا لم يصبه شىء، ثم قالا لها: «أتحبين أن يرد الله يديك كما كانتا؟» قالت: «نعم» فدعوا الله سبحانه وتعالى فرجعت يداها أحسن مما كانتا عليه، ثم قالا: «أتدرين من نحن؟» قالت: «الله أعلم». قالا: «نحن رغيفاك اللذان تصدقت بهما على السائل وكانت الصدقة سببًا لقطع يديك فاحمدى الله تعالى الذى رد عليك يديك وولدك»، فحمدت الله تعالى وأثنت عليه.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية العابد واللؤلؤة

قالت شهر زاد: حُكى أنه كان فى بنى إسرائيل رجل عابد له عيال يغزلون القطن، فكان كل يوم يبيع الغزل ويشترى به قطنًا وما خرج من الكسب يشترى به طعامًا لعياله، فخرج ذات يوم وباع الغزل فلقيه أخ له فشكا إليه الحاجة، فدفع له ثمن الغزل ورجع إلى عياله من غير قطن ولا طعام، فقالوا له: «أين القطن والطعام؟» فقال لهم: «استقبلنى فلان فشكا إلىَّ الحاجة فدفعت إليه ثمن الغزل». قالوا: «وكيف نصنع وليس عندنا شىء نبيعه؟» وكان عندهم قصعة مكسورة وجرة فذهب بهما إلى السوق فلم يشترهما أحد منه.

فبينما هو فى السوق إذ مر به رجل ومعه سمكة منتنة منفوخة لم يشترها أحد منه، فقال له صاحب السمكة: «أتبيعنى كاسدك بكاسدى؟»قال: «نعم». فدفع له القصعة والجرة وأخذ السمكة وجاء بها إلى عياله. فقالوا: «ما نفعل بهذه السمكة؟» قال: «نشويها ونأكلها إلى

أن يشاء الله تعالى لنا برزقنا». فأخذوها وشقوا بطنها فوجدوا فيها حبة لؤلؤ، فأخبروا بها الشيخ، فقال: «انظروا إن كانت مثقوبة فهى لبعض الناس وإن كانت غير مثقوبة فإنها رزق رزقكم الله تعالى به». فنظروا فإذا هى مثقوبة.

فلما أصبح الصباح غدا بها إلى بعض إخوانه من أصحاب المعرفة بذلك، فقال: «يا فلان من أين لك هذه اللؤلؤة؟» قال: «رزقٌ رزقنا الله تعالى به» قال: «إنها تساوى ألف درهم وأنا أعطى لك ذلك ولكن اذهب بها إلى فلان فإنه أكثر منى مالاً ومعرفة». فذهب بها إليه، فقال: «إنها تساوى سبعين ألف درهم لا أكثر من ذلك». ثم دفع له سبعين ألف درهم ودعا بالحمالين فحملوا له المال حتى وصل إلى باب منزله فجاءه سائل وقال له: «أعطنى مما أعطاك الله تعالى»، فقال للسائل: «قد كنا بالأمس مثلك فخذ نصف هذا المال». فلما قسم المال شطرين وأخذ كل واحد شطره قال له السائل: «أمسك عليك مالك وخذه بارك الله لك فيه وإنما أنا رسول ربك بعثنى إليك لأختبرك». فقال: «لله الحمد والمنة»، وما زال فى أرغد عيش إلى الممات».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية أبى حسان الزيادى والوديعة

قالت شهر زاد: يحكى أن أبا حسان الزيادى قال: ضاق على الحال فى بعض الأيام ضيقًا شديدًا حتى أنه قد ألح على البقال والخباز وسائر المعاملين فاشتد على الكرب ولم أجد لى حيلة، فبينما أنا على تلك الحالة لا أدرى كيف أصنع إذ دخل علىَّ غلام لى فقال: «إن بالباب رجلاً يطلب الدخول عليك». فقلت: «ائذن له». فدخل فإذا هو رجل خراسانى، فسلم على فرددت عليه السلام، ثم قال لى: «هل أنت أبو حسان الزيادى؟» قلت: «نعم، وما حاجتك؟» قال: «إنى رجل غريب وأريد الحج ومعى جملة من المال وانه قد أثقلنى حمله وأريد أن أودع عندك هذه العشرة الآلاف الدرهم إلى أن أقضى حجى وأرجع، فإن رجع الركب ولم ترنى فاعلم أننى قد متُّ فالمال هبة منى إليك. وإن رجعت فهى لى». فقلت له: «لك ذلك إن شاء الله تعالى». فأخرج جرابًا فقلت للغلام ائتنى بميزان فأتى بميزان، فوزنها وسلمها إلى وذهب إلى حاله سبيله.

فأحضرت المعاملين وقضيت دينى وأنفقت واتسعت وقلت فى نفسى: «إلى أن يرجع يفتح الله علينا بشىء من عنده». فلما كان بعد يوم دخل الغلام علىّ وقال لى: «إن صاحبك الخراسانى بالباب». فقلت: «ائذن له». فدخل ثم قال: «إنى كنت عازمًا على الحج فجاءنى خبر بوفاة والدى وقد عزمت على الرجوع فأعطنى المال الذى أودعتك إياه بالأمس». فلما سمعت هذا الكلام حصل لى هم عظيم لم يحصل لأحد مثله قط. وتحيرت فلم أرد جوابًا، فإن جحدته استحلفنى وكانت الفضيحة فى الآخرة، وإن أخبرته بالتصرف فيه صاح وهتكنى، فقلت له: «عافاك الله إن منزلى هذا ليس بحصين ولا حرز لذلك المال، وإنى لما أخذت جرابك أرسلته إلى من هو عنده الآن، فعد إلينا فى الغد لتأخذه إن شاء الله تعالى». فانصرف عنى وبت متحيرًا من أجل رجوع الخراسانى إلى فلم يأخذنى نوم فى تلك الليلة ولم أقدر على غمض عينى فقمت للغلام وقلت له: «أسرج لى البغلة». فقال «يا مولاى إن هذا الوقت عتمة ولم يمض من الليل شىء»، فرجعت إلى فراشى فإذا النوم ممتنع، فلم أزل أوقظ الغلام وهو

يردنى حتى طلع الفجر، فأسرج لى البغلة، فركبت وأنا لا أدرى أين أذهب، فطرحت عنان البغلة على عاتقها وصرت مشغولاً بالفكر والهموم وهى تسير إلى الجانب الشرقى من بغداد.

فبينما أنا سائر وإذا أنا بقوم قد رأيتهم فانحرفت عنهم وعدلت عن طريقهم إلى طريق أخرى فتبعونى، فلما رأونى بطيلسان تبادروا إلى وقالوا لى: «أتعرف منزل أبى حسان الزيادى؟» فقلت له «هو أنا». قالوا: «أجب أمير المؤمنين»، فسرت معهم حتى دخلت على المأمون فقال لى: «من أنت؟» قلت: «رجل من أصحاب القاضى أبى يوسف من الفقهاء وأصحاب الحديث». فقال: «بأى شىء تُكنى؟» قلت: «بأبى حسان الزيادى». قال: «اشرح لى قصتك»، فشرحت له خبرى، فبكى بكاءً شديدًا وقال: «ويحك ما تركنى رسول الله ﷺ أنا فى هذه الليلة بسببك، فإنى لما نمت أول الليل قال لى: أغث أبا حسان الزيادى، فانتبهت ولم أعرفك، ثم نمت فأتانى وقال لى: ويحك أغث أبا حسان الزيادى، فانتبهت ولم أعرفك، ثم نمت فأتانى وقال لى: ويحك أغث أبا حسان الزيادى، فما تجاسرت على النوم بعد ذلك وسهرت الليل كله وقد أيقظت الناس وأرسلتهم فى طلبك من كل جانب». ثم أعطانى عشرة آلاف درهم وقال: «هذه للخراسانى». ثم أعطانى عشرة آلاف درهم وقال: «اتسع بهذه وأصلح بها أمرك»، ثم أعطانى ثلاثين ألف درهم وقال: جهز نفسك بهذه وإذا كان الموكب فأتنى حتى أقلدك عملاً»، فخرجت والمال معى فجئت إلى منزلى فصليت فيه الغداة، وإذا بالخراسانى قد حضر، فأدخلته البيت وأخرجت له بدرة وقلت له: «هذا مالك». قال: «ليس هذا عين مالى»، فقلت: «نعم». فقال: «ما سبب هذا؟» فقصصت عليه القصة. فبكى وقال: «والله لو صدقتنى من أول الأمر ما طالبتك وأنا الآن والله لا أقبل شيئًا من هذا المال وأنت فى حل منه»، وانصرف من عندى.

ثم أصلحت أمرى وذهبت فى يوم الموكب إلى باب المأمون فدخلت عليه وهو جالس فلما مثلت بين يديه استدنانى وأخرج لى عهدًا من تحت مصلاه وقال: «هذا عهد بقضاء المدينة الشريفة من الجانب الغربى من باب السلام إلى ما لا نهاية له، وقد أجريت لك كذا وكذا فى كل شهر، فاتق الله عز وجل وحافظ على عناية رسول الله ﷺ بك». فتعجب الناس من كلامه وسألونى عن معناه، فأخبرتهم بالقصة من أولها إلى آخرها فشاع الخبر بين الناس»، وما زال أبو حسان قاضيًا فى المدينة الشريفة إلى أن مات فى أيام المأمون. رحمة الله عليه وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية رجل غنى جار عليه الزمان

قالت شهر زاد: حُكى أن رجلاً كان ذا مال كثير ففقده وصار لا يملك شيئًا، فأشارت عليه زوجته أن يقصد بعض أصدقائه فيما يصلح به حاله، فقصد صديقًا له وذكر له ضرورته له، فأقرضه خمسمائة دينار على أنه يتجر فيها وكان فى ابتداء حاله جوهريا، فأخذ الذهب ومضى إلى سوق الجواهر وفتح دكانه ليشترى ويبيع. فلما قعد فى الدكان أتاه ثلاثة رجال وسألوه عن والده، فذكر لهم وفاته، فقالوا له: «هل خلف أحدًا من الذرية؟» قال: «خلف العبد الذى بين أيديكم». قالوا: «ومن يعرف أنك ولده؟» قال: «أهل السوق». فقالوا له: «اجمعهم لنا حتى يشهدوا أنك ولده». فجمعهم وشهدوا بذلك، فأخرج الرجال الثلاثة خرجا فيه مقدار

ثلاثين ألف دينار وفيه جواهر ومعادن ثمينة وقالوا: «هذا كان عندنا أمانة لأبيك». ثم انصرفوا، فأتته امرأة وطلبت منه شيئًا من ذلك الجوهر يساوى خمسمائة دينار فاشترته منه بثلاثة آلاف دينار فباعه لها، ثم قام وأخذ الخمسمائة دينار التى اقترضها من صديقه وحملها إليه وقال له: «خذ الخمسمائة الدينار التى اقترضتها منك فقد فتح الله على ويسر لى». فقال له صديقه: إني أعطيتك إياها وخرجت عنها فخذها وخذ هذه الورقة ولا تقرأها إلا وأنت فى دارك واعمل بما فيها. فأخذ المال والورقة وذهب إلى بيته، فلما فتحها وجد مكتوبًا فيها هذه الأبيات:

إن الرجال الأولى جاءوك من نسبى ... أبى وعمى وخالى صالح بن على
كذا ما بعته نقدًا لوالدتى ... والمال والجوهر المبعوث من قبلى
وما أردت بهذا منك منقصة ... لكن لأكفيك منى ورثة الخجل

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية الرجل والكنز

قالت شهر زاد: يحكى أن رجلاً من بغداد كان صاحب نعمة ومال كثير، فنفد ماله وتغير حاله وصار لا يملك شيئًا ولا ينال قوته إلا بجهد جهيد، فنام ذات ليلة وهو مغمور مقهور فرأى فى منامه قائلاً يقول له: إن رزقك بمصر فاتبعه وتوجه إليه، فسافر إلى مصر.

فلما وصل إلى مصر أدركه المساء فنام فى مسجد،وكان بجوار المسجد بيت، فقدر الله تعالى أن جماعة من اللصوص دخلوا المسجد وتوصلوا منه إلى ذلك البيت، فانتبه أهل البيت على حركة اللصوص وقاموا بالصياح فأغاثهم الوالى بأتباعه فهربت اللصوص، ودخل الوالى المسجد فوجد الرجل البغدادى قائمًا فى المسجد فقبض عليه وضربه ضربًا مؤلمًا حتى أشرف على الهلاك وسجنه، فمكث ثلاثة أيام فى السجن، ثم أحضره الوالى وقال له: «من أى البلاد أنت؟» قال: «من بغداد». قال له: «وما حاجتك التى هى سبب فى مجيئك إلى مصر؟» قال: «إنى رأيت فى منامى قائلا يقول لى: إن رزقك بمصر فتوجه إليه. فلما جئت إلى مصر وجدت الرزق الذى أخبرنى به تلك المقارع التى نلتها منك». فضحك الوالى حتى بدت نواجزه وقال له: «يا قليل العقل أنت رأيت ثلاث مرات فى منامى قائلا يقول لى: إن بيتًا فى بغداد بخط كذا ووصفه كذا، بحوشه جنينة تحتها فسقية بها مال له جرم عظيم فتوجه إليه وخذه، فلم أتوجه، وأنت من قلة عقلك سافرت من بلدة إلى بلدة من أجل رؤيا رأيتها وهى أضغاث أحلام؟» ثم أعطاه دراهم وقال له استعن بها على عودك إلى بلدك. فأخذها وعاد إلى بغداد، وكان البيت الذى وصفه الوالى ببغداد هو بيت ذلك الرجل، فلما وصل إلى منزله حفر تحت الفسقية فرأى مالاً كثيرًا ووسع الله عليه رزقه، وهذا اتفاق عجيب.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية أمير المؤمنين مع الجارية محبوبة

قالت شهر زاد: حُكى أنه كان فى قصر أمير المؤمنين المتوكل على الله أربعة آلاف سرية، مائتان روميات ومائتان مولدات وحبش، وقد أهدى عبيد بن طاهر إلى المتوكل أربعمائة جارية مائتان بيض ومائتان حبش ومولدات، وكان من جملة تلك الجوارى جارية من مولدات البصرة يقال لها محبوبة، وكانت فائقة فى الحسن والجمال، والظرف والدلال، وكانت تضرب بالعود وتحسن الغناء، وتنظم الشعر وتكتب خطا جيدًا ففضلها المتوكل على غيرها.

فلما رأت ميله إليها تكبرت عليه وبطرت النعمة، فغضب عليها غضبًا شديدًا وهجرها ومنع أهل القصر من كلامها، فمكثت على ذلك أيامًا وكان المتوكل له ميل إليها، فأصبح ذات يوم وقال لجلسائه: «إني رأيت هذه الليلة فى منامى كأنى صالحت محبوبة»، فقالوا له: «نرجو من الله تعالى أن يكون ذلك يقظة». فبينما هو فى الكلام وإذا بخادمته قد أقبلت وأسرت إلى المتوكل حديثًا، فقام من المجلس ودخل دار الحريم وكان الذى أسرته إليه أنها قالت: «سمعنا من حجرة محبوبة غناءً وضربًا بالعود وما ندرى سبب ذلك». فلما وصل إلى حجرتها سمعها تغنى على العود وتنشد هذه الأبيات:

أدور فى القصر لا أرى أحدًا ... أشكو إليه ولا يكلمنى
حتى كأنى ارتكبت معصية ... ليس لها توبة تخلصنى
فهل لنا شافعٌ إلى ملك ... قد زارنى فى الكرى وصالحنى
حتى إذا ما الصباح لاح لنا ... عاد إلى هجره وقاطعنى

فلما سمع المتوكل كلامها تعجب من هذه الأبيات ومن هذا الاتفاق الغريب حيث رأت محبوبة مناما موافقًا لمنامه، فدخل عليها فى الحجرة، فلما دخل حجرتها وأحست به بادرت بالقيام إليه وانكبت على أقدامه وقبلتها وقالت: «والله يا سيدى فقد رأيت هذه الواقعة فى منامى ليلة البارحة، فلما انتبهت من النوم نظمت هذه الأبيات»، فقال لها المتوكل: «والله إنى رأيت فى المنام مثل ذلك». ثم إنهما اصطلحا، ولما مات المتوكل سلاه جميع من كان له من الجوارى إلا محبوبة فإنها لم تزل حزينة عليه حتى ماتت ودفنت بجانبه، رحمة الله عليهم أجمعين.وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية وردان الجزار مع المرأة والدب

قالت شهرزاد: حكى أنه كان فى زمان الحاكم بأمر الله رجل بمصر يسمى وردان، وكان جزارًا فى اللحم الضانى، وكانت امرأة تأتيه كل يوم بدينار يقارب وزنه وزن دينارين ونصف من الدنانير المصرية وتقول له: «أعطنى خروفًا». وتحضر معها حمالاً بقفص، فيأخذ منها الدينار ويعطيها خروفًا فتحمله الحمال وتأخذه وتروح به إلى مكانها، وفى ثانى يوم تأتى.

وكان ذلك الجزار يكتسب منها كل يوم دينارًا، وأقامت مدة طويلة على ذلك، فتفكر وردان الجزار ذات يوم فى أمرها وقال فى نفسه: «هذه المرأة كل يوم تشترى منى بدينار ولم تغلط يومًا واحدًا وتشترى منى بدرهم فهذا أمر عجيب، ثم إن وردان سأل الحمال فى غيبة المرأة فقال له: «إلى أين تروح كل يوم مع هذه المرأة؟» فقال له: «أنا فى غاية العجب منها فإنها كل يوم تحملنى الخروف من عندك وتشترى حوائج الطعام والفاكهة والشمع والنقل بدينار آخر

وتأخذ من شخص نصرانى مروقتين نبيذاً وتعطيه ديناراً وتحملنى الجميع وأسير معها إلى بساتين الوزير، ثم تعصب عيني بحيث أن لا أنظر موضعًا من الأرض أحط فيه قدمى وتأخذ بيدى فما أعرف أين تذهب بى ثم تقول: حط هنا. وعندها قفص آخر فتعطينى الفارغ، ثم تمسك يدى وتعود بى إلى الموضع الذى شدت عينى فيه بالعصابة فتحلها وتعطينى عشرة دراهم». فقال له الجزار: «الله يكون فى عونها». ولكنه ازداد فكرًا فى أمرها وكثرت عنده الوساوس وبات فى قلق عظيم.

قال وردان الجزار: «فلما أصبحت أتتنى على العادة وأعطتنى الدينار وأخذت الخروف وحملته الحمال وراحت، فأوصيت صبيًا على الدكان وتبعتها بحيث لا ترانى، ولم أزل أعاينها إلى أن خرجت من مصر وأنا أتوارى خلفها حتى وصلت إلى بساتين الوزير، فاختفيت حتى عصبت عينى الحمال وتبعتها من مكان إلى مكان إلى أن أتت الجبل، فوصلت إلى مكان فيه حجر كبير وحطت القفص عن الحمال.

فصبرت إلى أن عادت بالحمال ورجعت وغابت ساعة، فأتيت إلى ذلك الحجر فزحزحته ودخلت فوجدت خلفه طابقًا من نحاس مفتوحًا ودرجًا نازلة، فنزلت فى تلك الدرج قليلاً قليلاً حتى وصلت إلى دهليز طويل كثير النور، فمشيت فيه حتى رأيت هيئة باب قاعة فارتكنت فى زوايا الباب فوجدت صفة صغيرة بها طاقة تشرف على قاعة فنظرت فى القاعة فوجدت المرأة قد أخذت الخروف وقطعت منه مطايبه وعملته فى قدر ورمت الباقى إلى دب كبير عظيم الخلقة فأكله عن آخره وهى تطبخ.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما فرغت أكلت كفايتها وصفت الفاكهة والنقل وحطت النبيذ وصارت تشرب بقدح وتسقى الدب بطاسة من ذهب حتى حصل لها نشوة ووقع الدب كالميت من السكر وصار لا يتحرك، فقلت فى نفسى: هذا وقت انتهاز الفرصة، فنزلت ومعى سكين تبرى العظم قبل اللحم، فلما صرت عندهما وجدتهما لا يتحرك فيهما عرق لما حصل لهما من السكر فجعلت السكين فى منحر الدب واتكأت عليه حتى ذبحته وعزلت رأسه عن بدنه فصار له شخير عظيم مثل الرعد، فانتبهت المرأة مرعوبة، فلما رأت الدب مذبوحًا وأنا واقف والسكين فى يدى زعقت زعقة عظيمة حتى ظننت أن روحها قد خرجت وقالت لى: «يا وردان أيكون هذا جزاء الإحسان؟» فقلت لها: «يا عدوة نفسها هل لا تجدين أنيسًا بين الناس حتى تشربى مع حيوان؟» فأطرقت برأسها إلى الأرض لا ترد جوابًا. ثم إن المرأة تأملت الدب وقد نزعت رأسه عن جثته، ثم قالت: «يا وردان أى شىء أحب إليك، أن تسمع الذى أقوله لك ويكون سببًا لسلامتك وغناك إلى آخر الدهر أو تخالفنى ويكون سببًا لهلاكك؟» قلت: «أختار أن أسمع كلامك فحدثينى بما شئت». فقالت: «اذبحنى كما ذبحت هذا الدب وخذ من هذا الكنز حاجتك وتوجه إلى حال سبيلك». فقلت لها: «أنا خير من هذا الدب فارجعى إلى الله تعالى وتوبى عن المسكرات وأتزوج بك ونعيش باقى عمرنا بهذا الكنز». قالت: «يا وردان إن هذا بعيد كيف أعيش بعده والله إن لم تذبحنى لأتلفن روحك، فلا تراجعنى تتلف، وهذا ما عندى من الرأى والسلام». فقلت: «أذبحك وتروحين إلى لعنة الله». ثم جذبتها من شعرها وذبحتها وراحت إلى لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: وبعد ذلك نظرت فى المحل فوجدت فيه من الذهب والفصوص واللؤلؤ ما لا يقدر على جمعه أحد من الملوك، فأخذت قفص الحمال وملأته على قدر ما أطيق، ثم سترته بقماشى الذى كان على وحملته وطلعت من الكنز وسرت، ولم أزل سائرًا إلى باب مصر وإذا بعشرة من جماعة الحاكم بأمر الله مقبلون والحاكم خلفهم، فقال لى: «يا وردان!» قلت: «لبيك أيها الملك». قال: «هل قتلت الدب والمرأة؟» قلت: «نعم». قال: «حط عن رأسك وطب نفسًا فجميع ما معك من المال لك لا ينازعك فيه أحد». فحطيت القفص بين يديه فكشفه ورآه وقال: «حدثنى بخبرهما وإن كنت أعرفه كأنى حاضر معكم». فحدثته بجميع ما جرى وهو يقول : «صدقت».

ثم إن الحاكم قال: «يا وردان قم سر بنا إلى الكنز». فتوجهت معه إليه فوجد الطابق مغلقًا، فقال: «ارفعه يا وردان فإن هذا الكنز لا يقدر أحد أن يفتحه غيرك فإنه مرصود باسمك وصفتك». فقلت: «والله لا أطيق فتحه». فقال: «تقدم أنت على بركة الله». فتقدمت إليه وسميت الله تعالى ومددت يدى إلى الطابق فارتفع كأنه أخف ما يكون، فقال الحاكم: «انزل وأطلع ما فيه فإنه لا ينزله إلا من هو باسمك وصورتك وصفاتك من حين وضع وقتل هذا الدب وهذه المرأة على يديك وهو عندى مؤرخ وكنت أنتظر وقوعه حتى وقع». فنزلت ونقلت له جميع ما فى الكنز، ثم دعا بالدواب وحمله وأعطانى قفصى بما فيه فأخذته وعدت به إلى بيتى وفتحت لى دكانًا فى السوق، وهذه السوق موجودة حتى الآن وتعرف بسوق وردان.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الملك مع الحكماء الثلاثة

قالت شهر زاد: حُكى أنه كان فى قديم الزمان ملك عظيم، ذو خطر جسيم، وكان له ثلاث بنات، مثل البدور السافرة، والرياض الزاهرة، وولد ذكر، كأنه القمر، فبينما الملك جالس على كرسى مملكته يومًا من الأيام، إذ دخل عليه ثلاثة من الحكماء مع أحدهم طاووس من ذهب، ومع الثانى بوق من نحاس، ومع الثالث فرس من عاج وأبنوس.

فقال لهم الملك: «ما هذه الأشياء وما منفعتها؟» فقال صاحب الطاووس: «إن منفعة هذا الطاووس أنه كلما مضت ساعة من ليل أو نهار يصفق بأجنحته ويزعق»، وقال صاحب البوق: «إنه إذا وضع هذا البوق على باب المدينة يكون كالمحافظ عليها فإذا دخل تلك المدينة عدو يزعق عليه هذا البوق فيعرف ويمسك باليد». وقال صاحب الفرس: «يا مولاى إن منفعة هذه الفرس أنه إذا ركبها إنسان فإنها توصله إلى أى بلاد أراد». فقال الملك: «لا أنعم عليكم حتى أجرب منافع هذه الصور».

ثم إن الملك جرب الطاووس فوجده كما قال صاحبه، وجرب البوق فوجده كما قال صاحبه، فقال الملك للحكيمين: «تمنيا علىَّ». فقالا: «نتمنى عليك أن تزوج كل واحد منا بنتًا من بناتك». فأنعم الملك عليهما ببنتين من بناته.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الفرس الأبنوس

قالت شهرزاد: ثم تقدم الحكيم الثالث صاحب الفرس وقبل الأرض بين يدى الملك وقال له: «يا ملك الزمان أنعم عليَّ كما أنعمت على أصحابى». فقال له الملك: «حتى أجرب ما أتيت به». فعند ذلك تقدم ابن الملك وقال: «يا والدى أنا أركب هذا الفرس وأجربها وأختبر منفعتها». فقال الملك: «يا ولدى جربها كما تحب». فقام ابن الملك وركب الفرس وحرك رجليه فلم تتحرك من مكانها، فقال : «يا حكيم أين الذى ادعيته من سرعة سيرها؟» فعند ذلك جاء الحكيم إلى ابن الملك وأراه لولب الصعود وقال له: «أفرك هذا اللولب». ففركه ابن الملك وإذا بالفرس قد تحركت وطارت بابن الملك إلى عنان السماء، ولم تزل طائرة به حتى غابت عن الأعين، فعند ذلك احتار ابن الملك فى أمره وندم على ركوبه الفرس، ثم قال: «إن الحكيم قد عمل حيلةً على هلاكى فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم». ثم إنه جعل يتأمل فى جميع أعضاء الفرس، فبينما هو يتأمل فيها إذ نظر إلى شيء مثل رأس الديك على كتف الفرس الأيمن وكذلك فى الأيسر، فقال ابن الملك: «ما أرى فيه أثرًا غير هذين الزرين». ففرك الزر الذى على الكتف الأيمن فازدادت به الفرس سيرا طالعة إلى الجو فتركه، ثم نظر ابن الملك إلى كتف الفرس الأيسر فرأى ذلك الزر ففركه، فتناقصت فى الحال حركة الفرس من الصعود إلى الهبوط، ولم تزل هابطة به إلى الأرض قليلاً قليلاً وهو محترس على نفسه.

فلما نظر ابن الملك ذلك وعرف منافع الفرس امتلأ قلبه فرحًا وسرورًا وشكر الله تعالى على ما أنعم عليه حيث أنقذه من الهلاك، ولم يزل هابطًا طول نهاره؛ لأنه كان فى حال صعوده بعدت عنه الأرض وجعل يدير وجه الفرس كما يريد وهى هابطة به وإذا شاء نزل بها وإذا شاء طلع بها، فلما تم له من الفرس ما يريد أقبل بها إلى جهة الأرض وصار ينظر إلى ما فيها من البلاد والمدن التى لا يعرفها لأنه لم يرها طول عمره، وكان من جملة ما رآه مدينة مبنية بأحسن البنيان وهى فى وسط أرض خضراء ذات أشجار وأنهار، فتفكر فى نفسه وقال: «ليت شعرى ما اسم هذه المدينة وفى أى الأقاليم هى؟». ثم جعل يطوف حول تلك المدينة ويتأملها يمينًا وشمالاً وكان النهار قد ولى ودنت الشمس للمغيب، فقال فى نفسه: «إنى لم أجد موضعًا للمبيت أحسن من هذه المدينة فأنا أبيت فيها فى هذه الليلة وعند الصباح أتوجه إلى أهلى ومحل ملكى وأعلم أهلى ووالدى بما جرى وأخبره بما نظرت عيناى»، وصار يفتش على موضع يأمن فيه على نفسه وعلى فرسه.

فبينما هو كذلك وإذا به قد نظر فى وسط المدينة قصرًا شاهقًا فى الهواء وقد أحاط بذلك القصر سور متسع بشرفات عاليات، فقال ابن الملك فى نفسه: «إن هذا الموضع مليح»، وجعل يحرك الزر الذى يهبط به الفرس، ولم يزل هابطًا به حتى نزل مستويًا على سطح القصر، ثم نزل من فوق الفرس وحمد الله تعالى وجعل يدور حول الفرس ويتأملها ويقول: «والله إن الذى عملك بهذه الصورة لحكيم ماهر فإن مد الله تعالى فى أجلى وردنى إلى بلادى وأهلى سالمًا وجمع بينى وبين والدى لأحسنن إلى هذا الحكيم كل الإحسان ولأنعمن عليه غاية الإنعام». ثم جلس فوق سطح القصر حتى علم أن الناس قد ناموا وكان قد أضر به الجوع

والعطش لأنه منذ فارق والده لم يأكل طعامًا، فقال فى نفسه: «إن مثل هذا القصر لا يخلو من الرزق»، فترك الفرس فى مكان ونزل يتمشى لينظر شيئًا يأكله فوجد سلمًا فنزل منها إلى أسفل فوجد ساحة مفروشة بالرخام فتعجب من ذلك المكان ومن حسن بنيانه ولكنه لم يجد فى ذلك القصر حس حسيس ولا أنس أنيس، فوقف متحيرًا وصار ينظر يمينًا وشمالاً وهو لا يعرف أين يتوجه، فقال فى نفسه: «ليس أحسن من أن أرجع إلى المكان الذى فيه فرسى وأبيت عندها فإذا أصبح الصباح ركبتها وسرت».

فبينما هو واقف يحدث نفسه بهذا الكلام إذ نظر إلى نور مقبل إلى ذلك المحل الذى هو فيه فتأمل ذلك النور فوجده مع جماعة من الجوارى وبينهن صبية بهية تحاكى بجمالها البدر الزاهر، كما قال فيها الشاعر:

«ناديت لما رأت عينى محاسنها … سبحان من خلق الإنسان من علق

أعيذها من عيون الناس كلهم … بقل أعوذ برب الناس والفلق»

وكانت تلك الصبية بنت ملك هذه المدينة وكان أبوها يحبها حبًا شديدا ومن محبته إياها بنى لها هذا القصر، فكانت كلما ضاق صدرها تجىء إليه هى وجواريها تقيم فيه يومًا أو يومين أو أكثر ثم تعود إلى سرايتها، فاتفق أنها قد أتت تلك الليلة من أجل الفرجة والانشراح وصارت ماشية بين الجوارى ومعها خادم مقلَّد بسيف، فلما دخلوا القصر فرشوا الفرش وأطلقوا مجامر البخور ولعبوا وانشرحوا.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فبينما هم فى لعب وانشراح إذ هجم ابن الملك على ذلك الخادم فلطمه لطمة فبطحه وأخذ السيف من يده وهجم على الجوارى اللاتى مع ابنة الملك فشتتهن يمينًا وشمالاً، فلما نظرته ابنة الملك قالت: «لعلك أنت الذى خطبتنى من والدى بالأمس ورده وزعم أنك قبيح المنظر، والله لقد كذب أبى حيث قال ذلك الكلام».

وكان ابن ملك الهند قد خطبها من أبيها فرده لأنه كان بشع المنظر فظنت أنه هو الذى خطبها، فقالت لها الجوارى: «يا سيدتى هذا ما هو الذى خطبك من أبيك لأن ذاك قبيح المنظر وهذا مليح، وما يصلح الذى خطبك من أبوك ورده أن يكون خادمًا لهذا ولكن يا سيدتى إن هذا الفتى له شأن عظيم». ثم توجهت الجوارى إلى الخادم المبطوح وأيقظنه فوثب مرعوبًا يفتش على سيفه فلم يجده بيده، فقالت له الجوارى: «إن الذى أخذ سيفك وبطحك جالس مع ابنة الملك». وكان ذلك الخادم قد وكله الملك بالمحافظة على ابنته خوفًا عليها من نوائب الزمان وطوارق الحدثان، فقام ذلك الخادم وتوجه إلى القاعة فرأى ابنة الملك جالسة مع ابن الملك وهما يتحدثان، فلما نظرهما الخادم على تلك الحال قال لابن الملك: «يا سيدى هل أنت إنسى أو جنى؟» فقال له ابن الملك: ويلك يا أنحس العبيد كيف تجعل أولاد الملوك الأكاسرة من الشياطين الكافرة»، ثم إنه أخذ السيف بيده وقال له: «أنا صهر الملك وقد زوجنى بابنته».

فلما سمع الخادم منه ذلك الكلام قال له: «يا سيدى إن كنت من الإنس كما زعمت

فإنها ما تصلح إلا لملك وأنت أحق بها من غيرك». ثم إن الخادم توجه إلى الملك وهو صارخ وقد شق ثيابه وحثا التراب على رأسه، فلما سمع الملك صياحه قال له: «ما الذى دهاك أخبرنى بسرعة وأوجز فى الكلام؟» فقال: «أيها الملك أدرك ابنتك فإنه قد استولى عليها شيطان من الجن فى زى الإنس مصور بصورة أولاد الملوك فدونك وإياه».

فلما سمع الملك كلامه هم بقتله وقال له: «كيف تغافلت عن ابنتى حتى لحقها هذا العارض؟» ثم إن الملك توجه إلى القصر الذى فيه ابنته، فلما وصل إليه وجد الجوارى قائمات فقال لهن: «ما الذى جرى لابنتى؟» فقلن له: «أيها الملك بينما نحن جالسات معها فلم نشعر إلا وقد هجم علينا هذا الغلام الذى كأنه بدر التمام ولم نر قط أحسن منه وجهًا وبيده سيف مسلول، فسألناه عن حاله، فزعم أنك قد زوجته ابنتك ونحن لا نعلم شيئًا غير هذا ولا نعرف هل هو إنسى أو جنى، ولكنه عفيف أديب لا يتعاطى القبيح».

فلما سمع الملك مقالتهن برد ما به، ثم إنه رأى ابن الملك جالسًا يتحدث مع ابنته وهما فى أحسن التصوير، ووجهه كالبدر المنير، فلم يقدر الملك أن يمسك نفسه من غيرته على ابنته فدخل القاعة وبيده سيف مسلول، وقد هجم عليهما كأنه الغول، فلما نظره ابن الملك قال لها: «هذا أبوك؟» قالت: «نعم».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فعند ذلك وثب قائمًا على قدميه وتناول سيفه بيديه وصاح على الملك صيحة منكرة فأدهشه، وهم أن يحمل عليه بالسيف، فعلم الملك أنه أوثب منه فأغمد سيفه، ثم وقف حتى انتهى إليه ابن الملك فقابله بملاطفة وقال له: «يا فتى هل أنت إنسى أو جنى؟» فقال له ابن الملك: «لولا أنى أرعى زمامك وحرمة ابنتك لسفكت دمك، كيف تنسبنى إلى الشياطين وأنا من أولاد الملوك الأكاسرة الذين لو شاءوا أخذ ملكك لزلزلوك عن عزك وسلطانك، وسلبوا عنك جميع ما فى أوطانك».

فلما سمع الملك كلامه هابه وخاف على نفسه منه وقال له: «إن كنت من أولاد الملوك كما زعمت فكيف دخلت قصرى بغير إذنى وادعيت بأنى قد زوجتك ابنتى وأنا قد قتلت الملوك وأبناء الملوك حين خطبوها منى ومن ينجيك من سطوتى وأنا إن صحت على عبيدى وغلمانى وأمرتهم بقتلك قتلوك فى الحال فمن يخلصك من يدى؟». فلما سمع ابن الملك منه الكلام قال للملك: «إنى لأعجب منك ومن قلة بصيرتك هل تطمع لابنتك فى بعل أحسن منى وهل رأيت أحدًا أثبت جنانا وأكثر مكافأة وأعز سلطانًا وجنودًا وأعوانًا منى؟» قال له الملك: «لا والله ولكن وددت يا فتى أن تكون خاطبًا لها على رءوس الأشهاد حتى أزوجك بها. وأما إذا زوجتك بها خفية فإنك تفضحنى فيها».

فقال له ابن الملك: «لقد أحسنت فى قولك ولكن أيها الملك، إذا اجتمعت عبيدك وخدمك وجنودك علىَّ وقتلونى كما زعمت فإنك تفضح نفسك وتبقى الناس فيك بين مصدق ومكذب، ومن الرأى عندى أنت ترجع أيها الملك إلى ما أشير به عليك». فقال له الملك: «هات حديثك». فقال له ابن الملك: «الذى أحدثك به هو إما أن تبارزنى أنا وأنت خاصة فمن قتل

صاحبه كان أحق وأولى بالملك، وأما أن تتركنى فى هذه الليلة وإذا كان الصباح فأخرج إلى عسكرك وجنودك وغلمانك وأخبرنى بعدتهم». فقال له الملك: «إن عدتهم أربعون ألف فارس غير العبيد الذين لى وغير أتباعهم وهم مثلهم فى العدد». فقال ابن الملك: «إذا كان طلوع النهار فأخرجهم إلىَّ وقل لهم: «هذا قد خطب منى ابنتى على شرط أن يبارزكم جميعًا وادعى أنه يغلبكم ويقهركم وأنكم لا تقدرون عليه، ثم اتركنى معهم أبارزهم فإذا قتلونى فذلك أخفى لسرك وأصون لعرضك، وإن غلبتهم وقهرتهم فمثلى من يرغب الملك فى مصاهرته».

فلما سمع الملك كلامه استحسن رأيه وقبل مشروته مع ما استعظمه من قوله وما أهاله من أمره فى عزمه على مبارزة جميع عسكره الذين وصفهم له، ثم جلسا يتحدثان وبعد ذلك دعا الملك بالخادم وأمره أن يخرج من وقته وساعته إلى وزيره ويأمره أن يجمع جميع العساكر ويأمرهم بحمل أسلحتهم وأن يركبوا خيولهم، فسار الخادم إلى الوزير وأعلمه بما أمره به الملك، فعند ذلك طلب الوزير نقباء الجيش وأكابر الدولة وأمرهم أن يركبوا خيولهم ويخرجوا لابسين آلات الحرب.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: هذا ما كان من أمرهم، وأما ما كان من أمر الملك فإنه ما زال يتحدث مع الغلام حيث أعجبه حديثه وعقله وأدبه، فبينما هما يتحدثان وإذا بالصباح قد أصبح فقام الملك وتوجه إلى تخته وأمر جيشه بالركوب وقدم لابن الملك فرسًا جيدًا من خيار خيله وأمر أن تُسرج له بعدة حسنة، فقال له: «أيها الملك إنى ما أركب حتى أشرف على الجيش وأشاهدهم». فقال له الملك: «الأمر كما تحب»، ثم سار الملك والفتى بين يديه حتى وصلا إلى الميدان فنظر الغلام إلى الجيش وكثرته، ثم نادى الملك: «يا معشر الناس إنه قد وصل إلى غلام يخطب ابنتى ولم أر قط أحسن منه ولا أشد قلبًا ولا أعظم بأسًا منه وقد زعم أنه يغلبكم ويقهركم وحده ويدعى أنكم لو بلغتم مائة ألف ما أنتم عنده إلا قليل فإذا برز لكم فخذوه على أسنة رماحكم وأطراف صفاحكم فإنه قد تعاطى أمرًا عظيمًا».

ثم إن الملك قال له: «يا بنى دونك وما تريد منهم». فقال له: «أيها الملك إنك ما انصفتنى، كيف أبارزهم وأنا مترجل وأصحابك ركاب خيل؟» فقال له: «قد أمرتك بالركوب فأبيت فدونك والخيل فاختر منه ما تريد». فقال له: «لا يعجبنى شىء من خيلك ولا أركب إلا الفرس التى جئت راكبًا عليها». فقال له الملك: «وأين فرسك؟» فقال له: «هى فوق قصرك». فقال له الملك: «فى أى موضع فى قصرى؟» فقال: «على سطح القصر».

فلما سمع الملك كلامه قال له: «هذا أول ما ظهر من خبالك يا ويلك كيف تكون الفرس فوق السطح؟ ولكن فى هذا الوقت يظهر صدقك من كذبك». ثم إن الملك التفت إلى بعض خواصه وقال له: «امض إلى قصرى وأحضر الذى تجده فوق السطح» فصار الناس متعجبين من قول الفتى ويقول بعضهم لبعض: «كيف ينزل هذا الفرس من سلالم السطح إن هذا شىء ما سمعنا بمثله». ثم إن الذى أرسله الملك إلى القصر صعد إلى أعلاه فرأى الفرس قائمًا ولم ير أحسن منه، فتقدم إليه وتأمله فوجده من الأبنوس والعاج، وكان بعض خواص الملك طلع معه أيضًا.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: فلما نظروا إلى الفرس تضاحكوا وقالوا: «وهل مثل هذه الفرس يكون ما ذكره الفتى؟» فما نظنه إلا مجنونًا ولكن سوف يظهر لنا أمره وربما يكون له شأن عظيم». ثم إنهم رفعوا الفرس على أيديهم، ولم يزالوا حاملين لها حتى وصلوا إلى قدام الملك وأوقفوها بين يديه، فاجتمع عليها الناس ينظرون ويتعجبون من حسن صنعتها وحسن سرجها ولجامها، واستحسنها الملك أيضًا وتعجب منها غاية العجب، ثم قال لابن الملك: «يا فتى أهذه فرسك؟» فقال: «نعم أيها الملك هذه فرسي وسوف ترى منها العجب». فقال له الملك: «خذ فرسك واركبها». قال: «لا أركبها إلا إذا بعد عنها العساكر».

فأمرالملك العسكر الذين حوله أن يبعدوا عنها مقدار رمية السهم فقال له: «أيها الملك ها أنا رائح أركب فرسي وأحمل على جيشك فأفرقهم يمينًا وشمالاً وأصدع قلوبهم» فقال له الملك: «افعل ما تريد ولا تبق عليهم فإنهم لا يبقون عليك». ثم إن ابن الملك توجه إلى فرسه وركبها واصطفت له الجيوش وقال بعضهم لبعض: «إذا وصل الغلام بين الصفوف تأخذه بأسنة الرماح وشفار الصفاح» فقال واحد منهم: «والله إنها مصيبة كيف نقتل هذا الغلام صاحب الوجه المليح» فقال واحد آخر: «والله لن تصلوا إليه إلا بعد أمر عظيم وما فعل الفتى هذه الفعال إلا لما علم من شجاعة نفسه وبراعته».

فلما استوى ابن الملك على فرسه فرك لولب الصعود فتطاولت إليه الأبصار لينظروا ماذا يريد أن يفعل، فماجت فرسه واضطربت حتى عملت أغرب حركات تعملها الخيل وامتلأ جوفها بالهواء، ثم ارتفعت وصعدت إلى الجو، فلما رآه الملك قد ارتفع وصعد نادى على جيشه وقال: «ويلكم خذوه قبل أن يفوتكم». فعند ذلك قال له وزراؤه ونوابه: «أيها الملك هل أحد يلحق الطير الطائر وما هذا إلا ساحر عظيم قد نجاك الله منه، فالحمد لله تعالى على خلاصك من يده» فرجع الملك إلى قصره بعد ما رأى من ابن الملك ما رأى، ولما وصل إلى قصره ذهب إلى ابنته وأخبرها بما جرى له مع ابن الملك فوجدها كثيرة التأسف عليه وعلى فراقها له، ثم إنها مرضت مرضًا شديدًا ولزمت الوساد.

فلما رآها أبوها على تلك الحالة ضمها إلى صدره وقبلها بين عينيها وقال لها: «يا بنتي احمدي الله تعالى واشكريه حيث خلصنا من هذا الساحر الماكر»، وجعل يكرر عليها ما رآه من ابن الملك ويذكر لها صفة صعوده إلى الهواء وهي لا تصغي إلى شيء من قول أبيها واشتد بكاؤها ونحيبها، ثم قالت في نفسها: «والله لا آكل طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى يجمع الله بيني وبينه» فحصل لأبيها الملك هم عظيم من أجل ذلك وشق عليه حال ابنته وصار حزين القلب عليها وكان كلما لاطفها لا تزداد إلا شغفًا به.

هذا ما كان من أمر الملك وابنته، وأما ما كان من أمر ابن الملك فإنه لما صعد في الجو اختلى بنفسه وتذكر الجارية وكان قد سأل أصحاب الملك عن اسم المدينة واسم الملك واسم ابنته، وكانت تلك المدينة مدينة صنعاء، ثم إنه جد في السير حتى أشرف على مدينة أبيه ودار حول المدينة، ثم توجه إلى قصر أبيه ونزل فوق السطح وترك فرسه هناك ونزل إلى والده ودخل عليه فوجده حزينًا كئيبًا لأجل فراقه، فلما رآه والده قام إليه واعتنقه وضمه إلى صدره وفرح به

فرحًا شديدًا، ثم إنه لما اجتمع بوالده سأله عن الحكيم الذى عمل الفرس وقال: «يا والدى ما فعل الدهر به؟» فقال له والده: «لا بارك الله فى الحكيم ولا فى الساعة التى رأيته فيها لأنه هو الذى كان سببا لفراقك منا هو مسجون يا ولدى من يوم ما غبت عنا». فأمر ابن الملك بالإفراج عنه وإخراجه من السجن وإحضاره بين يديه، فلما حضر بين يديه خلع عليه خلعة الرضا وأحسن إليه غاية الإحسان إلا أنه لم يزوجه ابنته، فغضب الحكيم من أجل ذلك غضبًا شديدًا وندم على ما فعل وعلم أن ابن الملك قد عرف سر الفرس وكيفية سيرها.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: ثم إن الملك قال لابنه: «الرأى عندى أنك لا تقرب هذه الفرس بعد ذلك ولا تركبها أبدًا بعد يومك هذا لأنك لا تعرف أحوالها فأنت منها على غرر»، وكان ابن الملك حدث أباه ما جرى له مع ابنة الملك صاحب تلك المدينة وما جرى له مع أبيها، فقال له أبوه: «لو أراد الملك قتلك لقتلك ولكن فى أجلك تأخير». ثم إن ابن الملك تذكر ابنة الملك صاحب صنعاء، فقام إلى الفرس وركبها وفرك لولب الصعود فطارت به فى الهواء وعلت به إلى عنان السماء.

فلما أصبح الصباح افتقده أبوه فلم يجده، فطلع إلى أعلى القصر وهو ملهوف فنظر إلى ابنه وهو صاعد فى الهواء فتأسف على فراقه وندم كل الندم حيث لم يأخذ الفرس ويخفى أمرها، ثم قال فى نفسه: «والله إن رجع إلى ولدى ما بقيت أخلى هذه الفرس لأجل أن يطمئن قلبى على ولدى». ثم إنه عاد إلى بكائه ونحيبه من حزنه على ولده.

هذا ما كان من أمره، وأما ما كان من أمر ابنه فإنه لم يزل سائرًا فى الجو حتى وقف على مدينة صنعاء ونزل فى المكان الذى نزل فيه أولاً ومشى مستخفيًا حتى وصل إلى محل ابنة الملك فلم يجدها لا هى ولا جواريها ولا الخادم الذى كان محافظًا عليها فعظم ذلك عليه، ثم إنه دار يفتش عنها فى القصر فوجدها فى مجلس آخر غير محلها الأول وقد لزمت الوساد وحولها الجوارى والدايات، فدخل إليهن وسلم عليهن.

فلما سمعت الجارية كلامه قامت له إجلالاً. فقال لها: «يا سيدتى أوحشتنى هذه المدة»، فقالت له: «أنت الذى أوحشتنى»، فقال لها: «يا سيدتى كيف رأيت حالى مع أبيك وما صنع بى ولولاك لقتلته وجعلته عبرة للناظرين ولكن أحبه لأجلك». فقالت له: «كيف تغيب عنى وهل تطيب حياتى بعدك؟» فقال لها: «أتطيعينى وتصغى إلى قولى؟» فقالت له: «قل ما شئت فإنى أجيبك إلى ما تدعونى إليه ولا أخالفك فى شىء». فقال لها: «سيرى معى إلى بلادى وملكى»، فقالت له: «حبا وكرامة».

فلما سمع ابن الملك كلامها فرح فرحًا شديدًا وأخذ بيدها وعاهدها بعهد الله تعالى على ذلك، ثم صعد بها إلى أعلى سطح القصر وركب فرسه وأركبها خلفه وحرك لولب الصعود الذى فى كتف الفرس فصعدت بهما إلى الجو، فعند ذلك زعقت الجوارى وأعلمن الملك أباها وأمها فصعدا مبادرين إلى سطح القصر والتفت الملك إلى الجو فرأى الفرس الأبنوس وهى طائرة بهما فى الهواء، فعند ذلك انزعج الملك وزاد انزعاجه وصاح وقال: «يا ابن

الملك سألتك بالله أن ترحمنى وترحم زوجتى ولا تفرق بيننا وبين بنتنا» فلم يجبه ابن الملك، ثم إن ابن الملك ظن فى نفسه أن الجارية ندمت على فراق أمها وأبيها فقال لها: «هل لك أن أردك إلى أمك وأبيك؟» فقالت له: «يا سيدى والله ما مرادى ذلك إنما مرادى أن أكون معك».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: فلما سمع ابن الملك كلامها فرح بذلك فرحًا شديدًا وجعل يسير الفرس بها سيرًا لطيفًا لكى لا يزعجها ، ولم يزل يسير بها حتى نظر إلى مرج أخضر وفيه عين ماء جارية فنزلا هناك وأكلا وشربا، ثم إن ابن الملك ركب فرسه وأردفها خلفه وأوثقها بالرباط خوفًا عليها وسار بها، ولم يزل سائرًا بها فى الهواء حتى وصل إلى مدينة أبيه فاشتد فرحه، ثم أراد أن يظهر للجارية محل سلطانه وملك أبيه ويعرفها أن ملك أبيه أعظم من ملك أبيها فأنزلها فى بعض البساتين التى يتفرج فيها والده وأدخلها فى المقصورة المعدة لأبيه، وأوقف الفرس الأبنوس على باب تلك المقصورة وأوصى الجارية بالمحافظة على الفرس وقال لها: «اقعدى ههنا حتى أرسل إليك رسولى، فإنى متوجه إلى أبى لأهيئ لك قصرًا وأظهر لك ملكى»، ففرحت الجارية عندما سمعت منه هذا الكلام وقالت له: «افعل ما تريد»، ثم خطر ببالها أنها لا تدخل إلا بالتبجيل والتشريف كما يصلح لأمثالها. ثم إن ابن الملك تركها وسار حتى وصل إلى المدينة ودخل على أبيه، فلما رآه أبوه فرح بقدومه وتلقاه ورحب به، ثم إن ابن الملك قال لوالده: «اعلم أننى قد أتيت ببنت الملك التى كنت أعلمتك بها وقد تركتها خارج المدينة فى بعض البساتين وجئت أعلمك بها لأجل أن تهيئ الموكب وتخرج لملاقاتها وتظهر لها ملكك وجنودك وأعوانك»، فقال له الملك: «حبا وكرامة». ثم أمر من وقته وساعته أهل المدينة أن يزينوا المدينة بالزينة الحسنة وركب فى أكمل هيئة وأحسن زينة هو وجميع عساكره وأكابر دولته وسائر مملكته وخدامه وأخرج ابن الملك من قصره الحلى والحلل وما تدخره الملوك وهيأ لها عمارة من الديباج الأخضر والأحمر والأصفر وأجلس على تلك العمارة الجوارى الهنديات والروميات والحبشيات وأظهر من الذخائر شيئًا عجيبًا.

ثم إن ابن الملك ترك العمارة بمن فيها وسبق إلى البستان ودخل المقصورة التى تركها فيها وفتش عنها فلم يجدها ولم يجد الفرس، فعند ذلك لطم وجهه ومزق ثيابه وجعل يطوف فى البستان وهو مدهوش العقل، وبعد ذلك رجع إلى عقله وقال فى نفسه: «كيف علمت بسر هذه الفرس وأنا لم أعلمها بشىء من ذلك ولعل الحكيم الفارسى الذى عمل الفرس قد صادفها فأخذها جزاءً بما عمله والدى معه». ثم إن ابن الملك طلب حراس البستان وسألهم عمن مر بهم وقال لهم: «هل نظرتم أحدًا مر بكم ودخل البستان؟» فقالوا: «ما رأينا أحدا دخل البستان سوى الحكيم الفارسى فإنه دخل ليجمع الحشائش النافعة». فلما سمع كلامهم صح عنده أن الذى أخذ الجارية هو ذلك الحكيم.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: وكان الأمر المقدر أن ابن الملك لما ترك الجارية فى المقصورة التى فى البستان وذهب إلى قصر أبيه ليهيئ أمره دخل الحكيم الفارسى إلى البستان ليجمع شيئًا من

الحشيش الناطع فشم رائحة المسك والطيب التى عبق منها المكان وكان ذلك الطيب من رائحة ابنة الملك، فقصد الحكيم جهة تلك الرائحة حتى وصل إلى تلك المقصورة فرأى الفرس التى صنعها بيده واقفة على باب المقصورة، فلما رأى الحكيم الفرس امتلأ قلبه فرحًا وسرورًا لأنه كان كثير التأسف على الفرس حيث خرجت من يده، فتقدم إلى الفرس وتفقد جميع أجزائها فوجدها سالمة، ولما أراد أن يركبها ويسير قال فى نفسه: «لا بد أن أنظر إلى ما جاء به ابن الملك وتركه مع الفرس ههنا»، فدخل المقصورة فوجد الجارية جالسة وهى كالشمس الضاحية فى السماء الصاحية.

فلما نظرها علم أنها جارية لها شأن عظيم وقد أخذها ابن الملك وأتى بها على الفرس وتركها فى تلك المقصورة ثم توجه إلى المدينة ليجىء لها بموكب ويدخلها المدينة بالتبجيل والتشريف، فعند ذلك دخل الحكيم إليها وقبل الأرض بين يديها، فرفعت إليه طرفها ونظرت إليه فوجدته قبيح المنظر جدًا بشع الصورة فقالت له: «من أنت؟» فقال لها: «يا سيدتى أنا رسول ابن الملك قد أرسلنى إليك وأمرنى أن أنقلك إلى بستان آخر قريب من المدينة». فلما سمعت منه ذلك الكلام قالت له: «وأين ابن الملك؟» قال لها: «هو فى المدينة عند أبيه وسيأتى إليك فى هذه الساعة بموكب عظيم». فقالت له: «يا هذا وهل ابن الملك لم يجد أحدا يرسله إلىَّ غيرك؟» فضحك الحكيم من كلامها وقال لها: «يا سيدتى لا يغرنك قبح وجهى وبشاعة منظرى فلو نلت منى ما ناله ابن الملك لحمدت أمرى وإنما خصنى ابن الملك بالإرسال إليك لقبح منظرى وهول صورتى غيرة منه عليك وإلا فعنده من المماليك والعبيد والغلمان والخدم والحشم ما لا يحصى».

فلما سمعت الجارية كلامه دخل فى عقلها وصدقته وقامت معه ووضعت يدها فى يده ثم قالت له: «يا والدى ما الذى جئت لى به معك حتى أركبه؟» فقال: «يا سيدتى الفرس التى جئت عليها تركبينها». فقالت له: «أنا لا أقدر على ركوبها وحدى». فتبسم الحكيم عندما سمع منها ذلك وعلم أنه قد ظفر بها. فقال لها: «أنا أركب معك بنفسى».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: ثم إنه ركب وأركب الجارية خلفه وشد وثاقها وهى لا تعلم ما يريد بها، ثم إنه حرك لولب الصعود فامتلأ جوف الفرس بالهواء وتحركت وماجت ثم ارتفعت صاعدة إلى الجو، ولم تزل سائرة بهما حتى غابت عن المدينة، فقالت له الصبية: «يا هذا أين الذى قلته عن ابن الملك حيث زعمت أنه أرسلك إلىَّ؟» فقال لها الحكيم: قبح الله ابن الملك فإنه خبيث لئيم». فقالت له: «يا ويلك كيف تخالف أمر مولاك فيما أمرك به؟» فقال لها: «ليس هو مولاى فهل تعرفين من أنا؟» فقالت له: «لا أعرفك إلا بما عرفتنى به عن نفسك». فقال لها: «إنما كان إخبارى لك بهذا الخبر حيلة منى عليك وعلى ابن الملك وقد كنت متأسفًا طول عمرى على هذه الفرس التى تحتك فإنها صناعتى وكان قد استولى عليها، والآن ظفرت بها وبك أيضًا وقد أحرقت قلبه كما أحرق قلبى ولا يتمكن منها بعد ذلك أبدًا، فطيبى قلبًا وقرى عينًا فأنا لك أنفع منه».

فلما سمعت الجارية كلامه لطمت وجهها ونادت: «يا أسفاه لا حصلت زوجى ولا بقيت عند أبى وأمى»، وبكت بكاء شديدًا على ما حل بها. ولم يزل الحكيم سائرا بها إلى بلاد الروم

حتى نزل فى مرج أخضر ذى أنهار وأشجار وكان ذلك المرج بالقرب من مدينة وفى تلك المدينة ملك عظيم الشأن.

فاتفق فى ذلك اليوم أن ملك تلك المدينة خرج إلى الصيد والنزهة فجاز على ذلك المرج، فرأى الحكيم واقفًا والفرس و الجارية بجانبه، فلم يشعر الحكيم إلا وقد هجم عليه عبيد الملك وأخذوه هو والجارية والفرس وأوقفوا الجميع بين يدى الملك، فلما نظر إلى قبح منظره وبشاعته ونظر إلى حسن الجارية قال لها: «يا سيدتى ما نسبة هذا الشيخ منك؟» فبادر الحكيم بالجواب وقال: «هى زوجتى وابنة عمى». فكذبته الجارية عندما سمعت قوله وقالت: «أيها الملك والله لا أعرفه ولا هو بعلى بل أخذنى قهرًا بالحيلة». فلما سمع الملك مقالها أمر بضربه فضربوه حتى كاد يموت، ثم أمر الملك أن يحملوه إلى المدينة ويطرحوه فى السجن، ففعلوا به ذلك، ثم إن الملك أخذ الجارية والفرس منه ولكنه لم يعلم أمر الفرس ولا بكيفية سيرها.

هذا ما كان من أمر الحكيم. وأما ما كان من أمر ابن الملك فإنه لبس ثياب السفر وأخذ ما يحتاج إليه من المال وسار وهو فى أسوأ حال، وصار مسرعًا يقتص الأثر فى طلبها من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى مدينة ويسأل عن الفرس الأبنوس وكل من سمع منه خبر الفرس الأبنوس يتعجب منه ويستعظم قوله، فأقام على هذا الحال مدة من الزمان ومع كثرة السؤال والتفتيش عنهما لم يقع لهما على خبر، ثم إنه سار إلى مدينة أبى الجارية وسأل عنها هناك، فلم يسمع لها بخبر ووجد أباها حزينًا على فقدها، فرجع وقصد بلاد الروم يقتص أثرهما وسأل عنهما.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فاتفق أنه نزل فى خان من الخانات فرأى جماعة من التجار جالسين يتحدثون، فجلس قريبًا منهم فسمع أحدهم يقول: «يا أصحابى لقد رأيت عجبًا من العجائب»، فقالوا له: «وما هو؟» قال: «إنى كنت فى بعض الجهات فى مدينة كذا وذكر اسم المدينة التى فيها الجارية فسمعت أهلها يتحدثون بحديث غريب وهو أن ملك المدينة خرج يومًا من الأيام إلى الصيد والقنص ومعه جماعة من أصحابه وأكابر دولته، فلما طلعوا البرية جازوا على مرج أخضر فوجدوا هناك رجلاً واقفًا وإلى جانبه امرأة جالسة ومعه فرس من أبنوس، فأما الرجل فإنه قبيح المنظر مهول الصورة جدًا وأما المرأة فإنها صبية ذات حسن وجمال، وقدّ واعتدال، وأما الفرس الأبنوس فإنها من العجائب التى لم ير الراؤون أحسن منها ولا أجمل من صنعتها».

فقال الحاضرون: «فما فعل الملك بهم؟» فقال: «أما الرجل فإنه أخذه الملك وسأله عن الجارية فادعى أنها زوجته وابنة عمه، وأما الجارية فإنها كذبته فى قوله فأخذها الملك منه وأمر بضربه وطرحه فى السجن، وأما الفرس الأبنوس فما لى علم بها».

فلما سمع ابن الملك هذا الكلام من التاجر دنا منه وصار يسأله برفق وتلطف حتى أخبره باسم المدينة واسم ملكها، فلما عرف ابن الملك اسم المدينة واسم ملكها بات ليلته مسرورًا. فلما أصبح الصباح خرج وسار ولم يزل مسافرًا حتى وصل إلى تلك المدينة، فلما أراد أن يدخلها أخذه البوابون وأرادوا إحضاره قدام الملك ليسأله عن حاله وعن سبب مجيئه إلى تلك المدينة وعما

يحسنه من الصنائع وكانت هذه عادة الملك من سؤال الغرباء عن أحوالهم وصنائعهم، وكان وصول ابن الملك إلى تلك المدينة فى وقت المساء وهو وقت لا يمكن الدخول فيه على الملك ولا المشاورة عليه، فأخذه البوابون وأتوا به إلى السجن ليضعوه فيه، فلما نظر السجانون إلى حسنه وجماله لم يهن عليهم أن يدخلوه فى السجن فأجلسوه معهم خارج السجن، فلما جاءهم الطعام أكل معهم بحسب الكفاية، فلما فرغوا من الأكل جلسوا يتحدثون، ثم أقبلوا على ابن الملك وقالوا له: «من أى البلاد أنت؟» فقال: «أنا من بلاد فارس بلاد الأكاسرة».

فلما سمعوا كلامه ضحكوا وقال له بعضهم: «يا كسروى لقد سمعت حديث الناس وأخبارهم وشاهدت أحوالهم فما رأيت ولا سمعت أكذب من هذا الكسروى الذى عندنا فى السجن»، فقال آخر: «ولا رأيت أقبح من خلقته ولا أبشع من صورته»، فقال لهم ابن الملك: «ما الذى بان لكم من كذبه؟» فقالوا: «يزعم أنه حكيم وكان الملك قد رآه فى طريقه وهو ذاهب إلى الصيد ومعه امرأة بديعة الحسن والجمال ومعه أيضًا فرس من الأبنوس الأسود ما رأيت قط أحسن منها، فأما الجارية فهى عند الملك وهو لها محب ولكن تلك المرأة مجنونة ولو كان ذلك الرجل حكيمًا كما يزعم لداواها والملك مجتهد فى علاجها وغرضه مداواتها مما هى فيه، وأما الفرس الأبنوس فإنها فى خزانة الملك ، وأما الرجل القبيح المنظر الذى كان معها فإنه عندنا فى السجن فإذا جن عليه الليل يبكى وينتحب أسفًا على نفسه ولا يدعنا ننام».

فلما أخبروه بخبر الحكيم الفارسى الذى عندهم فى السجن وبما هو فيه من البكاء والنحيب خطر بباله أنه يدبر تدبيرًا يبلغ به غرضه، فلما أراد البوابون النوم أدخلوه السجن وأغلقوا عليه الباب، فسمع الحكيم يبكى وينوح على نفسه بالفارسية ويقول فى نوحه: «الويل لى بما جنيت على نفسى وعلى ابن الملك وبما فعلت بالجارية حيث لم أتركها ولم أظفر بمرادى وذلك كله من سوء تدبيرى فإنى طلبت لنفسى ما لا أستحقه ولا يصلح لمثلى، ومن طلب ما لا يصلح له وقع فى مثل ما وقعت فيه».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد : فلما سمع ابن الملك كلام الحكيم كلمه بالفارسية وقال له: «إلى كم هذا البكاء والعويل هل ترى أنه أصابك ما لم يُصب غيرك؟» فلما سمع الحكيم كلامه أنس به وشكا إليه حاله وما يجده من المشقة، فلما أصبح الصباح أخذ البوابون ابن الملك وأتوا به إلى ملكهم وأعلموه أنه وصل إلى المدينة بالأمس فى وقت لا يمكن الدخول فيه على الملك، فسأله الملك وقال له: «من أى البلاد أنت وما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك إلى هذه المدينة؟» فقال ابن الملك: «أما اسمى فإنه بالفارسية حرجة، وأما بلادى فهى بلاد فارس، وأنا من أهل العلم وخصوصا علم الطب فإنى أداوى المرضى والمجانين ولهذا أطوف فى الأقاليم والمدن لأستفيد علمًا على علمى، وإذا رأيت مريضًا فإنى أداويه فهذه صنعتى». فلما سمع الملك كلامه فرح به فرحًا شديدًا وقال له: «أيها الحكيم الفاضل لقد وصلت إلينا فى وقت الحاجة إليك»، ثم أخبره بخبر الجارية وقال له: «إن داويتها وأبرأتها من جنونها فلك عندى جميع ما تطلبه».

فلما سمع كلام الملك قال له: «أعز الله الملك صف لى كل شىء رأيته من جنونها وأخبرنى منذ كم يوم عرض لها هذا الجنون وكيف أخذتها هى والفرس والحكيم؟» فأخبره بالخبر من أوله إلى آخره ثم قال له: «إن الحكيم فى السجن». فقال له: «أيها الملك السعيد فما فعلت بالفرس التى كانت معهما؟» فقال له: «يا فتى هى عندى الآن محفوظة فى بعض المقاصير» فقال ابن الملك فى نفسه: «إن من الرأى عندى أن أتفقد الفرس وأنظرها قبل كل شىء، فإن كانت سالمة لم يحدث فيها أمر فقد تم لى كل ما أريده وإن رأيتها قد بطلت حركاتها تحيلت حيلة فى خلاص زوجتى»، ثم التفت إلى الملك وقال له: «أيها الملك ينبغى أن أنظر الفرس المذكورة لعلى أجد فيها شيئا يعيننى على برء الجارية»، فقال له الملك: «حبًا وكرامة».

ثم قام الملك وأخذ بيده ودخل معه إلى الفرس فجعل ابن الملك يطوف حول الفرس ويتفقدها وينظر أحوالها فوجدها سالمة لم يصبها شىء ففرح ابن الملك بذلك فرحًا شديدًا وقال: «أعز الله الملك إنى أريد الدخول إلى الجارية حتى أنظر ما يكون منها وأرجو الله أن يكون برؤها على يدى بسبب الفرس إن شاء الله تعالى»، ثم أمر بالمحافظة على الفرس ومضى به الملك إلى البيت الذى فيه الجارية.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فلما دخل عليها ابن الملك وجدها تختبط وتتصرع على عادتها ولم يكن بها جنون وإنما تفعل ذلك حيلة منها، فلما رآها ابن الملك على هذه الحالة قال لها: «لا بأس عليك». ثم أخذ يرفق بها ويلاطفها إلى أن عرفها بنفسه، فلما عرفته صاحت صيحة عظيمة حتى غشى عليها من شدة ما حصل لها من الفرح، فظن الملك أن هذه الصرعة من فزعها منه، ثم إن ابن الملك وضع فمه على أذنها وقال لها: «أحقنى دمى ودمك واصبرى وتجلدى فإن هذا موضع نحتاج فيه إلى الصبر وإتقان التدبير فى الحيل حتى نتخلص من هذا الملك الجاذر، ومن الحيلة أنى أخرج إليه وأقول له إن المرض الذى بها عارض من الجنون وأنا أضمن لك برءها وأشرط عليه أن يفك عنك القيد ويزيل هذا العارض عنك فإذا دخل إليك فكلميه بكلام مليح حتى يرى أنك برئت على يدى فيتم لنا كل ما نريد»، فقالت له: «سمعًا وطاعة». ثم إنه خرج من عندها وتوجه إلى الملك فرحًا مسرورًا وقال: «أيها الملك السعيد قد عرفت بسعادتك داءها ودواءها وقد داويتها لك فقم الآن وادخل إليها ولين كلامك لها وترفق بها وعدها بما يسرها فإنه يتم لك كل ما تريد». فقام الملك ودخل عليها، فلما رأته قامت إليه وقبلت الأرض بين يديه ورحبت به، ففرح الملك بذلك فرحًا شديدًا ثم أمر الجوارى والخدم أن يقوموا بخدمتها ويدخلوها الحمام ويجهزوا لها الحلى والحلل فدخلوا إليها وسلموا عليها، فردت عليهم السلام بألطف منطق وأحسن كلام، ثم ألبسوها حللا من ملابس الملوك ووضعوا فى عنقها عقدًا من الجواهر وساروا بها إلى الحمام وخدموها، ثم أخرجوها من الحمام كأنها البدر التمام. ولما وصلت إلى الملك سلمت عليه وقبلت الأرض بين يديه فحصل للملك بها سرور عظيم وقال لابن الملك: «كل ذلك ببركاتك، زادنا الله من

نفحاتك» فقال له: «أيها الملك إن تمام برئها وكمال أمرها أنك تخرج أنت وكل من معك من أعوانك وعسكرك إلى المحل الذى كنت وجدتها فيه وتكون صحبتك الفرس الأبنوس التى كانت معها لأجل أن أصرف عنها العارض هناك وأسجنه وأقتله فلا يعود إليها أبدًا». فقال له الملك «حبٌ وكرامة» . ثم أخرج الفرس الأبنوس إلى المرج الذى وجدها فيه هى والفرس والحكيم الفارسى وركب الملك مع جيشه وأخذ الجارية صحبته وهم لا يدرون ما يريد أن يفعل، فلما وصلوا إلى ذلك المرج أمر ابن الملك الذى جعل نفسه حكيمًا أن توضع الجارية والفرس بعيدًا عن الملك والعساكر بمقدار مد البصر وقال للملك: «دستور عن إذنك أن أطلق البخور وأتلو العزيمة وأسجن العارض هنا حتى لا يعود إليها أبدا. وبعد ذلك أركب الفرس الأبنوس وأركب الجارية خلفي فإذا فعلت ذلك فإن الفرس تضطرب وتمشى حتى تجىء إليك فعند ذلك يتم الأمر».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد : فلما سمع الملك كلامه فرح فرحًا شديدًا، ثم إن ابن الملك ركب الفرس ووضع الصبية خلفه وصار الملك وجميع عسكره ينظرون إليه، ثم إنه شد وثاقها وبعد ذلك فرك ابن الملك لولب الصعود فصعدت بهما الفرس في الهواء والعساكر تنظر إليه حتى غاب عن أعينهم، ومكث الملك نصف يوم ينتظر عوده إليه فلم يعد، فيئس منه وندم ندمًا عظيمًا وتأسف على فراق الجارية، ثم أخذ عسكره وعاد إلى مدينته.

هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر ابن الملك فإنه قصد مدينة أبيه فرحًا مسرورًا ولم يزل سائرًا إلى أن نزل على قصره وأنزل الجارية، في القصر وأمن عليها، ثم ذهب إلى أبيه وأمه وسلم عليهما وأعلمهما بقدوم الجارية، ففرحا بذلك فرحا شديدا هذا ما كان من أمر ابن الملك والفرس والجارية. وأما ما كان من أمر ملك الروم فإنه لما عاد إلى مدينته احتجب فى قصره حزينًا كئيبًا فدخل عليه وزراؤه وجعلوا يسألونه ويقولون له: «إن الذى أخذ الجارية ساحر والحمد لله الذى نجاك من سحره ومكره وما زالوا به حتى تسلى عنها»، وأما ابن الملك فإنه عمل الولائم العظيمة لأهل المدينة وأقاموا فى الفرح شهرًا كاملاً. هذا ما كان من أمر ابن الملك، وأما ما كان من أمر والده فإنه كسر الفرس الأبنوس وأبطل حركاتها، ثم إن ابن الملك كتب كتابًا إلى أبى الجارية وذكر له فيه حالها وأخبره أنه تزوج بها وهى عنده فى أحسن حال وأرسله إليه مع رسول وأصحبه بهدايا وتحف نفيسة.

فلما وصل الرسول إلى مدينة أبى الجارية وهى صنعاء اليمن أوصل الكتاب والهدايا إلى ذلك الملك، فلما قرأ الكتاب فرح فرحًا شديدًا وقبل الهدايا وأكرم الرسول ، ثم جهز هدية سنية لصهره ابن الملك وأرسلها إليه مع ذلك الرسول فرجع بها إلى ابن الملك وأعلمه بفرح الملك أبى الجارية حين بلغه عن ابنته فحصل له سرور عظيم وصار الملك كل سنة يكاتب صهره ويهاديه، ولم يزالوا كذلك حتى توفى الملك أبو الغلام وتولى هو بعده فى المملكة فعدل فى الرعية، وسار فيهم بسيرة مرضية، فدانت له البلاد ، وأطاعته العباد، واستمروا على هذه الحالة فى ألذ عيش وأهنأه، وأرغده وأمرأه، إلى أن أتاهم هادم اللذات، ومفرق الجماعات.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية أنس الوجود مع الورد في الأكمام

قالت شهر زاد: حكى أيضًا أنه كان في قديم الزمان، وسالف العصر والأوان، ملك عظيم الشان، ذو عز وسلطان، وكان له وزير يسمى إبراهيم، وكانت له ابنة بديعة في الحسن والجمال فائقة في البهجة والكمال، ذات عقل وافر، وأدب باهر، وكانت تهوى رقائق الأشعار، ونوادر الأخبار، وكان اسمها الورد في الأكمام وسبب تسميتها بذلك فرط رقتها، وكمال بهجتها، وكان الملك محبا لمنادمتها لكمال أدبها. ومن عادة الملك أنه في كل عام يجمع أعيان مملكته ويلعب بالكرة، فلما كان ذلك اليوم الذي يجمع فيه الناس للعب الكرة جلست ابنة الوزير في الشباك تتفرج. فبينما هم في اللعب إذ لاحت منها التفاتة فرأت بين العسكر شابا لم يكن أحسن منه منظرا ولا أبهى طلعة، نير الوجه ضاحك السن طويل الباع واسع المنكب، فكررت فيه النظر مرارا وقالت لقابلتها: (ما اسم هذا الشاب المليح الشمائل الذي بين العسكر؟). فقالت لها: (يابنتي الكل ملاح فمن هو فيهم؟) فقالت لها: (اصبري حتى أشير لك إليه)، ثم أخذت تفاحة ورمتها عليه، فرفع رأسه فرأى ابنة الوزير في الشباك كأنها البدر في الأفلاك، فلم يرتد إليه طرفه إلا هو مشغول الخاطر). فلما فرغ اللعب قالت لقابلتها: (ما اسم هذا الشاب الذي أريته لك؟) قالت: (اسمه أنس الوجود)، فهزت رأسها، ثم صعدت الزفرات وكتبت شعرا في قرطاس ولفته في خرقة من الحرير مطرزة بالذهب ووضعته تحت المخدة، وكانت واحدة من قابلاتها تنظر إليها فجاءتها وصارت تمارسها في الحديث حتى نامت، وسرقت الورقة من تحت المخدة وقرأتها، فعرفت أنها تريد أن تكون زوجة لأنس الوجود، وبعد أن قرأت الورقة وضعتها في مكانها، فلما استفاقت سيدتها الورد في الأكمام من نومها قالت لها: (يا سيدتي إني لك من الناصحات، وعليك من الشفيقات، اعلمي أن الكتمان لا يفيد بل يورث الأمراض والأسقام، وما على من يبوح بما يريد ملام)، فقالت لها الورد في الأكمام: (يا قابلتي وما دواء ما أنا فيه؟) قالت: (أنا اداويه بإذن الله).

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فلما سمعت منها الورد في الأكمام ذلك الكلام فرحت، لكن أمسكت نفسها عن الكلام حتى تنظر عاقبة أمرها وقالت في نفسها: (إن هذا الأمر ما درى به أحد فلا أبوح به لهذه المرأة إلا بعد اختبارها)، فقالت لها المرأة: (يا سيدتي إني رأيت في منامي كأن رجلا جاءني وقال لي: إن سيدتك تريد أن تكون زوجة لأنس الوجود فمارسي أمرها واسعي لها في ذلك واقضي حوائجها واكتمي أمرها وأسرارها يحصل لك خير كثير، وها أنا قد قصصت ما رأيت عليك والأمر إليك).

فلما سمعت ذلك الورد في الأكمام أخرجت لها الورقة التي كتبت فيها الشعر وقالت لها: (اذهبي برسالتي هذه إلى أنس الوجود وأتنى بجوابها)، فأخذتها وتوجهت بها إلى أنس الوجود، فلما دخلت عليه قبلت يديه وحيته بألطف كلام، ثم أعطته القرطاس فقرأه وفهم معناه ،ثم كتب في ظهره جوابا لطيفا وطوى الكتاب وأعطاه إياها وقال لها: (يا قابلة استعطفي خاطر سيدتك) ،فقالت له: (سمعا وطاعة).

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: ثم أخذت منه المكتوب ورجعت إلى سيدتها وأعطتها القرطاس فقبلته ورفعته فوق رأسها ،ثم فتحته وقرأته وفهمت معناه وكتبت في أسفله جوابا وطوت القرطاس وأعطته للقابلة ،فأخذته وخرجت من عند الورد في الأكمام بنت الوزير فصادفها الحاجب وقال لها: (أين تذهبين؟) فقالت: (إلى الحمام) ،وقد انزعجت منه فوقعت منها الورقة حين خرجت من الباب وقت انزعاجها.

هذا ما كان من أمرها ،وأما ما كان من أمر الورقة فإن بعض الخدام رآها مرمية في الطريق فأخذها ،ثم إن الوزير خرج من بيت الحريم وجلس على سريره فقصده الخادم الذي التقط الورقة ،بينما الوزير جالس على سريره وإذا بذلك الخادم تقدم إليه وفي يده الورقة وقال له: (يا مولاي إني وجدت هذه الورقة مرمية في الدار فأخذتها). فتناولها الوزير من يده وهي مطوية ففتحها وقرأها وفهم معناها ،ثم تأمل في كتابتها فرآها بخط ابنته ،فدخل على أمها وهو يبكي بكاء شديدا حتى ابتلت لحيته ،فقالت له زوجته: (ما أبكاك يا مولاي؟) فقال لها: (خذي هذه الورقة وانظري ما فيها).

فأخذت الورقة وقرأتها فوجدتها مشتملة على مراسلة من بنتها الورد في الأكمام إلى أنس الوجود ،فجاءها البكاء لكنها غلبت على نفسها وكفكفت دموعها وقالت للوزير: (يا مولاي إن البكاء لا فائدة فيه وإنما الرأي الصواب أن نتبصر في أمر يكون فيه صون عرضك وكتمان أمر بنتك) ،وصارت تسليه وتخفف عنه الأحزان ،فقال لها: (إني خائف على ابنتي أما تعلمين أن السلطان يحب أنس الوجود محبة عظيمة ،ولخوفي من هذا الأمر سببان: الأول من جهتي وهو أنها ابنتي ،والثاني: من جهة السلطان وهو أن أنس الوجود محظي عند السلطان وربما يحدث من هذا أمر عظيم ،فما رأيك في ذلك؟) قالت له: (اصبر علي حتى أصلي صلاة الاستخارة) ،ثم إنها صلت ركعتين سنة الاستخارة.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فلما فرغت من صلاتها قالت لزوجها: (إن في وسط بحر الكنوز جبلا يسمى جبل الثكلى وسبب تسميته بذلك سيأتي ،وذلك الجبل لا يقدر على الوصول إليه أحد إلا بالمشقة فاجعل لها موضعا هناك) ،فاتفق الوزير مع زوجته على أنه يبني فيه قصرا منيعا ويجعلها فيه ويضع عندها مؤنتها عاما بعد عام ويجعل عندها من يؤانسها ويخدمها ،ثم جمع النجارين والبنائين والمهندسين وأرسلهم إلى ذلك الجبل وقد بنوا لها قصرا منيعا لم ير مثله الراؤون ،ثم هيأ الزاد والراحلة ودخل على ابنته في الليل وأمرها بالسير ،فلما خرجت ورأت هيئة الأسفار بكت بكاء شديدا وكتبت على الباب تعرف أنس الوجود بما جرى لها وهو:

بالله يا دار إن مر الحبيب ضحى	مسلّما بإشارات المحبينا
أهديه منا سلاما زاكيا عطرا	لأنه ليس يدري أين أمسينا
ولست أدري إلى أين الرحيل بنا	لما مضوا بي سريعا مستخفينا
في جنح ليل وطير الأيك قد عكفت	على الغصون تباكينا وتنعينا
وقال عنها لسان الحال واحراه	من التفرق ما بين المحبينا

لما رأيت كؤوس البعد قد ملئت والدهر من صرفها بالقهر يسقينا
مزجتها بجميل الصبر معتذرا وعنكم الآن ليس الصبر يسلينا

فلما فرغت من شعرها ركبت وساروا بها يقطعون البراري والقفار ،والسهول والأوعار، حتى وصلوا إلى بحر الكنوز ونصبوا الخيام على شاطئ البحر ومدوا لها مركبا عظيما وأنزلوها فيه هي وعائلتها وقد أمرهم أنهم إذا وصلوا إلى الجبل وأدخلوها في القصر هي وعائلتها يرجعون بالمركب وبعد أن يطلعوا من المركب يكسرونه ،فذهبوا وفعلوا جميع ما أمرهم به ،ثم رجعوا وهم يبكون على ما جرى.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهرزاد: هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر أنس الوجود ،فإنه قام من نومه وصلى الصبح ثم ركب وتوجه إلى خدمة السلطان ،فمر في طريقه على باب الوزير على جري العادة لعله يرى أحدا من أتباع الوزير الذين كان يراهم ونظر إلى الباب فرأى الشعر المتقدم ذكره مكتوبا عليه ،فلما رآه غاب عن وجوده ورجع إلى داره ولم يقر له قرار ،ولم يطاوعه اصطبار ،ولم يزل قلقا إلى أن دخل الليل ،فكتم أمره وتنكر وخرج فى جوف الليل هائمًا على غير طريق وهو لا يدرى أين يسير ،فسار الليل كله وثانى يوم إلى أن اشتد حر الشمس وتلهبت الجبال واشتد عليه العطش فنظر إلى شجرة فوجد بجانبها جدول ماء يجرى، فقصد تلك الشجرة وجلس فى ظلها على شاطئ ذلك الجدول وأراد أن يشرب فلم يجد للماء طعمًا فى فمه وقد تغير لونه واصفر وجهه وتورمت قدماه من المشى والمشقة ،فبكى بكاءً شديدًا حتى بلّ الثرى.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: ثم قام من وقته وساعته وسار من ذلك المكان ،فبينما هو سائر فى البرارى والقفار إذ خرج عليه سبع رقبته مختنقة بشعره ورأسه قدر القبة وفمه أوسع من الباب وأنيابه مثل أنياب الفيل ،فلما رآه أنس الوجود أيقن بالموت واستقبل القبلة وتشهد واستعد للموت ،وكان قد قرأ فى الكتب أن من خادع السبع انخدع لأنه ينخدع بالكلام الطيب وينتخى بالمديح ،فشرع يقول له: "يا أسد الغابة يا ليث الفضاء يا ضرغام يا أبا الفتيان يا سلطان الوحوش اسمع كلامى ،وارحم لوعتى وغرامى" ،فلما سمع الأسد مقالته تأخر عنه وجلس مقعيًا على ذنبه ورفع رأسه إليه ،وصار يلعب ! بذنبه ويديه ،فلما رأى أنس الوجود هذه الحركات أنشد هذه الأبيات:

أسد البيداء هل تقتلنى قبل ما ألقى صورة فى كفنى
يا أبا الحارث بالبيت الوفى لا تشمت عاذلى فى شجنى

فلما فرغ من شعره قام الأسد ومشى نحوه بلطف وعيناه مغرورقتان بالدموع ،ولما وصل إليه لحسه بلسانه ومشى قدامه وأشار إليه أن اتبعنى ،فتبعه ولم يزل سائرا وهو خلفه ساعة من الزمان حتى طلع به فوق جبل ثم نزل به من فوق ذلك الجبل ،فرأى آثار المشى فى البرارى

فعرف أن ذلك أثر مشى القوم بالورد فى الأكمام ،فتبع الأثر ومشى فيه ،فلما رأى الأسد أنه تبع الأثر رجع الأسد إلى حال سبيله ،وأما أنس الوجود فإنه لم يزل ماشيًا فى الأثر أيامًا وليالى حتى أقبل على بحر عجاج ،متلاطم بالأمواج ،ووصل الأثر على شاطىء البحر وانقطع فعلم أنهم ركبوا البحر وساروا فيه وانقطع رجاؤه منهم ،فسكب العبرات ،وأنشد هذه الأبيات:

شط المزار وعنهم قل مصطبرى ... وكيف أمشى لهم فى لجة البحر

تقرح الجفن من جرى الدموع به ... وجيش صبرى فى أدبار منكسر

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: فلما فرغ من شعره بكى حتى وقع مغشيا عليه واستمر فى غشيته مدة مديدة ،ثم أفاق من غشيته والتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدًا فى البرية فخشى على نفسه من الوحوش فصعد على جبل عال ،فبينما هو فى ذلك الجبل إذ سمع صوت آدمى يتكلم فى مغارة فأصغى إليه وإذا هو عابد قد ترك الدنيا واشتغل بالعبادة فطرق عليه باب المغارة ثلاث مرات فلم يجبه العابد ولم يخرج إليه ،فصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

كيف السبيل إلى أن أبلغ الأربا ... وأترك الهم والتدبير والتعبا

وكل هول من الأهوال شيبنى ... قلبا ورأسا مشيبًا فى زمان صبا

ما كان أعظم يومًا جئت منزلهم ... وقد رأيت على الأبواب ما كتبا

بكيت حتى سقيت الأرض من وله ... لكن كتمت على الدانين والغربا

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: فلما فرغ من شعره إذا بباب المغارة قد انفتح وسمع قائلا يقول: "وارحمتاه" فدخل الباب وسلم على العابد فرد عليه السلام وقال له: «ما اسمك؟» قال: «اسمي أنس الوجود»، فقال له: «ما سبب مجيئك إلى هذا المكان؟» فقص عليه قصته من أولها إلى آخرها وأخبره بجميع ما جرى له، فبكى العابد وقال له: «يا أنس الوجود إنَّ لي في هذا المكان عشرين عامًا وما رأيت فيه أحدًا إلا بالأمس فإني سمعت بكاءً فنظرت إلى جهة الصوت فرأيت أناسًا كثيرين وخيامًا منصوبة على شاطئ البحر وأقاموا مركبًا ونزل فيه قوم منهم وساروا بهم في البحر، ثم رجع بالمركب بعض من نزل فيه وكسروه وتوجهوا إلى حال سبيلهم، وأظن أن الذين ساروا على ظهر البحر ولم يرجعوا هم الذين أنت في طلبهم يا أنس الوجود، وحينئذ همك عظيم وأنت معذور».

ثم قام إلى أنس الوجود وعانقه وتباكيا حتى دوت الجبال من بكائهما ولم يزالا يبكيان حتى وقعا مغشيا عليهما ثم أفاقا وتعاهدا على أنهما أخوان فى الله تعالى، ثم قال العابد لأنس الوجود: «أنا فى هذه الليلة أصلى وأستخير الله لك على شىء تعمله» فقال له أنس الوجود: «سمعًا وطاعة». هذا ما كان من أمر أنس الوجود، وأما ما كان من أمر الورد فى الأكمام فإنه لما وصلوا بها إلى الجبل وأدخلوها القصر ورأته ورأت ترتيبه بكت وقالت: «والله إنك مكان مليح غير أنك ناقص وجود الحبيب فيك». ورأت فى تلك الجزيرة أطيارًا فأمرت بعض أتباعها أن ينصب لها فخا ويصطاد به منها، وكلما اصطاده يضعه فى أقفاص من داخل القصر، ففعل ما أمرته، ثم إنها لما جن عليها الظلام تذكرت ما فات، فأنشدت هذه الأبيات:

جحيم قلبى من النيران قد سعرت ... ومن لظى الأكباد فى نقم
ما كنت أملك نفسى أن أودعهم ... يوم الفراق فيا قهرى ويا ندمى
يا من يبلغهم ما حل بى وكفى ... أنى صبرت على ما خط بالقلم
ياليل سلم على الأحباب مخبرهم ... واشهد بعلمك أنى فيك لم أنم

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: هذا ما كان من أمر الورد فى الأكمام، وأما ما كان من أمر أنس الوجود فإن العابد قال له انزل إلى الوادى وآتنى من النخيل بليف، فنزل وجاء له بليف فأخذه العابد وفتله وجعله شنفًا مثل أشناف التبن وقال: «يا أنس الوجود فى جوف الوداى قرعًا يطلع وينشف على أصوله فانزل إليه واملأ هذا الشنف منه واربطه وارمه فى البحر واركب عليه وتوجه إلى وسط البحر لعلك تبلغ قصدك فإن من لم يخاطر بنفسه لم يبلغ المقصود» فقال: «سمعًا وطاعة». ثم ودعه وانصرف من عنده إلى ما أمره به بعد أن دعا له العابد.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: ولم يزل أنس الوجود سائرًا الى جوف الوادى وفعل كما قال له العابد، ولما وصل بالشنف إلى وسط البحر خرجت [illegible] فقذفته بالشنف حتى غاب عن عين العابد ولم يزل سابحًا فى لجة البحر ترفعه موجة وتحطه أخرى وهو يرى ما فى البحر من العجائب والأهوال إلى أن رمته المقادير على جبل الثكلى بعد ثلاثة أيام، فنزل إلى البر مثل الفرخ الدائخ لهفان من الجوع والعطش، فوجد فى ذلك المكان أنهارًا جارية وأطيارًا مفردة على الأغصان، وأشجارًا مثمرة صنوان وغير صنوان، فأكل من الأثمار، وشرب من الأنهار وقام يمشى فرأى بياضًا على بعد فمشى إلى جهته حتى وصل إليه فوجده قصرًا منيعًا حصينا فأتى إلى باب القصر فوجده مقفولاً، فجلس عنده ثلاثة أيام، فبينما هو جالس وإذا بباب القصر قد فتح وخرج منه شخص من الخدم فرأى أنس الوجود قاعدًا، فقال له: «من أين أتيت ومن أوصلك إلى ههنا؟» فقال: «من أصبهان وكنت مسافرًا فى البحر بتجارة فانكسر المركب الذى كنت فيه فرمتنى الأمواج على ظهر هذه الجزيرة».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فبكى الخادم وعانقه وقال: «حياك الله يا وجه الأحباب إن أصبهان بلادى ولى فيها والد وأم فغزانا قوم أقوى منا وأخذونى من جملة الغنائم وكنت صغيرًا فباعونى خادمًا وها أنا فى هذه الحالة». وبعد ما سلم عليه وحياه أدخله ساحة القصر، فلما دخل رأى بحيرة عظيمة وحولها أشجار وأغصان وفيها أ[illegible]ار فى أقفاص من فضة وأبوابها من الذهب وتلك الأقفاص معلقة على الأغصان، والأطيار [illegible]ا تناغى وتسبح الملك الديان، فلما وصل إلى أولها تأمله فإذا هو قمرى، فلما رآه الطير مد صوته وقال: «يا كريم»، فغشى على أنس الوجود فلما أفاق من غشيته صعد الزفرات، وأنشد هذه الأبيات:

أيها القمرى هل مثلى تهيم ... فاسأل المولى وغرد يا كريم
يا رعى الله محبا صادقًا ... لست أسلوه ولو عظمى رميم

فلما فرغ من شعره بكى حتى وقع مغشيا عليه، وحين أفاق من غشيته مشى حتى وصل

إلى ثانى قفص فوجد فاختًا، فلما رآه الفاخت غرد وقال: «يا دائم أشكرك»، فصعد أنس الوجود الزفرات.

وأنشد هذه الأبيات:

وفاخت قد قال فى نوحه	يا دائمًا شكرًا على بلوتى
فقلت والنيرات قد أضمرت	فى القلب حتى أحرقت مهجتى
والدمع مسفوح يحاكى دمًا	قد فاض جاريه على وجنتى
ما ثمَّ مخلوقٌ بلا محنة	لكنَّ لى صبرًا على محنتى
بقدرة الله متى لمنى	وقت الصفا يومًا لى سادتى
جعلت للأحباب مالى قرى	لأنهم قومٌ على سنتى
وأطلق الأطيار من سجنها	وأترك الأحزان من فرحتى

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فلما فرغ من شعره تمشى إلى ثالث قفص فوجد هزارًا، فزعق الهزار عند رؤيته، فأنشد:

تسلسل الدمع من عينى فقلت له	سلاسل الدمع قد طالت فسلسلنى
زاد اشتياقى وطال البعد وانعدمت	كنوز صبرى وفرط الوجد أتلفنى

فلما فرغ من شعره تمشى إلى رابع قفص فرآه بلبلاً، فناح وغرد عند رؤية أنس الوجود، فلما سمع تفريده سكب العبرات، وأنشد هذه الأبيات:

كما سمعنا صوت ألحان محت	طربًا صلد حديد وحجر
ونسيم الصبح قد يروى لنا	عن رياض يانعات بالزهر
فطربنا بسماع وشذا	من نسيم وطيور فى السحر
وتذكرنا حبيبًا غائبًا	فجرى الدمع سيولاً ومطر

فلما فرغ أنس الوجود من شعره إلى صاحبه الأصبهانى وقال له: «ما هذا القصر وما فيه ومن بناه؟» قال له: بناه وزير الملك الفلانى لابنته خوفًا عليها من عوارض الزمان، وطوارق الحدثان، وأسكنها فيه هى وأتباعها ولا نفتحه إلا فى كل سنة مرة إذ تأتى إليهم مؤنتهم» فقال فى نفسه: «قد حصل المقصود ولكن المدة طويلة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: هذا ما كان من أمر أنس الوجود، وأما ما كان من أمر الورد فى الأكمام فإنها لم يهنأ لها شراب ولا طعام، ولا قعود ولا منام، فقامت ودارت فى أركان القصر فلم تجد لها مصرفًا فسكبت العبرات وطلعت إلى سطح القصر وأخذت أثوابًا بعلبكية وربطت نفسها فيها وتدلت حتى وصلت إلى الأرض، وقد كانت لابسة أفخر ما عندها من اللباس وفى عنقها عقد من الجواهر وسارت فى تلك البرارى والقفار حتى وصلت إلى شاطئ البحر، فرأت صيادًا فى مركب دائرًا فى البحر يصطاد فرمته الريح على تلك الجزيرة فالتفت فرأى الورد فى الأكمام، فلما رآها فزع منها وخرج بالمركب هاربًا، فنادته وأنشدت:

يا أيها الصياد لا تخش الكدر ... أنى إنسية مثل البشر
ارحم وقاك الله حر صبوتي ... إن أبصرت عيناك محبوبًا نفر

فلما سمع الصياد كلامها بكى، وأنّ واشتكى، وتذكر ما مضى له فى أيام الصبى وتقدم فأرسى مركبه على البر وقال لها: «انزلى فى المركب حتى أسافر بك إلى أى موضع تريدين»، فنزلت فى المركب وعوّم بها فلما فارق البر بقليل هبت على المركب ريح من خلفه فسار المركب بسرعة عظيمة حتى غاب البر عن أعينهما وصار الصياد لا يعرف أين يذهب ومكث اشتداد الريح مدة ثلاثة أيام، ثم سكنت الريح بإذن الله تعالى ولم يزل المركب يسير بهما حتى وصل إلى مدينة على شاطئ البحر.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: ولما انتهى المركب بالصياد والورد فى الأكمام إلى مدينة على شاطئ البحر أراد الصياد أن يرسى مركبه على تلك المدينة وكان فيها ملك عظيم السطوة يقال له درباس، وكان فى ذلك الوقت جالسًا هو وابنه فى قصر مملكته وصارا ينظران من شباك القصر، فالتفتا إلى جهة البحر فرأيا ذلك المركب فتأملاه فوجدا فيه صبية كأنها البدر فى أفق السماء، وفى أذنيها حلق من البخلش النفيس، وفى عنقها عقد من الجوهر النفيس.

فعرف الملك أنها من بنات الأكابر والملوك فنزل الملك من قصره وخرج من باب القيطون فرأى المركب قد رسا على الشاطئ وكانت البنت نائمة والصياد مشغولاً بربط المركب، فأيقظها الملك من منامها فاستيقظت وهى تبكى، فقال لها الملك: «من أين أنت وابنة من أنت وما سبب مجيئك هنا؟» فقالت له الورد فى الأكمام: «أنا ابنة إبراهيم وزير الملك شامخ وسبب مجيئى هنا أمر عجيب وشأن غريب»، وحكت له جميع قصتها من أولها إلى آخرها ولم تخف عنه شيئًا، ثم صعدت الزفرات وأنشدت هذه الأبيات:

عشنا إلى أن رأينا عندنا عجبًا ... كل الشهور وفى الأمثال عش رجبا
أليس من عجب أنى ضُحى ارتحلوا ... أوقدت من ماء دمعى فى الحشى لهبا
وإن أجفان عينى أمطرت ورقًا ... وإن ساحة خدى أنبتت ذهبا
كأن ما انمقَّ عنه من معصفره ... قميص يوسف غشوه دمًا كذبا

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فلما سمع الملك كلامها أخذته الشفقة عليها وقال لها: «لا خوف عليك ولا فزع قد وصلت إلى مرادك فلا بد أن أبلغك ما تريدين، وأوصل إليك ما تطلبين». وأنشد:

بنت الكرام بلغت القصد والأربا ... لك البشارات لا تخشى هنا نصبا
اليوم أجمع أموالاً وأرسلها ... لشامخ صحبة الفرسان والنجبا
نوافج المسك والديباج أرسلها ... وأرسل الفضة البيضاء والذهبا
نعم وتخبره عنى مكاتبتى ... أنى مريد له صهرًا ومنتسبا
وأبذل اليوم جهدى فى معاونة ... حتى يكون الذى تهوين مقتربا

فلما فرغ من شعر خرج إلى عسكره ودعا بوزيره وحزم له مالاً لا يحصى وأمره أن يذهب بذلك إلى الملك شامخ وقال له: «لا بد أن تأتينى بشخص عنده اسمه أنس الوجود وقل

له أنه يريد مصاهرتك بأن يزوج ابنته لأنس الوجود تابعك، فلا بد من إرساله معى حتى نعقد عقده عليها فى مملكة أبيها».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: ثم إن الملك درباس كتب مكتوبًا للملك شامخ بمضمون ذلك وأعطاه لوزيره وأكد عليه فى الإتيان بأنس الوجود وقال له: «إن لم تأتنى به تكن معزولاً من مرتبتك». فقال له: «سمعًا وطاعة»، ثم توجه بالهدية إلى الملك الشامخ، فلما وصل إليه بلّغه السلام عن الملك درباس وأعطاه المكاتبة والهدية التى معه، فلما رآها الملك شامخ وقرأ المكاتبة ونظر اسم أنس الوجود بكى بكاءً شديدًا وقال للوزير المرسل إليه: «وأين أنس الوجود فإنه ذهب ولا نعلم مكانه فأتنى به وأنا أعطيك أضعاف ما جئت به من الهدية» ثم بكى، وأنّ واشتكى، وأفاض العبرات، وأنشد:

ردُّوا علىَّ حبيبى — لا حاجة لى بمال
ولا أريد هدايا — من جواهر ولآلى
قد كان عندى بدرًا — سما بأفق جمال

ثم التفت إلى الوزير الذى جاء بالهدية والرسالة وقال له: «اذهب إلى سيدك وأخبره أن أنس الوجود مضى له عامٌ وهو غائب وسيده لم يدر أين ذهب ولا يعرف له خبرًا».

فقال له الوزير: «يا مولاى إن سيدى قال لى: «إن لم تأت به تكن معزولاً عن الوزارة ولا تدخل مدينتى فكيف أذهب إليه بدونه؟» فقال الملك شامخ لوزيره إبراهيم: «اذهب معه صحبة جماعة وفتشوا عن أنس الوجود فى عامة الأماكن»، فقال له: «سمعًا وطاعة». ثم أخذ جماعة من أتباعه واستصحب وزير الملك درباس وساروا فى طلب أنس الوجود، فكانوا كلما مروا بعرب أو قوم يسألونهم عن أنس الوجود فيقولون لهم: «هل مرَّ بكم شخص اسمه كذا وصفته كذا وكذا؟» فيقولون: «لا نعلمه».

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: وما زالوا يسألون فى المدائن والقرى يفتشون فى السهل والأوعار، والبرارى والقفار حتى وصلوا إلى شاطئ البحر وطلبوا مركبًا ونزلوا فيه وساروا حتى أقبلوا على جبل الثكلى، فقال وزير الملك دارباس لوزير الملك شامخ: «لأى شىء سمى هذا الجبل بذلك الاسم؟».

فقال له وزير الملك شامخ: «لأنه نزلت فيه جنية فى قديم الزمان وكانت تلك الجنية من جن الصين تزوجت إنسيا وعاشت معه زمنًا طويلاً إلى أن ولدت له أطفالاً متعددة، وكان كل من يمر على هذا الجبل من التجار المسافرين فى البحر يسمع بكاء الأطفال كبكاء المرأة التى ثكلت أولادها أى فقدتهم فيقول: هل هنا ثكلى؟». فتعجب وزير الملك درباس من ذلك الكلام، ثم إنهم ساروا حتى وصلوا إلى القصر وطرقوا الباب فانفتح الباب وخرج لهم خادم فعرف إبراهيم وزير الملك شامخ فقبل يديه ثم دخل القصر فوجد فى فسحته رجلاً فقيرا بين الخدامين وهو أنس الوجود، فقال لهم: «من أين هذا؟».

فقالوا له: «إنه رجل تاجر غرق ماله ونجا بنفسه وهو مجذوب». فتركه ثم مشى إلى داخل القصر فلم يجد لابنته أثرا، فسأل الجوارى التى هناك، فقلن له: «ما عرفنا كيف راحت ولا أقامت معنا سوى مدة يسيرة»، فسكب العبرات وأنشد:

أيها الدار التى أطيارها — قد تغنت وازدهت أعتابها

ليت شعري أين ضاعت مهجتي ... عند دار قد نأت أربابها
كان فيها كل شيء فاخر ... واستطابت واعتلت حجابها
وكسوها حللاً من سندس ... يا ترى أين غدت أصحابها

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فلما فرغ من شعره بكى وأنّ واشتكى وقال: «لا حيلة فى قضاء الله ولا مفر مما قدَّره وقضاه». ثم طلع إلى سطح القصر فوجد الثياب البعلبكية مربوطة فى شراريف القصر واصلة إلى الأرض فعرف أنها قد نزلت من ذلك المكان، وراحت كالهائم الولهان والتفت فرأى هناك طيرين غرابا وبومة فتشاءم من ذلك وأصعد الزفرات وأنشد:

أتيت إلى دار الأحبة راجيًا ... بآثارهم إطفاء وجدى ولوعتى
فلم أجد الأحباب فيها ولم أجد ... بها غير مشؤومى غراب وبومة
وقال لسان الحال قد كنت ظالمًا ... فعش كمدًا ما بين دمع وحرقة

ثم نزل من فوق القصر وهى يبكى وقد أمر الخدام أن يخرجوا إلى الجبل ويفتشوا عن سيدتهم ففعلوا ذلك، فلم يجدوها، هذا ما كان من أمرها، وأما ما كان من أمر أنس الوجود فإنه لما تحقق أن الورد فى الأكمام قد ذهبت وقع مغشيا عليه واستمر فى غشيته فظنوا أنه أخذته جذبة من الرحمن، واستغرق فى جمال هيبة الديان.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: ولما يئسوا من وجود أنس الوجود واشتغل قلب الوزير إبراهيم بفقد بنته الورد فى الأكمام أراد وزير الملك درياس أن يتوجه إلى بلاده، وإن لم يفز من سفره بمراده، فأخذ يودعه الوزير إبراهيم والد الورد فى الأكمام، فقال له وزير الملك درياس: «إنى أريد أن آخذ هذا الفقير معى عسى الله تعالى أن يعطف على قلب الملك ببركته لأنه مجذوب، ثم بعد ذلك أرسله إلى بلاد أصبهان لأنها قريبة من بلادنا، فقال له: «افعل ما تريد». ثم انصرف كل منهما متوجهًا إلى بلاده وقد أخذ وزير الملك درياس أنس الوجود معه وهو مغشى عليه وسار به ثلاثة أيام وهو فى غشيته محمول على البغال ولا يدرى أهو محمول أم لا، فلما أفاق من غشيته قال: «فى أى مكان أنا» فقالوا له: «أنت صحبة وزير الملك درياس»، ثم ذهبوا إلى الوزير وأخبروه أنه قد أفاق، فأرسل إليه ماء الورد والسكر فسقوه وأنعشوه، ولم يزالوا مسافرين حتى قربوا من مدينة الملك درياس، فأرسل الملك إلى الوزير يقول له: «إن لم يكن أنس الوجود معك فلا تأتنى أبدًا».

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فلما قرأ مرسوم الملك عسر عليه ذلك وكان الوزير لا يعلم أن الورد فى الأكمام عند الملك ولا يعلم ما سبب إرسال الملك إياه إلى أنس الوجود ولا يعلم ما سبب رغبته فى مصاهرته وأنس الوجود لا يعلم أين يذهبون به ولا يعلم أن الوزير مُرسل فى طلبه والوزير لا يعلم أن هذا هو أنس الوجود، فلما رأى الوزير أن أنس الوجود قد استفاق قال له: «إن الملك أرسلنى فى حاجة وهى لم تقض ولما علم بقدومى أرسل إلى مكتوبًا يقول لى فيه: إن لم تكن الحاجة قد قُضيت فلا تدخل مدينتى». فقال له: «وما حاجة الملك؟» فحكى له جميع الحكاية،

فقال له أنس الوجود: «لا تخف واذهب إلى الملك وخذنى معك وأنا أضمن لك مجىء أنس الوجود» ففرح الوزير بذلك وقال له «أحق ما تقول؟» فقال: «نعم»، فركب وأخذه معه وسار به إلى الملك، فلما وصلا إلى الملك قال له: «أين أنس الوجود؟» فقال أنس الوجود: «أيها الملك أنا أعرف مكان أنس الوجود»، فقربه إليه وقال له: «فى أى مكان هو؟» قال: «فى مكان قريب جدا ولكن أخبرنى ماذا تريد منه وأنا أحضره بين يديك»، فقال له: «حبا وكرامة»، ولكن هذا الأمر يحتاج إلى خلوة»، ثم أمر الناس بالانصراف ودخل معه خلوة وأخبره الملك بالقصة من أولها إلى آخرها، فقال له أنس الوجود: «ائتنى بثياب فاخرة وألبسنى إياها وأنا آتيك بأنس الوجود سريعًا»، فأتاه ببدلة فاخرة فلبسها وقال: «أنا أنس الوجود، وكمد الحسود»، ثم رمى القلوب باللحظات، وأنشد هذه الأبيات:

يؤانسنى ذكر الحبيب بخلوتى ... ويطرد عنى فى التباعد وحشتى
ومالى غير الدمع عين وإنما ... إذا فاض من عينى يخفف زفرتى
وقد رق جسمى من أليم بعادهم ... وغيرت الأشواق وصفى وصورتى
وأجفان عينى بالدموع تقرحت ... ولم أستطع أنى أرجع دمعتى
وقد قل حيلى والفؤاد عدمته ... وكم ذا ألاقى لوعة بعد لوعة
وقلبى ورأسى فى المشيب تشابها ... على سادة فى الحسن أحسن سادة
على رغمهم كان التفرق بيننا ... وما قصدهم إلا لقائى ووصلتى
فيا هل ترى بعد التقاطع والنوى ... يمتعنى دهرى بوصل أحبتى
ويطوى كتاب البعد من بعد نشره ... وتمحى براحات الوصال مشقتى؟

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فلما فرغ من شعره قال له الملك: «والله إنكما لمحبان صادقان، وفى سماء الحسن كوكبان نيران، وأمركما عجيب، وشأنكما غريب»، ثم حكى له حكاية الورد فى الأكمام إلى آخرها، فقال له «وأين هى يا ملك الزمان؟» قال: «هى عندى الآن» ثم أحضر الملك القاضى والشهود وعقد عقدها عليه، وأكرمه وأحسن إليه، ثم أرسل الملك درياس إلى الملك شامخ وأخبره بجميع ما اتفق له من أمر أنس الوجود والورد فى الأكمام، ففرح الملك شامخ بذلك غاية الفرح وأرسل إليه مكتوبًا مضمونه: «حيث حصل عقد العقد عندك ينبغى أن يكون الفرح عندى»، ثم جهز الجمال، والخيل والرجال، وأرسل فى طلبهما، فلما وصلت الرسالة إلى الملك مدهما بمال عظيم، وأرسلهما مع جملة من عسكره، فساروا بهما حتى دخلوا مدينتهما، وكان يومًا مشهودًا لم ير أعظم منه، وجمع الملك شامخ جميع المطربات من آلات الغناء وعمل الولائم ومكثوا على ذلك سبعة أيام، وفى كل يوم يخلع الملك شامخ على الناس الخلع السنية ويحسن إليهم، ثم إن أنس الوجود قام يتحدث مع الورد فى الأكمام وأخذا يبكيان من شدة فرحهما، فأنشدت الورد فى الأكمام هذه الأبيات:

جاء السرور أزال الهم والحزنا ... ثم اجتمعنا وأكمدنا حواسدنا
ونسمة الوصل قد هبت معطرة ... فأحيت القلب والأحشاء والبدنا
وبهجة الأنس قد لاحت مطلقة ... وفى الخوافق قد دقت بشائرنا

لا تحسبوا أننا بكون من حزن لكن من فرح فاضت مدامعنا
فكم رأينا من الأهوال وانصرفت وقد صبرنا على ما هيج الشجنا
فساعة من وصال قد نسيت بها ما كان من شدة الأهوال شيبنا

فلما فرغت من شعرها أجابها أنس الوجود بهذه الأبيات:

نصب السعد لنا أعلامه وشربنا منه كأسًا قد صفا
واجتمعنا وتشكاينا الأسى وليالات تقضت بالجفا
ونسينا ما مضى يا سادتي وعفا الرحمن عما سلفا

فلما فرغ من شعره قاما وخرجا من مكانهما وأنعما على الناس بالمال والخلع وأعطيا ووهبا، ثم عادا إلى قصرهما وأقاما به فى ألذ المسرات، إلى أن أتاهما هادم اللذات ومفرق الجماعات، فسبحان من لا يحول، ولا يزول، وإليه كل الأمور تؤول.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الرجل والجارية مع عبد الله بن معمر

قالت شهرزاد: حكى أن بعض أهل البصرة اشترى جارية فأدبها وأحسن أدبها وتعليمها وكان يحبها غاية المحبة وأنفق جميع ماله على البسط، والانشراح وهو معها ولم يبق عنده شىء وقد أضر به الفقر الشديد، فقالت له الجارية: «يا سيدى بعنى لأنك محتاج إلى ثمنى وقد شفقت على حالك مما أرى بك من الفقر فلو بعتنى وأنفقت ثمنى لكان ذلك أصلح لك من بقائى عندك ولعل الله تعالى يوسع عليك رزقك». فأجابها إلى ذلك من ضيق حاله. ثم أخذها ونزل بها إلى السوق فعرضها الدلال على أمير البصرة وكان اسمه عبد الله بن معمر التيمى فأعجبته، فاشتراها بخمسمائة دينار ودفع ذلك المبلغ إلى سيدها، فلما قبضه سيدها وأراد الانصراف بكت الجارية وأنشدت هذين البيتين:

هنيئًا لك المال الذى قد حويته ولم يبق لى غير الأسى والتفكر
أقول لنفسى وهى فى سوء كربها أقلى فقد بان الحبيب أو أكثرى

فلما سمعها سيدها صعد الزفرات، وأنشد هذه الأبيات:

إذا لم يكن للأمر عندك حيلة ولم تجدى شيئًا سوى الموت فاعذرى
أروح وأغدو والمؤانس ذكرهم أناجى به قلبًا شديد التفكر
عليك سلام لا زيارة بيننا ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فلما سمع عبد الله بن معمر شعرهما ورأى كآبتهما قال: «والله لا كنت مُعينا على فراقكما وقد ظهر لى أنكما متفقان، فخذ المال والجارية بارك الله لك فيهما، فإن فراق المتفقين من بعضهما صعب عليهما»، فقبل الاثنان يده وانصرفا، وما زالا مجتمعين إلى أن فرق بينهما الموت، فسبحان من لا يدركه الفوت.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية المتلمس مع زوجته

قالت شهرزاد: يُحكى أن المتلمس هرب من النعمان بن المنذر وغاب غيبة طويلة حتى ظنوا أنه مات، وكانت له زوجة جميلة تسمى أميمة فأشار عليها أهلها بالزواج، فأبت، فألحوا عليها لكثرة

خطابها وغصبوها على الزواج، فأجابتهم إلى ذلك وهى كارهة، فزوجوها رجلاً من قومها وكانت تحب زوجها المتلمس محبة عظيمة، فلما كانت ليلة زفافها على ذلك الرجل الذى غصبوها على الزواج به قدم زوجها المتلمس فى تلك الليلة فسمع فى الحى صوت المزامير والدفوف ورأى علامات الفرح فسأل من بعض الصبيان عن هذا الفرح، فقالوا له: إن أميمة زوجة المتلمس زوجوها لفلان وها هى تُزف إليه فى هذه الليلة». فلما سمع المتلمس ذلك الكلام تحيل فى الدخول مع جملة النساء فوجدهما على منصتهما، فتنفست الصعداء وبكت وأنشدت هذا البيت:

أيا ليت شعرى والحوادث جمة بأى بلاد أنت يا متلمس؟

وكان زوجها المتلمس من الشعراء المشهورين فأجابها بقوله:

بأقرب دار يا أميمة فاعلمى وما زلت مشتاقا إذا الركب عرسوا

فعند ذلك فطن العريس بهما فخرج من بينهما بسرعة وهو ينشد قوله:

فكنتُ بخير ثم بت بضده وضمكما بيت رحيب ومجلسُ

ثم تركهما وذهب، وعاشت مع زوجها المتلمس، وما زالا فى أطيب عيش وأصفاه وأرغده وأهناه إلى أن فرق بينهما الممات، فسبحان من تقوم بأمره الأرض والسماوات.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الرجل الطحان مع زوجته

قالت شهرزاد: حكى أن رجلا كان عنده طاحون وله حمار يطحن عليه، وكان له زوجة سوء وهو يحبها وهى تكرهه، وكانت تحب جارًا لها وهو يبغضها، فرأى زوجها فى النوم قائلا يقول له: «احفر فى الموضع الفلانى من مدار الحمار بالطاحون تجد كنزًا».

لما انتبه من منامه حدث زوجته برؤياه وأمرها بكتمان السر، فأخبرت بذلك جارها لأجل أن تتقـ[illegible]ـب إليه، فعاهدها أن يأتيها ليلاً، فأتاها ليلا وحفرا فى مدار الطاحون فوجدا الكنز فاستخرجاه، فقال لها الجار: «كيف نصنع بهذا؟» فقالت: «نقسمه نصفين بالسوية وتفارق أنت زوجتك وأنا أحتال فى فراق زوجى ثم تتزوج بى، فإذا اجتمعنا جمعنا المال كله على بعضه فيصير بأيدينا». فقال لها جارها: «أنا أخاف أن يطغيك الشيطان فتأخذى غيرى فإن الذهب فى المنزل كالشمس فى الدنيا، والرأى السديد أن يكون المال كله عندى لتحرصى أنت على الخلاص من زوجك والإتيان إلى»، فقد قلت له: «إنى أيضًا أخاف مثل ما تخاف أنت ولا أسلم إليك نصيبى من هذا المال فإنى أنا التى قد دللتك عليه». فلما سمع منها هذا الكلام دعاه البغى إلى قتلها فقتلها وألقاها فى موضع الكنز، ثم أدركه النهار فعوقه عن مداراتها فحمل المال وخرج، فاستيقظ الطحان من النوم فلم يجد زوجته، فدخل الطاحون وعلق حماره فى الطاحون وصاح عليه فمشى ووقف، فضربه الطحان ضربا شديدًا، وكلما ضربه يتأخر لأنه قد جفل من المرأة الميتة وصار لا يمكنه التقدم، كل ذلك والطحان لا يدرى ما سبب توقف الحمار، فأخذ سكينًا ونخسه نخسًا كثيرًا فلم ينتقل من موضعه، فغضب منه وطعنه بها فى خاصرتيه فسقط الحمار ميتًا. فلما طلع النهار رأى الطحان الحمار ميتًا وزوجته ميتة ووجدها فى موضع الكنز، فاشتد غيظه على ذهاب الكنز وهلاك زوجته والحمار، فهذا كله من إظهار سره لزوجته وعدم كتمانه له.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الرجل المغفل

قالت شهرزاد: حُكى أن بعض المغفلين كان سائرًا وبيده مقود حماره وهو يجره خلفه، فنظره رجلان من الشطار، فقال واحد منهما لصاحبه: «أنا آخذ هذا الحمار من هذا الرجل»، فقال له: «كيف تأخذه؟» فقال له: «أتبعنى وأنا أريك»، فتبعه، فتقدم ذلك الشاطر إلى الحمار وفكَّ منه المقود وأعطاه لصاحبه وحط المقود فى رأسه ومشى خلف المغفَّل حتى علم أن صاحبه ذهب بالحمار، ثم وقف، فجره المغفل بالمقود فلم يمش، فالتفت إليه فرأى المقود فى رأس رجل فقال له: «أى شىء أنت؟» فقال له: «أنا حمارك ولى حديث عجيب، وهو أنه كان لى والدة عجوز صالحة جئت إليها فى بعض الأيام وأنا سكران فقالت لى: «يا ولدى تب إلى الله تعالى من هذه المعاصى»، فأخذت العصا وضربتها بها، فدعت على فمسخنى الله تعالى حمارًا وأوقعنى فى يدك، فمكثت عندك هذا الزمان كله».

«فلما كان هذا اليوم تذكرتنى أمى وحنَّ قلبها على فدعت لى، فأعادنى الله آدميا كما كنت»، فقال الرجل: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم بالله عليك يا أخى أن تجعلنى فى حل مما فعلته بك من الركوب وغيره». ثم خلَّى سبيله ومضى، ورجع صاحب الحمار إلى داره وهو سكران من الهم والغم، فقالت له زوجته: «ما الذى دهاك وأين الحمار؟» فقال لها: «أنت ما عندك خبر بأمر الحمار فأنا أخبرك به». ثم حكى لها الحكاية. فقالت له زوجته: «يا ويلنا من الله تعالى كيف مضى لنا هذا الزمان ونحن نستخدم بنى آدم»، «ثم إنها تصدقت واستغفرت، وجلس الرجل فى الدار مدة من غير شغل، فقالت له زوجته: «إلى متى هذا القعود فى البيت من غير شغل فامض إلى السوق واشتر لنا حمارًا واشتغل عليه»، فمضى إلى السوق ووقف عند الحمير وإذا هو بحماره يباع فلما عرفه تقدم إليه ووضع فمه على أذنه وقال له: «ويلك يا مشؤوم لعلك رجعت إلى السكر وضربت أمك، والله ما بقيت اشتريك أبدًا»، ثم تركه وانصرف.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الخليفة الحاكم بأمر الله مع الرجل التاجر

قالت شهرزاد: حُكى أن الحاكم بأمر الله كان راكبًا فى موكبه يومًا من الأيام، فمر على بستان فرأى رجلاً هناك وحوله عبيد وخَدم، فاستسقاه ماء فسقاه، ثم قال: " لعل أمير المؤمنين أن يكرمنى بنزوله عندى فى هذا البستان ".

فنزل الملك ونزل جيشه فى ذلك البستان، فأخرج الرجل المذكور مائة بساط ومائة نطع ومائة وسادة ومائة طبق من الفاكهة ومائة جام ملآن حلوى ومائة زبدية ملأى بالشرابات السكرية.

فاندهش عقل الحاكم بأمر الله من ذلك وقال له: " أيها الرجل إن خبرك عجيب فهل علمت بمجيئنا فأعددت لنا هذا؟ " قال: " لا والله يا أمير المؤمنين ما علمت بمجيئكم وإنما أنا تاجر من جملة رعيتك ولكن لى مائة جارية، فلما أكرمنى أمير المؤمنين بنزوله عندى أرسلت إلى كل واحدة منهن أن ترسل لى الغداء فى البستان فأرسلت كل واحدة منهن شيئًا من فراشها وزائد أكلها وشربها فإن كل واحدة منهن ترسل لى فى كل يوم طبق طعام وطبق مبردات وطبق فاكهة وجامًا ممتلئًا حلوى وزبدية شراب وهذا غذائى كل يوم لم أزد لك فيه شيئًا ". فسجد أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله شكرًا لله تعالى وقال: " الحمد لله الذى جعل فى رعايانا من وسع الله عليه حتى يطعم الخليفة وعسكره من غير استعداد لهم بل من فاضل طعامه ".

ثم إن الخليفة أمر له بما فى بيت المال من الدراهم المضروبة فى تلك السنة، فكانت ثلاثة آلاف ألف وسبعمائة ألف، ولم يركب حتى أحضرها وأعطاها لذلك الرجل وقال له: " استعن بها على حالك فإن مروءتك أكبر من ذلك "، ثم ركب الملك وانصرف.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

حكاية الملك كسرى أنوشروان مع الجارية

قالت شهرزاد: ومما يحكى أن الملك العادل كسرى أنوشروان ركب يومًا إلى الصيد فانفرد عن عسكره خلف ظبى، فبينما هو ساع خلفه إذ رأى ضيعة قريبة منه وكان قد عطش عطشًا شديدًا، فتوجه إلى تلك الضيعة وقصد باب دار قوم فى طريقه فطلب ماء ليشرب، فخرجت له صبية فأبصرته ثم عادت إلى البيت وعصرت له عودًا من قصب السكر ومزجت ما عصرته منه بالماء ووضعته فى قدح ووضعت عليه شيئًا من الطيب يشبه التراب، ثم سلمته إلى أنوشروان، فنظر فى القدح فرأى فيه شيئًا يشبه التراب، فجعل يشرب منه قليلاً قليلا حتى انتهى إلى آخره.



ثم قال للصبية: " أيتها الصبية نعم الماء ما أحلاه لولا ذلك القذى الذى فيه فإنه كدّره "

فقالت الصبية: " أيها الضيف، أنا عمدا ألقيت فيه ذلك القذى الذى كدّره "، فقال الملك: " ولِمَ فعلت ذلك؟ ".

فقالت: " لأنى رأيتك شديد العطش وخفت أن تشربه نهلة واحدة فيضرك فلو لم يكن فيه قذى لكنت شربته بسرعة نهلة واحدة وكان يضرك لشربه على هذه الطريقة"، فتعجب الملك العادل أنوشروان من كلامها وذكاء عقلها وعلم أن ما قالته ناشئ عن ذكاء وفطنة وجودة عقل.

فقال لها: " من كم عود عصرت ذلك الماء؟ ".

فقالت: " من عود واحد "، فتعجب أنوشروان وطلب جريدة الخراج الذى يحصل من تلك القرية فرأى خراجها قليلاً فأضمر فى نفسه أنه إذا عاد إلى تخته يزيد فى خراج تلك القرية وقال: "قرية يكون فى عود واحد منها هذا الماء كيف يكون خراجها هذا القدر القليل؟".



ثم أنه انصرف عن تلك القرية إلى الصيد وفى آخر النهار رجع إليها واجتاز على ذلك الباب منفردًا وطلب الماء ليشرب، فخرجت له تلك الصبية بعينها فرآته فعرفته، ثم عادت لتخرج له الماء فأبطأت عليه فاستعجلها أنوشروان وقال: " لأى شىء أبطأت؟ ".

فقالت له: " لأنه لم يخرج من عود واحد قدر حاجتك فعصرت ثلاثة أعواد ولم يخرج منها مثل ما كان يخرج من عود واحد".

فقال الملك أنوشروان: " ما سبب ذلك؟ " فقالت: "سببه أن نية السلطان قد تغيرت"، فقال لها: "من أين جاءك هذا؟ " فقالت: " سمعنا من العقلاء إذا تغيرت نيّة السلطان على قوم زالت بركتهم وقلت خيراتهم "، فضحك أنوشروان وأزال من نفسه ما كان أضمر لهم عليه وتزوج بتلك الصبية حالاً حيث أعجبه فرط ذكائها وفطنتها وحسن كلامها.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

حكاية الملك خسرو مع صياد السمك

قالت شهرزاد: حكى أن خسرو وهو ملك من الملوك كان يحب السمك، فكان يومًا جالسًا فى قاعته هو وشيرين زوجته، فجاء صياد ومعه سمكة كبيرة فأهداها لخسرو، فأعجبته تلك السمكة فأمر له بأربعة آلاف درهم، فقالت له شيرين : " بئس ما فعلت "، فقال: ولم؟ قالت: " لأنك بعد هذا إذا أعطيت أحدًا من حشمك هذا القدر يحتقره " ويقول: " إنما أعطانى مثل القدر الذى أعطاه للصياد، وإن أعطيته أقل منه يقول: قد احتقرنى وأعطانى أقل مما أعطى الصياد ". فقال خسرو: " لقد صدقت ولكن يقبح بالملوك أن يرجعوا فى هبتهم وقد فات هذا ". فقالت شيرين: " أنا أدبر لك أمرًا فى استرجاع العطية منه " فقال لها: " وكيف ذلك؟ " قالت له: " إذا أردت ذلك فادع الصياد، وقل له: هل هذه السمكة ذكرا أو أنثى؟ فإن قال: ذكر، فقل له: إنما أردنا أنثى، وإن قال: أنثى، فقل له: إنما أردنا ذكرًا ".

فأرسل خلف الصياد فعاد، وكان الصياد صاحب ذكاء وفطنة، فقال له الملك خسرو: " هل هذه السمكة ذكرا أو أنثى "؟ فقبَّل الصياد الأرض، وقال: " هذه السمكة خنثى لا ذكر ولا أنثى " فضحك خسرو من كلامه وأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى، فمضى الصياد إلى الخازندار وقبض منه ثمانية آلاف درهم ووضعها فى جراب كان معه وحملها على عنقه وهمَّ بالخروج فوقع منه درهم واحد فوضع الصياد الجراب عن كاهله وانحنى على الدرهم، فأخذ هوالملك وشيرين ينظران إليه، فقالت شيرين: " أيها الملك أرأيت خسَّة هذا الرجل وسفالته حيث سقط منه درهم لم يسهل عليه أن يتركه ليأخذه بعض غلمان الملك ؟". فلما سمع الملك كلامها اشمأز من الصياد، وقال: " لقد صدقت يا شيرين " ثم إنه أمر بإعادة الصياد وقال له: " يا ساقط الهمة لست بإنسان؟! كيف وضعت هذا المال عن كاهلك وانحنيت لأجل درهم وبخلت أن تتركه فى مكانه؟ " فقبَّل الصياد الأرض وقال: " أطال الله بقاء الملك إننى لم أرفع ذلك الدرهم عن الأرض لخطره عندى وإنما رفعته عن الأرض لأن على أحد وجهيه صورة الملك وعلى وجهه الآخر اسمه فخشيت أن يضع أحد رجله عليه بغير علم فيكون ذلك استخفافًا باسم الملك وصورته فأكون أنا المؤاخذ بهذا الذنب " فتعجب الملك من قوله واستحسن ما ذكره فأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى، وأمر الملك مناديًا أن ينادى فى مملكته ويقول: " لا ينبغى لأحد أن يقتدى برأى النساء فمن اقتدى برأيهن خسر مع درهمه درهمين بل دراهم ".

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية يحيى بن خالد البرمكى مع الرجل الفقير

قالت شهرزاد: حُكي أن يحيى بن خالد البرمكى خرج من دار الخلافة متوجهًا إلى داره، فرأى على باب الدار رجلاً، فلما قرب منه نهض الرجل قائمًا وسلم عليه وقال له: " يا يحيى أنا محتاج إلى ما فى يدك وقد جعلت الله وسيلتى إليك " فأمر يحيى أن يُفرد له موضع فى داره وأمر خازنداره أن يحمل إليه فى كل يوم ألف درهم وأن يكون طعامه من خاص طعامه فاستمر الرجل على ذلك الحال شهرًا كاملاً.

فلما انقضى الشهر كان قد وصل إليه ثلاثون ألف درهم، فخاف الرجل أن يأخذ يحيى منه الدراهم لكثرتها فانصرف خفية، فأخبروا يحيى بذلك فقال: " والله لو أقام عندى عمره

وطول دهره لما منعته صلتي ولا قطعت عنه إكرام ضيافتي " وفضائل البرامكة لا تحصى ومناقبهم لا تستقصى، وخصوصًا يحيى بن خالد البرمكي فإنه جم المفاخر،

كما قال فيه الشاعر:

سألت الندى هل أنت حرٌّ فقال لا ولكنني عبدٌ ليحيى بن خالد
فقلتُ شراء قال حاشا وإنما توارثني عن والد بعد والد

حكاية محمد الأمين مع جعفر الهادي

حُكَىَ أن جعفر بن موسى الهادي كانت له جارية عوادة اسمها البدر الكبير، ولم يكن في زمانها أحسن منها وجهًا ولا أعدل قدا ولا ألطف معنى ولا أعرف بصناعة الغناء وضرب الأوتار منها، وكانت غاية في الجمال، ونهاية الظرف والكمال، فسمع بخبرها محمد الأمين ابن زبيدة أخو المأمون والتمس من جعفر أن يبيعها له، فقال له جعفر:

"أنت تعلم أنه لا يليق بمثلي بيع الجواري، والمساومة على السراري، ولولا أنها تربية داري لأرسلتها هدية إليك، ولم أبخل بها عليك "، ثم إن محمدًا الأمين ابن زبيدة توجه يومًا لقصد الطرب إلى دار جعفر فأحضر له ما يحسن حضوره بين الأحباب، وأمر جاريته البدر الكبير أن تغني له وتطربه، فأصلحت الآلات، وغنت بأطيب النغمات، فأخذ محمد الأمين ابن زبيدة في الشراب والطرب وأمر السقاة، أن يُكثروا الشراب على جعفر حتى يُسكروه، ثم أخذ الجارية وانصرف إلى داره.

فلما أصبح أمر باستدعاء جعفر، فلما حضر قدم بين يديه الشراب، وأمر الجارية أن تغني له من داخل الستارة، فسمع جعفر صوتها فعرفها، فاغتاظ لذلك ولكن لم يُظهر غيظًا لشرف نفسه، وعلوّ همته، ولم يُبد تغيرًا في منادمته، فلما انقضى مجلس الشراب أمر محمد الأمين ابن زبيدة بعض أتباعه أن يملأ الزورق الذي ركب فيه جعفر إليه من الدراهم والدنانير وأصناف الجواهر واليواقيت والثياب الفاخرة والأموال الباهرة ففعل ما أمر به حتى إنه وضع في الزورق ألف بدرة وألف درة، قيمة الدرة عشرون ألف درهم، ولم يزل يضع فيه أصناف التحف حتى استغاث الملاحون، وقالوا: " ما يقدر الزورق أن يحمل شيئًا آخر". وأمر بحمله إلى دار جعفر، وهكذا همم الأكابر رحمهم الله.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية سعيد الباهلي مع الفضل وجعفر

قالت شهرزاد: حُكَىَ أن سعيد بن سالم الباهلي، قال: اشتدَّ بي الحال في زمن هارون الرشيد واجتمع علي ديون كثيرة أثقلت ظهري وعجزتُ عن قضائها وبقيت متحيرًا لا أدري ما أصنع فأحاطت ببابي أرباب الديون، وتزاحم عليَّ المطالبون، ولازمني الغرماء فضاقت حيلتي وازدادت فكرتي.

فلما رأيت الأمور متعسرة والأحوال متغيرة، قصدت عبد الله بن مالك الخزاعي والتمست منه أن يمدني برأيه ويرشدني إلى باب الفرج بحسن تدبيره، فقال عبد الله بن مالك الخزاعي: " لا يقدر أحد على خلاصك من محنتك وهمك وضيقك وغمك غير البرامكة "

فقلت: " ومن يقدر على احتمال تكبرهم ويصبر على تجبرهم " ؟ فقال: " تحمل ذلك لأجل إصلاح حالك ". فنهضت من عنده ومضيت إلى الفضل وجعفر ولدى يحيى بن خالد وقصصت عليهما قصتى وأبديت لهما حالتى، فقالا: " أسعدك الله بعونه وأغناك عن خلقه بمنّه وأجزل لك عظيم خيره وقام لك بالكفاية دون غيره ".

فانصرفت من عندهما ورجعت إلى عبد الله بن مالك ضيق الصدر متحير الفكر منكسر القلب، وأعدت عليه ما قالاه فقال: " ينبغى أن تقيم اليوم عندنا لننظر ما يقدره الله تعالى " فجلست عنده ساعة وإذا بغلامى قد أقبل وقال: " يا سيدى إن ببابنا بغالاً كثيرة بأحمالها ومعها رجل يقول: أنا وكيل الفضل وجعفر ابنى يحيى " فقال عبد الله بن مالك : " أرجو أن يكون الفرج قد أقبل عليك فقم وانظر ما الشأن " فنهضت من عنده وأسرعت عدوًا إلى بيتى، فرأيت ببابى رجلاً معه رقعة مكتوب فيها: " إنك لما كنت عندنا وسمعنا كلامك توجهنا بعد خروجك إلى الخليفة، وعرفناه بحالك فأمرنا أن نحمل إليك من بيت المال مائة ألف درهم، فقلنا له: هذه الدراهم يصرفها إلى غرمائه ويؤدى دينه ومن أين يقيم وجه نفقاته، فأمر لك بثلاثمائة ألف درهم أخرى، وقد حمل إليك كل واحد منًا من خالص ماله ألف ألف درهم لتصلح بها أحوالك ".

فانظر إلى هذا الكرم.

حكاية مكيدة المرأة مع زوجها

قالت شهرزاد: حُكى أن امرأة فعلت مع زوجها مكيدة وهى: أن زوجها أتى لها بسمكة يوم الجمعة وأمرها بطبخها وإحضارها عقب صلاة الجمعة وانصرف إلى أشغاله.

فجاءها صديقها وطلبها لحضور عرس عنده فامتثلت ووضعت السمكة فى زير عندها وذهبت معه وقعدت غائبة عن بيتها إلى الجمعة الثانية، وزوجها يفتش فى البيوت ويسأل عنها، فلم يخبره أحد بخبرها. ثم حضرت يوم الجمعة الثانية، وأخرجت له السمكة بالحياة وجمعت عليه الناس، فأخبرهم بالقصة، فكذبوه وقالوا له: " لا يمكن أن السمكة تقعد بالحياة هذه المدة وأثبتوا جنونه وصاروا يضحكون عليه".

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية المرأة العابدة فى بنى إسرائيل

قالت شهرزاد: حُكى أنه كان فى قديم الزمان، وسالف العصر والأوان، امرأة صالحة فى بنى إسرائيل وكانت تلك المرأة ديِّنة عابدة تخرج كل يوم إلى المصلى، وكان بجانب ذلك المصلى بستان، فإذا خرجت إلى المصلى تدخل ذلك البستان وتتوضأ منه، وكان فى البستان شيخان يحرسانه، فتعلق الشيخان بتلك المرأة وراوداها عن نفسها، فأبت فقالا لها: " إن لم تمكنينا من نفسك لنشهدنَّ عليك بالزنا " فقالت لهما الجارية: " الله يكفينى شرَّكما " ففتحا باب البستان وصاحا، فأقبل عليهما الناس من كل مكان وقالوا: " ما خبركما ؟ " فقالا: «إنا وجدنا هذه الجارية مع شاب يفجر بها وانفلت الشاب من أيدينا» وكان الناس فى ذلك الوقت ينادون بفضيحة الزانى ثلاثة أيام ثم يرجمونه، فنادوا عليها ثلاثة أيام من أجل الفضيحة، وكان الشيخان فى كل يوم يدنوان منها ويضعان أيديهما على رأسها ويقولان لها: " الحمد لله

الذى أنزل بك نقمته ". فلما أرادوا رجمها تبعهم دانيال وهو ابن اثنتى عشرة سنة وهذه أول معجزة له على نبينا وعليه الصلاة والسلام، ولم يزل تابعًا لهم حتى لحقهم وقال: " لا تعجلوا عليها بالرجم حتى أقضى بينهم ". فوضعوا له كرسيا ثم جلس وفرّق بين الشيخين وهو أول من فرق بين الشهود، فقال لأحدهما: "ما رأيت؟ " فذكر له ما جرى، فقال له: " حصل ذلك فى أى مكان فى البستان"؟ فقال: فى الجانب الشرقى تحت شجرة الكمثرى. ثم سأل الثانى عما رأى، فأخبره بما جرى، فقال له: فى أى مكان فى البستان؟ فقال: فى الجانب الغربى تحت شجرة التفاح. كل هذا والجارية واقفة رافعة رأسها ويديها إلى السماء وهى تدعو الله بالخلاص، فأنزل الله تعالى صاعقة من العذاب فأحرقت الشيخين وأظهر الله تعالى براءة الجارية، وهذا ما جرى من المعجزات لنبى الله دانيال عليه السلام.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الخليفة هارون الرشيد وجعفر مع الشيخ البدوى

قالت شهرزاد: حُكى أن أمير المؤمنين هارون الرشيد خرج يومًا من الأيام هو وأبو يعقوب النديم وجعفر البرمكى، وأبو نواس وساروا فى الصحراء، فرأوا شيخًا متكئًا على حمار له، فقال هارون الرشيد لجعفر: " اسأل هذا الشيخ من أين هو؟ " فقال له جعفر: من أين جئت؟ قال: من البصرة، فقال له جعفر: وإلى أين سيرك؟ قال: إلى بغداد، قال له: وما تصنع فيها؟ قال: ألتمس دواءً لعينى.

فقال هارون الرشيد: يا جعفر مازحه، فقال: إذا مازحته أسمع منه ما أكره، فقال: " بحقى عليك أن تمازحه، فقال جعفر للشيخ: إن وصفت لك دواء ينفعك ما الذى تكافئنى به؟ فقال له: الله تعالى يكافئك عنى بما هو خير لك من مكافأتى. فقال: أنصت إلىّ حتى أصف لك هذا الدواء الذى لا أصفه لأحد غيرك، فقال له: وما هو؟ قال له جعفر: خذ لك ثلاث أواق من هبوب الريح، وثلاث أواق من شعاع الشمس، وثلاث أواق من زهر القمر، وثلاث من نور السراج، واجمع الجميع وضعها فى الريح ثلاثة أشهر، ثم بعد ذلك ضعها فى هاون بلا قعر ودقها ثلاثة أشهر، فإذا دققتها فضعها فى جفنة مشقوقة وضع الجفنة فى الريح ثلاثة أشهر ثم استعمل هذا الدواء في كل يوم ثلاثة دراهم عند النوم واستمر على ذلك ثلاثة أشهر فإنك تعافى إن شاء الله تعالى".

فلما سمع الشيخ كلام جعفر قال: خذ منى هذه اللطمة مكافأة لك على وصفك هذا الدواء، فإذا استعملته ورزقنى الله العافية أعطيتك جارية تخدمك فى حياتك خدمة يقطع الله بها أجلك، فإذا متّ وعجّل الله بروحك إلى النار سخمت وجهك من حزنها عليك وتندب وتلطم وتنوح وتقول فى نياحتها: يا ساقع الذقن، ما أسقع ذقنك " فضحك هارون الرشيد حتى استلقى على قفاه، وأمر لذلك الرجل بثلاثة آلاف درهم.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية عمر بن الخطاب مع الشاب

قالت شهرزاد: حكى الشريف حسين بن ريان أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان

جالسًا فى بعض الأيام للقضاء بين الناس والحكم بين الرعايا وعنده أكابر أصحابه من أهل الرأى والإصابة، فبينما هو جالس إذ أقبل عليه شاب من أحسن الشباب نظيف الثياب وقد تعلق به شابان من أحسن الشباب وقد جذبه الشابان من طوقه وأوقفاه بين يدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فنظر أمير المؤمنين إليهما وإليه فأمرهما بالكف عنه وأدناه منه وقال للشابين: " ما قصتكما معه؟ فقالا: يا أمير المؤمنين نحن أخوان شقيقان، وباتباع الحق حقيقان، كان لنا أب شيخ كبير، حسن التدبير معظَّم فى القبائل منزَّه عن الرذائل، معروف بالفضائل، ربّانا صغارًا، وأولانا مننًا كبارًا، جمّ المناقب والمفاخر، حقيقٌ بقول الشاعر:

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم ... كلا لعمرى ولكن منه شيبانُ

فكم أب قد علا بابن ذُرى شرف ... كما علت برسول الله عدنانُ

فخرج يومًا إلى حديقة له ليتنزه فى أشجارها، ويقتطف يانع أثمارها، فقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الرشاد، ونسألك القصاص بما جناه والحكم فيه بما أمر الله ".

فنظر عمر إلى الشاب نظرة مرهبة وقال له: قد سمعت من هذين الغلامين الخطاب فما تقول أنت فى الجواب؟ وكان ذلك الغلام ثابت الجنان، جرىء اللسان، قد خلع ثياب الهلع، ونزع لباس الجزع، فتبسم وتكلم بأفصح لسان، وحيّا أمير المؤمنين بكلمات حسان ثم قال: والله يا أمير المؤمنين لقد وعيت ما ادعياه، وصدقا فيما قالاه، حيث أخبرا بما جرى وكان أمرُ الله قدرًا مقدورًا، ولكن سأذكر قصتى بين يديك، والأمر فيها إليك.

اعلم يا أمير المؤمنين أنى من صميم العرب العرباء، الذى هم أشرف من تحت الجرباء، نشأت فى منازل البادية، فأصابت قومى سود السنين العادية، فأقبلت إلى ظاهر هذا البلد، بالأهل والمال والولد، وسلكت بعض طرائقها، إلى المسير بين حدائقها، بنياق كريمات لدى، عزيزات على، بينهن فحلٌ، كريم الأصل كثير النسل، مليح الشكل، يمشى بينهنّ كأنه ملك عليه تاج، فندَّت بعض النياق إلى حديقة أبيهم وقد ظهر من الحائط شجرها، فتناولته بمشفرها، فطردتها عن تلك الحديقة، وإذا بشيخ من خلال الحائط قد ظهر، وزفير غيظه يرمى بالشرر، وفى يده اليمنى حجر، وهو كالليث إذا حضر، فضرب الفحل بذلك الحجر فقتله، لأنه أصاب مقتله. فلما رأيت الفحل قد سقط بجانبى آنستُ قلبى قد توقدت فيه جمرات الغضب، فتناولت ذلك الحجر بعينه، وضربته فكان سببا لحتفه، ولقى سوء منقلبه، والمرء مقتول بما قتل به، وعندما أصبته بالحجر صاح صيحة عظيمة، وصرخ صرخة أليمة، فأسرعت بالسير من مكانى، فأسرع هذان الشابان وأمسكانى، وإليك أحضرانى وبين يديك أوقفانى.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فقال عمر - رضى الله عنه - : قد اعترفت بما اقترفت وتعذر الخلاص، ووجب القصاص، ولات حين مناص. فقال الشاب: سمعًا وطاعة لما حكم به الإمام وارتضيت بما اقتضته شريعة الإسلام، ولكن لى أخ صغير، كان له أب كبير، خصه قبل وفاته بمال جزيل، وذهب جليل، وسلم أمه إلىَّ، وأشهد الله علىَّ، وقال: هذا لأخيك عندك، فاحفظه جهدك، فأخذت ذلك المال منه ودفنته، فلا أحد يعلم به إلا أنا فإن حكمت الآن بقتلى ذهب المال وكنت

أنت السبب في ذهابه وطالبك الصغير بحقه، يوم يقضي الله بين خلقه، وإن أنت انتظرتني ثلاثة أيام أقمت من يتولى أمر الغلام وعدت وافيا بالذمام، ولي من يضمنني على هذا الكلام.
فأطرق أمير المؤمنين برأسه، ثم نظر إلى من حضر وقال: من يقوم لي بضمانه والعود إلى مكانه؟ فنظر الغلام إلى وجوه من في المجلس وأشار إلى أبي ذر دون الحاضرين وقال: هذا يكفلني ويضمنني. قال عمر - رضي الله عنه - يا أبا ذر أسمعت هذا الكلام، وتضمن لي حضور هذا الغلام؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين أضمنه إلى ثلاثة أيام، فرضي بذلك وأذن للغلام في الانصراف، فلما انقضت مدة الإمهال، وكاد وقتها أن يزول أو زال، ولم يحضر الشاب إلى مجلس عمر والصحابة حوله كالنجوم حول القمر، وأبو ذر قد حضر والخصمان ينتظران فقالا: أين الغريم يا أبا ذر، كيف رجوع من فرّ؟ ولكن نحن لا نبرح من مكاننا، حتى تأتينا به للأخذ بثأرنا، فقال أبو ذر: وحق الملك العلام إن انقضت الثلاثة أيام ولم يحضر الغلام وفيت بالضمان، وسلمت نفسي للإمام، فقال عمر - رضي الله عنه -: والله إن تأخر الغلام، لأقضين في أبي ذر ما اقتضته شريعة الإسلام.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فهملت عبرات الحاضرين، وارتفعت زفرات الناظرين، وعظم الضجيج فعرض أكابر الصحابة على الشابين أخذ الدية، واغتنام الأثنية، فأبيا ولم يقبلا شيئًا إلا الأخذ بالثار. فبينما الناس يموجون ويضجون تأسفًا على أبي ذر إذ أقبل الغلام، ووقف بين يدي الإمام، وسلم عليه بأحسن سلام، ووجهه مشرق يتهلل، وبالعرق يتكلل، وقال له: " قد أسلمت الصبي إلى أخواله، وعرفتهم بجميع أحواله، وأطلعتهم على ما كان من ماله، ثم اقتحمت هاجرة الحر، ووافيت وفاء الحر". فتعجبت الناس من صدقة ووفائه وإقدامه على الموت واجترائه، فقال له بعضهم: " ما أكرمك من غلام، وأوفاك بالعهد والذمام ". فقال الغلام: أما تحققتم أن الموت إذا حضر لا ينجو منه أحد، وإنما وفيت كي لا يقال ذهب الوفاء من الناس". فقال أبو ذر: والله يا أمير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ولم أعرفه من أي قوم، ولا رأيته قبل ذلك اليوم، ولكن لما أعرض عمن حضر وقصدني وقال: هذا يضمنني ويكفلني، لم أستحسن رده، وأبت المروءة أن تخيب قصده إذ ليس في إجابة القصد من بأس، كي لا يقال ذهب الفضل من الناس ".

فعند ذلك قال الشابان: " يا أمير المؤمنين قد وهبنا لهذا الشاب دم أبينا حيث بدل الوحشة بالإيناس، كي لا يقال ذهب المعروف من الناس " واستبشر الإمام بالعفو عن الغلام، وصدقه ووفائه بالذمام، واستكبر مروءة أبي ذر دون جلسائه، واستحسن عمل الشابين في اصطناع المعروف وأثنى عليهما ثناء الشاكر، وتمثل بقول الشاعر:

من يصنع الخير بين الخلق يجزَ به ... لا يذهب الخير بين الله والناس

ثم عرض عليهما أن يصرف إليهما دية أبيهما من بيت المال، فقالا: " إنا عفونا عنه ابتغاء وجه الله الكريم المتعالي، ومن نيته كذا لا يتبع إحسانه منًا ولا أذى".

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية المأمون بن هارون الرشيد لأجل هدم الأهرام

قالت شهرزاد: حُكى أن المأمون بن هارون الرشيد لما دخل مصر أراد هدم الأهرام ليأخذ ما فيها، فلما حاول هدمها لم يقدر على ذلك مع أنه اجتهد فى هدمها وأنفق على ذلك أموالاً عظيمة ولم يقدر على هدمها وإنما فتح فى إحداها طاقة صغيرة، ويقال: إن المأمون وجد فى الطاقة التى فتحها من الأموال قدر الذى أنفقه على فتحها لا يزيد ولا ينقص فتعجب المأمون من ذلك، ثم أخذ ما هناك ورجع عن تلك النية.

والأهرام الثلاثة وهى من عجائب الدنيا لم يكن على وجه الأرض مثلها فى إحكامها وإتقانها وعلوها، وذلك أنها مبنية بالصخور العظام وكان البناءون الذين بنوها يثقبون الحجر من طرفيه ويجعلون فيه القضبان الحديد قائمة ويثقبون الحجر الثانى وينزلونه فيه ويذيبون الرصاص ويجعلونه فوق القضيب بترتيب الهندسة حتى كمل بناؤها وصار ارتفاع كل هرم فى الهواء مائة ذراع بالذراع المعهود فى ذلك الوقت. وهى مربعة الأطراف من كل جانب منحدرة الأعالى من أواخرها مقدار الواحد منها ثلاثمائة ذراع وتقول القدماء إن فى داخل الهرم الغربى ثلاثين مخزنًا من حجارة الصوان الملونة مملوءة بالجواهر النفيسة والأموال الجمة والتماثيل الغريبة والآلات والأسلحة الفاخرة التى دُهنت بالدهان المدبر بالحكمة فلا تصدأ إلى يوم القيامة، وفيها الزجاج الذى ينطوى ولا ينكسر وأصناف العقاقير المركبة والمياه المدبرة. وفى الهرم الثانى أخبار الكهنة مكتوبة فى ألواح من الصوان لكل كاهن لوح من ألواح الحكمة ومرسوم فى ذلك اللوح عجائب صناعته وأعماله وفى الحيطان صور أشخاص كالأصنام تعمل بأيديها جميع الصناعات وهى قاعدة على المراتب، ولكل هرم منها خازن حارس عليها وأولئك الحراس يحفظونها على مر الزمان من طوارق الحدثان، وعجائب الأهرام حيرت أرباب البصائر والأبصار، وقد كثرت فى وصفها الأشعار، ولم تحصل منه على طائل. فمن ذلك قول القائل:

همم الملوك إذا أرادوا ذكرها ... من بعدهم فبألسن البنيان
أو ما ترى الهرمين قد بقيا ولم ... يتغيرا بطوارق الحدثان

وقال الآخر:

انظر إلى الهرمين واسمع منهما ... ما يرويان عن الزمان الغابر
لو ينطقان لأخبرانا بالذى ... فعل الزمان بأول وبآخر

وقال غيره:

خليلى هل تحت السماء بناية ... تضارع فى إتقانها هرمى مصر
بناء يخاف الدهر منه وكلما ... على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
تنزه طرفى فى بديع بنائها ... ولم يتنزه فى المراد بها فكرى

وقول الآخر:

أين الذى الهرمان من بنيانه ... ما قومه ما يومه ما المصرعُ
تتخلف الآثار عن أصحابها ... حينًا ويُدركها الممات فتصرع

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية اللص مع الرجل التاجر

قالت شهرزاد: حُكى أن رجلاً كان لصا وتاب إلى الله تعالى وحسُنت توبته وفتح له دكانًا يبيع فيه القماش، ولم يزل على ذلك مدة من الزمان، فاتفق فى بعض الأيام أنه أغلق دكانه ومضى إلى بيته، فجاء أحد اللصوص المحتالين وتزيا بزى صاحب الدكان وأخرج من كمه مفاتيح وكان ذلك ليلاً وقال لحارس السوق: " اشعل لى هذه الشمعة ".

فأخذها الحارس ومضى ليشعلها. ففتح اللص الدكان، وأشعل شمعة أخرى كانت معه، فلماجاء الحارس وجده جالسًا فى الدكان ودفتر الحساب فى يده وهو ينظر إليه ويحسب بأصابعه ولم يزل على تلك الحالة إلى وقت السحر، ثم قال للحارس: ائتنى بجمال وجمله ليحمل لى بعض البضائع فأتاه بجمال وجمله، فتناول أربع رزم من القماش وناولها إياه فحملها على الجمل، ثم أغلق الدكان وأعطى الحارس درهمين ومضى خلف الجمال والحارس معتقد أنه صاحب الدكان.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما أصبح واتضح النهار جاء صاحب الدكان فجعل الحارس يدعو له لأجل الدرهمين، فأنكر صاحب الدكان مقالته وتعجب منها، فلما فتح الدكان وجد سيلان الشمع ودفتر الحساب مطروحًا وتأمل فى الدكان فوجد أربع رزم من القماش مفقودة، فقال للحارس: ما الخبر؟ فحكى له ما صنع بالليل، ومقاولة الجمال على الرزم، فقال له: ائتنى بالجمال الذى حمل القماش معك سحرًا، فقال: سمعًا وطاعة، ثم أتاه به، فقال له إلى أين حملت القماش سحرًا ؟، فقال له: على الموردة الفلانية ووضعته فى مركب فلان، فقال له: سر معى إليه، فمضى معه إليه وقال له: هذا المركب وهذا صاحبه، فقال للمراكبي: ألى أين حملت التاجر والقماش؟ فقال له: إلى المكان الفلاني، وأتاني بجمال فحمل القماش علي جمله ومضى ولم أعرف إلى أين ذهب، فقال له: ائتني بالجمال الذي حمل من عندك القماش، فأتاه به، فقال له: إلى أين حملت القماش من المراكب مع التاجر؟ فقال: إلى موضع كذا، فقال له: سر معى إليه وأرنى إياه، فمضى معه الجمال إلى مكان بعيد عن الشاطئ وعرفه الخان الذى وضع فيه القماش وأراه حاصل التاجر. فتقدم إلى الحاصل وفتحه فوجد أربع رزم القماش بحالها لم تنفك فناولها إلى الجمال وكان اللص قد وضع كساءه على القماش فناوله صاحب القماش إلى الجمال أيضًا، فحمل الجميع على الجمل، ثم أغلق الحاصل وذهب مع الجمال، وإذا باللص واجهه فتبعه إلى أن نزل القماش فى المركب فقال له: يا أخى أنت فى وداعة الله وقد أخذت قماشك وما ضاع منه شيء فأعطنى الكساء، فضحك منه التاجر وأعطاه الكساء ولم يشوش عليه. وانصرف كل منهما إلى حال سبيله.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الخليفة هارون الرشيد مع ابن القاربى

قالت شهرزاد: حُكى أن أمير المؤمنين هارون الرشيد قلق ليلة من الليالى قلقًا شديدًا،

فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكى: " إنى أرقت فى هذه الليلة وضاق صدرى، ولم أعرف كيف أصنع ؟ " وكان خادمه مسرور واقفًا أمامه فضحك، فقال له الخليفة: " ممَّ تضحك، أتضحك استخفافًا بى أم جنونًا منك ؟ " فقال: لا والله يا أمير المؤمنين وحق قرابتك من سيد المرسلين ما فعلت ذلك باختيارى، ولكنى خرجت بالأمس أتمشى بظاهر القصر حتى وصلت إلى شاطئ دجلة فرأيت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلا يضحك الناس يقال له: ابن القاربى، فتذكرت الآن كلامه فغلب على الضحك وأطلب منك العفو يا أمير المؤمنين " فقال الخليفة: على به فى هذه الساعة.

فخرج مسرور مسرعًا إلى أن وصل إلى ابن القاربى، وقال له: أجب أمير المؤمنين فقال: سمعًا وطاعة، فقال له مسرور: ولكن بشرط أنك إذا دخلت عليه وأنعم عليك بشىء يكون لك فيه الربع والبقية لى، فقال له ابن القاربى: بل لك النصف ولى النصف فقال له مسرور: لا، فقال له ابن القاربى: لك الثلثان ولى الثلث، فأجابه مسرور إلى ذلك بعد جهد جهيد، ثم قام معه.

فلما دخل على أمير المؤمنين حياه بتحية الخلافة ووقف بين يديه، فقال له أمير المؤمنين: إذا أنت لم تضحكنى ضربتك بهذا الجراب ثلاث مرات " فقال ابن القاربى فى نفسه: وما عسى أن تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب مع أن ضرب السياط لا يضرنى، وظن أن الجراب فارغ. ثم تكلم بكلام يضحك المغتاظ وأتى بأنواع السخرية فلم يضحك أمير المؤمنين ولم يبتسم، فتعجب ابن القاربى منه وضجر وخاف.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فقال أمير المؤمنين: الآن استحققت الضرب، ثم أخذ الجراب وضربه مرة، وكان فيه أربع زلطات، كل زلطة زنتها رطلان، فوقعت الضربة فى رقبته فصرخ صرخة عظيمة وتذكر الشرط الذى بينه وبين مسرور فقال: العفو يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمتين، قال له: قل ما بدا لك، فقال: إن مسرورًا شرط علىّ شرطًا واتفقت معه عليه، وهو إن ما حصل لى من إنعام أمير المؤمنين يكون لى منه الثلث وله الثلثان، وما أجابنى إلى ذلك إلا بجهد عظيم، فالآن لم تنعم علىّ إلا بالضرب وهذه الضربة نصيبى والضربتان الباقيتان نصيبه، فأنا قد أخذت نصيبى وها هو واقف يا أمير المؤمنين فادفع له نصيبه، فلما سمع أمير المؤمنين كلامه ضحك حتى استلقى على قفاه ودعا بمسرور فضربه ضربة، فصاح وقال: " يا أمير المؤمنين يكفينى الثلث وأعطه الثلثين " فضحك عليهما وأمر لكل واحد منهما بألف دينار وانصرفا مسرورين بما أنعم عليهما الخليفة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الخليفة هارون الرشيد مع ولده الزاهد

قالت شهرزاد: يحكى أن أمير المؤمنين هارون الرشيد كان له ولد قد بلغ من العمر ستة عشر عامًا، وكان مُعرضًا عن الدنيا وسالكا طريقة الزهاد والعباد فكان يخرج إلى المقابر ويقول: قد كنتم تملكون الدنيا فما ذلك بمنجيكم، وقد صرتم إلى قبوركم فيا ليت شعرى ما قلتم وما قيل لكم. ويبكى بكاء الخائف الوجل، وينشد قول القائل:

تروعني الجنائز كل وقت ويحزنني بكاء النائحات

فاتفق أن أباه مر عليه فى بعض الأيام وهو فى موكبه وحوله وزراؤه وكبراء دولته وأهل مملكته، فرأوا ولد أمير المؤمنين وعلى جسده جبة من صوف وعلى رأسه مئزر من صوف، فقال بعضهم لبعض: " لقد فضح هذا الولد أمير المؤمنين بين الملوك فلو عاتبه لرجع عما هو فيه " فسمع أمير المؤمنين كلامهم، فكلمه فى ذلك وقال له: " يا بنى لقد فضحتنى مما أنت عليه " فنظر إليه ولده ولم يجبه. ثم نظر إلى طائر على شرافة من شراريف القصر فقال له: " أيها الطائر بحق الذى خلقك أن تسقط على يدى، فانقض الطائر على يد الغلام " ثم قال له : "ارجع موضعك " فرجع إلى موضعه، ثم قال له: " اسقط على يد أمير المؤمنين " فأبى أن يسقط على يده، فقال الغلام لأبيه أمير المؤمنين:

أنت الذى فضحتنى بين الأولياء بحبك الدنيا، وقد عزمتُ على مفارقتك مفارقة لا أعود إليك بعدها إلا فى الآخرة.

ثم انحدر إلى البصرة فكان يعمل مع الفعلة فى الطين، وكان لا يعمل فى كل يوم إلا بدرهم ودانق، فيتقوت بالدانق ويتصدق بالدرهم (قال أبو عامر المصرى): وكان قد وقع فى دارى حائط فخرجت إلى موقف الفعلة لأنظر رجلاً يعمل لى فيه، فوقعت عينى على شاب مليح، ذى وجه صبيح، فجئت إليه وسلمت عليه وقلت له: " يا حبيبى أتريد الخدمة ؟ " فقال: نعم، فقلت: قم معى إلى بناء حائط فقال لى: بشروط أشترطها عليك. قلت: يا حبيبى ما هى؟ قال: الأجرة درهم ودانق وإذا أذن المؤذن تتركنى حتى أصلى مع الجماعة. قلت : نعم، ثم أخذته وذهبت به إلى المنزل فخدم خدمة لم أرَ مثلها وذكرت له الغداء فقال: لا، فعلمت أنه صائم.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما سمع الأذان قال لى: قد علمت الشرط، فقلت: نعم، فحلَّ حزامه وتفرغ للوضوء فتوضأ وضوءًا لم أرَ أحسن منه ثم خرج إلى الصلاة فصلى مع الجماعة، ثم رجع إلى خدمته، فلما أذَّنَ العصر توضأ وذهب إلى الصلاة، ثم عاد إلى الخدمة، فقلت له:

يا حبيبى قد انتهى وقت الخدمة فإن خدمة الفعلة إلى العصر. فقال: سبحان الله إنما خدمتى إلى الليل، ولم يزل يخدم إلى الليل فأعطيته درهمين، فلما رآهما قال: ما هذا؟

قلت له: والله إن هذا بعض أجرتك لاجتهادك فى خدمتى، فرمى بها إلىَّ وقال: لا أريد زيادة على ما كان بينى وبينك، فرغبته فلم أقدر عليه فأعطيته درهمًا ودانقًا وسار.

فلما أصبح الصباح بكَّرتُ إلى الموقف فلم أجده، فسألت عنه فقيل لى إنه لا يأتى هاهنا إلا فى يوم السبت فقط، فلما كان يوم السبت الثانى ذهبت إلى ذلك الموقف فوجدته فقلت له: بسم الله تفضل إلى الخدمة، فقال لى: على الشروط التى تعلمها، قلت: نعم، فذهبت به إلى دارى ووقفت أنظره وهو لا يرانى فأخذ كفا من الطين ووضعه على الحائط فإذا الحجارة يتركب بعضها على بعض، فقلت: هكذا أولياء الله، فخدم يومه ذلك وزاد فيه على ما تقدم، فلما كان الليل دفعت له أجرته فأخذها وسار.

فلما جاء يوم السبت الثالث أتيت إلى الموقف فلم أجده، فسألت عنه، فقيل لى هو مريض وراقد فى خيمة فلانة وكانت تلك المرأة عجوزًا مشهورة بالصلاح ولها خيمة من قصب

فى الجبانة، فسرتُ إلى الخيمة ودخلتها، فإذا هو مضطجع على الأرض وليس تحته شىء، وقد وضع رأسه على لبنة ووجهه يتهلل نورًا، فسلمت عليه فردَّ علىَّ السلام، فجلست عند رأسه أبكى على صغر سنّه وغربته وتوفيقه لطاعة ربه، ثم قلت له: ألك حاجة؟ قال: نعم، قلت: وما هى؟ قال: إذا كان الغد تجىء إلىَّ فى وقت الضحى فتجدنى ميتًا فتغسلنى وتحفر قبرى ولا تُعلم بذلك أحدًا وتُكفننى فى هذه الجُبة التى على بعد أن تفتقها وتفتش جيبها وتخرج ما فيه وتحفظه عندك، فإذا صليت علىّ وواريتنى فى التراب فاذهب إلى بغداد وارتقب الخليفة هارون الرشيد حتى يخرج وادفع له ما تجده فى جيبى وأقرئه منى السلام ". ثم تشهد وأثنى على ربه بأبلغ الكلمات، وأنشد هذه الأبيات:

بلغ أمانة من وافت منيته ... إلى الرشيد فإن الأجر فى ذاكا
وقل غريبٌ له شوقٌ لرؤيتكم ... على تمادى الهوى والبعد لباكا
ما صده عنك بغضٌ لا ولا مللٌ ... لأن قربته من لثم يمناكا
وإنما أبعدتهُ عنك يا أبتى ... نفسٌ لها عفةٌ عن نيل دنياك

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: ثم إن الغلام بعد ذلك اشتغل بالاستغفار، والصلاة على سيد الأبرار، وتلاوة بعض الآيات، ثم أنشد هذه الأبيات:

يا والدى لا تغتـرر بتنعم ... فالعمر ينفد والنعيمُ يزولُ
وإذا علمت بحال قوم ساءهم ... فاعلم بأنك عنهم مسئولُ
وإذا حملتَ إلى القبور جنازةً ... فاعلم بأنك بعدها محمول

قال أبو عامر البصرى: فلما فرغ الغلام من وصيته وإنشاده ذهبتُ عنه وتوجهت إلى بيتى، فلما أصبح الصباح ذهبت إليه من الغد، وقت الضحى، فوجدته قد مات - رحمة الله عليه - فغسلته وفتقت جبته فوجدت فى جيبها ياقوتة تساوى آلافًا من الدنانير، فقلت فى نفسى: " والله إن هذا الفتى لقد زهد فى الدنيا غاية الزهد " ثم بعد أن دفنته توجهت إلى بغداد ووصلت إلى دار الخلافة وصرت أترقب خروج الرشيد إلى أن خرج فتعرضت له فى بعض الطرق ودفعت له الياقوتة، فلما رآها عرفها وخر مغشيا عليه، فقبض علىَّ الخدمة، فلما أفاق قال للخدمة: أفرجوا عنه وأرسلوه برفق إلى القصر. ففعلوا ما أمرهم به. فلما دخل قصره طلبنى وأدخلنى محله وقال لى: ما فعل صاحب هذه الياقوتة؟

فقلت له: قد مات ووصفت له حاله. فجعل يبكى ويقول: انتفع الولد وخاب الوالد، ثم نادى: يا فلانة، فخرجت امرأة، فلما رأتنى أرادت أن ترجع، فقال لها: تعالى وما عليك منه، فدخلت وسلمت فرمى إليها الياقوتة، فلما رأتها صرخت صرخة عظيمة ووقعت مغشيا عليها، فلما أفاقت من غشيتها قالت: يا أمير المؤمنين ما فعل الله بولدى؟ فقال لى: أخبرها بشأنه. وأخذته العبرة، فأخبرتها بشأنه، فجعلت تبكى وتقول بصوت ضعيف: ما أشوقنى إلى لقائه يا قرة عينى ليتنى كنت أؤانسك إذ لم تجد مؤانسًا، ثم سكبت العبرات، وأنشدت هذه الأبيات:

أبكى غريبًا أتاهُ الموتُ منفردًا ... لم يلقَ إلفًا له يشكو الذى وجدا
من بعد عز وشمل كان مجتمعًا ... أضحى فريدًا وحيدًا لا يرى أحدا

يبين للناس ما الأيام تضمره — لم يترك الموت منّا واحدًا أبدا
يا غائبًا قد قضى ربي بفرقته — وصار منى بعد القرب مبتعدا
إن آيس الموت من لقياك يا ولدى — فإننا نلتقى يوم الحساب غدا

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فلما فرغت من شعرها قلت: يا أمير المؤمنين أهو ولدك؟ قال: نعم وقد كان قبل ولايتى هذا الأمر يزور العلماء، ويجالس الصالحين، فلما وليت هذا الأمر نفر منى وباعد نفسه عنى فقلت لأمه: إن هذا الولد منقطع إلى الله تعالى وربما تصيبه الشدائد ويكابد الامتحان، فادفعى إليه هذه الياقوتة ليجدها وقت الاحتياج إليها، فدفعتها إليه وعزمت عليه أن يمسكها، فامتثل أمرها وأخذها منها، ثم ترك لنا دنيانا وغاب عنا، ولم يزل غائبًا عنا حتى لقى الله عزّ وجل تقيا نقيا. ثم قال: قم فأرنى قبره، فخرجت معه وجلست أسير إلى أن أريته إياه، فجعل يبكى وينتحب حتى وقع مغشيا عليه،فلما آفاق من غشيته استغفر الله وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ودعا له بخير، ثم سألنى آفاق الصحبة، فقلت له: يا أمير المؤمنين إن لى فى ولدك أعظم العظات، ثم أنشدت هذه الأبيات:

أنا الغريب فلا آوى إلى أحد — أنا الغريب وإن أمسيت فى بلدى
أنا الغريب فلا أهلٌ ولا ولدٌ — وليس لى أحدٌ يأوى إلى أحد
إلى المساجد آوى بل أعمّرها — فلن يفارقها قلبى مدى الأبد
فالحمد لله رب العالمين على — أفضاله ببقاء الروح فى الجسد

حكاية نقص عقل مُعلم الصبيان

قالت شهرزاد: حُكىَ عن بعض الفضلاء أنه قال: مررت بفقيه فى المكتب وهو يقرئ الصبيان فوجدته فى هيئة حسنة وقماش مليح، فأقبلت عليه، فقام إلى وأجلسنى معه، فمارسته فى القراءات والنحو والشعر واللغة، فإذا هو كامل فى كل ما يراد منه، فقلت له: «قوى الله عزمك فإنك عارف الكل ما يراد منك» ثم عاشرته مدة وكل يظهرلي فيه حُسن فقلت فى نفسى: إن هذا شيء عجيب من فقيه يُعلم الصبيان مع أن العقلاء اتفقوا على نقص عقل معلم الصبيان، ثم فارقته وكنت كل أيام قلائل أتفقده وأزوره.

فأتيت إليه فى بعض الأيام على عادتى من زيارته فوجدت الكتاب مغلوقًا فسألت جيرانه فقالوا: "إنه مات عنده ميت " فقلت فى نفسى: وجب علينا أن نعزيه فجئت إلى بابه وطرقته، فخرجت إلى جارية وقالت: ما تريد؟ فقلت: أريد مولاك، فقالت: إن مولاى قاعد فى العزاء وحده، فقلت لها: قولى له إن صديقك فلان يطلب أن يعزيك، فذهبت وأخبرته، فقال لها: دعيه يدخل، فأذنت لى فى الدخول فدخلت عليه فرأيته جالسًا وحده ومعصبًا رأسه، فقلت له: عظّم الله أجرك وهذا سبيل لابد لكل أحد منه فعليك بالصبر.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: ثم قلت له: من الذى مات لك؟ فقال: أعزّ الناس على وأحبهم إلى، فقلت: لعله والدك؟ فقال: لا، قلت: والدتك؟ قال: لا، قلت: أخوك؟ قال: لا، قلت: أحد من أقاربك؟ قال: لا، قلت: فما نسبته إليك؟ قال: حبيبتى، فقلت فى نفسى هذا أول المباحث فى

قلة عقله، ثم قلت له: قد يوجد غيرها مما هو أحسن منها، فقال: أنا ما رأيتها حتى أعرف إن كان غيرها أحسن منها أم لا، فقلت فى نفسى: وهذا مبحث ثان، فقلت له: وكيف أحببت من لا تراها؟ فقال: اعلم أنى كنت جالسًا فى الطاقة وإذا برجل عابر طريق يغنى بهذا البيت:

يا أمَّ عـمـرو جـزاك الله مكرمـةً ... ردى علـى فـؤادى أينمـا كـانا

فلما غنى الرجل المار فى الطريق بالشعر الذى سمعته منه قلت فى نفسى: لولا ان أمَّ عمرو هذه ما فى الدنيا مثلها، ما كان الشعراء يتغزلون فيها فعلقت بحبها. فلما كان بعد يومين عبر ذلك الرجل وهو ينشد هذا البيت:

إذا ذهب الحـمـار بأم عـمـرو ... فـلا رجعـت ولا رجع الحـمـار

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها ومضى لى ثلاثة أيام وأنا فى العزاء، فتركته وانصرفت بعدما تحققت من قلة عقله.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية المرأة مع الشيخ المحتال

قالت شهرزاد: حكى أن بعض المجاورين كان لا يعرف الخط ولا القراءة وإنما كان يحتال على الناس بحيل يأكل مها الخبز، فخطر بباله يومًا من الأيام أن يفتح له مكتبًا ويقرئ فيه الصبيان، فجمع ألواحًا وأوراقًا مكتوبة وعلقها فى مكان وكبَّر عمامته وجلس على باب المكتب، فصار الناس يمرون عليه وينظرون إلى عمامته وإلى الألواح والأوراق فيظنون أنه فقيه جيد فيأتون إليه بأولادهم، فصار يقول لهذا اكتب ولهذا اقرأ فصار الأولاد يعلم بعضهم بعضًا فبينما هو ذات يوم جالس فى باب المكتب على عادته وإذا بامرأة مقبلة من بعيد وبيدها مكتوب فقال فى نفسه: لابد أن هذه المرأة تقصدنى لأقرأ لها المكتوب الذى معها فكيف يكون عملى معها وأنا لا أعرف قراءة الخط؟

ثم إنه همَّ بالنزول ليهرب منها فلحقته قبل أن ينزل وقالت له: " إلى أين؟ " فقال لها: أريد أن أصلى الظهر وأعود، فقالت له: الظهر بعيد فاقرأ لى هذا الكتاب، فأخذه منها وجعل أعلاه أسفله وصار ينظر إليه ويهز عمامته تارة ويرقص حواجبه تارة أخرى ويُظهر غيظًا، وكان زوج المرأة غائبًا والكتاب مرسل إليها من عنده.

فلما رأت الفقيه فى تلك الحالة قالت فى نفسها: لا شك أن زوجى مات وهذا الفقيه يستحى أن يقول لى إنه مات، فقالت له: يا سيدى إن كان مات قل لى، فهز رأسه وسكت، فقالت له المرأة: هل أشق ثيابى؟ فقال لها: شقى، فقالت له: هل الطم وجهى؟ فقال لها: الطمى، فأخذت الكتاب من يده وعادت إلى منزلها وصارت تبكى هى وأولادها، فسمع بعض جيرانها البكاء فسألوا عن حالها، فقيل لهم: إنه جاءها كتاب بموت زوجها، فقال الرجل: إن هذا كلام كذب لأن زوجها أرسل لى مكتوبًا بالأمس يخبر فيه أنه طيب بخير وعافية وأنه بعد عشرة أيام يكون عندها.

فقام من ساعته وجاء إلى المرأة وقال لها: أين الكتاب الذى جاءك؟ فجاءت به إليه فأخذه منها وقرأه وإذا فيه، أما بعد فإني طيب بخير وعافية وبعد عشرة أيام أكون عندكم وقد أرسلت إليكم ملحفة ومكمرة، فأخذت الكتاب وعادت به إلى الفقيه وقالت له: ما حملك على

الذى فعلته معى؟ وأخبرته بما قال جارها من سلامة زوجها وأنه أرسل إليها ملحفة ومكمرة، فقال لها: صدقت ولكن يا حرمة اعذرينى فإن كنت فى تلك الساعة مغتاظًا ومشغول الخاطر ورأيت المكمرة ملفوفة فى الملحفة فظننت أنه مات وكفنوه. وكانت المرأة لا تعرف الحيلة فقالت له: أنت معذور، وأخذت الكتاب وانصرفت.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية عبد الرحمن المغربى مع فرخ الرخ

قالت شهرزاد: حُكىَ أنَّ رجلاً من أهل المغرب كان جال الأقطار، وجاب القفار والبحار، فالقته المقادير فى جزيرة وأقام فيها مدة طويلة، ثم رجع على بلدة ومعه قصبة ريشة من جناح فرخ الرخ، وهو فى البيضة يخرج منها إلى الوجود، وكانت تلك القصبة تسع قربة ماء، وقيل: إن طول جناح فرخ الرخ حين خروجه من البيضة ألف باع، وكان الناس يتعجبون من تلك القصبة حين رأوها، وكان هذا الرجل اسمه عبد الرحمن المغربى، واشتهر بالصينى لكثرة إقامته هناك، وكان يحدث بالعجائب، منها ما ذكره من أنه سافر فى بحر الصين مع جماعة فرأوا جزيرة على بُعد، فارسى بهم المركب على تلك الجزيرة، فرأوها عظيمة واسعة، فخرج إليها أهل تلك السفينة ليأخذوا ماء وحطبًا ومعهم الفئوس والحبال والقِرَب وذلك الرجل معهم فرأوا فى الجزيرة قبة عظيمة بيضاء لامعة طولها مائة ذراع، فقصدوها.

فلما دنوا منها وجدوها بيضة الرخ، فجعلوا يضربونها بالفئوس والحجارة والخشب حتى انشقت عن فرخ الرخ فوجدوه كالجبل الراسخ فنتفوا ريشه من جناحه، ولم يقدروا على نتفها منه إلا بتعاونهم مع أنه لم يتكامل خلق الريش فى ذلك الفرخ، ثم أخذوا ما قدروا عليه من لحم الفرخ وحملوه معهم، وقطعوا أصل الريشة من حد القصبة وحلوا قلوع المركب وسافروا طول الليل إلى طلوع الشمس، وكانت الريح مُسعفة لتلك السفينة وهى سائرة بهم.

فبينما هم كذلك إذ أقبل الرخ كالسحابة العظيمة وفى رجليه صخرة كالجبل العظيم أكبر من السفينة، فلما حاذى السفينة وهو فى الجو ألقى الصخرة عليها وعلى من بها من الناس وكانت السفينة، مسرعة فى الجرى فسبقت فوقعت الصخرة فى البحر، وكان لوقعها هول عظيم فكتب الله لهم السلامة ونجاهم من الهلاك، وطبخوا ذلك اللحم وأكلوه وكان فيهم مشايخ بيض اللحى، فلما أصبحوا وجدوا لحاهم قد اسودت ولم يشب بعد ذلك أحد من القوم الذين أكلوا من ذلك اللحم وكانوا يقولون إن سبب عود شبابهم إليهم وامتناع المشيب عنهم العُود الذى حركوا به القدر كان من شجرة النشاب، وبعضهم يقول: سبب ذلك لحم فرخ الرّخ.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية هند بنت النعمان مع عدى بن زيد

قالت شهرزاد: ومما يُحكى أن النعمان بن المنذر ملك العرب كان له بنت تسمى هندًا وقد خرجت فى يوم الفصح وهو عيد النصارى؛ لتتقرب فى البيعة البيضاء ولها من العمر أحد عشر عامًا وكانت أجمل نساء عصرها وزمانها، وفى ذلك اليوم كان عدى بن زيد قد قدم إلى

الحيرة من عند كسرى بهدية إلى النعمان، فدخل البيعة البيضاء ليتقرب وكان مديد القامة حلو الشمائل حسن العينين نقى الخد ومعه جماعة من قومه وكان مع هند بنت النعمان جارية تسمى مارية وكانت مارية تحب عديا. فلما رأته فى البيعة قالت لهند:

انظرى إلى هذا الفتى، فهو والله أحسن من كل من ترين، قالت هند: ومن هو؟ قالت: عدى بن زيد، قالت هند بنت النعمان: أخاف أن يعرفنى إن دنوت منه حتى أراه عن قرب، قالت مارية: ومن أين يعرفك وما رآك قط؟ فدنت منه وهو يمازح الفتيان الذين معه وقد برع عليهم بجماله وحسن كلامه وفصاحة لسانه وما عليه من الثياب الفاخرة.

فلما نظرت إليه أحبت أن يخطبها من أبيها، فلما عرفت مارية ميلها إليه قالت لها: كلميه، فكلمته وانصرفت، ثم قالت: يا مارية إن لم تخطبيه لى هلكت، ثم وقعت مغشيا عليها فحملتها وصائفها وأدخلنها إلى النعمان، ثم إن مارية بادرت وأخبرته بخبر ابنته وأصدقته الحديث وطلبت منه أن يزوجها عديا، فأطرق النعمان ساعة يفكر فى أمرها واسترجع مراراً ثم قال: ويلك وكيف الحيلة فى تزويجها به وأنا لا أحب أن أبتدئه بذلك الكلام؟ فقالت: هو راض بالزواج وأكثر رغبة فيها فأنا أحتال فى ذلك من حيث لا يعلم أنك عرفت أمره ولا تفضح نفسك أيها الملك.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: ثم إنها ذهبت إلى عدى وأخبرته بالخبر وقالت له: اصطنع طعامًا وادع الملك إليه فإذا أخذ منه الشراب فاخطبها منه فإنه غير رادك، فقال: أخشى أن يغضبه ذلك فيكون سببًا للعداوة بيننا، فقالت: ما جئتك إلا بعد ما فرغت من الحديث معه، وبعد ذلك رجعت إلى النعمان وقالت له: اطلب منه أن يضيفك في بيته، فقال لها: لا بأس بذلك، ثم إن النعمان بعد ذلك بثلاثة أيام سأله أن يتغذى عنده هو وأصحابه فأجابه إلى ذلك، ثم ذهب إليه النعمان، فلما أخذ منه الشراب، مأخذه قام عدى فخطبها منه فأجابه وزوجه إياها وضمها إليه بعد ثلاثة أيام، فمكث عنده ثلاث سنين وهما فى أرغد عيش وأهناه. ثم إن النعمان بعد ذلك غضب على عدى وقتله فوجدت عليه هند وجدًا عظيمًا، ثم إنها بنت لها ديرًا فى ظاهر الحيرة وترهبت فيه، وجلست تندبه وتبكيه حتى ماتت، وديرها معروف إلى الآن فى ظاهر الحيرة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية إسحاق بن إبراهيم الموصلى مع التاجر

قالت شهرزاد: حُكى أن إسحاق بن إبراهيم الموصلى، قال: اتفق أننى ضجرت من ملازمة دار الخليفة والخدمة بها فركبت وخرجت بكرة النهار وعزمت على أن أطوف الصحراء وأتفرج وقلت لغلمانى: إذا جاء رسول الخليفة أو غيره فعرفوه أننى بكرت فى بعض مهماتى وأنكم لا تعرفون أين ذهبت، ثم مضيت وحدى وطفت فى المدينة وقد حمى النهار، فوقفت فى شارع يُعرف بالحرم لأستظل من حر الشمس، وكان للدار جناح رحب بارز على الطريق، فلم ألبث حتى جاء خادم أسود يقود حمارًا فرأيت عليه جارية راكبة وتحتها منديل مكلل بالجواهر وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية بعده ورأيت لها قوامًا حسنًا وشمائل ظريفة.

فسألت عنها بعض المارين فقال لي: إنها مغنية، ثم إنها دخلت الدار التي كنت واقفًا على بابها، فجعلت أتفكر في حيلة أتوصل بها إلى الدار لأسمع الغناء، فبينما أنا واقف إذ أقبل رجلان شابان جميلان، فاستأذنا فأذن لهما صاحب الدار، فنزلا ونزلت معهما ودخلت صحبتهما، فظنا أن صاحب الدار دعاني، فجلسنا ساعة فأتي بالطعام فأكلنا ثم وضع الشراب بين أيدينا، ثم خرجت الجارية وفي يدها عود فغنت وشربنا، وقمت لأقضي حاجة فسأل صاحب المنزل الرجلين عني فأخبراه أنهما لا يعرفاني، فقال: هذا طفيلي ولكنه ظريف فأجملوا عشرته.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهرزاد: ثم جئت فجلست في مكاني فغنت الجارية بلحن لطيف، فأدته أداء حسنًا، وشرب القوم وأعجبهم ذلك، ثم غنت طُرقًا شتى بألحان غريبة وغنت من جملتها طريقة هي لي وأنشدت هذين البيتين:

الطلول الدوارس فارقتها الأوانس
أوحشت بعد أنسها فهي قفراء طامس

فكان أمرها أصلح فيها من الأولى، ثم غنت طرقًا شتى بألحان غريبة من القديم والحديث وغنت في أثنائها طريقة لي بهذين البيتين:

قل لمن صد عاتبا ونأى عنك جانبا
قد بلغت الذي بلغت وإن كنت لاعبا

فاستعدته منها لأصححه فأقبل على أحد الرجلين، وقال: ما رأينا طُفيليا أصفق وجهًا منك، أما ترضى بالتطفل حتى اقترحت؟ ولقد صح فيك المثل: طفيلي ومقترح.

فأطرقت حياء ولم أجبه، فجعل صاحبه يكفه عني فلا ينكف، ثم قاموا إلى الصلاة فتأخرت قليلاً وأخذت العود، وشددت طرفيه وأصلحته إصلاحًا محكمًا وعدت إلى موضعي فصليت معهم، فلما فرغنا من الصلاة رجع ذلك الرجل إلى اللوم علي والتعنيف ولجّ في عربدته، وأنا صامت، فأخذت الجارية العود وجسته فأنكرت حاله وقالت: من جس عودي؟ فقالوا: ما جسه أحد منا، قالت: بلى والله لقد جسه حاذق متقدم في الصناعة لأنه أحكم أوتاره وأصلحه إصلاح حاذق في صنعته، فقلت لها: أنا الذي أصلحته، فقالت: بالله عليك أن تأخذه وتضرب عليه، فأخذته وضربت عليه طريقة عجيبة صعبة تكاد أن تميت الأحياء وتحيي الأموات وأنشدت عليه:

كان لي قلبٌ أعيش به فاكتوى بالنار واحترقا

فلما فرغت من شعري لم يبق أحد من الجماعة إلا وثب من موضعه وجلسوا بين يدي وقالوا: بالله عليك يا سيدنا أن تغني لنا صوتا آخر، فقلت لهم: حبا وكرامة، ثم أحكمت الضربات، وغنيت بهذه الأبيات:

ألا من قلب ذائب بالنوائب أناخت به الأحزان من كل جانب
حرامٌ على رامي فؤادي بسهمه دمٌ صبه بين الحشى والترائب

تبين يوم البين أن اقترابه على الهين من ضمن الظنون الكواذب
أراق دمـا لولا الجوى مـا أراقه فهل لدمى من ثائر ومطالب

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما فرغتُ من شعرى لم يبق أحد منهم إلا وقام على قدميه ثم رمى بنفسه على الأرض من شدة ما أصابه من الطرب، فرميت العود من يدى، فقالوا: بالله عليك لا تفعل بنا هذا وزدنا صوتا آخر زادك الله تعالى من نعمته، فقلت لهم: يا قوم أزيدكم صوتًا آخر وآخر وآخر وأعرفكم من أنا، أنا إسحاق بن إبراهيم الموصلى، والله إنى لأتيه على الخليفة إذا طلبنى، وأنتم قد أسمعتمونى غليظ ما أكره فى هذا اليوم، فوالله لا نطقت بحرف ولا جلست معكم حتى تُخرجوا هذا العربيد من بينكم.

فقال له صاحبه: من هذا حذرتك وخفت عليك، ثم أخذوا بيده وأخرجوه، فأخذت العود وغنيت الأصوات التى غنتها الجارية من صنعتى، ثم أسررت إلى صاحب الدار أن الجارية أريد أن أتخذها لى، فقال الرجل: هى لك بشرط، فقلت: وما هو؟ قال: أن تقيم عندي شهرا والجارية وما يتعلق بها من حلي وحلل لك، فقلت: نعم أفعل ذلك، فأقمت عنده شهرًا لا يعرف أحد أين أنا والخليفة يفتش على فى كل مكان ولا يعرف لى خبرًا، فلما انقضى الشهر سلم إلى الجارية وما يتعلق بها من الأمتعة النفيسة وأعطانى خادمًا آخر، فجئت بذلك إلى منزلى وكأنى قد حزت الدنيا بأسرها من شدة فرحى بالجارية، ثم ركبت إلى المأمون من وقتى.

فلما حضرت بين يديه قال لى: ويحك يا إسحاق أين كنت؟ فأخبرته بخبرى فقال على بذلك الرجل فى هذه الساعة، فدللتهم على داره فأرسل إليه الخليفة فلما حضر سأله عن القصة، فأخبره بها، فقال له: أنت رجل ذو مروءة والرأى أن تُعان على مروءتك، فأمر له بمائة ألف درهم، وقال لى: يا إسحاق أحضر الجارية، فأحضرتها فغنت له وأطربته فحصل له منها سرور عظيم، فقال: قد جعلت عليها نوبة فى كل يوم خميس فتحضر وتغنى من وراء الستارة، ثم أمر لها بخمسين ألف درهم، فوالله لقد ربحت وأربحت فى تلك الركبة.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية عيسى بن الرشيد والجارية قرة العين

قالت شهرزاد: حُكى أن عمرو بن مسعدة قال: كان أبو عيسى بن الرشيد أخو المأمون يحب أن يتزوج بقُرة العين جارية على بن هشام، ولكن كان أبو عيسى لا يبوح بشكواه إلى أحد ولم يطلع أحدًا على سره وكل ذلك من نخوته ومروءته، وكان يجتهد فى ابتياعها من مولاها بكل حيلة فلم يقدر على ذلك، فلما عيل صبره واشتد وجده وعجز عن الحيلة فى أمرها دخل على المأمون فى يوم موسم بعد انصراف الناس من عنده وقال:

"يا أمير المؤمنين إنك لو امتحنت قوادك فى هذا اليوم على حين غفلة منهم لتعرف صاحب المروءة من غيره ومحل كل أحد منهم وقدر همته " وإنما قصد أبو عيسى بهذا الكلام أن يتصل بذلك إلى الجلوس مع قرة العين فى دار مولاها، فقال المأمون: إن الرأى صواب.

ثم أمر أن يشدوا له زورقًا اسمه الطيار فقدموه له، فركبه ومعه جماعة من خواصه

فأول قصر دخله قصر حميد الطويل الطوسى ودخلوا عليه فى القصر على حين غفلة منه فوجدوه جالسًا على حصير وبين يديه المغنون، وبيدهم آلات المغانى من العيدان والنايات وغيرها. فجلس المأمون ساعة ثم حضر بين يديه طعام من لحوم الدواب ليس فيه شىء من لحوم الطير، فلم يلتفت المأمون إلى شىء من ذلك، فقال أبو عيسى: «يا أمير المؤمنين إنا دخلنا هذا المكان على حين غفلة وصاحبه لم يعلم بقدومك فقم بنا إلى مجلس آخر هو معد لك يليق بك، فقام الخليفة هو وخواصه وصحبته أخوه أبو عيسى وتوجهوا إلى دار على بن هشام، فلما علم بمجيئهم قابلهم أحسن مقابلة وقبَّل الأرض بين يدى الخليفة ثم ذهب بهم إلى قصر وفتح مجلسًا لم يَرَ الراءون أحسن منه، أرضه وأساطينه وحيطانه مرخمة بأنواع الرخام، وهو منقوش بأنواع النقوش الرومية، وأرضه مفروشة بالحصر السندسية وعليها فرش بصرية، وتلك الفرش متخذة على طول المجلس وعرضه.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فجلس المأمون ساعة وهو يتأمل البيت والسقف والحيطان ثم قال: أطعمنا شيئًا فأحضر إليه من وقته وساعته قريبًا من مائة لون من الدجاج سوى ما معها من الطيور والثرائد والقلايا والبوارد، فلما أكل قال: اسقنا يا على شيئًا، فأحضر إليه نبيذًا مثلثًا مطبوخًا بالفواكه والأبازير الطيبة فى أوانى الذهب والفضة والبلور، والذى حضر بذلك النبيذ غلمان كأنهم الأقمار عليهم الملابس الإسكندرية المنسوجة بالذهب وعلى صدورهم بواط من البلور فيها ماء الورد الممسك، فتعجب المأمون مما رأى عجبًا شديدًا وقال: يا أبا الحسن فوثب إلى البساط وقبله ثم وقف بين يدى الخليفة، وقال: لبيك يا أمير المؤمنين، ثم قال لبعض أتباعه: أحضر الجوارى المغنيات، فقال له: سمعًا وطاعة.

ثم غاب الخادم لحظة وحضر معه عشرة من الخدم يحملون عشرة كراس من الذهب فنصبوها وبعد ذلك جاءت عشر وصائف كأنهن البدور السافرة، والرياض الزاهرة، وعليهن الديباج الأسود، وعلى رءوسهن تيجان الذهب ومشين حتى جلسن على الكراسى وغنين بأنواع الألحان، فنظر المأمون إلى جارية منهن فأعجبه ظرفها وحسن منظرها، فقال لها: ما اسمك يا جارية؟ قالت: اسمى سجاح يا أمير المؤمنين، فقال لها: غنى لنا يا سجاح، فأطربت وأنشدت:

أقبلتُ أمشى على خوف مخالسةً ... مشى الذليل رأى شبلين قد وردا
سيفى خضوعى وقلبى مشفقٌ وجلٌ ... أخشى العيون من الأعداء والرَّصدا

فقال لها المأمون: لقد أحسنت يا جارية، لمن هذا الشعر؟ قالت: لعمرو بن معدى كرب الزبيدى والغناء لمعبد، فشرب المأمون وأبو عيسى وعلى بن هشام، ثم انصرفت الجوارى وجاءت عشر جوارى أخر على كل واحدة منهن الوشى اليمانى المنسوج بالذهب فجلسن على الكراسى وغنين بأنواع الألحان، فنظر المأمون إلى وصيفة منهن كأنها ملهاة رمل فقال لها: ما اسمك يا جارية؟ فقالت: اسمى ظبية يا أمير المؤمنين؟ قال: غنى لنا يا ظبية، فغردت وقالت:

حورٌ حرائرُ ما هممنَ بريبة ... كظباء مكة صيدهنَّ حرامُ

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فلما فرغت من شعرها قال لها المأمون: لله دُرُّك لمن هذا الشعر؟ قالت: لجرير والغناء لابن سريج، فشرب المأمون ومن معه، ثم انصرفت الجوارى وجاءت بعدهن عشر جوار أخر كأنهن اليواقيت، وعليهن الديباج الأحمر، المنسوج بالذهب المرصع بالدر والجوهر، وهن مكشوفات الرءوس، فجلسن على الكراسى وغنين بأنواع الألحان. فنظر المأمون إلى جارية كأنها شمس النهار، فقال لها: ما اسمك يا جارية؟ قالت: اسمى فاتن يا أمير المؤمنين، فقال لها: غنى لنا يا فاتن، فأنشدت وأطربت ولما فرغت قال: لله درك يا فاتن لمن هذا الشعر؟ فقالت: لعدى بن زيد والطريقة قديمة.

فشرب المامون وأبو عيسى وعلى بن هشام، ثم انصرفت الجوارى وجاءت بعدهن عشر من الجوارى عليهن الوشى المنسوج بالذهب الأحمر، وفى أوساطهن المناطق المرصعة بالجوهر، فجلسن على الكراسى وغنين بأنواع الألحان، فقال المأمون لجارية منهن كأنها قضيب بان: ما اسمك يا جارية؟ قالت: اسمى رشا يا أمير المؤمنين، فقال: غنى يا رشا، فأطربت بالنغمات وأنشدت بعض الأبيات:

ولما فرغت قال لها المأمون: أحسنت يا جارية زيدينا، فقامت الجارية وقبلت الأرض بين يديه وغنت أبياتًا أخرى، فطرب المأمون طربًا عظيمًا، فلما رأت الجارية طرب المأمون صارت تردد الصوت بتلك الأبيات، ثم إن المأمون قال: قدموا الطيار، وأراد أن يركب ويتوجه، فقام على بن هشام، وقال: يا أمير المؤمنين عندى جارية اشتريتها بعشرة آلاف دينار، وأريد أن أعرضها على أمير المؤمنين فإن أعجبته ورضيها فهى له وإلا فيسمع منها شيئًا فقال الخليفة: على بها.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فخرجت جارية كأنها قضيب بان، وعلى رأسها تاج من الذهب الأحمر، مرصع بالدر والجوهر، ومشت كأنها غزال شارد، ولم تزل ماشية حتى جلست على الكرسى، فلما رآها المأمون تعجب من حسنها وجمالها، وجعل أبو عيسى يتوجع واصفر لونه وتغير حاله، فقال له المأمون: ما لك يا أبا عيسى قد تغير حالك، فقال: يا أمير المؤمنين بسبب علة تعترينى فى بعض الأوقات، فقال له الخليفة: أتعرف هذه الجارية قبل اليوم؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، وهل يخفى القمر؟ ثم قال لها المأمون: ما اسمك يا جارية؟ قالت اسمى قرة العين يا أمير المؤمنين، قال لها: غنى لنا يا قرة العين، فغنت بهذين البيتين:

ظعن الأحبـــة عنـــك بالإدلاج ولقـــد سروا سحـرًا مع الحجـاج
ضـربوا خيـام الخزِّ حول قبابهم وتسـتـروا بأكـلة الديبـــاج

فقال لها الخليفة: لله درك لمن هذا الشعر؟ قالت: لدعبل الخزاعى والطريقة لزرزور الصغير، فنظر إليها أبو عيسى وخنقته العبرة، حتى تعجب منه أهل المجلس فالتفتت الجارية إلى المأمون وقالت له: يا أمير المؤمنين أتأذن لى فى أن أغير الكلام؟ فقال لها: غنى بما شئت، فأطربت بالنغمات، وأنشدت هذه الأبيات:

إذا كنت ترضيه ويرضيك صاحبٌ جهارًا فكن فى الغيب أحفظ للودِّ
وألغ أحاديث الوشــاة فقلمـا يحـاول واش غيـر هجـران ذى ود

وقد زعموا أن المحب إذا دنا ... يمل وإن النأى يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ... على ذاك قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع ... إذا كان من تهواه ليس بذى عهد

فلما فرغت من شعرها قام المأمون وركب فى الطيار وتخلف أبو عيسى وأخذ قرة العين، وانصرف بها إلى منزله وهو منشرح الصدر، فانظر إلى مروءة على بن هشام.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية التاجر على المصرى

قالت شهرزاد: حُكى انه كان بمدينة مصر رجل تاجر، وكان غنده شىء كثير من مال ونقود وجواهر ومعادن وأملاك لا تحصى وكان اسمه حسنًا الجوهرى البغدادى، وقد رزقه الله بولد حسن الوجه فسماه عليا المصرى، وقد علمه القرآن والعلم والفصاحة والأدب وصار بارعاً فى كامل العلوم، وكان تحت يد والده فى التجارة.

فحصل لوالده مرض وزاد عليه الحال فأيقن بالموت وأحضر ولده الذى اسمه على المصرى وقال له: يا ولدى إن الدنيا فانية، والآخرة باقية، وكل نفس ذائقة الموت والآن يا ولدى قد قربت وفاتى وأريد أن أوصيك وصية إن عملت بها لم تزل آمنًا سعيدًا إلى أن تلقى الله تعالى، وإن لم تعمل بها فإنه يحصل لك تعب زائد وتندم على ما فرطت فى وصيتى، فقال له: يا أبت كيف لا أسمع ولا أعمل بوصيتك مع أن طاعتك فرض علىَّ، وسماع قولك على واجب؟ فقال له: يا ولدى إنى خلفت لك أماكن ومحلات وأمتعة ومالاً لا يحصى بحيث إذا كنت تنفق منه فى كل يوم خمسمائة دينار لا ينقص عنك شىء من ذلك.

ولكن يا ولدى عليك بتقوى الله واتباع المصطفى ﷺ فيما ورد عنه مما أمر به ونهى عنه فى سنته، وكن مواظبًا على فعل الخيرات وبذلك المعروف وصحبة أهل الخير والصلاح والعلم، وعليك بالوصية بالفقراء والمساكين، وتجنب الشح والبخل وصحبة الأشرار وذوى الشبهات، وانظر لخدمك وعيالك بالرأفة، ولزوجتك أيضًا، فإنها من بنات الأكابر، وهى حامل لعل الله يرزقك منها الذرية الصالحة، وما زال يوصيه ويبكى ويقول له: يا ولدى أسأل الله الكريم، رب العرش العظيم، أن يخلصك من كل ضيق يحصل لك، ويدركك بالفرج القريب منه، فبكى الولد بكاء شديدًا، وقال: يا والدى والله إنى ذبت من هذا الكلام كأنك تقول قول مودع، فقال له: نعم يا ولدى أنا عارف بحالى فلا تنس وصيتى. ثم إن الرجل صار يتشهد ويقرأ إلى أن حضر الوقت المعلوم، فقال لولده: ادن منى يا ولدى، فدنا منه فقبله، وشهق ففارقت روحه جسده وتوفى إلى رحمة الله تعالى.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فحصل لولده غاية الحزن وعلا الضجيج فى بيته واجتمعت عليه أصحاب والده، فأخذ فى تجهيزه وأخرجه خرجة عظيمة وحملوا جنازته إلى الصلاة فصلوا عليه وانصرفوا بجنازته إلى المقبرة فدفنوه وقرءوا عليه ما تيسر من القرآن العظيم، ثم رجعوا إلى المنزل فعزوا ولده وانصرف كل واحد منهم إلى حال سبيله، وعمل له ولده الجمع

والختمات إلى تمام الأربعين يومًا وهو مقيم في البيت لا يخرج إلا إلى المصلى، ومن يوم الجمعة إلى الجمعة يزور والده.

ولم يزل في صلاته وقراءته وعبادته مدة من الزمان حتى دخل عليه أقرانه من أولاد التجار وسلموا عليه وقالوا له: " إلى متى هذا الحزن الذى أنت فيه وترك شغلك وتجارتك واجتماعك مع أصحابك وهذا أمر يطول عليك ويحصل لجسدك منه ضرر زائد؟ وحين دخلوا عليه كان صحبتهم إبليس اللعين يوسوس لهم فصاروا يحسنون له أن يخرج معهم إلى السوق وإبليس يغريه بموافقتهم إلى أن وافقهم وخرج معهم من البيت، فقالوا له:

اركب بغلتك وتوجه بنا إلى البستان الفلانى لنتفرج فيه ويذهب عنك الحزن والفكر، فركب بغلته وأخذ عبده معه وتوجه معهم إلى البستان، فأكلوا وانبسطوا وجلسوا يتحدثون إلى آخر النهار، ثم ركبوا وانصرفوا وسار كل منهم إلى منزله وباتوا فلما أصبح الصباح جاءوا إليه وقالوا له: قم بنا، فقال لهم: إلى أين؟ فقالوا: إلى البستان الفلانى فإنه أحسن من الأول وأنزه. فركب وتوجه معهم إلى البستان الذى قصدوه.

فلما صاروا في البستان ذهب واحد منهم وعمل لهم الغداء وأحضره إلى البستان وأحضر صحبته المدام المسكر، فأكلوا ثم أحضروا الشراب وقالوا له: هذا الذى يُذهب الحزن ويجلب السرور، ولم يزالوا يُحسنونه له حتى غلبوا عليه فشرب معهم، واستمروا في حديث وشرب إلى آخر النهار، ثم توجهوا إلى منازلهم، ولكن على المصرى حصل له دوخة من الشراب فدخل إلى محل زوجته وهو بهذا الحال، فقالت له: ما بالك متغيرًا؟ فقال: نحن اليوم كنا في حظ وانبساط ولكن بعض أصحابنا جاء لنا بماء فشرب أصحابي وشربت معهم فحصلت لى هذه الدوخة.

فقالت له زوجته: يا سيدى هل نسيت وصية والدك وفعلت ما نهاك عنه من معاشرة أصحاب الشبهات؟ فقال لها: إن هؤلاء من أولاد التجار ولم يكونوا أصحاب شبهات وإنما هم أصحاب حظ وانبساط.

ومازال كل يوم مع أصحابه على هذه الحالة يتوجهون إلى محل بعد محل وهم في أكل وشرب إلى أن قالوا له: قد فرغ دورنا وصار الدور إليك، فقال لهم: أهلا وسهلا ومرحبا، ولما أصبح أحضر كامل ما يحتاج إليه الحال من المأكل والمشرب أضعاف ما فعلوه، وأخذ معه الطباخين والفراشين والقهوجية، وتوجهوا إلى الروضة والمقياس ومكثوا فيه شهرا كاملا على أكل وشرب وسماع وانبساط.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فلما مضى شهر رأى نفسه قد صرف جملة من المال لها صورة، فغره إبليس اللعين وقال له: لو صرفت كل يوم قدر الذى صرفته لم ينقص مالك. فلم يبال بصرف المال واستمر على هذا الحال لمدة ثلاث سنوات، وزوجته تنصحه وتذكره بوصية والده فلم يسمع كلامها إلى أن نفد كل ما كان عنده من النقود فصار يأخذ من الجواهر ويبيع ويصرف أثمانها إلى أن أنفدها، ثم أخذ في بيع البيوت والعقارات حتى لم يبقَ منها شيء، فلما نفدت صار يبيع الضياع والبساتين واحدًا بعد واحد إلى أن ذهبت جميعها، ولم يبق عنده شيء يملكه إلا البيت

الذى هو فيه، فصار يقلع رخامه وأخشابه ويتصرف فيها إلى أن أفناها جميعها ونظر فى نفسه فلم يجد عنده شيئًا يصرفه، فباع البيت وتصرف فى ثمنه. ثم بعد ذلك جاءه الذى اشترى منه البيت وقال له: انظر لك محلاً فإنى محتاج إلى بيتى، فنظر فى نفسه فلم يجد عنده شيئًا يحتاجه البيت غير زوجته، وقد ولدت له ولدًا وبنتًا ولم يبق عنده خدم غير نفسه وعياله فأخذ له قاعة فى بعض الأحواش وسكن فيها بعد العز والدلال، وكثرة الخدم والمال، وصار لا يملك قوت يوم، فقالت له زوجته: من هذا كنت أحذرك وأقول لك احفظ وصية والدك، فلم تسمع قولى، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، من أين تأكل الأولاد الصغار؟ فقم وطف على أصحابك أولاد التجار لعلهم يعطونك شيئًا نتقوت به فى هذا اليوم، فقام وتوجه إلى أصحابه واحدًا بعد واحد وكل من توجه إليه منهم يوارى وجهه منه ويسمعه ما يكره من الكلام المؤلم ولم يعطه أحد منهم شيئًا، فرجع إلى زوجته وقال لها: " لم يعطونى شيئًا ".

فقامت إلى جيرانها لتطلب منهم شيئًا يتقوتون به فى ذلك اليوم، فتوجهت إلى امرأة كانت تعرفها فى الأيام السابقة، فلما دخلت عليها ورأت حالها قامت وأخذتها بقبول وبكت وقالت لها: ما الذى أصابكم؟ فحكت لها جميع ما كان من زوجها، فقالت لها: مرحبًا بك وأهلاً وسهلاً فجميع ما تحتاجين إليه اطلبيه منى من غير مقابل، فقالت لها: جزاك الله خيرًا، ثم أعطتها ما يكفيها هى وعيالها مؤنة شهر كامل، فأخذته وتوجهت إلى محلها، فلما رآها زوجها بكى وقال لها: من أين لك ذلك؟ فقالت له: من فلانة فإنى لما أخبرتها بما حصل لنا لم تقصر فى شىء وقالت لى: جميع ما تحتاجين إليه اطلبيه منى، فعند ذلك قال لها زوجها: حيث صار عندك هذا فأنا متوجه إلى محل أقصده لعل الله تعالى يفرج عنا. وأخذ بخاطرها وقبل أولاده ثم خرج ولم يعرف أين يقصد.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: وما زال ماشيًا حتى وصل إلى بولاق فرأى مركبًا مسافرًا إلى دمياط فرآه رجل كان بينه وبين أبيه صحبة فسلم عليه، وقال له: أين تريد؟ قال: أريد دمياط فإن لى أصحابًا أسأل عنهم وأزورهم ثم أرجع، فأخذه إلى بيته وأكرمه وعمل له زادًا وأعطاه شيئًا من الدنانير وأنزله فى المركب المتوجه إلى دمياط، فلما وصلوا إلى دمياط طلع من المركب ولم يعرف أين يقصد، فبينما هو ماش إذ رآه رجل من التجار فحن عليه وأخذه معه إلى منزله فمكث عنده مدة وبعد ذلك قال فى نفسه: وإلى متى هذا القعود فى بيوت الناس، ثم طلع من بيت ذلك التاجر، فرأى مركبًا مسافرًا إلى الشام، فعمل له الرجل الذى كان نازلاً عنده زادًا وأنزله فى ذلك المركب وسافر حتى دخل دمشق.

فبينما هو ماش فى شوارعها إذ رآه رجل من أهل الخير فأخذه إلى منزله فأقام عنده مدة، ثم بعد ذلك خرج فرأى قافلة متوجهة إلى بغداد، فخطر بباله أن يسافر مع تلك القافلة، ثم رجع إلى التاجر الذى كان مقيمًا عنده فى منزله وأخذ خاطره وطلع مع القافلة فحنن الله سبحانه وتعالى رجلاً من التجار فأخذه إليه وصار يأكل ويشرب معه إلى أن بقى بينهم وبين بغداد مسافة يوم واحد، فطلع على القافلة جماعة من قطاع الطريق فأخذوا كامل ما معهم ولم ينج منهم إلا القليل، فسار كل واحد من القافلة يقصد محلاً يأوى إليه وأما على المصرى،

فإنه قصد بغداد، ثم وصل إليها عند غروب الشمس، وما أدرك باب المدينة حتى رأى البوابين يهمون أن يقفلوا الباب فقال لهم: دعوني أدخل عندكم؟ فأدخلوه عندهم وقالوا له:

من أين أتيت وإلى أين تسير؟ فقال: " أنا رجل من مدينة مصر ومعي تجارة وبغال وأحمال وعبيد وغلمان فسبقتهم لكي أنظر لي محلاً أحط فيه تجارتي، فلما سبقتهم وأنا راكب على بغلتي قابلني جماعة من قطاع الطريق فأخذوا بغلتي وحوائجي وما نجوت منهم إلا وأنا على آخر رمق، فأكرموه وقالوا له: مرحبًا بك فبت عندنا إلى الصباح، ثم ننظر لك محلاً يليق بك، ففتش في جيبه فرأى دينارًا كان باقياً من الدنانير التي أعطاه إياها التاجر في بولاق، فأعطى ذلك الدينار لواحد من البوابين وقال له: خذ هذا واصرفه وأتنا بشيء نأكله، فأخذه وذهب إلى السوق وصرفه وجاء له بخبز ولحم مطبوخ، فأكل هو وإياهم ونام عندهم حتى الصباح، ثم أخذه رجل من البوابين وتوجه به إلى رجل من تجار بغداد وحكى له حكايته، فصدقه ذلك الرجل وظن أنه تاجر ومعه أحمال فأخذه إلى دكانه وأكرمه وأخذه إلى منزله فأحضر له بدلة عظيمة من ملبوسه وأدخله الحمام.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: (قال على المصرى ابن التاجر حسن الجوهرى): فدخلت معه الحمام، وعند خروجنا أخذنى وتوجه بى إلى منزله وأحضر لنا الغداء، فأكلنا وانبسطنا وقال لواحد من عبيده: يا مسعود خذ سيدك وأعرض عليه البيتين اللذين فى المكان الفلانى والذى يعجبه منهما أعطه مفتاحه وتعال، فتوجهت أنا والعبد حتى وصلنا إلى درب فيه ثلاثة بيوت بجانب بعضها جديدة مقفولة، ففتح أول بيت وتفرجت عليه، وخرجنا وتوجهنا إلى الثانى ففتحه وتفرجنا عليه، فقال لى: أيهما أعطيك مفتاحه؟ فقلت له: وهذا الكبير لمن؟ قال: لنا، قلت له افتحه لأجل أن نتفرج عليه، فقال: ليس لك به حاجة، فقلت له: لم ذلك؟ فقال: لأنه معمور ولم يسكنه أحد إلا ويصبح ميتًا ولا يفتح بابه لإخراج الميت منه بل نطلع على سطح أحد البيتين ونخرجه منه فمن ذلك تركه سيدى، وقال: أنا ما بقيت أعطيه لأحد، فقلت: افتحه لى حتى أتفرج عليه، وقلت فى نفسى: هذا هو المطلوب فأبيت فيه وأصبح ميتًا وأرتاح من هذا الحال الذى أنا فيه، ففتحه ودخلته فرأيته بيتًا لا مثيل له، فقلت للعبد، أنا ما أختار إلا هذا البيت فأعطنى مفتاحه، فقال العبد: لا أعطيك المفتاح حتى أشاور سيدى.

ثم توجه إلى سيده وقال له: إن التاجر المصرى يقول: ما أسكن إلا فى البيت الكبير. فقام وجاء إلى على المصرى وقال له: يا سيدى-ليس لك فى هذا البيت حاجة. فقال له على المصرى: ما أسكن إلا فيه ولا أبالى بهذا القول، فقال له: اكتب بينى وبينك حجة أنه إذا حصل لك شيء لا علاقة لى بك. قال: كذلك. فأحضر شاهدًا من المحكمة وكتب عليه حجة وأخذها عنده وأعطاه المفتاح فأخذه ودخل البيت، فأرسل إليه التاجر فرشًا مع عبد ففرشه له على المصطبة التى خلف الباب ورجع.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: ثم بعد ذلك قام على المصرى ودخل فرأى بئرًا فى حوش البيت وعليها منطال فأنزله فى البئر وملأه وتوضأ منه وصلى فرضه وجلس قليلاً، فجاء له العبد بالعشاء من بيت سيده وجاء له بقنديل وشمعة وشمعدان وطست وأبريق وقلّة، ثم تركه وتوجه إلى بيت

سيده فأوقد الشمعة وتعشى وانبسط وصلى العشاء وقال فى نفسه: قم اطلع إلى فوق وخذ الفرش ونم هناك أحسن من هنا، فقام وأخذ الفرش وأطلعه فوق فرأى قاعة عظيمة سقفها مذهب وأرضها وحيطانها بالرخام الملون ففرش وجلس يقرأ شيئًا من القرآن العظيم، فلم يشعر إلا وشخص يناديه ويقول له:

يا على يا ابن الحسن هل أنزل عليك الذهب؟ قال له: وأين الذهب الذى تنزله؟ فما قال له ذلك حتى صب عليه ذهبًا كالمنجنيق ولم يزل الذهب منصبًا حتى ملأ القاعة، فلما فرغ انصباب الذهب قال له: أعتقنى حتى أتوجه إلى حال سبيلى فقد فرغت خدمتى وأوصلت إليك أمانتك، فقال له على المصرى: أقسمت عليك بالله العظيم أن تخبرني عن سبب هذا الذهب؟ فقال له: إن هذا الذهب كان مرصودًا عليك من قديم الزمان، وكان كل من دخل هذا البيت نأتيه ونقول له: يا على يا بن حسن هل ننزل الذهب، فيخاف من كلامنا ويصرخ فننزل إليه ونكسر رقبته ونروح، فلما جئت أنت وناديناك باسمك واسم أبيك وقلنا لك هل ننزل الذهب قلت لنا: وأين الذهب فعرفنا أنك صاحبه فأنزلناه وبقى لك كنز فى بلاد اليمن فإذا سافرت وأخذته وأتيت إلى هناك كان أولى لك، وأريد منك أن تعتقنى حتى أروح إلى حال سبيلى. فقال:

والله ما أعتقك إلا إذا أتيتنى بالذى فى بلاد اليمن إلى هنا، فقال له: إذا أتيتك هل تعتقنى وتعتق خادم ذلك الكنز؟ فقال: نعم، فقال: احلف لى، فحلف له، وأراد أن يتوجه فقال له على المصرى: بقى لى عندك حاجة، قال: وما هى؟ قال: لى زوجة وأولاد بمصر فى المحل الفلانى ينبغى أن تأتينى بهم على راحة من غير ضرر، فقال له: آتيك بهم فى موكب وتختروان وخدم وحشم مع الكنز الذى نأتيك به من بلاد اليمن إن شاء الله تعالى. ثم أخذ منه أجازة على ثلاثة أيام، ويكون جميع ذلك عنده وتوجه.

فأصبح على يدور فى القاعة على محل يأوى فيه الذهب فرأى رخامة على طرف ليوان القاعة، وفيها لولب، ففرك اللولب فانزاحت الرخامة وبان له باب، ففتحه ودخل فرأى خزنة كبيرة وفيها أكياس من القماش مخيطة فصار يأخذ الأكياس ويملأها من الذهب ويُدخلها فى الخزنة إلى أن حول الذهب جميعه وأدخله الخزنة وقفل الباب، وفرك اللولب فرجعت الرخامة إلى محلها، ثم قام ونزل على المصطبة التي وراء الباب فبينما هو قاعد وإذا بطارق يطرق عليه الباب، فقام وفتحه فرآه عبد صاحب البيت، فلما رآه العبد جالسًا رجع بسرعة إلى سيدة ليبشره، فلما وصل إلى سيده قال له: يا سيدى إن التاجر الذى يسكن فى البيت المعمور بالجن طيب بخير وهو جالس على المصطبة التى وراء الباب.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فقام سيده وهو فرحان وتوجه إلى ذلك البيت ومعه الفطور، فلما رآه عانقه وقبله بين عينيه، وقال له: ما فعل الله بك؟ قال: خيرًا وما نمت إلا فوق فى القاعة المرخمة فقال له: هل أتاك شيء أو نظرت شيئًا؟ قال: لا، وإنما قرأت ما تيسر من القرآن ونمت إلى الصباح، ثم قمت وتوضأت وصليت ونزلت وجلست على هذه المصطبة، فقال: الحمد لله على السلامة، ثم قام من عنده وأرسل إليه عبيدًا ومماليك وجوارى وفرشًا فكنسوا البيت من فوق وتحت وفرشوا له فرشًا عظيمًا، وبقى عنده ثلاثة مماليك وثلاثة عبيد وأربع جوار للخدمة والباقى توجهوا إلى بيت سيدهم، ولما سمع بخبره التجار أرسلوا إليه هدايا من كل

شيء نفيس حتى من المأكول والمشروب والملبوس وأخذوه عندهم فى السوق وقالوا له: متى تجيء حملتك؟ فقال لهم: بعد ثلاثة أيام تدخل.

فلما مضت الثلاثة أيام جاء له خادم الكنز الأول الذى أنزل له الذهب من البيت وقال له: قم لاق الكنز الذى جئت لك به من اليمن وحريمك وصحبتهم من جملة الكنز مال على صورة المتجر العظيم، وجميع ما معه من البغال والخيل والجمال والخدم والمماليك كلهم من الجان. وكان ذلك الخادم قد توجه إلى مصر فرأى زوجة على وأولاده فى هذه المدة صاروا فى عرى وجوع زائد فحملهم من مكانهم فى تختروان خارجا عن مصر وألبسهم خلعًا عظيمة من الخلع التى فى كنز اليمن، فلما جاء له وأخبره بذلك الخبر قام وتوجه إلى التجار وقال لهم: قوموا بنا نطلع خارج المدينة لنلاقى القافلة التى فيها متجرنا وتشرفونا بحريمكم لأجل ملاقاة حريمنا. فقالوا: سمعًا وطاعة، ثم أرسلوا وأحضروا حريمهم وطلعوا جميعًا وقعدوا فى بستان من بساتين المدينة وجلسوا يتحدثون.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فبينما هم فى الحديث وإذا بغبار قد ثار من بعيد فقاموا ينظرون ما سبب ذلك الغبار فانكشف وبان عن رجال وبغال وعكامة وفراشين وضوية وهم مقبلون فى غناء ورقص إلى أن أقبلوا، فتقدم مقدم العكامة إلى على المصرى ابن التاجر حسن الجوهرى وقبل يده وقال له: " يا سيدى إننا تعوقنا فى الطريق لأننا أردنا الدخول بالأمس فخفنا من قطاع الطريق فمكثنا أربعة أيام ونحن مقيمون فى محلنا إلى أن صرفهم الله تعالى عنا، فقام التجار وركبوا بغالهم وساروا مع القافلة وتأخرت الحريم عند حريم التاجر المصرى إلى أن ركبوا معهم ودخلوا فى موكب عظيم، وصار التجار يتعجبون من البغال المحملة بالصناديق ونساء التجار يتعجبن من ملبس زوجة التاجر على وملبس أولادها ويقلن: إن هذه الملابس لا يوجد مثلها عند ملك بغداد ولا غيره من سائر الملوك والأكابر والتجار.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: ولم يزالوا سائرين فى موكبهم الرجال مع التاجر على المصرى والنساء مع حريمه إلى أن دخلوا المنزل ونزلوا وأدخلوا البغال بأحمالها فى وسط الحوش، ثم نزلوا الأحمال وخزنوها فى الحواصل وطلع الحريم مع الحريم إلى القاعة فرأوها مثل الروضة الغناء مفروشة بالفرش العظيم، فجلسوا فى حظ وسرور واستمروا جالسين إلى وقت الظهر، فطلع الغداء لهم على أحسن ما يكون من أنواع الأطعمة والحلويات فأكلوا وشربوا الشربات العظيمة وتطيبوا بعدها بماء الورد والبخور، ثم أخذوا خاطره وانصرفوا إلى محلاتهم رجالاً ونساء. ولما رجع التجار إلى أماكنهم صاروا يرسلون الهدايا على قدر أحوالهم، وصارت الحريم يهادين الحريم إلى أن جاء لهم شيء كثير من جوار وعبيد ومماليك ومن كامل الأصناف كالحبوب والسكر وغير ذلك من الخير الذى لا يحصى، وأما التاجر البغدادى صاحب البيت الذى هو فيه فإنه استمر مقيمًا عنده ولم يفارقه وقال له: خل العبيد والخدم يُدخلون البغال وغيرها من البهائم فى بيت من البيوت لأجل الراحة.

فقال له: إنهم مسافرون فى هذه الليلة إلى محل كذا، وأعطاهم أجازة بأن يخرجوا إلى

خارج المدينة حتى يأتى الليل فيسافرون، فما صدقوا أن يعطيهم الأجازة بذلك حتى أخذوا خاطره وانصرفوا إلى ظاهر المدينة وطاروا فى الهواء إلى أماكنهم.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: وقعد التاجر على مع صاحب البيت الذى هو فيه إلى ثلث الليل، ثم انفض مجلسهما وذهب صاحب البيت إلى محله وطلع التاجر على إلى حريمه وسلم وقال لهن: ما الذى جرى لكم بعدى فى هذه المدة؟ فأخبرته زوجته بما قاسوه من الجوع والعرى والتعب فقال لها: الحمد لله على السلامة، وكيف جئتم؟ فقالت: يا سيدى كنت أنا نائمة مع أولادى ليلة البارحة فلم أشعر إلا وشخص رفعنى عن الأرض أنا وأولادى إلى أن صرنا طائرين فى الهواء ولكن لم يحصل لنا ضرر، ولم نزل طائرين حتى نزلنا على الأرض فى مكان على شكل حلة العرب، فرأينا هناك بغالاً محملة وتخترواناً على بغلتين كبيرتين وحوله خدم من غلمان ورجال فقلت لهم: ما أنتم وما هذه الأحمال ونحن فى أى مكان؟ فقالوا: نحن خدم التاجر على المصرى ابن التاجر حسن الجوهرى، وقد أرسلنا نأخذكم ونوصلكم إليه فى مدينة بغداد، فقلت لهم: وهل المسافة التى بيننا وبين بغداد بعيدة أو قريبة؟ فقالوا لى: قريبة فما بيننا وبينها غير سواد الليل.

ثم أركبونا فى التختروان، فما أصبح الصباح إلا ونحن عندكم ولم يحصل لنا ضرر أبدًا. فقال لها: ومن أعطاكم هذا الملبس؟ فقالت: مقدم القافلة فتح صندوقًا من الصناديق التى على البغال وأخرج منه هذه الحلل فألبسنى حلة وألبس أولادك كل واحد حلة ثم قفل الصندوق الذى أخذ منه الحلل وأعطانى مفتاحه وقال لى: احرصى عليه حتى تعطيه لزوجك، وها هو محفوظ عندى، ثم أخرجته له فقال لها: هل تعرفين الصندوق؟ قالت: نعم أعرفه. فقام ونزل معها إلى الحواصل وأراها الصناديق، فقالت له هذا هو الصندوق الذى أخذ منه الحلل.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فأخذ المفتاح منها وحطه فى القفل وفتحه فرأى فيه حللاً كثيرة ورأى فيه مفاتيح كامل الصناديق، فأخذها منه وصار يفتح الصناديق صندوقًا بعد صندوق ويتفرج على ما فيها من الجواهر والمعادن الكنوزية التى لم يوجد عند أحد من الملوك نظيرها، ثم قفلها وأخذ مفاتيحها وطلع هو وزوجته إلى القاعة وقال لها: هذا من فضل الله تعالى، ثم بعد ذلك أخذها وتوجه إلى الرخامة التى فيها اللولب وفركه وفتح باب الخزانة ودخل هو وإياها وأراها الذهب الذى وضعه فيها. فقالت له زوجته: من أين جاءك هذا كله؟ فقال لها: جاءنى من فضل ربى فإنى خرجت من عندك بمصر وطلعت وأنا لا أدرى أين أذهب، فتمشيت حتى وصلت إلى بولاق فوجدت مركبًا مسافرًا إلى دمياط فنزلت فيه، فلما وصلت إلى دمياط قابلنى رجل تاجر كان يعرف والدى فأخذنى وأكرمنى وقال لى: إلى أين تسافر، فقلت له: أريد أن أسافر إلى دمشق الشام فإن لى بها أصحابًا، وحكى لها ما وقع له من أوله إلى آخره، فقالت له: يا سيدى هذا كله ببركة دعاء والدك حين كان يدعو لك قبل موته، ويقول: أسأل الله أن لا يوقعك فى شدة إلا ويدركك بالفرج القريب، فالحمد لله تعالى حيث أتاك بالفرج

وعوض عليك بأكثر مما ذهب منك فبالله عليك يا سيدي لا تعد إلى ما كنت فيه من عشرة أصحاب الشبه، وعليك بتقوى الله تعالى فى السر والعلانية.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: وصارت توصيه، فقال لها: قبلت وصيتك وأسأل الله تعالى أن يبعد عنا أقران السوء وأن يوفقنا لطاعته واتباع سنة نبيه ﷺ وصار هو وزوجته وأولاده فى أرغد عيش، ثم إنه أخذ له دكانًا فى سوق التجار ووضع فيه شيئًا من الجواهر والمعادن المثمنة وجلس فى الدكان وعنده أولاده ومماليكه وصار أجل التجار فى مدينة بغداد، فسمع بخبره ملك بغداد فأرسل إليه رسولاً يطلبه، فلما جاء الرسول قال له: أجب الملك فإنه يطلبك، فقال: سمعًا وطاعة، ثم جهز هدية للملك فأخذ أربع صوانى من الذهب الأحمر وملأها من الجواهر والمعادن التى لا يوجد مثلها عند الملوك وأخذ الصوانى وطلع بها إلى الملك، فلما دخل عليه قبل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العز والنعم، وأحسن ما به تكلم، فقال له الملك: يا تاجر قد آنست بلادنا، فقال له: يا ملك الزمان إن العبد أتاك بهدية ويرجو من فضلك قبولها. ثم قدم الأربع الصوانى بين يديه، فكشف عنها الملك وتأملها فرأى فيها شيئًا من الجواهر لم يكن عنده مثله وقيمته تساوى خزائن مال، فقال له: هديتك مقبولة يا تاجر وإن شاء الله تعالى نجازيك بمثلها " فقبل يدى الملك وانصرف من عنده، فأحضر الملك أكابر دولته وقال لهم: كم ملك من الملوك خطب ابنتى؟ قالوا له: كثير، فقال لهم: هل أحد منهم هادانى بمثل هذه الهدية؟ فقالوا جميعًا: لا، لأنه لا يوجد عند أحد منهم مثل هذه قط. فقال الملك: استخرت الله تعالى فى أن أزوج ابنتى لهذا التاجر فما تقولون؟ فقالوا له: الأمر كما ترى، فأمر الطواشية أن يحملوا الأربع الصوانى بما فيها ويدخلوها إلى سرايته.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: ثم اجتمع بزوجته، ووضع الصوانى بين يديها فكشفت عنها فرأت فيها شيئًا لم يكن عندها مثله، ولا قطعة واحدة، فقالت له: من أى الملوك هذا لعله من أحد الملوك الذين خطبوا ابنتك؟ فقال: لا، وإنما هذا من رجل تاجر مصرى جاء عندنا فى هذه المدينة، فلما سمعت بقدومه أرسلت إليه رسولاً يحضره لنا كى نصاحبه لعلنا نجد عنده شيئًا من الجواهر فنشتريه منه من أجل جهاز بنتنا، فامتثل أمرنا وجاء لنا بهذه الأربع الصوانى وقدمها لنا هدية، فرأيته شاباً حسنًا ذا مهابة وعقل كامل وشكل ظريف يكاد أن يكون من أبناء الملوك. فلما رأيته مال إليه قلبى وانشرح له صدرى وأحببت أن أزوجه ابنتى وقد عرضت الهدية على أرباب دولتى وقلت لهم: كم واحد من الملوك خطب ابنتى؟ فقالوا: كثير، فقلت لهم: وهل جاءنى أحد منهم بمثل ذلك؟ فقالوا كلهم: لا، والله يامالك الزمان إنه لا يوجد عند أحد منهم مثل ذلك، فقلت لهم: إنى استخرت الله تعالى فى أن أزوجه ابنتى فما تقولون؟ قالوا: الأمر كما تراه، فما تقولين أنت فى جوابك؟ قالت له: الأمر لله ولك يا ملك الزمان والذى يريده الله هو الذى يكون، فقال: إن شاء الله تعالى لا نزوجها إلا لهذا الشاب، وبات تلك الليلة.

فلما أصبح الصباح طلع إلى ديوانه وأمر بإحضار التاجر على المصرى وكامل تجار بغداد، فحضروا جميعًا، فلما مثلوا بين يدى الملك أمرهم بالجلوس فجلسوا، ثم قال: "أحضروا قاضى الديوان" فحضر بين يديه، فقال له: اكتب كتاب ابنتى على التاجر على المصرى" فقال على المصرى: العفو يا مولانا السلطان لا يصح أن يكون صهر الملك تاجرا مثلى، فقال الملك: قد أنعمت عليك بذلك وبالوزارة، ثم خلع عليه الوزارة فى الحال فعند ذلك جلس على كرسى الوزارة وقال: يا ملك الزمان أنت أنعمت على بذلك وقد تشرفت بإنعامك ولكن اسمع لى كلمة أقولها لك، فقال: قل ولا تخف، قال: حيث صدر أمرك الشريف بزواج ابنتك فينبغى أن يكون زواجها لولدى، فقال: هل لك ولد؟ قال:نعم، فقال الملك: أرسل إليه فى هذه الساعة، فقال: سمعًا وطاعة، ثم أرسل واحدًا من مماليكه إلى ولده وأحضره.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فلما حضر بين يدى الملك قبل الأرض بين يديه ووقف متأدباً، فنظر إليه الملك فرآه أجمل من ابنته وأحسن منها قدا واعتدالاً، وبهجة وكمالاً، فقال له: ما اسمك يا وليد؟ فقال: يا مولانا السلطان اسمى حسن، وكان عمره حينئذ أربعة عشر عاماً، فقال الملك للقاضى: اكتب كتاب ابنتى حُسن الوجود على حَسن ابن التاجر على المصرى، فكتب كتابه عليها وتم الأمر على أحسن حال وانصرف كل من فى الديوان إلى حال سبيله، ونزل التجار خلف الوزير على المصرى، إلى أن وصل إلى منزله وهو فى منصب الوزارة، ثم هنأوه بذلك وانصرفوا إلى سبيلهم، ثم دخل الوزير على المصرى على زوجته فرأته لابسًا خلعة الوزارة، فقالت له: ما هذا ؟ فحكى لها الحكاية من أولها إلى آخرها، وقال لها: إن الملك زوج ابنته لحسن ولدى. ففرحت بذلك فرحًا زائدًا، ثم بات على المصرى تلك الليلة.

ولما أصبح الصباح طلع إلى الديوان فلاقاه الملك ملاقاة حسنة وأجلسه إلى جانبه وقربه منه وقال له: " يا وزير قصدنا أننا نقيم الفرح " فقال: يا مولانا السلطان ما تراه حسنًا فهو حسن، فأمر الملك بقيام الفرح وزينوا المدينة واستمروا فى إقامة الفرح ثلاثين يومًا وهم فى هناء وسرور، وأما زوجة الملك فإنها لما رأت زوج ابنتها أحبته حباً شديدًا وكذلك فرحت بأمه فرحًا زائدًا. ثم إن الملك أمر لحسن ابن الوزير بسراية، فبنوا له سراية عظيمة بسرعة وسكن فيها ابن الوزير وصارت أمه تقعد عنده أيامًا ثم تنزل إلى بيتها، فقالت زوجة الملك لزوجها: يا ملك الزمان إن والدة حسن لا يمكنها أن تقعد عند ولدها وتترك الوزير ولا يمكنها أن تقعد عند الوزير وتترك ولدها، فقال: صدقت، وأمر أن تبنى سراية ثالثة بجانب سراية حسن ابن الوزير، فبنوا سراية ثالثة فى أيام قلائل، وأمر الملك أن ينقلوا حوائج الوزير إلى السراية، فنقلوها وسكن بها الوزير وصارت الثلاث سرايات نافذات إلى بعضها فإذا أراد الملك أن يتحدث مع الوزير يمشى إليه ليلاً أو يرسل إليه يحضره، وكذلك حسن وأمه وأبوه وما زالوا مع بعضهم فى حالة مرضية وعيشة هنية مدة من الزمان. ثم إن الملك حصل له ضعف وزاد سقمه فأحضر أكابر دولته وقال لهم: إنه حصل لى مرض شديد، ربما كان مرض الموت وقد أحضرتكم لأشاوركم فى أمر فأشيروا على بما ترونه حسنًا، فقالوا: ما الرأى الذى تشاورنا فيه أيها الملك؟ فقال: إنى صرت كبيرًا وقد مرضت وأخاف على المملكة بعدى من الأعداء، وقصدى أن تتفقوا أنتم الجميع على واحد حتى أبايعه على المملكة

فى حياتى لكى تستريحوا، فقالوا جميعًا: نحن نرضى بزوج ابنتك حسن بن الوزير على، فإننا رأينا عقله وكماله وفهمه وهو يعرف مقام الكبير والصغير.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهرزاد: فقال لهم الملك: وهل رضيتم بذلك؟ قالوا: نعم، قال لهم: ربما تقولون ذلك بين يدىّ حياء منى وفى غيبتى تقولون غير ذلك، فقالوا جميعًا: والله إن كلامنا ظاهرًا وباطنًا واحد لا يتغير وقد ارتضيناه بطيب قلوبنا وانشراح صدورنا، فقال لهم: إن كان الأمر كذلك فأحضروا قاضى الشرع الشريف وسائر الحجاب والنواب وأرباب الدولة جميعًا بين يدى فى غد ونتمم الأمر على أحسن حال، فقالوا له: سمعًا وطاعة، ثم انصرفوا من عنده ونبهوا كامل العلماء ووجهاء الناس من الأمراء.

فلما أصبح الصباح طلعوا إلى الديوان وأرسلوا إلى الملك يستأذنونه فى الدخول عليه فأذن لهم، فدخلوا وسلموا عليه وقالوا: نحن الجميع قد حضرنا بين يديك، فقال لهم الملك: يا أمراء بغداد من ترضون أن يكون عليكم بعدى لأجل أن أبايعه فى حياتى قبل مماتى فى حضوركم جميعًا؟ فقالوا كلهم: قد اتفقنا على حسن ابن الوزير على زوج ابنتك فقال لهم: إن كان الأمر كذلك فقوموا جميعًا وأحضروه بين يدى فقاموا جميعًا ودخلوا سرايته وقالوا له: قم بنا إلى الملك، فقال لهم: لأى شىء؟ فقالوا له: لأمر فيه صلاح لنا ولك.

فقام معهم حتى دخلوا على الملك فقبل حسن الأرض بين يديه، فقال له الملك: اجلس يا ولدى، فجلس فقال له: يا حسن إن الأمراء جميعًا اتفقوا على أن يجعلوك ملكًا عليهم من بعدي، وقصدى أن أبايعك فى حياتى لأجل انفضاض الأمر. فعند ذلك قام حسن وقبل الأرض بين يدى الملك وقال له: يا مولانا الملك إن فى الأمراء من هو أكبر منى سنا وأعلى قدرًا، فأقيلونى من ذلك الأمر، فقالت الأمراء جميعًا: لا نرضى إلا أن تكون ملكًا علينا، فقال لهم: إن أبى أكبر منى وأنا وأبى شىء واحد ولا يصح تقديمى عليه، فقال له أبوه: أنا لا أرضى إلا بما رضى به إخوانى وقد رضوا بك واتفقوا عليك فلا تخالف أمر الملك ولا أمر إخوانك.

فأطرق حسن رأسه إلى الأرض حياء من الملك ومن أبيه، فقال الملك: هل رضيتم به؟ قالوا: رضينا به، فقرءوا جميعًا على ذلك فواتح سبعًا، ثم قال الملك: يا قاضى اكتب حجة شرعية على هؤلاء الأمراء أنهم اتفقوا على سلطنة حسن زوج ابنتى وأنه يكون عليهم ملكًا، فكتب الحجة بذلك وأمضاها بعد أن بايعوه جميعًا على الملك وبايعه الملك وأمره بالجلوس على كرسى المملكة، فقاموا جميعاً وقبلوا أيادى الملك حسن ابن الوزير وأبدوا له الطاعة، فحكم فى ذلك النهار حكمًا عظيمًا وخلع على أرباب الدولة الخلع السنية ثم انفض الديوان، ودخل حسن على والد زوجته وقبل يديه، فقال له: يا حسن عليك بتقوى الله فى الرعية، فقال له: بدعائك لى يا والدى يحصل لى التوفيق.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهرزاد: ثم دخل سرايته فلاقته زوجته هى وأمها وأتباعها وقبّلوا يديه وقالوا له:

يوم مبارك وهنأوه بالمنصب، ثم قام من سرايته ودخل سراية والده وفرحوا فرحًا زائدًا بما أنعم الله به عليه من تقليد الملك، وأوصاه والده بتقوى الله والشفقة على الرعية، وبات تلك الليلة فى فرح وسرور إلى الصباح، ثم صلى فرضه، وختم ورده، وطلع إلى الديوان وطلع إليه كامل العسكر، وأرباب المناصب فحكم بين الناس وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وولى وعزل، ولم يزل فى الحكومة إلى آخر النهار، ثم انفض الديوان على أحسن حال وانصرف العسكر وسار كل واحد منهم إلى حال سبيله.

ثم قام ودخل السراية فرأى والد زوجته قد ثقل عليه الضعف، فقال له: لا بأس عليك، ففتح عينيه. وقال له: يا حسن، قال: لبيك يا سيدى، قال له: أنا الآن قد قرب أجلى فكن متوصيًا بزوجتك ووالدتها وعليك بتقوى الله وببر والديك واخش مهابة الملك الديان، واعلم بأن الله يأمر بالعدل والإحسان.

فقال له الملك حسن: سمعًا وطاعة ثم إن الملك القديم أقام ثلاثة أيام بعد ذلك وتوفى إلى رحمة الله تعالى فجهزوه وكفنوه وعملوا له القراءات والختمات إلى تمام الأربعين يومًا. واستقل الملك حسن ابن الوزير بالملك وفرحت به الرعية، وكانت أيامه كلها سرور، وما زال والده وزيرًا كبيرًا على ميمنته واتخذ له وزيرًا آخر على ميسرته واستقامت الأحوال. ومكث ملكًا فى بغداد مدة مستطيلة ورزق من بنت الملك ثلاثة أولاد ذكور توارثوا المملكة من بعده وصاروا فى أرغد عيش وأهناه، إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات، فسبحان من له الدوام، وبيده النقض والإبرام.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية الرجل الحاج مع العجوز

قالت شهرزاد: حُكى أن رجلاً من الحجاج نام نومة طويلة ثم انتبه، فلم يرَ للحجاج أثرًا، فقام يمشى فضلَّ عن الطريق وسار يسيرًا إلى أن رأى خيمة ورأى امرأة عجوزًا على باب الخيمة ووجد عندها كلبًا نائمًا فدنا من الخيمة ثم سلم على العجوز وطلب منها طعامًا، فقالت: " امض إلى ذلك الوادى واصطد من الحيات بقدر كفايتك لأشوى لك منها وأطعمك " فقال لها الرجل: أنا لا أجسر على أن أصطاد الحيات وما أكلتها قط " فقالت العجوز: أنا أمضى معك وأتصيد منها فلا تخف.

ثم إنها مضت معه وتبعها الكلب فاصطادت من الحيات بقدر الكفاية وجعلت تشوى منها، فلم يرَ الرجل الحاج من الأكل بدا وخاف من الجوع والهزال فأكل من تلك الحيات ثم إنه عطش فطلب من العجوز ماء ليشرب فقالت له دونك العين فاشرب منها، فمضى إلى العين فوجد ماءها مرا، ولم يجد له من شربه بدا مع شدة مرارته لما لحقه من العطش فشرب ثم عاد إلى العجوز وقال لها: عجبًا منك أيتها العجوز ومن مقامك بهذا الموضع ومكثك فى هذا المكان واغتذائك بهذا الطعام وشربك من هذا الماء.

قالت له العجوز: فكيف تكون بلادكم؟ قال لها: إن فى بلادنا الدور الواسعة الرحبة والفواكه اليانعة اللذيذة والمياه الغزيرة العذبة والأطعمة الطيبة واللحوم السمينة والغنم الكثيرة

وكل شيء طيب والخيرات الحسان اللاتي لا يكون مثلهن إلا في الجنة التي وصفها الله تعالى لعباده الصالحين، فقالت العجوز: قد سمعت هذا كله فقل لي هل يكون لكم من سلطان يحكم عليكم ويجور في حكمه وأنتم تحت يده وإن أذنب أحد منكم أخذ أمواله وأتلفه، وإذا أراد أخرجكم من بيوتكم واستأصل شأفتكم، فقال لها الرجل: قد يكون ذلك، فقالت العجوز: إذًا والله يكون ذلك الطعام اللطيف والعيش الظريف والنعم اللذيذة مع الجور والظلم سما ناقعًا وتعود أطعمتنا مع الأمن ترياقًا نافعًا، أما سمعت أن أجل النعم بعد الإسلام الصحة والأمن، وإنما يكون هذا من عدل السلطان خليفة الله في أرضه وحسن سياسته، وكان من تقدم من السلاطين يحب أن يكون له أدنى هيبة بحيث إذا رأته الرعية خافوه، وسلطان هذا الزمان يحب أن يكون له أوفى سياسة وأتم هيبة لأن الناس الآن ليسوا كالمتقدمين، وزماننا هذا زمان ذوي الوصف الذميم، والخطب الجسيم، حيث اتصفوا بالسفاهة والقساوة، وانطووا على البغضاء والعداوة، وإذا كان السلطان والعياذ بالله تعالى بينهم ضعيفًا أو غير ذي سياسة وهيبة فلا شك في أن ذلك يكون سببًا لخراب البلاد.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: وفي الأمثال: جور السلطان مائة سنة ولا جور الرعية بعضهم على بعض سنة واحدة، وإذا جارت الرعية سلط الله عليهم سلطانًا جائرًا وملكًا قاهرًا كما ورد في الأخبار: أن الحجاج بن يوسف رُفعت إليه في بعض الأيام قصة مكتوب فيها: اتق الله ولا تجر على عباد الله كل الجور. فلما قرأ القصة رقي المنبر وكان فصيحًا فقال: أيها الناس إن الله تعالى سلطني عليكم بأعمالكم فإن أنا مت فأنتم لا تخلصون من الجور مع هذه الأعمال السيئة لأن الله تعالى خلق أمثالي خلقًا كثيرًا، وإذا لم أكن أنا كان من هو أكثر مني شرا وأعظم جورًا وأشد سطوة، كما قال الشاعر في معنى ذلك:

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيُبلى بأظلم

والجور يُخاف منه والعدل أصلح كل شيء، نسأل الله أن يُصلح أحوالنا.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية أبي الحسن

قالت شهرزاد: ومما يحكى أنه كان ببغداد رجل ذو مقدار وكان موسرًا بالمال والعقار، وهو من التجار الكبار، وقد وسع الله عليه دنياه، ولم يبلغه من الذرية ما يتمناه، ومضت عليه مدة من الزمان ولم يرزق ولدًا لا ذكرًا ولا أنثى، فكبرت سنه، ورق عظمه، وانحنى ظهره وكثر وهنه وهمه، فخاف ذهاب ماله ونسبه إذا لم يكن له ولد يرثه ويُذكر به. فتضرع إلى الله تعالى وصام النهار وقام الليل ونذر النذور لله تعالى الحي القيوم، وزار الصالحين وأكثر التضرع إلى الله تعالى، فاستجاب الله له وقبل دعاءه، ورحم تضرعه وشكواه فما كان إلا قليل من الأيام حتى حملت امرأته وأتمت أشهرها ووضعت حملها وجاءت بذكر كأنه فلقة قمر، فأوفى بالنذر شكرًا لله عز وجل وأخرج الصدقات وكسا الأرامل والأيتام، وليلة سابع الولادة سماء

بأبى الحسن، فأرضعته المراضع وحضنته الحواضن، وحملته المماليك والخدم إلى أن كبر ونشأ وترعرع وانتشأ وتعلم القرآن العظيم، وفرائض الإسلام وأمور الدين القويم، والخط والشعر والحساب، والرمى بالنشاب فكان فريد دهره، وأحسن أهل زمانه وعصره، ذو وجه مليح، ولسان فصيح، يتهادى تمايلاً واعتدالاً ويتزاهى تدللاً واختيالاً بخد أحمر، وجبين أزهر، وعذار أخضر.

فأقام مع أبيه برهة من الزمان فى أحسن حال، وأبوه به فرح مسرور إلى أن بلغ مبالغ الرجال، فأجلسه أبوه بين يديه يومًا من الأيام، وقال له: يا ولدى إنه قد قرب الأجل، وحانت وفاتى ولم يبق غير لقاء الله عز وجل وقد خلفت لك ما يكفيك إلى ولد الولد من المال المتين، والضياع والأملاك والبساتين، فاتق الله تعالى يا ولدى فيما خلفته لك، ولا تتبع إلا من رفدك "..فلم يكن إلا قليل حتى مرض الرجل ومات.

فجهزه ولده أحسن تجهيز ودفنه ورجع إلى منزله وقعد للعزاء أيامًا وليالى، وإذا بأصحابه قد دخلوا عليه وقالوا له: من خلف مثلك ما مات، وكل ما فات فقد فات، وما يصلح العزاء إلا للبنات والنساء المخدرات، ولم يزالوا به حتى دخل الحمام فلما دخلوا عليه وفكوا حزنه نسى وصية أبيه وذهل لكثرة المال، وظن أن الدهر يبقى معه على حال، وأن المال ليس له زوال، فأكل وشرب، ولذ وطرب، وخلع ووهب، وجاد بالذهب، ولازم أكل الدجاج، وفض ختام الزجاج، وارتاح إلى قهقهة القنانى، واستماع الأغانى، ولم يزل على هذه الحال، إلى أن مال المال، وقعد الحال، وذهب ما كان لديه، ولم يبق له بعد أن أتلف ما تلف، غير وصيفة خلفها له والده من جملة ما خلف.

وكانت الوصيفة هذه ليست لها نظير فى الحسن والجمال، والبهاء والكمال، والقد والاعتدال، وهى ذات فنون وآداب، وفضائل تستطاب، قد فاقت أهل عصرها وأوانها، وصارت أشهر من علم فى افتتانها، وزادت على الملاح بالعلم والعمل والتثنى والميل، مع كونها خماسية القد، مقارنة للسعد، بجبين كأنه هلال شعبان، وحاجبين أزجين وعينين كعيون غزلان، وأنف كحد الحسام، وخد كأنه شقائق النعمان، وفم كخاتم سليمان، وأسنان كأنهما عقود الجمان، وهى مع هذا كله فصيحة الكلام، حسنة النظام.

فلما نفد جميع ماله، وتبين سوء حاله، ولم يبق معه غير هذه الجارية، أقام ثلاثة أيام، وهو لم يذق طعم طعام، ولم يسترح فى منام، فقالت له الجارية: يا سيدى احملنى إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد الخامس من بنى العباس واطلب ثمنى منه عشرة آلاف دينار، فإن استغلانى فقل له: يا أمير المؤمنين وصيفتى أكثر من ذلك، فاختبرها يعظم قدرها فى عينك، لأن هذه الجارية ليست لها نظير ولا تصلح إلا لمثلك.

ثم قالت له: إياك يا سيدى أن تبيعنى بدون ما قلت لك من الثمن فإنه قليل فى مثلى، وكان سيد الجارية لا يعلم قدرها ولا يعلم أنها ليس لها نظير فى زمانها، ثم إنه حملها إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد وقدمها له وذكر ما قالت: فقال لها الخليفة: ما اسمك؟ قالت: اسمى تَوَدُّد قال: يا تودد ما تحسنين من العلوم؟ قالت: يا سيدى إنى أعرف النحو والشعر والفقه والتفسير واللغة وأعرف فن الموسيقى وعلم الفرائض والحساب والقسمة والمساحة

وأساطير الأولين وأعرف القرآن العظيم، وقد قرأته للسبع والعشر وللأربع عشرة وأعرف عدد سوره وآياته وأحزابه وأنصافه وأرباعه، وأثمانه وأعشاره وسجداته وعدد أحرفه وأعرف ما فيه من الناسخ والمنسوخ، والمدنية والمكية وأسباب التنزيل وأعرف الحديث الشريف دراية ورواية المسند منه والمرسل، ونظرت فى علوم الرياضة والهندسة والفلسفة وعلم الحكمة والمنطق والمعانى والبيان، وحفظت كثيرًا من العلم وتعلقت بالشعر وضربت بالعود، وعرفت مواضع النغم فيه، ومواقع حركات أوتاره وسكناتها وبالجملة فإنى وصلت إلى شىء لم يعرفه إلا الراسخون فى العلم.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية مناظرة الجارية تودد مع العلماء

قالت شهرزاد: فلما سمع الخليفة هارون الرشيد كلامها على صغر سنها تعجب من فصاحة لسانها والتفت إلى مولاها وقال: " إنى أحضر من يناظرها فى جميع ما ادعته فإن أجابت دفعت لك ثمنها وزيادة وإن لم تُجب فانت أولى بها، فقال مولاها: يا أمير المؤمنين حبا وكرامة فكتب أمير المؤمنين إلى عامل البصرة بأن يرسل إليه إبراهيم بن سيار النظام، وكان أعظم أهل زمانه فى الحجة والبلاغة والشعر، والمنطق وأمره أن يُحضر القراء والعلماء والأطباء والمنجمين والحكماء والمهندسين والفلاسفة وكان إبراهيم أعلم من الجميع.

فما كان إلا قليل حتى حضروا دار الخلافة وهم لا يعلمون الخبر فدعاهم أمير المؤمنين إلى مجلسه وأمرهم بالجلوس فجلسوا، ثم أمر أن تحضر الجارية تودد فحضرت وأظهرت نفسها وهى كأنها كوكب درى، فوضع لها كرسى من ذهب فسلمت ونطقت بفصاحة لسان وقالت: " يا أمير المؤمنين مُر من حضر من العلماء والقراء والأطباء والمنجمين والحكماء والمهندسين والفلاسفة أن يناظرونى.

فقال لهم أمير المؤمنين: أريد منكم أن تناظروا هذه الجارية فى أمر دينها وأن تدحضوا حجتها فى كل ما ادَّعته، فقالوا: السمع والطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين، فعند ذلك أطرقت الجارية وقالت: أيكم الفقيه العالم المقرئ المحدث؟ فقال أحدهم: أنا ذلك الرجل الذى طلبت، قالت له: اسأل عما شئت.

قال لها: أنت قرأت كتاب الله العزيز وعرفت ناسخه ومنسوخه، وتدبرت آياته وحروفه؟ قالت: نعم، فقال: " أسألك عن الفرائض الواجبة، والسنن القائمة فأخبرينى أيتها الجارية عن ذلك ومن ربك ومن نبيك ومن إمامك وما قبلتك وما إخوانك وما طريقتك وما منهاجك؟ قالت: الله ربى ومحمد ﷺ نبيى والقرآن إمامى والكعبة قبلتى والمؤمنون إخوانى والخير طريقى والسنة منهاجى.

فتعجب الخليفة من قولها، ومن فصاحة لسانها على صغر سنها، ثم قال لها: أيتها الجارية أخبرينى بم عرفت الله تعالى؟ قالت: بالعقل، قال: وما العقل؟ قالت: العقل عقلان، عقل موهوب وعقل مكسوب، فالعقل الموهوب هو الذى خلقه الله تعالى عز وجل، يهدى به من يشاء من عباده، والعقل المكسوب هو الذى كسبه المرء بتأدبه وحسن معرفته، فقال لها: أحسنت، ثم قال: أين يكون العقل؟ قالت: يقذفه الله فى القلب فيصعد شعاعه فى الدماغ حتى

يستقر. قال لها: أحسنت، ثم قال: أخبريني بم عرفت النبي ﷺ؟ قالت: بقراءة كتاب الله تعالى وبالآيات والدلالات والبراهين والمعجزات، قال: أحسنت، فأخبريني عن الفرائض الواجبة والسنن القائمة، قالت: أما الفرائض الواجبة فخمس: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام، من استطاع إليه سبيلاً، وأما السنن القائمة فهي أربع: الليل والنهار والشمس والقمر، وهن يبنين العمر، والأمل، وليس يعلم ابن آدم أنهن يهدمن الأجل. قال: أحسنت، فأخبريني ما شعائر الإيمان؟.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: قالت الجارية: شعائر الإيمان الصلاة والزكاة، والصوم والحج والجهاد، واجتناب الحرام قال: أحسنت، فأخبريني بأى شيء تقومين إلى الصلاة؟ قالت: بنية العبودية مُقرَّة بالربوبية، قال: فأخبريني كم فرض الله عليك قبل قيامك إلى الصلاة؟ قالت: الطهارة، وستر العورة واجتناب الثياب المتنجسة والوقوف على مكان طاهر، والتوجه إلى القبلة والقيام والنية وتكبيرة الإحرام، قال: أحسنت، فأخبريني بم تخرجين من بيتك إلى الصلاة؟ قالت: بنية العبادة، قال: فبأى نية تدخلين المسجد؟

قالت: بنية الخدمة، قال: فبماذا تستقبلين القبلة؟ قالت: بثلاث فرائض وسنة، قال: أحسنت فأخبريني ما مبدأ الصلاة وما تحليلها وما تحريمها؟ قالت: مبدأ الصلاة الطهور، وتحريمها تكبيرة الإحرام، وتحليلها السلام من الصلاة، قال: فبماذا يجب على من تركها؟ قالت: روى فى الصحيح من ترك الصلاة عامداً متعمدًا من غير عذر فلا حظ له فى الإسلام، قال لها الفقيه: أحسنت، فأخبريني عن الصلاة ما هى؟ قالت: " الصلاة صلة بين العبد وربه وفيها عشر خصال:

تنور القلب وتُضىء الوجه وتُرضى الرحمن وتُغضب الشيطان، وتدفع البلاء وتكفى شرَّ الأعداء، وتُكثر الرحمة وتدفع النقمة وتُقرب العبد من مولاه، وتنهى عن الفحشاء والمنكر وهى من الواجبات المفروضات المكتوبات وهى عماد الدين " قال: أحسنت فأخبريني ما مفتاح الصلاة؟ قالت: الوضوء، قال: فما مفتاح الوضوء؟ قالت: التسمية قال: فما مفتاح التسمية؟ قالت: " اليقين " قال: فما اليقين؟ قالت: التوكل قال: فما مفتاح التوكل؟ قالت: الرجاء، قال: فما مفتاح الرجاء؟ قالت: الطاعة، قال: فما مفتاح الطاعة؟ قالت: الاعتراف لله تعالى بالوحدانية، والإقرار له بالربوبية، قال: فأخبريني عن فروض الوضوء.

قالت: ستة أشياء: على مذهب الإمام الشافعي محمد بن إدريس - رضى الله عنه - النية عند غسل الوجه وغسل اليدين مع المرفقين، ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين مع الكعبين والترتيب، وسننه عشرة أشياء: التسمية وغسل الكفين، قبل إدخالهما الإناء والمضمضة، والاستنشاق، ومسح جميع الرأس ومسح الأذنين ظاهرهما، وباطنهما بماء جديد وتخليل اللحية الكثة وتخليل أصابع اليدين والرجلين وتقديم اليمنى على اليسرى والطهارة ثلاثًا والموالاة، فإذا فرغ من الوضوء قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن

محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهرزاد: قالت الجارية: فقد جاء فى الحديث الشريف عن النبى ﷺ أنه قال: "من قالها عقب كل وضوء فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء" قال: أحسنت، فإذا أراد الإنسان الوضوء ماذا يكون عنده من الملائكة والشياطين؟ قالت: إذا تهيأ الإنسان للوضوء أتت الملائكة عن يمينه والشياطين عن شماله، فإذا ذكر الله تعالى فى ابتداء الوضوء فرت منه الشياطين، واستولت عليه الملائكة بخيمة من نور لها أربعة أطناب مع كل طنب ملك يسبح الله تعالى، ويستغفر له ما دام فى إنصات أو ذكر، فإن لم يذكر الله عز وجل عند ابتداء الوضوء ولم ينصت استولت عليه الشياطين، وانصرفت عنه الملائكة ووسوس له الشيطان حتى يدخل عليه الشك والنقض فى وضوئه، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "الوضوء الصالح يطرد الشيطان، ويؤمن من جور السلطان".

وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: "من نزلت عليه بلية وهو على غير وضوء فلا يلومن إلا نفسه" قال: أحسنت، فأخبرينى عما يفعل الشخص إذا استيقظ من منامه" قالت: إذا استيقظ الشخص من منامه، فليغسل يديه ثلاثًا قبل إدخالهما الإناء قال: أحسنت فأخبرينى عن فروض الغسل وعن سننه؟ قالت: فروض الغسل: النية، وتعميم البدن بالماء، وأما سننه فالوضوء قبله والتدليك وتخليل الشعر وتأخير غسل الرجلين فى قول إلى آخر الغسل" فقال لها الفقيه: أحسنت، فأخبرينى عن أسباب التيمم وفروضه وسننه، قالت: أما أسبابه فسبعة: فقد الماء، والخوف، والحاجة إليه، وإضلاله فى رحله، والمرض والجبيرة، والجراح، وأما فروضه فأربعة، النية، والتراب، وضربة للوجه وضربة لليدين، وأما سننه فالتسمية وتقديم اليمنى على اليسرى. قال: أحسنت فأخبرينى عن شروط الصلاة، وعن أركانها وعن سننها؟ قالت: أما شروطها فخمسة أشياء: طهارة الأعضاء، وستر العورة، ودخول الوقت يقينًا أو ظنا، واستقبال القبلة، والوقوف على مكان طاهر، وأما أركانها: فالنية، وتكبيرة الإحرام، والقيام مع القدرة وقراءة الفاتحة وبسم الله الرحمن الرحيم، آية منها على مذهب الإمام الشافعى والركوع والطمأنينة فيه والاعتدال والطمأنينة فيه والسجود والطمأنينة فيه والجلوس بين السجدتين والطمأنينة فيه والتشهد الأخير والجلوس له والصلاة على النبى ﷺ فيه والتسليمة الأولى ونية الخروج من الصلاة فى قول.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: قالت الجارية: وأما سنن الصلاة: فالأذان والإقامة ورفع اليدين عند الإحرام ودعاء الافتتاح والتعوذ والتأمين وقراءة السورة بعد الفاتحة والتكبيرات عند الانتقالات وقول سمع الله لمن حمده وربنا لك الحمد والجهر فى موضعه والإسرار فى موضعه والتشهد الأول والجلوس له والصلاة على النبى ﷺ فيه، والصلاة على الآل فى التشهد الأخير والتسليمة الثانية.

قال: أحسنت، فأخبرينى فى ماذا تجب الزكاة؟ قالت: "تجب فى الذهب والفضة والإبل

والبقر، والشاء والحنطة والشعير والدخن والذرة، والفول، والحمص، والأرز، والزبيب، والتمر» قال: أحسنت، فأخبرينى كم تجب الزكاة فى الذهب؟ قالت: لا زكاة فيما دون عشرين مثقالاً، فإذا بلغت العشرين ففيها نصف مثقال، وما زاد فبحسابه.

قال: فأخبرينى فى كم تجب الزكاة فى الورق الفضة؟ قالت: ليس فيما دون مائتى درهم زكاة فإذا بلغت المائتين ففيها خمسة دراهم وما زاد فبحسابه " قال: أحسنت فأخبرينى فى كم تجب الزكاة فى الإبل؟ قالت: فى خمس شاة إلى خمس وعشرين ففيها بنت مخاض، قال: أحسنت، فأخبرينى فى كم تجب الزكاة فى الشياه؟ قالت: إذا بلغت أربعين ففيها شاة. قال: أحسنت: فأخبرينى عن الصوم وفروضه؟

قالت: أما فروض الصوم: فالنية، والإمساك عن الأكل والشرب وتعمد القىء وهو واجب على كل مكلف خال عن الحيض والنفاس، ويجب برؤية الهلال، أو بإخبار عدل يقع فى قلب المخبر صدقة ومن واجباته تبييت النية، وأما سننه: فتعجيل الفطر، وتأخير السحور وترك الكلام إلا فى الخير والذكر وتلاوة القرآن، قال: أحسنت، فأخبرينى عن شىء لا يفسد الصوم؟ قالت: الإدهان والاكتحال وغبار الطريق وابتلاع الريق والنظر لامرأة أجنبية والفصادة والحجامة هذا كله لا يفسد الصوم، قال: أحسنت، فأخبرينى عن صلاة العيدين؟ قالت: ركعتان وهما سنة من غير أذان ولا إقامة ولكن يقول الصلاة جامعة ويكبر فى الأولى سبعًا سوى تكبيرة الإحرام، وفى الثانية خمسًا سوى تكبيرة القيام على مذهب الإمام الشافعى رحمه الله تعالى، ويتشهد.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فقال لها: أحسنت، فأخبرينى عن صلاة كسوف الشمس وخسوف القمر؟ قالت ركعتان بغير أذان ولا إقامة يأتى فى كل ركعة بقيامين وركوعين وسجودين ويجلس ويتشهد ويسلم، قال: أحسنت، فأخبرينى عن صلاة الاستسقاء؟ قالت: ركعتان بغير أذان ولا إقامة ويتشهد ويسلم ثم يخطب، ويستغفر الله تعالى مكان التكبير فى خطبتى العيدين ويحول رداءه بأن يجعل أعلاه أسفله ويدعو ويتضرع.

قال: أحسنت، فأخبرينى عن صلاة الوتر؟ قالت: الوتر أقلة ركعة واحدة وأكثره إحدى عشرة، قال: أحسنت فأخبرني عن صلاة الضحى؟ قالت: صلاة الضحى أقلها ركعتان وأكثرها اثنتا عشرة ركعة، قال: أحسنت، فأخبرينى عن الاعتكاف؟ قالت: هو سنة، قال: فما شروطه؟ قالت: النية، وأن لا يخرج من المسجد إلا لحاجة وأن يصوم ويترك الكلام، قال: أحسنت، فأخبرينى بماذا يجب الحج؟ قالت: بالبلوغ، والعقل والإسلام، والاستطاعة وهو واجب فى العمر مرة واحدة قبل الموت، قال: فما فروض الحج؟ قالت: الإحرام، والوقوف بعرفة، والطواف والسعى والحلق أو التقصير، قال: فما فروض العمرة؟ قالت: الإحرام بها وطوافها وسعيها، قال: فما فروض الإحرام؟ قالت: التجرد من المخيط واجتناب الطيب، وترك حلق الرأس وتقليم الأظافر وقتل الصيد والزواج، قال: فما سُنن الحج؟ قالت: التلبية وطواف القدوم والوداع والمبيت بالمزدلفة وبمنى ورمى الجمار قال: أحسنت، فما الجهاد وما أركانه؟

قالت: أما أركانه فخروج الكفار علينا ووجود الإمام والعدة والثبات عند لقاء العدو، وأما سُنَنه: فهو التحريض على القتال لقوله تعالى: ﴿يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال﴾ قال: أحسنت، فأخبريى عن فروض البيع وسننه؟ قالت: أما فروض البيع: فالإيجاب والقبول، وأن يكون المبيع مملوكًا منتفعًا به مقدورًا على تسلمه وترك الربا، وأما سُنَنه: فالإقالة والخيار قبل التفريق لقوله ﷺ: " البيعان بالخيار ما لم يتفرقا " قال: أحسنت، فأخبرينى عن شىء لا يجوز بيع بعضه ببعض؟ قالت: حفظت فى ذلك حديثًا صحيحًا عن نافع عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن بيع التمر بالرطب والتين الرطب باليابس، والقديد باللحم، والزبد بالسمن وكل ما كان من صنف واحد مأكول فلا يجوز بيع بعضه ببعض.

فلما سمع الفقيه كلامها وعرف أنها ذكية فطنة حاذقة عالمة بالفقه والحديث والتفسير وغير ذلك قال فى نفسه: لابد من أن أتحيل عليها حتى أغلبها فى مجلس أمير المؤمنين.

فقال لها: يا جارية ما معنى الوضوء فى اللغة؟ قالت: الوضوء فى اللغة: النظافة والخلوص من الأدناس، قال: فما معنى الصلاة فى اللغة؟ قالت: الدعاء بخير، قال: فما معنى الغسل فى اللغة؟ قالت: التطهير، قال: فما معنى الصوم لغة؟ قالت: الإمساك، قال: فما معنى الزكاة لغة؟ قالت: الزيادة، قال: فما معنى الحج لغة؟ قالت: القصد، قال: فما معنى الجهاد؟ قالت: الدفاع فانقطعت حجة الفقيه.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: ثم إن الفقيه نهض قائمًا على قدميه وقال: " اشهد على يا أمير المؤمنين بأن الجارية أعلم منى بالفقه ". فقالت له الجارية: أسألك عن شىء فائتنى بجوابه سريعًا إن كنت عارفًا؟ قال: اسألى، قالت: فما سهام الدين؟ قال: هى عشرة: الأول الشهادة وهى الملة، الثانى: الصلاة وهى الفطرة، الثالث: الزكاة وهى الطهارة، الرابع: الصوم وهو الجُنّة، الخامس: الحج وهى الشريعة السادس: الجهاد وهى الكفاية، السابع والثامن: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهما الغيرة، التاسع: الجماعة وهى الألفة، العاشر: طلب العلم وهى الطريق الحميدة. قالت: أحسنت، وقد بقيت عليك مسألة، فما أصول الإسلام؟ قال: هى أربعة: صحة العقد، وصدق القصد، وحفظ الحد، والوفاء بالعهد. قالت: بقى مسألة أخرى فإن أجبت وإلا أخذت ثيابك، قال: قولى يا جارية، قالت: فما فروع الإسلام؟ فسكت ساعة ولم يجب بشىء.

فقالت الجارية: انزع ثيابك وأنا أفسرها لك، قال أمير المؤمنين: فسريها وأنا أنزع لك ما عليه من الثياب، قالت: هى اثنان وعشرون فرعًا: التمسك بكتاب الله تعالى، والاقتداء برسوله ﷺ، وكف الأذى، وأكل الحلال، واجتناب الحرام، ورد المظالم إلى أهلها، والتوبة، والفقه فى الدين وحب الخليل، واتباع التنزيل، وتصديق المرسلين، وخوف التبديل، والتأهب للرحيل، وقوة اليقين، والعفو عند المقدرة، والقوة عند الضعف، والصبر عند المصيبة، ومعرفة الله تعالى، ومعرفة ما جاء به نبيه ﷺ ومخالفة اللعين إبليس، ومجاهدة النفس ومخالفتها، والإخلاص لله.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: فلما سمع أمير المؤمنين ذلك منها أمر بنزع ثياب الفقيه وطيلسانه، فنزعهما ذلك الفقيه وخرج مقهورًا منها خجلاً من بين يدى أمير المؤمنين، ثم قام لها رجل آخر، وقال: " يا جارية اسمعى منى مسائل قليلة، قالت له : قل، قال: فما صحة السلم (١)؟ قالت: القدر المعلوم والجنس المعلوم والأجل المعلوم، قال: أحسنت، وما فروض الأكل وسننه؟ قالت: فروض الأكل الاعتراف بأن الله تعالى رزقه وأطعمه وسقاه والشكر لله تعالى على ذلك، قال: فما الشكر؟ قالت: صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله، قال: فما سنن الأكل؟ قالت: التسمية وغسل اليدين والجلوس على الورك الأيسر، والأكل بثلاث أصابع، والأكل مما يليك، قال: أحسنت، فأخبرينى ما آداب الأكل؟ قالت: أن تصغر اللقمة، وتقل النظرة إلى جليسك.

قال: أحسنت ثم قال لها: أخبرينى عن عقائد القلب وأضدادها؟ قالت: هى ثلاثة: وأضدادها ثلاثة: الأولى اعتقاد الإيمان وضدها مجانبة الكفر، والثانية: اعتقاد السنة وضدها مجانبة البدعة، والثالثة: اعتقاد الطاعة: وضدها: مجانبة المعصية.

قال:أحسنت فأخبرينى عن شروط الوضوء؟ قالت: الإسلام، والتمييز، وطهور الماء، وعدم المانع الحسى وعدم المانع الشرعى. قال: أحسنت، فأخبرينى عن الإيمان؟ قالت: الإيمان ينقسم إلى تسعة أقسام إيمان بالمعبود، وإيمان بالعبودية، وإيمان بالخصوصية، وإيمان بالقبضتين، وإيمان بالقدر وإيمان بالناسخ، وإيمان بالمنسوخ، وأن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره. قال: أحسنت فأخبرينى عن ثلاث تمنع ثلاثًا؟ قالت: نعم، روى عن سفيان الثورى أنه قال: ثلاث تُذهب ثلاثًا؟ الاستخفاف بالصالحين يُذهب الآخرة، والاستخفاف بالملوك يذهب الروح، والاستخفاف بالنفقة يُذهب المال.

فقال لها: أحسنت، فأخبرينى عن مفاتيح السموات وكم لها من باب؟ قالت: قال الله تعالى ، وفتحت السماء فكانت أبوابًا، وقال النبى ﷺ ليس يعلم عدة أبواب السماء إلا الذى خلق السماء وما من أحد من بنى آدم إلا وله بابان فى السماء باب ينزل منه رزقه، وباب يصعد منه عمله، ولا يغلق باب رزقه حتى ينقطع أجله، ولا يغلق باب عمله حتى تصعد روحه. قال: أحسنت فأخبرينى عن شىء وعن نصف شىء، وعن لا شى، قالت: الشىء هو المؤمن، ونصف الشىء هو المنافق واللاشىء هو الكافر. قال: أحسنت فأخبرينى عن القلوب؟ قالت: قلب سليم، وقلب سقيم، وقلب منيب، وقلب نذير، وقلب منير، فالقلب السليم هو قلب الخليل، والقلب السقيم هو قلب الكافر، والقلب المنيب هو قلب المتقين الخائفين، والقلب النذير هو قلب سيدنا محمد ﷺ والقلب المنير هو قلب من يتبعه، وقلوب العلماء ثلاثة: قلب متعلق بالدنيا، وقلب متعلق بالآخرة، وقلب متعلق بمولاه، وقيل: إن القلوب ثلاثة: قلب معلق وهو قلب الكافر، وقلب معدوم وهو قلب المنافق، وقلب ثابت وهو قلب المؤمن، وقيل: هى ثلاثة: قلب مشروح بالنور والإيمان، وقلب مجروح من خوف الهجران، وقلب خائف من الخذلان.

قال: أحسنت.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

---

(١) بيع شىء موصوف فى الذمة بثمن مقدم.

قالت شهرزاد: ثم إن الجارية قالت: يا أمير المؤمنين إنه قد سألنى حتى عيى وأنا أسأله مسألتين، فإن أتى بجوابهما فذاك، وإلا أخذت ثيابه وانصرف بسلام، فقال لها الفقيه: سلينى عما شئت؟ قالت: فما تقول فى الإيمان؟ قال: الإيمان إقرار باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح، قال عليه الصلاة والسلام: " لا يُكمل المؤمن الإيمان حتى يكمل فيه خمس خصال: التوكل على الله، والتفويض إلى الله، والتسليم لأمر الله، والرضى بقضاء الله، وأن تكون أموره لله، فإنه من أحب لله وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان " قالت: فأخبرنى عن فرض الفرض، وعن فرض فى ابتداء كل فرض، وعن فرض يحتاج إليه كل فرض، وعن فرض يستغرق كل فرض، وعن سُنة داخلة فى الفرض، وعن سنة يتم بها الفرض. فسكت ولم يجب بشيء فأمرها أمير المؤمنين بأن تفسرها وأمره بأن ينزع ثيابه ويعطيها إياها.

فعند ذلك قالت: يا فقيه أما فرض الفرض فمعرفة الله تعالى، وأما الفرض فى ابتداء كل فرض فهى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأما الفرض الذى يحتاج إليه كل فرض فهو الوضوء، وأما الفرض المستغرق كل فرض فهو الغسل، وأما السُنة الداخلة فى الفرض فهو تخليل الأصابع وتخليل اللحية الكثيفة، وأما السنة التى يتم بها الفرض، فهو الاختتان، فعند ذلك تبين عجز الفقيه وقام على قدميه وقال: أشهد الله يا أمير المؤمنين أن هذه الجارية أعلم منى بالفقه وغيره. ثم نزع ثيابه وانصرف مقهورًا.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: وأما حكايتها مع المقرئ، فإنها التفتت إلى من بقى من العلماء الحاضرين، وقالت: أيكم الأستاذ المقرئ العالم بالقراءات السبع والنحو واللغة؟ فقام إليها المقرئ وجلس بين يديها وقال لها: " هل قرأت كتاب الله تعالى وأحكمت معرفة آياته وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومكيه ومدنيه وفهمت تفسيره وعرفته على الروايات والأصول فى القراءات؟ قالت: نعم، قال: أخبرينى عن عدد سور القرآن وكم فيه من عُشر، وكم فيه من آية، وكم فيه من حرف، وكم فيه من سجدة، وكم فيه من نبى مذكور وكم فيه من سورة مدنية، وكم فيه من سورة مكية، وكم فيه من طير؟ ".

قالت: يا سيدى أما سُوَر القرآن فمائة وأربع عشرة سورة، والمكى منها سبعون، والمدنى أربع وأربعون سورة، وأما أعشاره فستمائة عشر وأحد وعشرون عُشراً، وأما الآيات فستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية، وأما كلماته فتسعة وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة، وأما حروفه فثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وستمائة وسبعون حرفاً، وللقارئ بكل حرف عشر حسنات، وأما السجدات: فأربع عشرة سجدة ثم قالت: وأما الأنبياء الذين ذكرت أسماؤهم فى القرآن فخمسة وعشرون نبياً وهم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، واليسع، ويونس، ولوط، وصالح، وهود، وشعيب، وداود، وسليمان، وذو الكفل، وإدريس، وإلياس، ويحيى، وزكريا، وأيوب، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وأما الطير فهن تسع: قال: ما اسمهن؟ قالت: البعوض، والنحل، والذباب، والنمل، والهدهد، والغراب، والجراد، والأبابيل، وطير عيسى عليه السلام، وهو الخفاش. قال: أحسنت، فأخبرينى أى سورة فى القرآن أفضل؟ قالت: سورة البقرة، قال: فأى آية أعظم؟ قالت: آية الكرسى، وهى خمسون كلمة مع كل كلمة خمسون بركة.

ثم إنه قال: أى آية فيها تسع آيات؟ قالت: قوله تعالى: ﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس﴾ إلى آخر الآية، قال: أحسنت، فأخبرينى أى آية أعدل؟ قالت : قوله تعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى﴾ قال: فأى آية أطمع؟ قالت: قوله تعالى ﴿أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ قال: فأى آية أرجى؟ قالت: قوله تعالى ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾ قال: أحسنت فأخبرنى بأى قراءة تقرئين؟ قالت: بقراءة أهل الجنة وهى قراءة نافع، قال: فأى آية كذب فيها الأنبياء؟ قالت: قوله تعالى ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ وهم إخوة يوسف قال: فأى آية قالها الله لنفسه؟ ".

قالت: قوله تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ قال : فأى آية فيها قول الملائكة؟ قالت : قوله تعالى: ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾

قال: فأخبرينى عن أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وما جاء فيها؟ قالت: التعوذ واجب أمر الله به عند القراءات والدليل عليه قوله تعالى ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ قال : " فأخبرينى ما لفظ الاستعاذة وما الخلاف فيها "؟ قالت " منهم من يستعيذ بقوله: " أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ومنهم من يقول: أعوذ بالله القوى، والأحسن ما نطق به القرآن العظيم ووردت به السُّنة، وكان النبى ﷺ إذا استفتح القرآن قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ".

وروى عن نافع عن أبيه قال: كان الرسول ﷺ إذا قام يصلى فى الليل قال: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، ثم يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ومن همزات الشياطين، ونزغاتهم، وروى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال: " أول ما نزل جبريل على النبى ﷺ علمه الاستعاذة وقال له: قل يا محمد أعوذ بالله السميع العليم، ثم قل: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق ".

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فلما سمع المقرئ كلامها تعجب من لفظها وفصاحتها وعلمها وفضلها، ثم قال لها: يا جارية ما تقولين فى قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم، هل هى آية من آيات القرآن؟ قالت نعم، آية من القرآن فى النمل وآية بين كل سورتين والاختلاف فى ذلك بين العلماء كثير، قال: أحسنت، ثم إن العالم قال لها: فأخبرينى لمَ لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فى أول سورة براءة؟ قالت: لما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذى كان بين النبى ﷺ وبين المشركين، وجَّه لهم النبى ﷺ على بن أبى طالب، كرَّم الله وجهه فى يوم موسم بسورة براءة، فقرأها عليهم ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، قال: فأخبرينى عن فضل بسم الله الرحمن الرحيم وبركتها.

قالت: روى عن النبى ﷺ أنه قال: ما قرئت بسم الله الرحمن الرحيم على شىء إلا كان فيه البركة، وعنه ﷺ حلف ربُّ العزة بعزته لا تسمى باسم الله الرحمن الرحيم على مريض إلا عوفى من مرضه، وقيل: لما خلق الله العرش اضطرب اضطراباً عظيماً فكتب عليه

بسم الله الرحمن الرحيم، فسكن اضطرابه، ولما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم على الرسول ﷺ قال: أمنت من ثلاثة: من الخسف والمسخ والغرق، وفضلها عظيم وبركتها كثيرة يطول شرحها، وقد روى عن الرسول ﷺ أنه قال: يؤتى برجل يوم القيامة فيُحاسَب فلا يلقى له حسنة، فيؤمر به إلى النار فيقول: إلهى ما أنصفتنى فيقول له عزَّ وجلَّ: ولمَ ذلك؟ فيقول: يا رب لأنك سميت نفسك الرحمن الرحيم وتريد أن تعذبنى بالنار، فيقول الله جلَّ جلاله: أنا سميت نفسى الرحمن الرحيم أمضوا بعبدى إلى الجنة برحمتى وأنا أرحم الراحمين. قال: أحسنت. ثم إنه قال: أخبرينى عن أول بدء بسم الله الرحمن الرحيم، قالت: لما أنزل الله تعالى القرآن كتبوا باسمك اللهمَّ، فلما أنزل الله تعالى " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا مًّا تدعوا فله الأسماء الحسنى " كتبوا باسم الله الرحمن، فلما أنزل " إلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم " كتبوا باسم الله الرحمن الرحيم.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما سمع المقرئ كلامها أطرق، وقال فى نفسه: إن هذا لعجب عجيب وكيف تكلمت هذه الجارية فى أول بدء بسم الله الرحمن الرحيم، والله لابد من أن أتحيَّل عليها لعلى أغلبها ثم قال لها: يا جارية هل أنزل الله القرآن جملة واحدة أنزله متفرقاً؟ قالت: نزل به جبريل الأمين عليه السلام من عند رب العالمين على نبيه محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين بالأمر والنهى والوعد والوعيد والأخبار والأمثال فى عشرين سنة آيات متفرقات على حسب الوقائع، قال: أحسنت، فأخبرينى عن أول سورة نزلت على الرسول ﷺ ، قالت: فى قول ابن عباس سورة العلق، وفى قول جابر بن عبد الله سورة المدثر، ثم أنزلت السور والآيات بعد ذلك، قال: فأخبرينى عن آخر آية نزلت، قالت: آخر آية نزلت عليه آية الربا، وقيل: إذا جاء نصر الله والفتح.

فقال لها: أحسنت، فأخبرينى عن عدة الصحابة الذين جمعوا القرآن على عهد الرسول ﷺ ، قالت: هم أربعة أُبى بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وعثمان بن عفان ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ قال: أحسنت، فأخبرينى عن القراء الذين تؤخذ عنهم القراءة، قالت: هم أربعة: عبد الله بن مسعود، وأُبى بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم بن عبد الله، قال: فما تقولين فى قوله تعالى: ﴿وما ذُبح على النصب﴾؟ قالت: هى الأصنام التى تنصب وتعبد من دون الله تعالى والعياذ بالله تعالى. قال: فما تقولين فى قوله تعالى: ﴿تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك﴾؟ قالت: تعلم حقيقتى وما عندى ولا أعلم ما عندك والدليل على هذا قوله ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾، وقيل: تعلم عينى ولا أعلم عينك. قال: فما تقولين فى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾؟ قالت: حدثنى الشيخ رحمه الله تعالى عن الضحاك أنه قال: هم قوم من المسلمين قالوا: نحرم الزواج ونلبس المسموح، فنزلت هذه الآية، وقال قتادة: إنها نزلت فى جماعة من أصحاب الرسول ﷺ وهم على بن أبى طالب، وعثمان بن مصعب أو غيرهما، قالوا: نتبتل ونلبس الشعر ونترهب فنزلت هذه الآية؟ قال: فما تقولين فى قوله تعالى ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً؟﴾ قالت: الخليل

المحتاج الفقير، وفى قول آخر هو المحب المنقطع إلى الله تعالى الذى ليس لانقطاعه اختلال.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما رآها المقرئ تمر فى كلامها مرَّ السحاب ولم تتوقف فى الجواب قام قائمًا على قدميه وقال: أشهد الله يا أمير المؤمنين أن هذه الجارية أعلم منى بالقراءات وغيرها.

فعند ذلك قالت الجارية: أنا أسألك مسألة واحدة فإن أتيت بجوابها فذاك وإلا نزعت ثيابك.

قال أمير المؤمنين: " سليه " فقالت: ما تقول فى آية فيها ثلاثة وعشرون كافًا، وآية فيها ستة عشر ميمًا، وآية فيها مائة وأربعون عينا، وحزب ليس فيه جلالة؟ فعجز المقرئ عن الجواب فقالت: انزع ثيابك. فنزع ثيابه ثم قالت يا أمير المؤمنين إن الآية التى فيها ستة عشر ميماً سورة هود وهى قوله تعالى: ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات﴾ الآية. وإن الآية التى فيها ثلاثة وعشرون كافا فى سورة البقرة وهى آية الدين(١)، وإن الآية التى فيها مائة وأربعون عينا فى سورة الأعراف وهى قوله تعالى: ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا﴾ لكل رجل عينان، وإن الحزب الذى ليس فيه جلالة هو سورة اقتربت الساعة وانشق القمر والرحمن والواقعة فعند ذلك نزع المقرئ ثيابه التى عليه وانصرف خجلا.

فتقدم إليها الطبيب الماهر وقال: فرغنا من علم الأديان فتيقظى لعلم الأبدان، وأخبرينى عن الإنسان، وكيف خلقه، وكم فى جسده من عرق، وكم من عظم، وكم من فقارة، وأين أول العروق، ولمَ سُمى آدم آدم؟ قالت: سُمى آدم لأدمته أى سمرة لونه وقيل: لأنه خلق من أديم الأرض أى ظاهر وجهها، صدره من تربة الكعبة ورأسه من تربة المشرق، ورجلاه من تربة المغرب، وخلق له سبعة أبواب فى رأسه، وهى العينان والأذنان والمنخران، والفم، فجعل العينين حاسة النظر، والأذنين حاسة السمع، والمنخرين حاسة الشم، والفم حاسة الذوق، وجعل اللسان ينطق بما فى ضمير الإنسان، وخلق آدم مركبًا من أربعة عناصر وهى الماء والتراب والنار والهواء فكانت الصفراء طبع النار وهى حارة يابسة، والسوداء طبع التراب وهو بارد يابس، والبلغم طبع الماء وهو بارد رطب والدم. طبع الهواء وهو حار رطب، وخلق فى الإنسان ثلاثمائة وستين عرقاً، ومائتين وأربعين عظمًا، وثلاثة أرواح حيوانى ونفسانى وطبيعى، وجعل لكل منها حكمًا وخلق الله له قلبًا وطحالاً ورئة، وستة أمعاء وكبدًا وكليتين وإليتين ومخا، وعظمًا وجلدًا وخمس حواس سامعة وباصرة وشامة وذائقة ولامسة، وجعل القلب فى الجانب الأيسر من الصدر، وجعل المعدة أمام القلب، وجعل الرئة مروحة القلب، وجعل الكبد فى الجانب الأيمن محاذية للقلب، وخلق ما دون ذلك من الحجاب والأمعاء وركب ترائب الصدر وشبكها بالأضلاع.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: قال: أحسنت، فأخبرينى كم فى رأس ابن آدم من بطن؟ قالت: ثلاثة بطون: وهى تشتمل على خمس قوى تسمى الحواس الباطنية وهى: الحس المشترك والخيال والمتصرفة، والواهمة، والحافظة. فقال لها: أحسنت، فأخبرينى عن هيكل العظام؟ قالت: هو

(١) ﴿يا أيها الين آمنوا إذا تداينتم بدين...﴾ إلخ.

مؤلف من مائتين وأربعين عظمًا وينقسم إلى ثلاثة أقسام رأس وجذع وأطراف أما الرأس فينقسم إلى جمجمة ووجه، فالجمجمة مركبة من ثمانية عظام ويضاف إليها عظيمات السمع الأربع، والوجه ينقسم إلى فك علوى وفك سفلى، فالعلوى يشتمل على أحد عشر عظمًا، والسفلى عظم واحد، ويضاف إليه الأسنان، وهى اثنتان وثلاثون سناً وكذا العظم اللامى، وأما الجذع فينقسم إلى سلسلة فقارية وصدر وحوض فالسلسلة مركبة من أربعة وعشرين عظمًا تسمى الفقار، والصدر مركب من القفص والأضلاع التى هى أربع وعشرون ضلعًا، فى كل جانب اثنتا عشرة، والحوض مركب من العظمتين الحرقفتين والعجز والعصعص.

أما الأطراف: فتنقسم إلى طرفين علويين، وطرفين سفليين، فالعلويان ينقسم كل منهما أولاً إلى منكب مركب من الكتف والترقوة، وثانيًا: إلى عضد وهو عظم واحد، وثالثًا: إلى ساعد مركب من عظمين هما الكعبرة والزند، ورابعًا: إلى كف ينقسم إلى رسغ ومشط وأصابع، فالرسغ مركب من ثمانية عظام مصفوفة صفين كل منهما يشتمل على أربعة عظام، والمشط يشتمل على خمسة عظام، والأصابع عدتها خمس كل منها مركب من ثلاثة عظام تسمى السلاميات، إلا الإبهام فإنها مركبة من اثنتين فقط، والطرفان السفليان ينقسم كل منهما أولاً إلى فخذ هو عظم واحد، وثانيًا إلى ساق مركب من ثلاثة عظام القصبة والشظية والرضفة، وثالثًا: إلى قدم ينقسم كالكف إلى رسغ ومشط وأصابع فالرسغ مركب من سبعة عظام مصفوفة صفين الأول فيه عظمان والثانى فيه خمسة، والمشط مركب من خمسة عظام، والأصابع عدتها خمس كل منها مركب من ثلاث سلاميات إلا الإبهام فمن سلاميتين فقط. قال: أحسنت، فأخبرينى عن أصل العروق؟

قالت: إن أصل العروق الوتين ومنه تتشعب العروق وهى كثيرة لا يعلم عددها إلا الذى خلقها، وقيل: إنها ثلاثمائة وستون عرقًا كما سبق. وقد جعل الله اللسان ترجمانًا والعينين سراجين والمنخرين منشقين واليدين جناحين، ثم إن الكبد فيه الرحمة والطحال فيه الضحك والكليتين فيهما المكر والرئة مروحة والمعدة خزانة والقلب عماد الجسد، فإذا صلح القلب صلح الجسد كله وإذا فسد، فسد الجسد كله. قال: أخبرينى عن الدلالات والعلامات الظاهرة التى يستدل بها على المرض فى الأعضاء الظاهرة والباطنة. قالت: نعم إذا كان الطبيب ذا فهم نظر فى أحوال البدن واستدل بجس اليدين على الصلابة والحرارة واليبوسة والبرودة والرطوبة وقد توجد فى المحسوس دلالات على الأمراض الباطنة كصفرة العينين فإنها تدل على اليرقان وتحقف الظهر فإنه على ذات الرئة.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: ثم قال لها: أحسنت، فما العلامات الباطنة؟ قالت: إن الوقوف على الأمراض بالعلامات الباطنة يؤخذ من ستة قوانين، الأول من الأفعال، والثانى: مما يستفرغ من البدن، والثالث: من الوجع، والرابع: من الموضع، والخامس: من الورم، والسادس: من الأعراض.

قال: أخبرينى بماذا يصل الأذى إلى الرأس؟ قالت: بإدخال الطعام على الطعام قبل هضم الأول والشبع على الشبع، فهو الذى أفنى الأمم، فمن أراد البقاء فليباكر بالغداء ولا يتمس بالعشاء، وليخفف الردى أى: لا يكثر الفصد ولا الحجامة وأن يجعل بطنه ثلاثة أثلاث:

ثلث للطعام وثلث للماء، وثلث للنفس، لأن مصران بنى آدم ثمانية عشر شبرًا يجب أن يجعل ستة للطعام، وستة للشراب، وستة للنفس، وإذا مشى برفق كان أوفق له وأجمل لبدنه، وأكمل لقوله تعالى: ﴿ولا تمش فى الأرض مرحًا﴾.

قال: أحسنت، فأخبرينى ما علامة الصفراء وماذا يخاف منها؟ قالت: تعرف بصفرة اللون ومرارة الفم والجفاف وضعف الشهوة وسرعة النبض ويخاف على صاحبها من الحمى المحرقة والسرسام والجمرة واليرقان والورم وقروح الأمعاء، وكثرة العطش فهذه علامات الصفراء، قال أحسنت، فأخبرينى عن علامات السوداء وماذا يخاف على صاحبها إذا غلبت على البدن؟ قالت: إنها تتولد منها الشهوة الكاذبة وكثرة الوسوسة والهم والغم، فينبغى حينئذ أن تستفرغ وإلا تولد منها الماليخوليا والجذام والسرطان وأوجاع الطحال وقروح الأمعاء، قال: أحسنت، فأخبرينى إلى كم جزء ينقسم الطب؟ قالت: ينقسم إلى جزئين أحدهما علم تدبير الأبدان المريضة، والآخر: كيفية ردها إلى حال صحتها. قال: فأخبرينى عن وقت يكون شرب الأدوية فيه أنفع منه فى غيره؟ قالت إذا جرى الماء فى العود، وانعقد الحب فى العنقود، وطلع سعد السعود، فقد دخل نفع شرب الدواء وطرد الداء، قال: فأخبرينى عن وقت إذا شرب فيه الإنسان من إناء جديد يكون شرابه أهنأ وأمرأ منه فى غيره وتصعد له رائحة طيبة ذكية؟ قالت: إذا صبر بعد أكل الطعام ساعة فقط قال الشاعر:

لا تشربن من بعد أكلك عاجلا ... تسوق جسمك للأذى بزمام

واصبر قليلاً ثم كالسلامة ... فعسى التظفر بالخير مرام

قال: فأخبرينى عن طعام لا تتسبب عنه أسقام؟ قالت: هو الذى لا يطعم إلا بعد جوع، وإذا طعم لا تمتلئ منه الضلوع، لقول جالينوس الحكيم: من أراد إدخال الطعام فليبطئ، ثم لا يخطئ، ولنختم بقوله عليه الصلاة والسلام: " المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء، وأصل كل داء البردة يعنى التخمة ".

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فقال لها: فما تقولين فى الحمام؟ قالت: لا يدخله شبعان، وقد قال النبى ﷺ " نعم بيت الحمام، ينظف الجسد، ويذكّر النار " قال: " فأى الحمامات أحسن ماء؟ قالت: ما عذب ماؤه واتسع فضاؤه، وطاب هواؤه، بحيث يكون أهويته أربعة: خريفى، وصيفى، وشتوى، وربيعى، قال فأخبرينى أى الطعام أفضل؟ قالت: ما صنعته النساء، وقل فيه العناء، وأكلته بالهناء، وأفضل الطعام الثريد لقوله عليه الصلاة والسلام " فضل الثريد على الطعام كفضل عائشة على سائر النساء ". قال: فأى الأدم أفضل؟ قالت: اللحم، لقوله عليه الصلاة والسلام: "أفضل الأدم اللحم؛ لأنه لذة الدنيا والآخرة ". قال: فأى اللحم أفضل؟ قالت: الضأن ويجتنب القديد لأنه لا فائدة فيه. قال: فأخبرينى عن الفاكهة.

قالت: كلْها فى إقبالها واتركها إذا انقضى زمانها. قال: فما تقولين فى شرب الماء؟ قالت: لا تشربه شربًا ولا تَعُبه عبا، فإنه يؤذيك صداعه، ويشوش عليك من الأذى أنواعه، ولا تشربه عقب خروجك من الحمام، ولا عقب الطعام إلا بعد مضى خمس عشرة درجة للشاب وللشيخ بعد أربعين درجة، ولا عقب يقظتك من المنام، قال: أحسنت فأخبرينى عن شرب

الخمر؟ قالت: أفلا يكفيك زاجرًا ما جاء فى كتاب الله تعالى حيث قال: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾. وقال تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ وقد قال الشاعر:

يا شارب الخمر أما تستحى تشرب شيئًا حرم اللهُ
فخلّه عنك ولا تأته فيه حقًا عفَّ الله

◆ ◆ ◆

شربت الإثم حتى زال عقلى فبئس الشرب حيث العقل زالا

وأما المنافع التى فيها فإنها تفتت حصى الكلى وتقوى الأمعاء وتنفى الهم وتحرك الكرم وتحفظ الصحة وتعين على الهضم، وتُصح البدن وتُخرج الأمراض من المفاصل وتنقى الجسم من الأخلاط الفاسدة، وتولد الطرب والفرح وتقوى الغريزة وتقوى الكبد وتفتح السدد وتحمّر الوجه وتنقى الفضلات من الرأس والدماغ وتبطئ بالمشيب(١) ، ولولا الله عزَّ وجلَّ حرمها لم يكن على وجه الأرض ما يقوم مقامها ، وأما الميسر فهو القمار"

قال: فأى شىء من الخمر أحسن ؟ قالت: ما كان بعد ثمانين يومًا أو أكثر وقد اعتصر من عنب أبيض لم يشبه ماء ولا شىء على وجه الأرض مثلها. قال: فما تقولين فى الحجامة؟ قالت: ذلك لمن كان ممتلئًا من الدم وليس به نقصان فى دمه فمن أراد الحجامة فليحتجم فى نقصان الهلال فى يوم هو بلا غيم ولا ريح ولا مطر ويكون فى السابع عشر من الشهر، وإن وافق يوم الثلاثاء كان أبلغ فى النفع، ولا شىء أنفع من الحجامة للدماغ والعينين وتصفية الذهن.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فقال لها الحكيم: أخبرينى عن أحسن الحجامة؟ قالت: أحسنها على الريق فإنها تزيد فى العقل وفى الحفظ لما روى عن النبى ﷺ أنه كان ما اشتكى إليه أحدًا وجعًا فى رأسه أو رجليه إلا قال له: احتجم، وإذا احتجم لا يأكل على الريق مالحًا فإنه يورث الجرب، ولا يأكل على أثره حامضًا، قال: فأى وقت تكره فيه الحجامة؟ قالت: يوم السبت والأربعاء ومن احتجم فيهما فلا يلومن إلا نفسه ولا يحتجم فى شدة الحر، ولا فى شدة البرد، وخيار أيامه أيام الربيع، قال: فأخبرينى عن أفضل الفواكه؟ قالت: الرمان والأترج قال: فأخبرينى عن أفضل البقول: قالت: الهندباء، قال: فما أفضل الرياحين؟ قالت: الورد والبنفسج، قال: فأخبرينى عن شىء إذا حبس عاش وإذا شم الهواء مات قالت: السمك، قال: فأخبرينى عن شجاع يبيض؟ قالت الثعبان، فعجز الطبيب من كثرة سؤاله وسكت. فقالت الجارية: " يا أمير المؤمنين إنه سألنى حتى عيى، وأنا أسأله مسألة واحدة فإن لم يجب أخذت ثيابه حلالاً لى " فقال لها الخليفة: " سليه " فقالت له " ما تقول فى شىء يشبه الأرض استدارة، ويوارى عن العيون فقاره وقراره، قليل القيمة والقدر ضيق الصدر والنحر، مقيد وهو غير آبق، موثق وهو غير سارق، مطعون لا فى القتال، مجروح لا فى النضال، يأكل الدهر مرة، ويشرب الماء كثرة، وتارة يُضرب من غير جناية،

(١) ما دامت حرمت فلا فائدة منها البتة بل لا يزيد أمراض الجسد إلا هي.

ويُستخدم لا كفاية، مجموع بعد تفرقة، متواضع لا فى تملقه، حامل لا ولد فى بطنه، مائل لا يُسند إلى ركنه، يتسخ فيتطهر، ويصلى فيتغير، يصارع بلا حذر، يريح ويستريح، ويُعَض فلا يصيح، أكرم من النديم وأبعد من الحميم، مسكنه الأطراف، فى مساكن الأشراف.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهر زاد: فسكت الطبيب ساعة ولم يجب بشىء وتحير فى أمره وتغير لونه وأطرق برأسه ساعة ولم يتكلم، فقالت: " أيها الطبيب تكلم وإلا فانزع ثيابك " فقام وقال: " يا أمير المؤمنين أشهد على أن هذه الجارية أعلم منى بالطب وغيره ولا لى عليها طاقة " ونزع ما عليه من الثياب وخرج هاربًا، فعند ذلك قال لها أمير المؤمنين: فسِّرى لنا ما قلته. فقالت: يا أمير المؤمنين هذا الزر والعروة.

وأما ما كان من أمرها مع المنجم فإنها قالت: من منكم منجمًا فليقم، فنهض إليها المنجم وجلس بين يديها، فلما رآته ضحكت وقالت: أنت المنجم الحاسب الكاتب؟ قال: نعم، قالت: اسأل عما شئت وبالله التوفيق، قال: أخبرينى عن الشمس وطلوعها وأفولها، قالت: اعلم أن الشمس تطلع من عيون وتأفل من عيون، فعيون الطلوع أجزاء المشارق، وعيون الأفول أجزاء المغارب، وكلتاهما مائة وثمانون جزءًا. قال الله تعالى ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾ وقال تعالى ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ فالقمر سلطان الليل والشمس سلطان النهار، وهما مستبقان متداركان، قال الله تعالى: ﴿لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون﴾.

قال: فأخبرينى إذا جاء الليل كيف يكون النهار وإذا جاء النهار كيف يكون الليل؟ قالت: ﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل﴾ قال: فأخبرينى عن منازل القمر؟ قالت: منازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهن: السرطان والبطين، والثريا، والدبران، والهقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة، والطوف، والجبهة، والزبرة، والصرفة، والعواء، والسماك، والغفر، والزبانيا، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، والفرغ المقدم، والفرغ المؤخر، والرشاء، وهى مرتبة على حروف أبجد هوز إلى آخرها وفيها سر غامض لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى والراسخون فى العلم. وأما قسمتها على البروج الاثنى عشر فهى: أن تعطى كل برج منزلتين، وثلث منزلة فتجعل السرطان والبطين وثلث الثريا للحمل، وثلثى الثريا مع الدبران وثلثى الهقعة للثور، وثلث الهقعة مع الهنعة والذراع للجوزاء، والنثرة والطرف وثلث الجبهة للسرطان، وثلثيها مع الزبرة وثلثى الصرفة للأسد، وثلثها مع العواء والسماك للسنبلة، والغفر والزبانيا وثلث الإكليل للميزان، وثلث الإكليل مع القلب وثلثى الشولة للعقرب، وثلثها مع النعائم والبلدة للقوس، وسعد الذابح وسعد بلع وثلث سعد السعود للجدى، وثلثى سعد السعود مع سعد الأخبية وثلثى المقدم للدلو، وثلث المقدم مع المؤخر والرشاء للحوت.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فقال لها المنجم: أحسنت، فأخبرينى عن الكواكب السيارة وعن طبائعها وعن مكثها فى البروج والسعد منها والنحس وأين بيوتها وشرفها وسقوطها؟ قالت: المجلس

ضيق ولكن سأخبرك. أما الكواكب فسبعة وهى: الشمس والقمر وعطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل، فالشمس حارة يابسة، نحسة بالمقارنة سعيدة بالنظر تمكث فى كل برج ثلاثين يومًا، والقمر بارد رطب سعيد يمكث فى كل برج يومين وثلث يوم.

وعطارد ممتزج سعد مع السعود نحس مع النحوس يمكث فى كل برج سبعة عشر يومًا ونصف يوم. والزهرة معتدلة سعيدة تمكث فى كل برج من البروج خمسة وعشرين يومًا، والمريخ نحس يمكث فى كل برج عشرة أشهر، والمشترى سعد يمكث فى كل برج سنة، وزحل بارد يابس نحس يمكث فى كل برج ثلاثين شهرًا. والشمس بيتها الأسد وشرفها الحمل وهبوطها الدلو، والقمر بيته السرطان وشرفه الثور، وهبوطه العقرب ووباله الجدى، وزحل بيته الجدى والدلو وشرفه الميزان وهبوطه الحمل ووباله السرطان والأسد، والمشترى بيته الحوت والقوس وشرفه السرطان، وهبوطه الجدى، ووباله الجوزاء، والأسد، والزهرة بيتها الثور وشرفها الحوت وهبوطها الميزان ووبالها الحمل والعقرب، وعطارد بيته الجوزاء والسنبلة وشرفه السنبلة وهبوطه الحوت ووباله الثور، والمريخ بيته الحمل والعقرب، وشرفه الجدى وهبوطه السرطان، ووباله الميزان.

فلما نظر المنجم إلى حذقها وعلمها وحسن كلامها وفهمها ابتغى له حيلة يخجلها بها بين يدى أمير المؤمنين فقال لها: يا جارية هل ينزل فى هذه الشهور مطر؟ فاطرقت ساعة، ثم تفكرت طويلاً حتى ظن أمير المؤمنين أنها عجزت عن جوابه، فقال لها المنجم: لمَ لم تتكلمى؟ فقالت: لا أتكلم إلا إن أذن لى فى الكلام أمير المؤمنين. قال لها أمير المؤمنين: وكيف ذلك؟ قالت: أريد أن تعطينى سيفًا أضرب به عنقه لأنه زنديق. فضحك أمير المؤمنين وضحك من حوله. ثم قالت: يا منجم خمسة لا يعلمها إلا الله تعالى وقرأت: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدًا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير﴾. قال لها: أحسنت، وإنى والله ما وددت إلا اختبارك.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فقالت له الجارية: اعلم أن أصحاب التقويم لهم إشارات وعلامات ترجع إلى الكواكب بالنظر إلى دخول السنة وللناس فيها تجاريب. قال: وما هى؟ قالت: إن لكل يوم من الأيام كوكبًا يملكه فإذا كان أول يوم من السنة يوم الأحد فهو للشمس ويدل ذلك - والله أعلم - على الجور من الملوك والسلاطين، والولاة وكثرة الوخم، وقلة المطر، وأن تكون الناس فى هرج عظيم وتكون الحبوب طيبة ويفسد بذر الكتان ويرخص القمح فى شهر كيهك ويكثر الطاعون، ويموت نصف الدواب، من الضأن والمعز، ويكثر العنب ويقل العسل ويرخص القطن، والله أعلم.

ثم قال لها: أخبرينى عن يوم الثلاثاء. قالت: هو للمريخ ويدل ذلك على موت كبار الناس وكثرة الفناء، وإهراق الدماء والغلاء فى الحب وقلة الأمطار، ويكون السمك قليلاً ويزيد فى أيام وينقص فى أيام ويرخص العدس ويغلو بذر الكتان فى تلك السنة وفيها يفلح الشعير دون سائر الحبوب ويكثر القتال بين الملوك، ويكون الموت بالدم ويكثر موت الحمير والله أعلم. قال: فأخبرينى عن يوم الأربعاء؟ قالت: هو لعطارد ويدل ذلك على هرج عظيم يقع فى الناس وعلى كثرة العدو، وأن تكون الأمطار معتدلة وأن يفسد بعض الزرع وأن يكثر موت الدواب وموت

الأطفال ويكثر القتل فى البحر ويغلو القمح من برمودة إلى مسرى وترخص بقية الحبوب ويكثر الرعد والبرق ويغلو العسل ويكثر طلع النخل ويكثر الكتان والقطن ويغلو الفجل والبصل والله أعلم.

قال: أخبرينى عن يوم الخميس. قالت: هو للمشترى ويدل ذلك على العدل فى الوزراء والصلاح فى القضاة والفقراء وأهل الدين وأن يكون الخير كثيرًا وتكثر الأمطار والثمار والأشجار والحبوب ويرخص الكتان والقطن والعنب ويكثر السمك، والله أعلم.

قال: أخبرينى عن يوم الجمعة؟ قالت: هو للزهرة ويدل ذلك على الجور فى كبار الجن والتحدث فى الزور والبهتان وأن يكثر الندى ويطيب الخريف فى البلاد، ويكون الرخص فى بلاد دون بلاد ويكثر الفساد فى البر والبحر ويغلو بذر الكتان ويغلو القمح فى هاتور ويرخص فى أمشير ويغلو العسل ويفسد العنب والبطيخ، والله أعلم، قال: فأخبرينى عن يوم السبت؟ قالت: هو لزحل ويدل ذلك على إيثار العبيد والروم ومن لا خير فيه ولا فى قربه وأن يكون الغلاء والقحط كثيرًا وأن يكون الغيم كثيرًا ويكثر الموت، فى بنى آدم والويل لأهل مصر والشام من جور السلطان وتقل البركة من الزرع وتفسد الحبوب، والله أعلم.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: ثم إن المنجم أطرق وطأطأ رأسه، فقالت: يا منجم أسألك مسألة واحدة فإن لم تجب أخذت ثيابك؟ قال لها: قولى. قالت: أين يكون مسكن زحل؟ قال: فى السماء السابعة. قالت: فالمشترى؟ قال: فى السماء السادسة، قالت: فالمريخ؟ قال: فى السماء الخامسة. قالت: فالشمس؟ قال: فى السماء الرابعة؟ قالت: فالزهرة؟ قال: فى السماء الثالثة. قالت: فعطارد؟ قال: فى السماء الثانية، قالت: فالقمر؟ قال: فى السماء الأولى. قالت: أحسنت، وبقى عليك مسألة واحدة قال: اسألى. قالت فأخبرنى عن النجوم إلى كم جزء تنقسم؟ فسكت ولم يُحر جوابا. فعند ذلك قالت: انزع ثيابك. فنزعها، ولما أخذتها قال لها أمير المؤمنين: فسِّرى لنا هذه المسألة. فقالت: يا أمير المؤمنين هى ثلاثة أجزاء: جزء معلق بسماء الدنيا كالقناديل وهو ينير الأرض وجزء يرمى به الشياطين إذا استرقوا السمع، قال الله تعالى: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين﴾ والجزء الثالث: معلق بالهواء وهو ينير البحار وما فيها، قال المنجم: بقى لنا مسألة واحدة، فإن أجابت أقررت لها. قالت: قل.

فقال لها المنجم: أخبرينى عن أربعة أشياء مضادة مترتبة على أربعة أشياء متضادة؟

قالت: هى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وخلق الله من الحرارة النار وطبعها حار يابس، وخلق من اليبوسة التراب وطبعه بارد يابس، وخلق من البرودة الماء وطبعه بارد رطب، وخلق من الرطوبة الهواء، وطبعه حار رطب، ثم خلق الله اثنى عشر برجًا وهى: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدى، والدلو والحوت، وجعلها على أربعة طبائع ثلاثة نارية وثلاثة ترابية، وثلاثة هوائية، وثلاثة مائية، فالحمل والأسد والقوس نارية، والثور والسنبلة والجدى، ترابية والجوزاء والميزان والدلو هوائية، والسرطان والعقرب والحوت مائية، فقام المنجم وقال: أشهد على أنها أعلم منى. وانصرف.

ثم قال أمير المؤمنين: أين الفيلسوف؟ فنهض إليها رجل وتقدم وقال: أخبرينى عن الدهر

وحده وأيامه وما جاء فيه؟ قالت: إن الدهر هو اسم واقع على ساعات الليل والنهار، وإنما هى مقادير جرى الشمس والقمر فى أفلاكها كما أخبر الله تعالى حيث قال: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ﴾ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ قال: فأخبرينى عن ابن آدم كيف يصل إليه الكفر؟ قالت: روى عن الرسول ﷺ أنه قال: "الكفر فى بنى آدم يجرى كما يجرى الدم فى عروقه حيث يسب الدنيا والدهر والليلة والساعة".

وقال عليه الصلاة والسلام: "لا يسب أحدكم الدهر فإن الدهر هو الله ولا يسب أحدكم الدنيا فتقول: لا أعان الله من يسبنى، ولا يسب أحدكم الساعة فإن الساعة آتية لا ريب فيها، ولا يسب أحدكم الأرض فإنها آية لقوله تعالى: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ ".

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: قال: فأخبرينى عن خمسة أكلوا وشربوا وما خرجوا من ظهر ولا بطن؟ قالت: هم آدم وشمعون، وناقة صالح، وكبش إسماعيل، والطير الذى رآه أبو بكر فى الغار. قال: فأخبرينى عن خمس فى الجنة لا من الإنس ولا من الجن ولا من الملائكة؟ قالت: ذئب يعقوب، وكلب أصحاب الكهف، وحمار العزير، وناقة صالح، ودلدل بغلة النبى ﷺ قال: فأخبرينى عن رجل صلى صلاة لا فى الأرض ولا فى السماء؟ قالت: هو سليمان حين صلى على بساطه وهو على الريح، قال: أخبرينى عمن صلى صلاة الصبح فنظر إلى أمة فحُرِّمت عليه، فلما كان الظهر حلت له، فلما كان العصر حرمت عليه، فلما كان المغرب حلت له، فلما أذن العشاء حرمت عليه فلما كان الصبح حلت له؟ قالت: هذا رجل نظر إلى أمة غيره عند الصبح وهى حرام عليه، فلما كان الظهر اشتراها فحلت له فلما كان العصر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان المغرب تزوجها فحلت له، فلما كان العشاء طلقها فحرمت عليه، فلما كان الصبح راجعها فحلت له. قال: أخبرينى عن قبر مشى بصاحبه؟

قالت: هو حوت يونس بن متى حين ابتلعه. قال: أخبرينى عن بقعة واحدة طلع عليها الشمس مرة واحدة، ولا تطلع عليها بعد إلى يوم القيامة؟ قالت: البحر حين ضربه موسى بعصاه فانفلق اثنى عشر فرقًا على عدد الأسباط وطلعت عليه الشمس ولم تعد له إلى يوم القيامة.

ثم إن الفيلسوف قال بعد ذلك للجارية: أخبرينى عن شىء يتنفس بلا روح، قالت: قوله تعالى: ﴿والصبح إذا تنفس﴾ قال أخبرينى عن حمام طائر أقبل على شجرة عالية فوقع بعضه فوقها وبعضه تحتها؟.

فقالت: التى فوق الشجرة للتى تحتها: إن طلعت منكن واحدة صرتن ثلثنا وإن نزلت منا واحدة كنا مثلكن فى العدد قالت الجارية: كان الحمام اثنتى عشرة حمامة فوقع منهن فوق الشجرة سبع وتحتها خمس فإذا طلعت واحدة صار الذى فوق قدر الذى تحت مرتين، ولو نزلت واحدة صار الذى تحت مساويًا للذى فوق والله أعلم. فتجرد الفيلسوف من ثيابه وخرج هاربًا.

وأما حكايتها مع النظّام فإن الجارية التفتت إلى العلماء الحاضرين وقالت: أيكم المتكلم فى كل فن وعلم؟ فقام إليها النظام وقال لها: لا تحسبينى كغيرى. فقالت له: الأصح عندى أنك مغلوب لأنك مدَّعٍ والله ينصرنى عليك حتى أجردك من ثيابك، فلو أرسلت من يأتيك بشىء

تلبسه لكان خيرًا لك. فقال: والله لأغلبنك وأجعلنك حديثًا يتحدث بك الناس جيلا بعد جيل.

فقالت الجارية: كفّر عن يمينك. قال: أخبرينى عن خمسة أشياء خلقها الله تعالى قبل خلق الخلق.

قالت له: الماء، والتراب، والنور، والظلمة، والثمار. قال: أخبرينى عن شيء خلقه الله بيد القدرة.

قالت: العرش، وشجرة طوبى وآدم وجنة عدن فهؤلاء خلقهم الله بيد قدرته، وسائر المخلوقات قال لهم الله كونوا فكانوا.

قال: أخبرينى عن أبيك فى الإسلام؟ قالت: محمد ﷺ قال: فمن أبو محمد؟ قالت: إبراهيم خليل الله.

قال: فما دين الإسلام؟ قالت: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله " قال: فاخبرينى ما أولك وما آخرك؟ قالت: أولى من التراب، وآخرى التراب.

قال الشاعر:

خلقت من التراب فصرت شخصًا فصيحًا في السؤال وفي الجواب

وعدتُ التراب فصرت فيه لأني قد خلقت من التراب

قال: أخبرينى عن شيء أوله عدم وآخره روح؟ قالت: هى عصا موسى حين ألقاها فى الوادى فإذا هى حية تسعى بإذن الله تعالى.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: قال الرجل: فاخبرينى عن قوله تعالى فى عصا موسى: ﴿ولى فيها مآرب أخرى﴾ قالت: كان يغرسها فى الأرض فتزهر وتثمر وتظله من الحر والبرد وتحمله إذا عيى وتحرس له الغنم إذا نام من السباع، قال: فاخبرينى عن أنثى من ذكر وذكر من أنثى؟ قالت: حواء من آدم وعيسى من مريم.

قال: فاخبرينى عن أربع نيران: نار تأكل وتشرب، ونار تأكل ولا تشرب، ونار تشرب ولا تأكل، ونار لا تأكل ولا تشرب؟.

قالت: أما النار التى تأكل ولا تشرب فهى نار الدنيا، وأما النار التى تأكل وتشرب فهى نار جهنم، وأما النار التى تشرب ولا تأكل فهى نار الشمس، وأما النار التى لا تأكل ولا تشرب فهى نار القمر. قال: أخبرينى عن المفتوح وعن المغلق؟ قالت: يا نظام المفتوح هو المسنون، والمغلق هو المفروض.

قال: أخبرينى عن قول الشاعر:

وساكن رمس طعمه عند رأسه إذا ذاق من ذاك الطعام تكلما

يقوم ويمشي صامتًا متكلمًا ويرجع في القبر الذي منه قوما

وليس بحي يستحق كرامة وليس بميت يستحق الترحما

قالت له: هو القلم، قال: فاخبرينى عن قول الشاعر حيث قال:

ململمة الجنبت مورودة الدم مخمرة الأذنين مفتوحة الفم

لها صنم كالذيل ينـــقر جـــوفها تساوى إذا قومتها نصف درهم قالت:
هى الدواة، قال: فأخبرينى عن قول الشاعر حيث قال:

ألا قل لأهل العلـــم والعقل والأدب وكل فـقـيـه سـاد فـي الفـهـم والرتب
ألا أنبئونى أى شـــــئ رأيتـــم من الطير فى أرض الأعاجم والعرب
ولـيـس لـه لحـم ولـيـس لـــه دم ولـيـس لـه ريـش ولـيـس لـه زغـب
ويؤكل مطبـوخًـا ويؤكـــل باردًا ويؤكل مـشـويًا إذا دُنسَ في اللهب
ويبـدول له لونان لون كـفـضـة ولون ظريف ليس يشـبـه الذهب
وليس يُرى حـيـا وليس بمـيـت ألا أخـبـرونى إن هذا من العجب

قالت: لقد أطلت السؤال فى بيضة قيمتها فلس.

قال: أخبرينى كم كلمة كلم الله موسى؟ قال: روى عن الرسولﷺ أنه قال: " كلم الله موسى ألف كلمة وخمس عشرة كلمة ".

قال: أخبرينى عن أربعة عشر كلموا رب العالمين؟ قالت. السماوات السبع والأرضون السبع لما قالتا أتينا طائعين.

ثم قال لها: أخبرينى عن آدم وأول خلقته؟ قالت: خلق الله آدم من طين والطين من زبد والزبد من بحر والبحر من ظلمة والظلمة من نور والنور من حوت والحوت من صخرة والصخرة من ياقوتة والياقوتة من ماء والماء من القدرة لقوله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون﴾ قال: فأخبرينى عن قول الشاعر حيث قال:

وآكله بغـيـر فـــم وبـطـن لهـا الأشـجـار والحـيـوان قـوات
فـإن أطعـمـتـهـا انتعـشت وعـاشت ولو أسـقـيـتـهـا مـاء تمـــوت

قالت: هى النار، قال: فأخبرينى عن قول الشاعر حيث قال:

خليـــلان ممنوعـــان من كـــل لذة يبـيـتـــان كل الليل يتـعـنقـــان
هـمـا يحـفظان الأهل من كل آفـة وعند طلوع الشـمـس يفـتـرقـان

قالت: هما مصراعا الباب. قال: فأخبرينى عن أبواب جهنم؟ قالت: سبعة وهى ضمن بيتين من الشعر:

جـهنم ولظى ثـــم الحطيم كـذا عـد السـعـيـر وكل القـول في سـقـر
وبعـد ذاك جـحـيم ثم هـــاوية فـذاك عـدتهـا في قـول مـخـتـصـر

قال: فأخبرينى عن قول الشاعر حيث قال:

وذات ذوائـب تـنـجـــر طـولا وراهـا فـي المجـيء وفـي الـذهـاب
بعين لم تذق للنوم طعـــمًـــا ولا ذرفت لدمـــــع ذى انسكاب
ولا لبـــست مـــدى الأيام ثوبًا وتكسـو الناس أنواع الثـيـاب

قالت: هى الإبرة، قال: فأخبرينى عن الصراط ما هو وما طوله وما عرضه؟ قالت: أما طوله فثلاثة آلاف ألف عام هبوط وألف صعود، وألف استواء وهو أحد من السيف وأدق من الشعر، ثم قال: أخبرينى كم لنبينا محمد ﷺ من شفاعة؟ قالت: له ثلاث شفاعات، قال لها: هل كان أبو بكر أول من أسلم؟ قالت: نعم، قال: إن عليا أسلم قبل أبى بكر؟ قالت: إن

عليا أتى النبى ﷺ وهو ابن سبع سنين فأعطاه الله الهداية على صغر سنه فما سجد لصنم قط، قال: فأخبرينى أعلى أفضل أم العباس؟ (قال النظام) فعلمت أن هذه مكيدة لها فإن قالت على أفضل من العباس فما لها من عذر عند أمير المؤمنين، فأطرقت ساعة وهى تارة تحمر وتارة تصفر ثم قالت: تسألنى عن اثنين فاضلين لكل واحد منهما فضل فارجع بنا إلى ما كنا فيه.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: فلما سمعها الخليفة هارون الرشيد استوى قائمًا على قدميه وقال لها: أحسنت ورب الكعبة يا تودد، فعند ذلك قال لها إبراهيم النظام: أخبرينى عن قول الشاعر حيث قال:

مهفهفة الأذيال عذبٌ مذاقها تحاكى القنا لكن بغير سنان
ويأخذ كل الناس منها منافعًا وتؤكل بعد العصر في رمضان

قالت: قصب السكر. قال: فأخبرينى عن مسائل كثيرة؟ قالت: وما هى؟ قال: ما أحلى من العسل، وما أحد من السيف، وما أسرع من السم، وما سرور ثلاثة أيام، وما أطيب يوم، وما فرحة جمعة، وما الحق الذى لا ينكره صاحب الباطل، وما سجن القبر، وما فرحة القلب، وما كيد النفس، وما موت الحياة، وما الداء الذى لا يداوى، وما العار الذى لا ينجلى، وما الدابة التى لا تأوى إلى العمران وتسكن الخراب وتبغض بنى آدم وخلق فيها خلق من خلق سبعة جبابرة؟ قالت له: اسمع جواب ما قلت ثم انزع ثيابك حتى أفسر لك ذلك. قال لها: أمير المؤمنين فسِّرى وهو ينزع ثيابه. قالت: أما ما هو أحلى من العسل فهو حب الأولاد البارين بوالديهم، وأما ما هو أحد من السيف فهو اللسان، وأما ما هو أسرع من السم فهو عين المعيان (الحاسد) وأما سرور ثلاثة أيام فهو النورة للنساء، وأما ما هو أطيب يوم فهو يوم الربح فى التجارة، وأما فرحة جمعة فهو العروس، وأما الحق الذى لا ينكره صاحب الباطل فهو الموت، وأما سجن القبر فهو الولد السوء، وأما فرحة القلب فهى المرأة المطيعة لزوجها، وقيل اللحم حين ينزل على القلب فإنه يفرح بذلك، وأما كيد النفس فهو العبد العاصى وأما موت الحياة فهو الفقر، وأما الداء الذى لا يداوى فهو سوء الخلق، وأما العار الذى لا ينجلى فهو البنت السوء، وأما الدابة التى لا تأوى إلى العمران وتسكن الخراب، وتبغض بنى آدم وخلق فيها خلق من سبعة جبابرة فإنها الجرادة رأسها كرأس الفرس، وعنقها كعنق الثور، وجناحها جناح النسر، ورجلها رجل الجمل، وذنبها ذنب الحية، وبطنها بطن العقرب، وقرنها قرن الغزال.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد: فتعجب الخليفة هارون الرشيد من حذقها وفهمها ثم قال للنظام: انزع ثيابك. فقام وقال: أشهدُ على جميع من حضر هذا المجلس أنها أعلم منى ومن كل عالم. ونزع ثيابه وقال لها: خذيها لا بارك الله لك فيها. فأمر له أمير المؤمنين بثياب يلبسها، ثم قال أمير

المؤمنين: يا تودد بقى عليك شىء مما وعدت به وهو الشطرنج، وأمر بإحضار معلمى الشطرنج والكنجفة والنرد فحضروا وجلس الشطرنجى معها وصفت بينهما الصفوف ونقل ونقلت فما نقل شيئًا إلا أفسدته عن قليل حتى غلبته ورأى الشاه مات.

فقال: أنا أردت أن أطمعك حتى تظنى أنك عارفة لكن صفى حتى أريك. فلما صفت الثانى قال فى نفسه: افتح عينك وإلا غلبتك، وصار ما يخرج قطعة إلا بحساب وما زال يلعب حتى قالت له: الشاه مات. فما رأى منها ذلك دهش من حذقها وفهمها، فضحكت وقالت له: يا معلم أنا أراهنك فى هذه المرة الثالثة على أن أرفع لك الفرزان ورخ الميمنة وفرس الميسرة وإن غلبتنى فخذ ثيابى وإن غلبتك أخذت ثيابك، قال: رضيت بهذا الشرط، ثم صفا الصفين ورفعت الفرزان والرخ والفرس وقالت له: انقل يا معلم، فنقل وقال: ما لى لا أغلبها بعد هذه الحطيطة، ثم إنه عقد عقدًا وإذا هى نقلت نقلاً قليلاً إلى أن صيرت لها فرزانًا ودنت منه وقربت البيادق والقطع وشغلته وأطعمته قطعة قطعة.

فقالت: الكيل كيل وافى، والرز رز صافى فكل حتى تزيد على الشبع ما يقتلك يا ابن آدم إلا الطمع أما تعلم أنى أطعمك لأخدعك، انظر فهذا الشاه مات. ثم قالت له: انزع ثيابك.

فحلف بالله أن لا يناظر أحدًا مادامت تودد بمملكة بغداد، ثم نزع ثيابه وسلمها لها وانصرف فجىء بلاعب النرد فقالت له: إن غلبتك فى هذا اليوم فماذا تعطينى؟ قال: أعطيك عشرة ثياب من الديباج القسطنطينى المطرز بالذهب وعشرة ثياب من المخمل، وألف دينار، وإن غلبتك فما أريد منك إلا أن تكتبى لى درجًا بأنى غلبتك. فقالت له: دونك وما عزمت عليه، فلعب فإذا هو قد خسر وقام وهو يرطن بالإفرنجية ويقول: ونعمة أمير المؤمنين إنها لم يوجد مثلها فى سائر البلاد، ثم إن أمير المؤمنين دعا بأرباب آلات الطرب فحضروا.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهر زاد: فقال لها أمير المؤمنين: هل تعرفين شيئًا من آلات الطرب؟ قالت: نعم، فأمر بإحضار عود محكوك مدعوك مجرود، صاحبه بالهجران مكدود، قال فيه بعض واصفيه:

سقى الله أرضًا أنبتت عود مطرب ... زكت منه أغصان وطابت مغارس

تغنت عليه الطير والعود أخضر ... وغنت عليه الفهد والعود يابس

فجىء بعود فى كيس من الأطلس الأحمر، له شرابه من الحرير المزعفر، فحلت الكيس وأخرجت العود فإذا هو عليه منقوش:

وغصن رطيب عاد عودًا لقينة ... تحن إلى أترابها فى المحافل

تُغنى فيتلو لحنها وكأنه ... يلقنها إعراب لحن البلابل

فوضعته فى حجرها، وانحنت انحناء والدة ترضع ولدها وضربت عليه اثنى عشر نغما حتى ماج المجلس من الطرب وأنشدت تقول:

اقصروا هجركم أقلوا جفاكم ... ففؤادى وحقكم ما سلاكم

وارحموا باكيًا حزينًا كئيبًا ... ذا غرام متيمًا فى هواكم

فطرب أمير المؤمنين وقال: بارك الله فيك ورحم من علمك. فقامت وقبلت الأرض بين

يديه، ثم إن أمير المؤمنين أمر بإحضار المال ووضع لمولاها مئة ألف دينار وقال لها:

يا تودد تمنى على. قالت: تمنيت عليك أن تردنى إلى سيدى الذى باعنى، فقال لها: نعم فردها إليه وأعطاها خمسة آلاف دينار لنفسها وجعل سيدها نديمًا له، على طول الزمان وأطلق له فى كل شهر ألف دينار، وقعد مع جاريته فى أرغد عيش. فأعجب أيها الملك من فصاحة هذه الجارية ومن غزارة علمها وفهمها وفضلها فى كامل العلوم وانظر إلى مروءة أمير المؤمنين هارون الرشيد حيث أعطى سيدها هذا المال، وقال لها: تمنى على، فتمنت أن يردها إلى سيدها فردها إليه، وأعطاها خمسة آلاف دينار لنفسها وجعل سيدها نديمًا له. فأين يوجد هذا الكرم بعد الخلفاء العباسيين. رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

حكاية ملك الموت

قالت شهرزاد: يُحكى أيها الملك السعيد أن ملكًا من الملوك المتقدمين أراد أن يركب يومًا فى جملة أهل مملكته وأرباب دولته ويُظهر للخلائق عجائب زينته فأمر أصحابه وأمراءه وكبراء دولته أن يأخذوا أهبة الخروج معه، وأمر خازن الثياب بأن يُحضر له من أفخر الثياب ما يصلح للملك فى زينته، وأمر بإحضار خيله الموصوفة، العتاق المعروفة، ففعلوا ذلك. ثم إنه اختار من الثياب ما أعجبه ومن الخيل ما استحسنه، ثم لبس الثياب وركب الجواد وسار بالموكب والطوق المرصع بالجواهر وأصناف الدر واليواقيت، وجعل يركض الحصان فى عسكره، ويفتخر فى تيهه وتجبره، فأتاه إبليس فوضع يده على منخره ونفخ فى أنفه نفخة الكبر، والعجب فزها وقال فى نفسه: من فى العالم مثلى.

وطفق يتيه بالعجب والكبر ويظهر الأبهة ويزهو بالخيلاء ولا ينظر إلى أحد من تيهه وتكبره وعجبه وفخره، فوقف بين يديه رجل عليه ثياب رثة فسلم عليه، فلم يرد عليه السلام، فقبض على عنان فرسه، فقال له الملك: ارفع يدك فإنك لا تدرى بعنان من قد أمسكت. فقال له: إن لى إليك حاجة. فقال: اصبر حتى أنزل واذكر حاجتك. فقال: إنها سر ولا أقولها إلا فى أذنك. فمال بسمعه إليه، فقال له: أنا ملاك الموت وأريد قبض روحك. فقال له: أمهلنى بقدر ما أعود إلى بيتى وأودع أهلى وأولادى وجيرانى وزوجتى. فقال: كلا، لا تعود ولن تراهم أبدًا فإنه قد مضى أجل عمرك. فأخذ روحه وهو على ظهر فرسه فخر ميتًا.

ومضى ملك الموت من هناك فأتى رجلاً صالحًا قد رضى الله تعالى عنه، فسلم عليه فرد عليه، فقال ملك الموت أيها الرجل الصالح إن لى إليك حاجة وهى سر فقال له الرجل الصالح: اذكر حاجتك فى أذنى. فقال: أنا ملك الموت. فقال الرجل: مرحبًا بك الحمد لله على مجيئك فإنى كنت كثيرًا أترقب وصولك إلىَّ ولقد طالت غيبتك عن المشتاق إلى قدومك. فقال له ملك الموت: إن كان لك شغل فاقضه، فقال له: ليس لى شغل أهم من لقاء ربى عز وجل، قال: كيف تحب أن أقبض روحك فإنى أمرت أن أقبضها كيف أردت واخترت؟ فقال: أمهلنى حتى أتوضأ وأصلى فإذا سجدت فاقبض روحى وأنا ساجد فقال ملك الموت: إن ربى عز وجل أمرنى أن لا أقبض روحك إلا باختيارك كيف أردت وأنا أفعل ما قلت. فقام الرجل وتوضأ وصلى فقبض ملك الموت روحه وهو ساجد ونقله إلى الله تعالى إلى محل الرحمة والرضوان والمغفرة.

وحكى أيضًا أن ملكًا من الملوك كان قد جمع مالاً عظيمًا لا يحصى عدده واحتوى على

أشياء كثيرة من كل نوع خلقه الله تعالى في الدنيا ليرفه نفسه، حتى إذا أراد أن يتفرغ لما جمعه من النعم الطائلة بنى له قصرًا عاليًا مرتفعًا شاهقًا، يصلح للملوك ويكون بهم لائقًا، ثم ركب عليه بابين محكمين ورتب له الغلمان والأجناد والبوابين، كما أراد.

وأمر الطباخ في بعض الأيام أن يصنع له شيئًا من أطيب الطعام وجمع أهله وحشمه وأصحابه وخدمه، ليأكلوا عنده، وينالوا رفده، وجلس على سرير مملكته وسيادته واتكأ على وسادته وخاطب نفسه، وقال: يا نفس قد جمعت لك نعم الدنيا، بأسرها فالآن تفرغي وكلي من هذه النعم مهنأة بالعمر الطويل، والحظ الجزيل.

فلم يفرغ مما حدث به نفسه، حتى أتاه رجل من ظاهر القصر عليه ثياب رثة وفي عنقه مخلاة معلقة على هيئة سائل لينال الطعام، فجاء وطرق حلقة باب القصر طرقة عظيمة هائلة كادت تزلزل القصر وتزعج السرير، فخاف الغلمان فوثبوا إلى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا له: ويحك ما هذه الفعلة وسوء الأدب اصبر حتى يأكل الملك ونعطيك مما يفضل، فقال للغلمان: قولوا لصاحبكم يخرج إلى حتى يكلمني فلي إليه حاجة وشغل مهم، وأمر ملم. فقالوا: تنح أيها الضعيف من أنت حتى تأمر صاحبنا بالخروج إليك؟ فقال لهم عرفوه ذلك. فجاؤوا إليه وعرفوه. فقال: هلا زجرتموه، وجردتم عليه ونهرتموه، ثم طرق الباب أعظم من الطرقة الأولى، فنهض الغلمان إليه بالعصي والسلاح وقصدوه ليحاربوه، فصاح بهم صيحة وقال: الزموا أماكنكم فأنا ملك الموت. فرعبت قلوبهم وذهبت عقولهم. وطاشت حلومهم، وارتعدت فرائصهم وبطلت عن الحركة جوارحهم. فقال لهم الملك: قولوا له يأخذ بدلاً مني وعوضًا عني. فقال ملك الموت:

لا آخذ بدلاً ولا أتيت إلا من أجلك لأفرق بينك وبين النعم التي جمعتها، والأموال التي حويتها وخزنتها. فعند ذلك تنفس الصعداء وبكى وقال: لعن الله المال الذي غرني وأضرني ومنعني عن عبادة ربي، وكنت أظن أنه ينفعني فبقي اليوم حسرة علي ووبالاً لدي، وها أنا أخرج صفر اليدين منه ويبقى لأعدائي.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فأنطق الله المال وقال: لأي سبب تلعنني العن نفسك فإن الله تعالى خلقني وإياك من تراب وجعلني في يدك لتتزود مني لآخرتك وتتصدق بي على الفقراء والمساكين والضعفاء ولتعمر بي الربط والمساجد والجسور والقناطر لأكون لك في الدار الآخرة. وأنت جمعتني وخزنتني وفي هواك أنفقتني، ولم تشكر لحقي بل كفرتني، فالآن تركتني لأعدائك وأنت تموت بحسرتك وندامتك، فأي ذنب لي حتى تسبني؟ ثم إن ملك الموت قبض روحه وهو على سريره قبل أن يأكل الطعام فخر ميتًا ساقطًا من فوق سريره.

قال الله تعالى: ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾.

ومما يحكى أن ملكًا جبارًا من ملوك بني إسرائيل كان في بعض الأيام جالسًا على سرير مملكته فرأى رجلاً قد دخل عليه من باب الدار وله صورة منكرة وهيئة هائلة، فاشمأز من هجومه عليه وفزع من هيئته فوثب في وجهه وقال: من أنت أيها الرجل ومن أذن لك في

الدخول على وأمرك بالمجيء إلى دارى؟ فقال: أمرنى صاحب الدار وأنا لا يحجبنى حاجب ولا أحتاج فى الدخول على الملوك إلى إذن ولا أرهب سياسة سلطان ولا كثرة أعوان، أنا الذى لا يقرعنى جبار، ولا لأحد من قبضتى فرار، أنا هادم اللذات ومفرق الجماعات.

فلما سمع الملك هذا الكلام خر على وجهه ودبَّت الرعبة فى بدنه ووقع مغشيًا عليه، فلما أفاق قال: أنت ملك الموت؟ قال: نعم، قال: أقسمت عليك بالله الا امهلتنى يومًا واحدًا لأستغفر من ذنبى وأطلب العذر من ربى وأرد الأموال التى فى خزانتى إلى أربابها، ولا أتحمل مشقة حسابها، وويل عقابها. فقال ملك الموت: هيهات. هيهات لا سبيل إلى ذلك، وكيف أمهلك وأيام عمرك محسوبة، وأنفاسك معدودة وأوقاتك مثبوتة مكتوبة؟ فقال: أمهلنى ساعة، فقال: إن الساعة فى الحساب وقد مضت وأنت غافل، وانقضت وأنت ذاهل، وقد استوفيت أنفاسك، ولم يبق لك إلا نفس واحد. فقال: من يكون عندى إذا نُقلت إلى لحدى؟

فأجابه ملك الموت وقال له: لا يكون عندك إلا عملك. فقال: ما لى عمل قال: لا جرم أنه يكون مقيلك فى النار، ومصيرك إلى غضب الجبار، ثم قبض روحه فخر ساقطًا عن سريره ووقع إلى الأرض فحصل الضجيج فى أهل مملكته وارتفعت الأصوات وعلا الصياح والبكاء ولو علموا ما يصير إليه من سخط ربه لكان بكاؤهم عليه أكثر، وعويلهم أشد وأوفر.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية إسكندر ذى القرنين مع قوم ضعفاء

قالت شهرزاد: حُكى أن إسكندر ذا القرنين اجتاز فى سفره بقوم ضعفاء لا يملكون شيئًا من أسباب الدنيا وقد حفروا قبور موتاهم على أبواب دورهم. وكانوا فى كل وقت يتعهدون تلك القبور، ويكنسون التراب عنها وينظفونها ويزورونها ويعبدون الله تعالى فيها وليس لهم طعام إلا الحشيش ونبات الأرض، فبعث إليهم إسكندر ذو القرنين رجلاً يستدعى ملكهم إليه فلم يجبه، وقال: ما لى إليه حاجة فسار ذو القرنين إليه وقال: كيف حالكم وما أنتم عليه فإنى لا أرى لكم شيئًا من ذهب ولا فضة ولا أجد عندكم شيئًا من نعيم الدنيا؟ فقال له: إن نعيم الدنيا لا يشبع منه أحد، فقال له إسكندر: لم حفرتم القبور على أبوابكم؟ فقال: لتكون نصب أعيننا فننظر إليها ونجدد ذكر الموت ولا ننسى الآخرة ويذهب حب الدنيا من قلوبنا فلا نشتغل بها عن عبادة ربنا تعالى. فقال إسكندر: كيف تأكلون الحشيش؟ قال: لأنا نكره أن نجعل بطوننا قبورًا للحيوانات، ولأن لذة الطعام لا تتجاوز الحلق.

ثم مد يده فأخرج قحفًا من رأس آدمى فوضعه بين يدى إسكندر وقال له: يا ذا القرنين أتعلم من كان صاحب هذا؟ قال: لا، قال: كان صاحبه ملكًا من ملوك الدنيا فكان يظلم رعيته ويجور عليهم وعلى الضعفاء ويستفرغ زمانه فى جمع حطام الدنيا فقبض الله روحه وجعل النار مقره وهذا رأسه. ثم مد يده ووضع قحفًا آخر بين يديه وقال له: أتعرف هذا؟ قال: لا، قال: هذا كان ملكًا من ملوك الأرض وكان عادلاً فى رعيته شفوقًا على أهل ولايته ومملكته. فقبض الله روحه وأسكنه جنته ورفع درجته. ووضع يده على رأس ذى القرنين، وقال: ترى أنت أى هذين؟ فبكى ذو القرنين بكاء شديدًا وضمه إلى صدره وقال له: إن أنت رغبت فى صحبتى سلَّمت إليك

وزارتى وقاسمتك فى مملكتى. فقال الرجل: هيهات هيهات ما لى رغبة فى هذا. فقال له إسكندر: ولم ذلك؟ قال: لأن الخلق كلهم أعداؤك بسبب المال والملك الذى أعطيته وجميعهم أصدقائى فى الحقيقة بسبب القناعة والصعلكة؛ لأننى ليس لى ملك ولا أطمع فى الدنيا ولا لى إليها طلب ولا لى فيها أرب، وليس لى إلا القناعة فحسب. فضمه إسكندر إلى صدره وقبله بين عينيه وانصرف.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: ومما يحكى أن الملك العادل أنوشروان أظهر يومًا من الأيام أنه مريض وانفذ ثقاته وأمناءه أمرهم أن يطوفوا أقطار مملكته وأكناف ولايته، وأن يطلبوا له لبنة عتيقة من قرية خربة ليتداوى بها، وذكر لأصحابه أن الأطباء وصفوا له ذلك، فطافوا أقطار مملكته وجميع ولايته وعادوا إليه فقالوا له: ما وجدنا فى جميع المملكة مكانًا خربًا ولا لبنة عتيقة. ففرح أنوشروان بهذا وشكر الله وقال: " إنما أردت أن أجرب ولايتى وأختبر مملكتى لأعلم هل بقى فيها موضع خراب لأعمره، وحيث إنه الآن لم يبق فيها مكان إلا وهو عامر فقد تمت أمور المملكة وانتظمت الأحوال ووصلت العمارة إلى درجة الكمال ".

ثم قالت شهر زاد: اعلم أيها الملك أن أولئك الملوك القدماء ما كانت همتهم واجتهادهم فى عمارة ولايتهم إلا لعلمهم أنه كلما كانت الولاية أعمر كانت الرغبة أوفر، لأنهم كانوا يعلمون أن الذى قالته العلماء ونطقت به الحكماء صحيح لا ريب فيه حيث قالوا: إن الدين بالملك، والملك بالجند، والجند بالمال، والمال بعمارة البلاد، وعمارة البلاد بالعدل فى العباد. فما كانوا يوافقون أحدًا على الجور والظلم ولا يرضون لحشمهم بالتعدى علمًا منهم أن الرعية لا تثبت على الجور، وأن البلاد والأماكن تخرب إذا استولى عليها الظالمون وتتفرق أهلها ويهربون إلى ولايات غيرها. ويقع النقص فى الملك ويقل فى البلاد الدخل وتخلو الخزائن من الأموال ويتكدر عيش الرعايا لأنهم لا يحبون جائرًا ولا يزال دعاؤهم عليه متواترًا، فلا يتمتع الملك بمملكته، وتسرع إليه دواعى مهلكته.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية المرأة الصالحة فى بنى إسرائيل

قالت شهرزاد: حُكى أنه كان فى بنى إسرائيل قاض من قضاتهم وكان له زوجة بديعة الجمال، كثيرة الصون والصبر والاحتمال، فأراد ذلك القاضى النهوض إلى زيارة بيت المقدس فاستخلف أخاه على القضاء وأوصاه بزوجته، وكان أخوه قد سمع بحسنها وجمالها فكلف بها. فلما سار القاضى توجه إليها وراودها عن نفسها فامتنعت واعتصمت بالورع، فأكثر الطلب عليها وهى تتمنع، فلما يئس منها خاف أن تخبر أخاه بصنيعه إذا رجع فاستدعى بشهود زور يشهدون عليها بالزنا، ثم رفع مسألتها إلى ملك ذلك الزمان، فأمر برجمها، فحفروا لها حفرة وأقعدوها فيها ورجمت حتى غطتها الحجارة وقال: تكون الحفرة قبرها.

فلما جُنَّ الليل صارت تئن من شدة ما نالها، فمر بها رجل يريد قرية، فلما سمع أنينها قصدها فأخرجها من الحفرة واحتملها إلى زوجته وأمرها بمداواتها، فداوتها حتى شفيت وكان للمرأة ولد فدفعته إليها فصارت تكفله وتبيت معها فى بيت ثان، فرآها أحد الشطار

فطمع فيها وأرسل يراودها عن نفسها فامتنعت، فعزم على قتلها فجاءها بالليل ودخل عليها البيت وهى نائمة، ثم هوى بالسكين إليها فوافق الصبى فذبحه. فلما علم أنه ذبح الصبى أدركه الخوف فخرج من البيت وعصمها الله منه.

ولما أصبحت وجدت الصبى عندها مذبوحًا وجاءت أمه وقالت: أنت التى ذبحتيه. ثم ضربتها ضربًا موجعًا وأرادت ذبحها، فجاء زوجها وأنقذها منها وقال: والله لم تفعل ذلك. فخرجت المرأة فارة بنفسها لا تدرى أين تتوجه وكان معها بعض الدراهم، فمرت بقرية والناس مجتمعون ورجل مصلوب على جذع إلا أنه فى قيد الحياة فقالت: يا قوم ما له؟ قالوا لها: أصاب ذنبًا لا يكفره إلا قتله أو صدقة كذا وكذا من الدراهم. فقالت: خذوا الدراهم وأطلقوه. فتاب على يديها ونذر على نفسه أن يخدمها لله حتى توفاه الموت، ثم بنى لها صومعة أسكنها فيها وصار يحتطب ويأتيها بقوتها، واجتهدت المرأة فى العبادة حتى كان لا يأتيها مريض أو مصاب فتدعو له إلا شفى.

فكان من قضاء الله تعالى أنه نزل بأخى زوجها الذى رجمها عاهة فى وجهه وأصاب المرأة التى ضربتها البرص وابتلى الشاطر بوجع أقعده، وقد جاء القاضى زوجها من حجه وسأل أخاه عنها، فأخبره أنها ماتت، فأسف عليها واحتسبها عند الله. ثم تسامعت الناس بالمرأة حتى كانوا يقصدون صومعتها من أطراف الأرض، ذات الطول والعرض.

فقال القاضى لأخيه: يا أخى هلا قصدت هذه المرأة الصالحة لعل الله يجعل لك على يدها شفاء؟ قال: يا أخى احملنى إليها، وسمع زوج المرأة التى نزل بها البرص فسار بها إليها وسمع أهل الشاطر المقعد بخبرها وساروا به إليها أيضًا، واجتمع الجميع عند باب صومعتها.

وكانت ترى جميع من يأتى صومعتها من حيث لا يراها أحد فانتظروا خادمها حتى جاء ورغبوا إليه فى أن يستأذن لهم فى الدخول عليها ففعل، فتنقبت واستترت ووقفت عند الباب تنظر زوجها وأخاه واللص والمرأة، وعرفتهم وهم لا يعرفونها، فقالت لهم: يا هؤلاء إنكم ما تستريحون مما بكم حتى تعترفوا بذنوبكم فإن العبد إذا اعترف بذنبه تاب الله عليه، وأعطاه ما هو متوجه فيه إليه. فقال القاضى لأخيه: يا أخى تب إلى الله ولا تصر على عصيانك فإنه أنفع لخلاصك، ولسان الحال يقول هذا المقال:

اليوم يجمع مظلوم ومن ظلما	ويُظهر الله سرًا كان قد كُتما
هذا مقام تذل المذنبون له	ويرفع الله من طاعته لزما
ويُظهر الحق مولانا وسيدنا	وهذا وإن سخط العاصي وإن رغما
يا ويح من جاهر المولى وأسخطه	كأنه بعقاب الله ما علما
يا طالب العز إن العز ويحك في	تقوى الإله فكن لله معتصما

فعند ذلك قال أخو القاضى: الآن أقول الحق، فعلت بزوجتك ما هو كذا وكذا وهذا ذنبى.

فقالت البرصاء: وأنا كانت عندى امرأة فنسبتُ إليها ما لم أعلمه وضربتها عمدًا وهذا ذنبى.

فقال المقعد: وأنا دخلت على امرأة لأقتلها بعد مراودتها عن نفسها وامتناعها فذبحت صبيا كان بين يديها وهذا ذنبى. فقالت المرأة: اللهم كما أريتهم ذل المعصية فأرهم عز الطاعة إنك على كل شيء قدير، فشفاهم الله عز وجل، وجعل القاضى ينظر إليها ويتأملها، فسألته

عن سبب النظر. فقال: كانت لى زوجة ولولا أنها ماتت لقلت أنها أنت.

فعرفته بنفسها وجعلا يحمدان الله عز وجل، على ما مَنَّ عليهما به من جمع شملهما، ثم طفق كل من أخى القاضى واللص والمرأة يسألونها المسامحة، فسامحتهم وعبدوا الله فى ذلك المكان مع لزوم خدمتها إلى أن فرق الموت بينهم.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية المرأة الصالحة فى الكعبة

مع بعض السادة

قالت شهر زاد: حكى أن بعض السادة قال: بينما أنا أطوف بالكعبة فى ليلة مظلمة إذ سمعت صوتا ذا حنين، ينطق عن قلب حزين، وهو يقول: يا كريم، لطفك القديم، فإن قلبى على العهد مقيم. فتطاير قلبى لسماع ذلك الصوت تطايرًا أشرفت منه على الموت. فقصدت نحوه فإذا صاحبته امرأة، فقلت: السلام عليك يا أمة الله، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فقلت: أسألك بالله العظيم ما العهد الذى قلبك عليه مقيم؟ فقالت: لولا قسمك بالجبار، ما أطلعتك على الأسرار، انظر ما بين يدى فنظرت فإذا بين يديها صبى نائم يغط فى نومه، فقالت: خرجت وأنا حامل بهذا الصبى لأحج هذا البيت فركبت فى سفينة فهالت علينا الأمواج واختلفت علينا الرياح وانكسرت بنا السفينة فنجوت على لوح منها ووضعت هذا الصبى وأنا على ذلك اللوح.

فبينما هو فى حجرى والأمواج تضربنى إذ وصل إلى رجل من ملاحى السفينة وحصل معى وقال لى: والله لقد كنت أهواك وأنت فى السفينة والآن قد حصلت معك فمكنينى من نفسك وإلا قذفتك فى البحر، فقلت: ويحك أما كان لك مما رأيت تذكرة وعبرة؟ فقال: إنى رأيت مثل ذلك مراراً ونجوت وأنا لا أبالى، فقلت: يا هذا نحن فى بلية نرجو السلام منها بالطاعة لا بالمعصية. فألح على فخفت منه وأردت أن أخادعه، فقلت له: مهلاً حتى ينام الطفل، فأخذه من حجرى وقذفه فى البحر فلما رأيت جرأته وما فعل بالصبى طار قلبى وزاد كربى، فرفعت رأسى إلى السماء وقلت: يا من يحول بين المرء وقلبه حُل بينى وبين هذا الرجل إنك على كل شىء قدير. فوالله ما فرغت من كلامى إلا ودابة طلعت من البحر فاختطفته من فوق اللوح وبقيت وحدى وزاد كربى وحزنى إشفاقًا على ولدى فأنشدت وقلت:

قرة العين حبيب ولدى	ضاع حيث الوجد أوهى جلدى
وأرى جسما غريقًا وغدت	بالتياع الوجد تُشوى كبدى
ليس فى كربتين من فرج	غير ألطافك يا معتمد
أنت يا ربى ترى ما حل بى	من غرامى بفراقى ولدى
فاجمع الشمل وكن لى راحمًا	فرجائى فيك أقوى عددى

فبقيت على تلك الحالة يومًا وليلة، فلما كان الصباح بصرت بقلاع سفينة تلوح من بُعد فما زالت الأمواج تقذفنى والرياح تسوقنى حتى وصلت إلى تلك السفينة التى كنت أرى

قلاعها. فأخذنى أهل السفينة ووضعونى فيها. فنظرت فإذا ولدى فيهم فتراميت عليه وقلت: يا قوم هذا ولدى فمن أين كان لكم؟ قالوا: بينما نحن نسير فى البحر إذ حُبست السفينة فإذا دابة كأنها المدينة وهذا الصبى على ظهرها يمص إبهامه فأخذناه.

فلما سمعت منهم ذلك حدثتهم بقصتى وما جرى لى وشكرت لربى على ما أنالنى وعاهدته على أن لا أبرح بيته ولا أنثنى عن خدمته وما سألته بعد ذلك شيئًا إلا أعطانيه. فمددت يدى إلى كيس النفقة وأردت أن أعطيها، فقالت: إليك عنى يا بطال أفأحدثك بأفضاله وكرم فعاله وآخذ الرفد على يد غيره؟ فلم أقدر على أن تقبل منى شيئًا فتركتها وانصرفت من عندها وأنا أنشد وأقول هذه الأبيات:

وكم لله من لطف خفى ... يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يُسر أتى من بعد عُسر ... وفرج لوعة القلب الشجى
وكم هم تعانيه صباحًا ... فتعقبه المسرة بالعشى
إذا ضاقت بك الأسباب يومًا ... فثق بالواحد الصمد العلى
تشفع بالنبى فكل عبد ... ينال إذا تشفع بالنبى

وما زالت فى عبادة ربها ملازمة بيته إلى أن أدركها الموت.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية مالك بن دينار مع العبد الأسود الصالح

قالت شهرزاد: ومما يحكى أن مالكَ بن دينار رحمه الله قال: انحبس عنا المطر بالبصرة فخرجنا نستقى مرارًا فلم نرَ أثر الإجابة. فخرجت أنا وعطاء السلمى وثابت البنانى ونجى البكاء ومحمد بن واسع وأيوب السختيانى وحبيب الفارسى وحسان بن أبى سنان وعتبة الغلام وصالح المزنى حتى صرنا إلى المصلى، وخرجت الصبيان من المكاتب واستقينا فلم نرَ أثر الإجابة فانتصف النهار وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت البنانى بالمصلى.

فلما أظلم الليل بصرنا بأسود مليح الوجه رقيق الساقين عظيم البطن قد أقبل عليه مئزر من صوف إذا قُوم جميع ما كان عليه لا يساوى درهمين فجاء بماء فتوضأ ثم أتى المحراب فصلى ركعتين خفيفتين كان قيامه وركوعه وسجوده فيهما سواء. ثم رفع طرفه إلى السماء وقال: إلهى وسيدى ومولاى إلى كم ترد عبادك فيما لا ينقص ملكك أنفدَ ما عندك أم فنيت خزائن ملكك، أقسمت عليك بحبك ألا سقيتنا غيثك الساعة؟ فما تم الكلام حتى تغيمت السماء وجاءت بمطر كأفواه القرب، ولم نخرج من المصلى إلا ونحن نخوض فى الماء للركب.

وبقينا نتعجب من الأسود " قال مالك ": فتعرضت له وقلت: ويحك يا أسود أما تستحى مما قلت؟ فالتفت إلى وقال: ماذا قلت؟ فقلت له: قولك بحبك لى وما يدريك أنه يحبك؟ فقال لى: تنح عنى يا من اشتغل عن نفسه فأين كنت أنا حين أيدنى بالتوحيد وخصنى بمعرفته، أفتراه أيدنى بذلك إلا لمحبته لى على قدر محبتى له. فقلت له: قف علىَّ قليلاً يرحمك الله. فقال: إنى مملوك وعلى فرض من طاعة مالكى الصغير، فجعلنا نقفو أثره على البعد حتى دخل دار نخاس وقد مضى من الليل نصفه. فطال علينا النصف الثانى فذهبنا.

فلما كان الصباح أتينا النخاس وقلنا له: أعندك غلام تبيعه لنا لأجل الخدمة؟ قال: نعم

عندى نحو مائة غلام كلهم للبيع، وجعل يعرض غلامًا بعد غلام حتى عرض سبعين غلامًا ولم أر صاحبى فيهم. فقال: ما عندى غير هؤلاء. فلما أردنا الخروج دخلنا حجرة خربة خلف داره فإذا الأسود قائم، فقلت: هو ورب الكعبة فرجعت إلى النخاس، وقلت: بعنى هذا الغلام قال: يا أبا يحيى إنه غلام مشؤوم نكد ليس له فى الليل همة إلا البكاء وفى النهار إلا الندم، فقلت: لذلك أريده، فدعاه فخرج وهو يتناعس فقال لى:

خذه بما شئت بعد أن تبرئنى من عيوبه كلها. فاشتريته بعشرين دينارًا وقلت: ما اسمه؟ قال: ميمون. فأخذت بيده وانطلقنا نريد به المنزل.

فالتفت إلى وقال لى: يا مولاى الصغير لماذا اشتريتنى فأنا والله لا أصلح لخدمة المخلوقين؟ فقلت له: إنما اشتريتك لأخدمك بنفسى وعلى رأسى، فقال لى: ولمَ ذلك؟ فقلت: ألست صاحبنا البارحة بالمصلى؟ فقال: وهل اطلعت على؟ قلت: أنا الذى اعترضتك البارحة فى الكلام، فجعل يمشى حتى دخل مسجدًا فصلى ركعتين، ثم قال: إلهى وسيدى ومولاى سر كان بينى وبينك أطلعت عليه المخلوقين وفضحتنى فيه بين العالمين فكيف يطيب الآن عيشى وقد وقف على ما كان بينى وبينك غيرك؟ أقسمت عليك إلا ما قبضت روحى الساعة.

ثم سجد فانتظرته ساعة فلم يرفع رأسه، فحركته فإذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه. فمددت يديه ورجليه ونظرت إليه فإذا هو ضاحك وقد غلب البياض على السواد ووجهه يستنير ويبدو تهللاً، فبينما نحن نتعجب من أمره إذا بشاب قد أقبل من الباب وقال: السلام عليكم عظم الله أجرنا وإياكم فى أخينا ميمون، هاك الكفن فكفنوه فيه. فناولنى ثوبين ما رأيت مثلهما قط، فكفناه فيهما. قال مالك: فقبره الآن يستسقى به فتُطلب الحوائج من الله عز وجل لديه، وما أحلى ما قال بعضهم فى هذا المعنى:

مجال قلوب العارفين بروضة ... سماوية من دونها حجب الرب
إذا شربوا فيها الرحيق مزاجه ... بتسنيم راح الأنس بالله من قرب
سرى سرهم بين الحبيب وبينهم ... فأضحى مصونًا عن سوى ذلك القلب

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

حكاية الرجل الصالح فى بنى إسرائيل

قالت شهرزاد: حكى أنه كان فى بنى إسرائيل رجل من خيارهم وقد اجتهد فى عبادة ربه، وزهد فى دنياه وأزالها عن قلبه. وكانت له زوجة مساعدة له على شأنه، مطيعة له فى كل زمانه. وكانا يعيشان من عمل الأطباق والمراوح يعملان النهار كله، فإذا كان آخر النهار خرج الرجل بما عمله فى يده ومشى به يمر على الأزقة والطرق يلتمس مشتريًا يبيع له ذلك. وكانا يُديمان الصوم، فأصبحا فى يوم من الأيام وهما صائمان وقد عملا يومهما ذلك. فلما كان آخر النهار خرج الرجل على عادته وبيده ما عمله يطلب من يشتريه منه، فمر بباب أحد أبناء الدنيا وأهل الرفاهية والجاه وكان الرجل وضىء الوجه جميل الصورة فرأته امرأة صاحب الدار فمال قلبها إليه وكان زوجها غائبًا، فدعت خادمتها وقالت لها: لعلك تتحيلين على ذلك الرجل لتأتى به إلينا فخرجت الخادمة إليه ودعته لتشترى منه ما بيده وردته من طريقه. وقالت: ادخل

فإن سيدتى تريد أن تشترى من هذا الذى بيدك شيئًا بعد أن تختبره وتنظر إليه.

فتخيل الرجل أنها صادقة فى قولها ولم يرَ فى ذلك بأسًا فدخل وقعد كما أمرته، فأغلقت الباب وخرجت سيدتها من بيتها وأدخلته وقالت له: هذا البيت مبخر والطعام محضر وصاحب الدار غائب فى هذه الليلة وأنا قد وهبت لك نفسى ولطالما طلبتنى الملوك والرؤساء وأصحاب الدنيا ولم ألتفت لأحد منهم. وطال أمرها فى القول والرجل لا يرفع رأسه من الأرض حياءً من الله تعالى وخوفًا من أليم عقابه كما قال الشاعر:

وربَّ كبيرة ما حال بينى ... وبين ركوبها إلا الحياء
وكان هو الدواء لها ولكن ... إذا ذهب الحياء فلا دواء

وطمع الرجل فى أن يخلص نفسه منها فلم يقدر. فقال: أريد منك شيئًا؟ قالت: وما هو؟ قال: أريد ماءً طاهرًا أصعد به إلى أعلى موضع فى دارك لأقضى به أمرًا وأغسل به درنًا. فقالت: الدار متسعة ولها خبايا وزوايا وبيت الطهرة معد. قال: ما غرضى إلا الارتفاع، فقالت لخادمتها: اصعدى به إلى المنظرة العليا من الدار، فصعدت به إلى أعلى موضع فيها ودفعت له آنية الماء ونزلت. فتوضأ الرجل وصلى ركعتين ونظر إلى الأرض ليلقى نفسه فرآها بعيدة فخاف أن لا يصل إليها إلا وقد تمزق. ثم تفكر فى معصية الله وعقابه. فهان عليه بذل نفسه وسفك دمه فقال: إلهى وسيدى ترى ما نزل بى ولا يخفى عليك حالى إنك على كل شيء قدير. وأنشد يقول:

أشار القلب نحوك والضمير ... وسرُّ السر أنت به خبيرُ
وإنى إن نطقت بكم أنادى ... وفى وقت السكوت لكم أشيرُ
أيا من لا يضاف إليه ثان ... أتاك الواله الصبُّ الفقيرُ
ولى أمل تحققه ظنونى ... ولى قلب كما تدرى يطيرُ
وبذل النفس أصعب ما يلاقى ... فإن قدرته فهو اليسير
وإن تمنن وتمنحنى خلاصى ... فأنت عليه يا أملى قدير

ثم إن الرجل ألقى نفسه من أعلى المنظرة. فبعث الله إليه ملكًا احتمله على جناحه وأنزله إلى الأرض سالمًا دون أن يناله ما يؤذيه. فلما استقر بالأرض حمد الله عز وجل على ما أولاه من عصمته وما أناله من رحمته، وسار دون شيء إلى زوجته وكان قد أبطأ عنها فدخل وليس معه شيء، فسألته عن سبب بطئه وعما خرج به فى يده وما فعل به وكيف رجع بدون شيء. فأخبرها بما عرض له من الفتنة وأنه ألقى نفسه من ذلك الموضع فنجاه الله، فقالت زوجته: الحمد لله الذى صرف عنك الفتنة، وحال بينك وبين المحنة.

ثم قالت: يا رجل إن الجيران قد تعودوا منا أن نوقد تنورنا فى كل ليلة فإن رأونا الليلة دون نار علموا أننا بلا شيء ومن شكر الله كتم ما نحن فيه من الخصاصة ووصال صوم هذه الليلة باليوم الماضى وقيامها لله تعالى. فقامت إلى التنور وملأته حطبًا وأضرمته لتغالط به الجارات، وأنشدت تقول هذه الأبيات:

سأكتم ما بى من غرامى وأشجانى ... وأضرب نارى كى أغالط جيرانى
وأرضى بما أمضى من الحكم سيدى ... عساهُ يرى ذلى إليه فيرضانى

ثم إن المرأة لما أضرمت النار تخالط الجيران ونهضت هى وزوجها وتوضئا وقاما إلى الصلاة، فإذا امرأة من جاراتها تستأذن فى أن توقد من تنورهما. فقالا لها: شأنك والتنور فلما دنت المرأة من التنور لتأخذ النار نادت: يا فلانة أدركى خبزك قبل أن يحترق.

فقالت: امرأة الرجل لزوجها: أسمعت ما تقول هذه المرأة؟ فقال: قومى وانظرى.

فقامت وتوجهت إلى التنور فإذا هو قد امتلأ من خبز نقى أبيض، فأخذت المرأة الأرغفة ودخلت على زوجها وهى تشكر الله عز وجل على ما أولى من الخير العميم والمن الجسيم فأكلا من الخبز وشربا من الماء وحمدا الله تعالى. ثم قالت المرأة لزوجها: تعالَ ندعُ الله تعالى عساه يمنُّ علينا بشىء يغنينا عن كد المعيشة وتعب العمل ويعيننا به على عبادته والقيام بطاعته، قال لها: نعم، فدعا الرجل ربه وأمنت المرأة على دعائه، فإذا السقف قد انفرج ونزلت ياقوتة أضاء البيت من نورها فزادا شكرًا وثناء وسرا بتلك الياقوتة سروراً كثيرًا وصليا ما شاء الله تعالى.

فلما كان آخر الليل ناما فرأت المرأة فى منامها كأنها دخلت الجنة وشاهدت منابر كثيرة مصفوفة وكراسى منصوبة. فقالت: ما هذه المنابر وما هذه الكراسى؟ فقيل لها:

هذه منابر الأنبياء وهذه كراسى الصديقين والصالحين. فقالت: وأين كرسى زوجى فلان؟ فقيل لها: هذا. فنظرت إليه فإذا فى جانبه ثلم. فقالت: وما هذا الثلم؟ فقيل لها: هذا ثلم الياقوتة النازلة عليكما من سقف بيتكما، فانتبهت من منامها وهى باكية حزينة على نقصان كرسى زوجها بين كراسى الصديقين. فقالت: أيها الرجل ادع ربك أن يرد هذه الياقوتة إلى موضعها فمكابدة الجوع والمسكنة فى الأيام القلائل أهون من ثلم كرسيك بين أصحاب الفضائل. فدعا الرجل ربه فإذا الياقوتة قد طارت صاعدة إلى السقف وهما ينظران إليها. وما زالا على فقرهما وعبادتهما حتى لقيا الله عز وجل.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الحجاج بن يوسف مع الرجل الصالح

قالت شهرزاد: حكى أن الحجاب بن يوسف الثقفى كان يتطلب رجلاً من الأكابر. فلما حضر بين يديه قال: أى عدو الله قد أمكن الله منك. ثم قال: احملوه إلى السجن وقيدوه بقيد ضيق ثقيل وابنوا عليه بيتًا لا يخرج منه ولا يدخل إليه فيه أحد. فأمر بالرجل إلى السجن وأحضر الحداد والقيد وكان الحداد إذا ضرب بمطرقة يرفع الرجل رأسه وينظر إلى السماء ويقول: ألا له الخلق والأمر. فلما فرغ منه بنى السجان عليه البيت وتركه فيه وحيدًا فريدًا فداخله الوجد والذهول، ولسان حاله ينشد ويقول:

يا مراد المريد أنت مرادى ... وعلى فضلك العميم اعتمادى
ليس يخفى عليك ما أنا فيه ... لحظة منك بغيتى واقتصادى
إن أكن مفردًا فذكرك أنسى ... وسميرى إذا مُنعت رقادى
أو تكن راضيًا فلست أبالى ... أنت تدرى بما ترى فى فؤادى

فلما جن الليل أبقى السجان حرسه عنده وذهب إلى بيته، ولما أصبح جاء وتفقد الرجل فإذا القيد مطروحة والرجل ليس له خبر، فخاف السجان وأيقن بالموت فسار إلى منزله وودع

أهله وأخذ كفنه وحنوطه فى كفه ودخل على الحجاج، فلما وقف بين يديه شم رائحة الحنوط، فقال: ما هذا؟ قال: يا مولاى أنا جئت به. قال: وما حملك على هذا؟ فأخبره بخبر الرجل، فقال الحجاج للرجل: ويحك هل سمعته يقول شيئًا؟ قال: نعم، كان إذا ضرب الحداد بالمطرقة ينظر إلى السماء ويقول: الا له الخلق والأمر. فقال الحجاج: أو ما علمت أن الذى ذكره وأنت حاضر سرحه وأنت عنه غائب؟ وقد أنشد لسان الحال فى هذا المعنى وقال:

يا رب كم من بلاء قد ذهبت به عنى ولولاك لم أقعد ولم أقم
فكم وكم من أمور لست أحصرها نجيتنى من بلاها كم وكم وكم

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الرجل الصالح مع الحداد

قالت شهرزاد: حكى أن رجلاً من الصالحين بلغه أن بمدينة كذا وكذا حدادًا يدخل يده فى النار ويأخذ الحديدة المحماة منها بها فلا تعدو عليه النار. فقصد الرجل تلك البلدة يسأل عن الحداد فدُل عليه. فلما نظره وتأمله رآه يصنع ما قد وصف له فأمهله حتى فرغ من عمله وآتاه وسلم عليه وقال له: إنى أريد أن أكون الليلة ضيفك. فقال: حبا وكرامة. فاحتمله إلى منزله وتعشى معه وناما جميعًا، فلم ير له أثر قيام ولا عبادة فقال فى نفسه: لعله يستتر منى. فبات عنده ثانية وثالثة . فرآه لا يزيد على الفرض إلا السنن.

فقال له: يا أخى إنى سمعت عما أكرمك الله به ورأيته باديًا عليك، ثم نظرت إلى اجتهادك فلم أر منك عملا منه تظهر عليك الكرامات فمن أين لك هذا؟ قال: إنى أحدثك بسببه وذلك أنى كنت تولعت بجارية وكنت بها كلفًا فراودتها عن نفسها كثيرًا فلم أقدر عليها لاعتصامها بالورع، فجاءت سنة قحط وجوع وشدة فعُدم الطعام وعظم الجوع. فبينما أنا قاعد إذ قرع الباب فخرجت فإذا هى واقفة، فقالت: يا أخى أصابنى جوع شديد وقد رفعت إليك رأسى لتطعمنى لله. فقلت لها: أما تعلمين ما كان من حبك وما قاسيته من أجلك فأنا لا أطعمك شيئًا حتى تمكنينى من نفسك. فقالت: الموت ولا معصية الله. ثم رجعت وعادت بعد يومين وقالت مثل مقالتها الأولى، وقلت مثل جوابى الأول. فدخلت وقعدت فى البيت وأشرفت على الهلاك. فلما جعلت الطعام بين يديها ذرفت عيناها الدموع، وقالت: أطعمنى لله عز وجل. فقلت: لا والله إلا أن تمكنينى من نفسك. فقالت: الموت خير لى من عذاب الله تعالى فقامت وتركت الطعام وخرجت ولم تأكل شيئًا وجعلت تقول هذه الأبيات:

أيا واحدًا إحسانه شمل الخلقا بسمعك ما أشكو بعينك ما ألقى
فقد صدمتنى شدة وخصاصة ونازلنى ما بعده يمنع النطقا
كأنى ظمآن ترى الماء عينه فلا عينه تروى ولا شربة تسقى
تنازعنى نفسى إلى نيل أكلة لذائذها تفنى وعصيانها يبقى

ثم إنها غابت يومين وأنت تقرع الباب فإذا الجوع قد قطع صوتها. فقالت لى: يا أخى قد أعيتنى الحيل ولا أقدر على إبداء وجهى لأحد من الناس غيرك فهل تطعمنى لله تعالى؟ فقلت: لا إلا أن تمكنينى من نفسك. فدخلت وقعدت فى البيت ولم يكن عندى طعام حاضر. فلما نضج الطعام وجعلته فى القصعة تداركنى الله تعالى بلطفه وقلت لنفسى: ويحك هذه

امرأة ناقصة عقل ودين تمتنع من الطعام ولا قدرة لها على الصبر دونه لما نالها من الجوع وهى ترد المرة بعد الأخرى وأنت لا تنثنى عن معصية الله تعالى. فقلت: اللهم إنى أتوب إليك مما خطر بنفسى.

فقمت بالطعام ودخلت عليها وقلت لها: كلى ولا بأس عليك فإنه لله عز وجل.

فرفعت عينيها إلى السماء وقالت: اللهم إن كان هذا صادقًا فحرم عليه النار فى الدنيا والآخرة إنك على كل شىء قدير. وبالإجابة جدير. فتركتها وقمت لأزيل النار من الكانون وكان الوقت فصل الشتاء والبرد فوقعت جمرة على بدنى فلم أجد لها ألمًا بقدرة الله عز وجل، فوقع فى نفسى أن دعوتها أجيبت. فأخذت الجمرة بكفى فلم تحرقنى، فدخلت عليها وقلت: أبشرى إن الله قد أجاب دعوتك.

فألقت اللقمة من يدها ورفعت برأسها وقالت: اللهم كما أريتنى مرادى فيه وأجبت دعوتى له فاقبض روحى إنك على كل شىء قدير. فقبض الله روحها تلك الساعة رحمة الله عليها، وأنشد لسان الحال فى هذا المعنى وقال:

دعت فأجاب مولاها دعاها ... وتاب على غوى قد دعاها
أراها سؤلها فيه امتنانًا ... وآتاها كما شاءت مُناها
أتته لبابه ترجو نوالاً ... وتقصده لكرب قد عراها
فمال إلى غوايته وأهوى ... لشهوته وأمل منتهاها
قضايا الله أرزاق فمن لا ... تتاح له وتأتيه أتاها

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الرجل العابد

قالت شهرزاد: حكى انه كان فى بنى إسرائيل رجل من العباد المشهورين بالعبادة، المعصومين الموصوفين بالزهادة، وكان إذا دعا ربه أجابه، وإذا سأل أعطاه وآتاه مناه، وكان سياحًا فى الجبال قوام الليل، وكان الله سبحانه وتعالى قد سخر له سحابة تسير معه حيث يسير وتسكب عليه ماء منهمرًا فيتوضأ منها ويشرب، فما زال على ذلك الحال إلى أن اعتراه فتور فى بعض الأوقات فأزال الله عنه سحابته، وحجب عنه إجابته، فكثر لذلك حزنه وطال كمده، وما زال يشتاق إلى زمن الكرامة الممنون بها عليه ويتحسر ويتأسف ويتلهف فنام ليلة من الليالى فقيل له فى نومه: إن شئت أن يرد الله عليك سحابتك فاقصد الملك الفلانى فى بلد كذا وكذا واسأله أن يدعو لك فإن الله سبحانه وتعالى يردها عليك ويسوقها إليك ببركة دعواته الصالحات. وأنشد يقول هذه الأبيات:

اقصد إلى الصالح الأمير ... فى خطبك الواقع الكبير
فإن دعا الله جاء ما قد ... سألت من وابل همير
لقد سما فى الملوك قدرًا ... وجل فيهم عن النظير
وسوف تلقى لديه أمرًا ... يؤذن بالبشر والسرور
فاقطع له البيد والفيافى ... وواصل السير بالمسير

فسار الرجل يقطع الأرض حتى دخل البلدة التى ذكرت له فى المنام، فسأل عن الملك

فدل عليه، فسار إلى قصره فإذا عند باب القصر غلام قاعد على كرسى عظيم وعليه كسوة هائلة، فوقف الرجل وسلم فرد عليه السلام وقال: ما حاجتك؟ قال: أنا رجل مظلوم وقد جئت الملك أرفع قصتى إليه، قال: لا سبيل لك اليوم عليه لأنه قد جعل لأهل المسائل فى الأسبوع يومًا يدخلون عليه فيه وهو كذا وكذا. فسر راشدًا حتى يأتى ذلك اليوم. فأنكر الرجل عليه تحجبه عن الناس، وقال: كيف يكون هذا وليا من أولياء الله وهو على مثل هذه الحال؟ وذهب ينتظر اليوم الذى قيل له عليه.

قال: فلما كان ذلك اليوم الذى ذكره البواب دخلت فوجدت عند الباب أناسًا ينتظرون الإذن لهم فى الدخول، فوقفت معهم إلى أن خرج وزير عليه ثياب هائلة وبين يديه خدم وعبيد، فقال: لتدخل أرباب المسائل، فدخلوا ودخلت فى الجملة، فإذا الملك قاعد وبين يديه أرباب مملكته على قدر مقاديرهم ومراتبهم، فوقف الوزير وجعل يقدم واحدًا بعد واحد، حتى وصلت النوبة إلىَّ، فلما قدمنى الوزير نظر الملك إلى وقال: أهلاً بصاحب السحابة اقعد حتى أفرغ لك.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فتحيرت من قوله واعترفت بمرتبته وفضله. فلما قضى بين الناس وفرغ منهم قام وقام الوزير وأرباب المملكة، ثم أخذ الملك بيدى وأدخلنى إلى قصره فوجدت على باب القصر عبدًا أسود عليه ثياب هائلة وفوق رأسه أسلحة وعن يمينه وشماله دروع وقسى. فقام إلى الملك وسارع لأمره وقضاء حوائجه، ثم فتح اب القصر فدخل الملك ويدى بيده، فإذا بين يديه باب قصير، ففتحه الملك بنفسه ودخل إلى خربة وبناء هائل ثم دخل إلى بيت ليس فيه إلا سجادة وقدح للوضوء وشىء من الخوص. ثم جرد ثيابه التى كانت عليه ولبس جبة خشنة من الصوف الأبيض وجعل على رأسه قلنسوة من لبد، ثم قعد وأقعدنى ونادى: يا فلانة لزوجته. فقالت له: لبيك، قال لها: أتدرين من ضيفنا فى هذا اليوم؟ قالت: نعم هو صاحب السحابة، فقال لها: اخرجى لا عليك منه. فإذا هى امرأة كأنها الخيال ووجهها يتلألأ كالهلال وعليها جبة صوف وقناع.

فقال الملك: يا أخى أتريد أن تعرف خبرنا أو ندعو لك فتتصرف؟ قال: بل أريد أن أسمع خبركما فإنه الأشوق إلى، فقال له: إنه كان آبائى وأجدادى يتداولون المملكة ويتوارثونها كابرًا عن كابر إلى أن ماتوا ووصل الأمر إلى، فبغض الله ذلك لى فأردت أن أسيح فى الأرض وأترك أمر الناس لأنفسهم، ثم إنى خفت عليهم من دخول الفتنة وتضييع الشرائع وتشتيت شمل الدين فتركت الأمر على ما كان عليه وجعلت لكل رأس منهم جراية بالمعروف ولبست ثياب الملك وأقعدت العبيد على الأبواب إرهابًا لأهل الشر وذبا عن أهل الخير وإقامة للحدود. فإذا فرغت من ذلك كله دخلت منزلى ولبست ما ترى وهذه ابنة عمى وافقتنى على الزهادة وساعدتنى على العبادة، فنعمل من هذا الخوص بالنهار ما نفطر به عند الليل، وقد مضى علينا ونحن على هذه الحالة نحو أربعين سنة، فأقم معنا يرحمك الله، حتى نبيع خوصنا وتفطر معنا وتبيت عندنا ثم تتصرف بعد ذلك بحاجتك إن شاء الله تعالى.

فلما كان آخر النهار أتى غلام خماسى ودخل فأخذ ما عملاه من الخوص وسار به إلى

السوق فباعه بقيراط واشترى به خبزًا وفولاً وأتى بهما فأفطرت معهما ونمت عندهما، فقاما من نصف الليل يصليان ويبكيان. فلما كان السحر قال الملك: اللهم إن هذا عبدك يطلب منك أن ترد سحابته عليه وأنت على ذلك قدير، اللهم أره إجابته واردد عليه سحابته، وأمنت المرأة، فإذا السحابة قد نشأت في السماء، فقال لي: البشارة، فودعتهما وانصرفت والسحابة تسير معى أينما اتجهت كما كانت، فأنا بعد ذلك لا أسأل الله تعالى بحرمتها شيئًا إلا أجابني وأنشأت أقول هذه الأبيات.

وإن لربى صفوة من عبيده ... قلوبهم فى روض حكمته تجرى
وأبدانهم قد أسكنت حركاتها ... لما فى صدور القوم من خالص السر
تراهم صموتًا خاشعين لربهم ... بحيث يرون الغيب بالغيب كالجهر

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية بعض الصحابة فى خلافة عمر بن الخطاب

قالت شهرزاد: حكى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - جهز جيشًا من المسلمين تجاه العدو قبل الشام، فحاصروا حصنًا من حصونهم حصارًا شديدًا، وكان فى المسلمين رجلان أخوان قد أتاهما الله حدة وجرأة على العدو. وكان أمير ذلك الحصن يقول لأقياله ومن بين يديه من أبطاله: لو أن هذين المسلمين ختلا أو قتلا لكفيتكم من سواهما من المسلمين. فما زالوا ينصبون لهما المصايد، ويحتالون عليهما بالمكايد ويجعلون المكامن، ويكثرون الكوامن، إلى أن أخذ أحد الأخوين أسيرًا وقتل الأخ الآخر شهيدًا، فاحتمل المسلم الأسير إلى أمير ذلك الحصن.

فلما نظر الأمير إليه قال: إن قتل هذا لمصيبة وإن رجوعه إلى المسلمين لكريهة وودت لو يدخل فى دين النصرانية عونًا وعضدًا. فقال بطريق من بطارقته: أيها الأمير أنا أجعله يرتد عن دينه، فلى بنت لها جمال وكمال فلو رآها لدخل فى دين النصرانية ليمكنه أن يتزوج بها، فقال: هو مسلم إليك فاحمله. فحمله إلى منزله وألبس الصبية من الثياب ما زاد فى زينتها، وجمالها وجاء بالرجل وأدخله المنزل وأحضر الطعام ووقفت الصبية النصرانية بين يديه كالخادمة المطيعة لسيدها تنتظر أن يأمرها بأمر تمتثله فلما رأى المسلم ما نزل به اعتصم بالله وغض بصره واشتغل بعبادة ربه وقراءة القرآن وكان له صوت حسن وقريحة مؤثرة فى النفس فأحبته الصبية النصرانية حبا شديدًا وما زال كذلك سبعة أيام حتى صارت تقول: ليته يرضى بدخولى فى الإسلام.

فلما عيل صبرها وضاق صدرها ترامت بين يديه وقالت: أسألك بدينك الا ما سمعت كلامى، فقال: وما كلامك؟ قالت: اعرض على الإسلام، فعرضه عليها وأسلمت وعلمها كيف تصلى، فلما فعل ذلك قالت: يا أخى إنما كان دخولى فى الإسلام بسببك، فقال لها: إن الإسلام يمنع من الزواج إلا بشاهدين عدلين ومهر وولى، وأنا لا أجد الشاهدين ولا الولى ولا المهر، فلو تحيلت فى خروجنا من هذا الموضع لرجوت الوصول إلى دار الإسلام وأعاهدك أن لا يكون لى زوجة فى الإسلام غيرك فقالت الصبية النصرانية: أنا أحتال لذلك.

ثم دعت أباها وأمها وقالت لهما: إن هذا المسلم قد لان قلبه ورغب فى الدخول إلى الدين وقد عرضت عليه نفسى، فقال: إن هذا لا يتفق فى بلد قتل فيه أخى فلو خرجت منه ليتسلى قلبى فعلت ما هو المراد منى، ولا بأس أن تخرجانى معه إلى بلد آخر فإنى ضامنة لكما وللملك ما تريدونه، فمشى والدها إلى أميرهم وعرفه، فسر بذلك سرورًا كبيرًا وأمر بإخراجها معه إلى القرية التى ذكرت فخرجا، فلما وصلا إلى القرية وبقيا يومهما وجن الليل عليهما أخذا فى الرحيل وقطع السبيل كما قال بعضهم:

وقالوا قد دنا من رحيل ... فقلت وكم أهدد بالمحيل
وما لى غير جوب القفر شغل ... وقطع الأرض ميلاً بعد ميل
لئن ظعن الأحبة نحو أرض ... رجعت بها من أبناء السبيل
واجعل نحوهم شوقى دليلا ... فتهدينى الطريق بلا دليل

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

قالت شهرزاد: ثم إن المسلم الأسير والصبية سارا ليلتهما تلك وكان الشاب قد ركب جوادًا سابقًا وأردفها خلفه، فما زال يقطع الأرض حتى قرب الصباح فمال بها عن الطريق وأنزلها وتوضأ وصليا الصبح، فبينما هما كذلك إذ سمعا قعقعة السلاح وصلصلة اللجم، وكلام الرجال وحوافر الخيل، فقال لها: يا فلانة هذا تبع النصارى قد أدركنا فما تكون الحيلة والفرس قد كل ومل حتى لا يقدر يخطو باعًا، فقالت: ويحك أفزعت وخفت؟

قال: نعم، قالت: فأين ما كنت تحدثنى به من قدرة ربك وغياثه للمستغيثين تعال نتضرع إليه وندعوه لعله يغيثنا بغياثه ويتداركنا بلطفه سبحانه وتعالى. فقال: نعم والله ما قلت: فأخذوا فى التضرع إلى الله تعالى وجعل ينشد ويقول هذه الأبيات:

إنى إليك مدى الساعات محتاج ... لو كان فى مفرقى الإكليل والتاج
وأنت حاجتى الكبرى فلو ظفرت ... بما أردت يدى لم يبق لى حاج
وليس عندك شىء أنت مانعه ... بل سيل جودك سيال وثجاج
لكننى أنا محجوب بمعصيتى ... ونور عفوك يا ذا الحلم وهاج
يا فارج الهم فرج ما بليت به ... فمن سواك لهذا الهم فراج

فبينما هو يدعو والجارية تؤمن على دعائه ووجيف الخيل يقرب منهما إذ سمع الفتى كلام أخيه الشهيد المقتول وهو يقول: يا أخى لا تخف ولا تحزن فالوفد وفد الله وملائكته أرسلهم إليكما ليشهدوا عليكما فى الزواج، وأن الله تعالى قد باهى بكما ملائكته وأعطاكما أجر السعداء والشهداء وطوى لكما الأرض وإنك تصبح بجبال المدينة، فإذا اجتمعت بعمر بن الخطاب رضى الله عنه فاقرأ عليه السلام منى وقل له: جزاك الله عن الإسلام خيرًا فلقد نصحت واجتهدت، ثم رفعت الملائكة أصواتها بالسلام عليه وعلى زوجته وقالوا: إن الله زوجها منك قبل أن يخلق أباكما آدم عليه السلام بألفى عام فغشيهما البشر والسرور والأمن والحبور، وزاد اليقين، وثبتت هداية المتقين.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: ولما طلع الفجر وصليا الصبح وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يغلس بصلاة الصبح وربما دخل المحراب وخلفه رجلان فيبتدئ بسورة الأنعام أو بسورة النساء فينتبه الراقد ويتوضأ المتوضئ ويأتى البعيد فما يتم الركعة الأولى إلا والمسجد قد امتلأ من الناس فيصلى الركعة الثانية بسورة خفيفة يوجز فيها، فلما كان ذلك اليوم صلى فى أول ركعة بسورة خفيفة أوجز فيها وفى الثانية كذلك، فلما سلم نظر إلى أصحابه وقال: اخرجوا بنا لنلقى العروسين، فتعجب أصحابه ولم يفهموا كلامه فتقدم وهم خلفه حتى خرج إلى باب المدينة، وكان الشاب عندما ظهر له النور ورأى أعلام المدينة أقبل نحو الباب وزوجته خلفه فلقيه عمر والمسلمون فسلموا عليه. فلما دخلوا المدينة أمر عمر رضى الله عنه أن تصنع وليمة إكرامًا للعروسين، فحضر المسلمون وأكلوا وشربوا، ورزق الله تعالى الزوجين أولادًا يقاتلون فى سبيل الله ويحفظون أنسابهم لفخرهم، وما أحسن ما قيل فى هذا المعنى:

أراك على الأبواب تبكى وتشتكى ... وما لك دون الطالبين جواب
أصابتك عين أم دهتك ملمة ... فصدك عن باب الحبيب حجاب
صح اليوم يا مسكين والهج بذكره ... وتب مثل ما تاب الورى وأنابوا
عسى مطر الغفران يغسل ما مضى ... ويهمى بأرياب الذنوب ثواب
فقد يفلت المأسور وهو مقيد ... ويعتق من سجن العقاب رقاب

وما زالوا فى أرغد عيش وأتم سرور إلى أن آتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية إبراهيم بن الخواص مع ابنة الملك

قالت شهرزاد: حكى أن سيدى إبراهيم بن الخواص رحمة الله عليه قال: طالبتنى نفسى فى وقت من الأوقات بالخروج إلى بلاد الروم فكففتها فلم تكف وتكتف، وعملت على نفى هذا فلم ينتف، فخرجت أخترق ديارها وأجول أقطارها والعناية تكتنفنى والرعاية تلحفنى، لا ألقى نصرانيا إلا غض نظره عنى، وتباعد منى، إلى أن أتيت مصرًا من الأمصار فوجدت عند بابها جماعة من العبيد عليهم الأسلحة وبأيديهم مقامع الحديد، فلما رأونى قاموا على القدم وقالوا لى: أطبيب أنت قلت: نعم فقالوا: أجب الملك.

واحتملونى إليه، فإذا هو ملك عظيم، ذو وجه وسيم، فلما دخلت عليه نظر إلى وقال: أطبيب أنت؟ قلت: نعم، فقال: احملوه إليها، وعرفوه بالشرط قبل دخوله عليها، فأخرجونى وقالوا لى: إن للملك ابنة قد أصابها إعلال شديد وقد أعيا الأطباء علاجها، وما من طبيب دخل عليها وعالجها ولم يفد طبه إلا قتله الملك فانظر ماذا ترى؟ فقلت لهم: إن الملك ساقنى إليها فادخلونى عليها.

فاحتملونى إلى بابها، فلما وصلت قرعوه فإذا هى تنادى من داخل الدار، ادخلوا على الطبيب، صاحب السر العجيب. وأنشدت تقول:

افتحوا الباب فقد جاء الطبيب ... وانظروا نحوى فى سر عجيب

فلكم مقترب مبتعد ولكم مبتعد وهو قريب
كنت فيما بينكم في غربة فأراد الحق أنسي بقريب
جمعتنا نسبة دينية فتراءينا محب وحبيب
ودعاني للتلاقي إذ دعا حجب العاذل عنا والرقيب
فاتركوا عذلي وخلوا لومكم إنني يا ويحكم لست أجيب
لست ألوي نحو فان غائب إنما قصدي باق لا يغيب

فإذا شيخ كبير قد فتح الباب بسرعة، وقال: ادخل. فدخلت فإذا بيت مبسوط بأنواع الرياحين وستر مضروب في زاويته ومن خلفه أنين ضعيف، يخرج من هيكل نحيف. فجلست بإزاء الستر وأردت أن أسلم فتذكرت قول الرسول ﷺ " لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام إذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه ". فامسكت، فنادت من داخل الستر، أين سلام التوحيد والإخلاص يا خواص؟ فتعجبت من ذلك وقلت: من أين عرفتني؟ فقالت: إذا صفت القلوب والخواطر أعربت الألسن عن مخبآت الضمائر، وقد سألته البارحة أن يبعث إلى وليا من أوليائه يكون لي على يديه الخلاص، فنوديت من زوايا بيتي: لا تحزني إنا سنرسل إبراهيم الخواص.

فقلت لها: ما خبرك؟ فقالت لي: أنا منذ أربع سنين قد لاح لي الحق المبين فهو المحدث والأنيس، والمقرب والجليس، فرمقني قومي بالعيون، وظنوا بي الظنون ونسبوني إلى الجنون، فما دخل علي طبيب منهم إلا أوحشني، ولا زائر إلا ادهشني فقلت: ومن دلك على ما وصلت إليه؟ قالت: براهينه الواضحة، وآياته اللائحة، وإذا وضح لك السبيل، شاهد المدلول والدليل.

فبينما أنا أكلمها إذ جاء الشيخ الموكل بها وقال لها: ما فعل طبيبك؟ قالت: عرف العلة وأصاب الدواء، فظهر لي منه البشر والسرور، وقابلني بالبر والحبور. وسار إلى الملك وأخبره، فحضه الملك على إكرامي، فبقيت أختلف إليها سبعة أيام فقالت: يا أبا إسحاق متى تكون الهجرة إلى دار الإسلام؟ فقلت: كيف يكون خروجك ومن يتجاسر عليه؟ فقالت: الذي أدخلك على وساقك إلي. فلما كان الغد خرجنا على باب الحصن وحجب عنا العيون من أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون. فمارأيت في حياتي أصبر منها على الصيام والقيام، فجاورت بيت الله الحرام سبعة أعوام، ثم قضت نحبها وكانت أرض مكة تربتها أنزل الله عليها الرحمات، ورحم الله من قال هذه الأبيات:

ولما أتوني بالطبيب وقد بدت دلائل من دمع سفوح ومن سقم
نضا الثوب عن وجهي فلم ير تحته سوى نفس من غير روح ولا جسم
فقال لهم: ذا قد تعذر برؤه وللحب سر ليس يدرك بالوهم
فقالوا إذا لم تعلم الناس ما به ولم يك تعريف بحد ولا رسم
فكيف يكون الطب فيه مؤثرا دعوني فإني لست أحكم بالوهم

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆◆◆

حكاية نبي من الأنبياء

قالت شهرزاد: حكى أن نبيا من الأنبياء كان يتعبد في جبل مرتفع وتحته عين ماء، فكان

بالنهار يقعد على الجبل، فبينما هو ذات يوم قاعد ينظر إلى العين إذ بصر بفارس قد أقبل ونزل عن فرسه ووضع جرابًا كان فى عنقه واستراح وشرب من الماء ثم راح وترك الجراب وكان فيه دنانير، وإذا رجل قد أقبل وأراد العين فأخذ الجراب بالمال وانصرف سالمًا، فجاء بعده رجل حطاب وهو حامل حزمة ثقيلة على ظهره وقعد على العين يشرب من الماء فإذا الفارس الأول قد أقبل لهفان وقال للحطاب: أين الجراب الذى كان هنا؟ فقال: لا أدرى له خبر فجذب الفارس سيفه وضرب الحطاب فقتله وفتش فى ثيابه فلم يجد شيئًا فتركه وسار إلى حال سبيله.

فقال ذلك النبى: يا رب واحد أخذ ألف دينار وآخر قتل مظلومًا؟ فأوحى الله إليه أن: اشتغل بعبادتك فإن تدبير المملكة ليس من شأنك، إن والد هذا الفارس كان قد غصب ألف دينار من مال هذا الرجل فمكنت الولد من مال أبيه، وإن الحطاب كان قد قتل والد هذا الفارس فمكنت الولد من القصاص. فقال ذلك النبى: لا إله إلا أنت سبحانك أنت علام الغيوب. وأنشد بعضهم فى هذا المعنى:

رأى النبى الذى قد كان بالبصر	فصار يسأل عما كان من خبر
إذ شاهدت عينه ما ليس يفهمه	فقال يا رب ماذا والقتيل برى
هذا أصاب الغنى من دون ما تعب	وكان لما بدا فى زى مفتقد
وذاك قد صار ميتًا بعد عيشته	من غير ذنب جرى يا خالق البشر
إن الدراهم كانت مال والد من	رأيته قد أتى إرثًا بلا كدر
وكان قد قتل الحطاب والد ذا	فاقتص منه ابنه إذ فاز بالظفر
دع عنك يا عبدنا هذا فإن لنا	فى الخلق سرا خفى عن حدة النظر
سلم لأحكامنا واخضع لعزتنا	فحكمنا قد جرى بالنفع والضرر

حكاية الملاح الصالح

حكى أن رجلاً من الصالحين قال: كنت ملاحًا بنيل مصر أعبر من الجانب الشرقى إلى الجانب الغربى. فبينما أنا ذات يوم من الأيام قاعد فى الزورق إذا بشيخ ذى وجه مشرق قد وقف على وسلم، فرددت عليه السلام. فقال: تحملنى لله تعالى؟ قلت:

نعم. قال: وتطعمنى لله؟ قلت نعم. فصعد الزورق وعبرت به إلى الجانب الشرقى وكان عليه مرقعة وبيده ركوة وعصا. فلما أراد الشيخ النزول قال لى: إنى أريد أن أحملك أمانة. فقلت له: وما هى هذه الأمانة؟ قال: إذا كان الغد وألهمت أن تأتينى وقت الظهر وأتيت ووجدتنى تحت تلك الشجرة ميتًا فغسلنى وكفنى فى الكفن الذى تحت رأسى وادفنى بعد الصلاة على فى هذا الرمل وأمسك المرقعة والركوة والعصا، فإذ جاءك من يطلبهن فادفعهن له.

فتعجبت من قوله وبت ليلتى تلك. ثم أصبحت أنتظر الوقت الذى ذكره لى. فلما جاء وقت الظهر نسيت ما قال: ثم ألهمت بوقت العصر فسرت بسرعة فوجدته تحت الشجرة ميتًا ووجدت كفنًا جديدًا عند رأسه تفوح منه رائحة المسك، فغسلته وكفنته وصليت عليه وحفرت له قبرًا ودفنته، ثم عبرت النيل وجئت الجانب الغربى ليلا ومعى المرقعة والركوة والعصا. فلما لاح الصباح وفتح باب البلد بصرت بشاب أصله شاطر كنت أعرفه عليه ثياب رقيقة وفى يده أثر حناء، فأتى حتى وصل إلى وقال أنت فلان؟ قلت: نعم، قال هات الأمانة؟ فقلت: وما هى:

قال: المرقعة والركوة والعصا. فقلت:

ومن ذلك بهن؟ قال: لا أدرى غير أنى بت البارحة فى عرس فلان وسهرت أغنى إلى أن جاء وقت الصبح فنمت لأستريح فإذا شخص قد وقف على وقال لى: إن الله تعالى قد قبض روح فلان الولى وأقامك مقامه فسر إلى فلان المعدى وخذ منه مرقعته وركوته وعصاه فإنه قد وضعها لك عنده. قال: فاخرجتها ودفعتها له، فنضا ثيابه ثم لبسها وسار وتركنى. فبكيت لما حرمت من ذلك فلما جنَّ الليل على نمت فرأيت رب العزة تبارك وتعالى فى المنام، فقال: يا عبدى أثقل عليك أنى مننت على عبد من عبادى بالرجوع إلى إنما هو فضلى أوتيه من أشاء وأنا على كل شيء قدير. فأنشدت هذه الأبيات:

ما للمحب مع الحبيب مرام	كل اختيارك لو عرفت حرام
إن شاء وصلك منة وتعطفا	أو صد عنك فما عليه ملام
إن لم تكن بصدوده متلذذاً	فادرج فما لك فى المقام مقام
أو لم تميز قربه من بعده	فلأنت خلف والهوى قدام
إن كان ملكك الغرام حشاشتى	أو قادنى للقتل فيك زمام
فاهجر وصد وصل فذلك واحد	ليس الوقوف مع الحظوظ يلام
ما القصد فى حبى إليك سوى الرضا	فإذا رأيت البعد فهو قوام

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الرجل الصالح من بنى إسرائيل

قالت شهرزاد: مما يحكى أن رجلاً من خيار بنى إسرائيل كان كثير المال وله ولد صالح مبارك فحضرت الرجل الوفاة فقعد ولده عند رأسه، وقال: يا سيدى أوصنى فقال: يا بنى لا تحلف بالله باراً ولا فاجراً. ثم مات الرجل وبقى الولد بعد أبيه. فتسامع به فساق بنى إسرائيل فكان الرجل يأتيه فيقول: لى عند والدك كذا وكذا وأنت تعلم بذلك أعطنى ما فى ذمته وإلا فاحلف. فيقف الولد مع الوصية ويعطيه جميع ما طلبه، فما زالوا به حتى فنى ماله واشتد إقلاله. وكان للولد زوجة صالحة مباركة وله منها ولدان صغيران.

فقال لها: إن الناس قد أكثروا طلبى وما دام معى ما أدفع به عن نفسى بذلته، والآن لم يبق لنا شيء فإن طالبنى مطالب امتحنت أنا وأنت، فالأولى أن نفوز بأنفسنا ونذهب إلى موضع لا يعرفنا فيه أحد ونتعيش بين أظهر الناس. فركب بها البحر وبولديه وهو لا يعرف أين يتوجه والله يحكم لا معقب لحكمه ولسان الحال يقول:

يا خارجا خوف العدى من داره	واليسر قد وافاه عند فراره
لا تجزعن من البعاد فربما	عز الغريب بطول بعد مزاره
لو قد أقام الدر فى أصدافه	ما كان تاج الملك بيت قراره

فانكسرت السفينة وخرج الرجل على لوح وخرجت المرأة على لوح وخرج كل ولد على لوح وفرقتهم الأمواج، فحصلت المرأة فى بلدة وحصل أحد الولدين فى بلدة أخرى والتقط الولد الآخر أهل سفينة فى البحر وأما الرجل فقذفته الأمواج إلى جزيرة منقطعة وخرج إليها

فتوضأ من البحر وأذن وأقام الصلاة.

فإذ قد خرج من البحر أشخاص بألوان مختلفة فصلوا معه، ولما فرغ قام إلى شجرة فى الجزيرة فأكل من ثمرها فزال عنه جوعه، ثم وجد عين ماء فشرب منها وحمد الله عز وجل ويقى ثلاثة أيام يصلى وتخرج أقوام يصلون مثل صلاته، وبعد مضى الأيام الثلاثة سمع مناديًا يناديه أن يا أيها الرجل الصالح البار بأبيه المجل قدر ربه لا تحزن إن الله عز وجل مخلف عليك ما خرج من يدك فإن فى هذه الجزيرة كنوزًا وأموالاً ومنافع يريد الله أن تكون لها وارثًا وهى فى موضع كذا وكذا. فاكشف عنها وإنا لنسوق إليك السفن فأحسن إلى الناس وادعهم إليك فإن الله عز وجل يميل قلوبهم إليك.

فقصد ذلك الموضع من الجزيرة وكشف الله له عن تلك الكنوز وصارت أهل السفن تتردد عليه فيحسن إليهم إحسانًا عظيمًا ويقول لهم: لعلكم تدلون علىَّ الناس فإنى أعطيهم كذا وكذا، فصار الناس يأتونه من الأقطار والأماكن، فما مضت عليه عشر سنين إلا والجزيرة قد عمرت والرجل قد صار ملكها لا يأوى إليه أحد إلا أحسن إليه.

وشاع ذكره فى الأرض، بالطول والعرض وكان ولده الأكبر قد وقع عند رجل علمه وأدبه، والآخر قد وقع عند رجل رباه وأحسن تربيته وعلمه طرق التجارة والمرأة قد وقعت عند رجل من التجار ائتمنها على ماله وعاهدها على أن لا يخونها وأن يعينها على طاعة الله وكان يسافر بها فى السفينة ويستصحبها إلى أى موضع أراد.

فسمع الولد الكبير بصيت ذلك الملك فقصده وصار إليه وهو لا يعلم من هو، فلما دخل عليه أخذه وائتمنه على سره وجعله كاتبًا له، وسمع الولد الآخر بذلك الملك العادل الصالح فقصده وصار إليه وهو لا يعلم من هو أيضًا، فلما دخل عليه وكله على النظر فى أموره وبقيا مدة من الدهر فى خدمته وكل واحد منهم لا يعلم بصاحبه.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: وسمع الرجل التاجر الذى عنده المرأة بذلك الملك وبره للناس وإحسانه إليهم فأخذ جانبًا من الثياب الفاخرة ومما يستظرف من تحف البلاد وأتى بسفينة والمرأة معه حتى وصل إلى شاطئ الجزيرة، ونزل التاجر إلى الملك وقدم له هديته فنظرها الملك وسر بها سروراً كثيراً وأمر للرجل بجائزة سنية.

وكان فى الهدية عقاقير أراد الملك من التاجر أن يعرفها له بأسمائها ويخبره بمصالحها فقال الملك للتاجر: أقم الليلة عندنا قال: إن لى فى السفينة وديعة عاهدتها أن لا أكل أمرها إلى غيرها وهى امرأة صالحة تيمنت بدعائها وظهرت لى البركة فى آرائها. فقال الملك: سأبعث إليها أمناء يبيتون عليها ويحرسون كل ما لديها، فأجابه لذلك ويقى عند الملك، ووجه الملك كاتبه ووكيله إليها وقال لهما: اذهبا فاحرسا سفينة هذا الرجل الليلة إن شاء الله تعالى، فسارا وصعدا إلى السفينة وقعد هذا على مؤخرها وهذا على مقدمها وذكرا الله عز وجل برهة من الليل، ثم قال أحدهما للآخر: يا فلان إن الملك قد أمرنا بالحراسة ونخاف النوم فتعال نتحدث بأخبار الزمان وما رأيناه من الخير والامتحان، فقال الآخر: يا أخى أما أنا فمن امتحانى أن فرق الدهر بينى وبين أبى وأمى وأخ لى كانه اسمه كاسمك. والسبب فى ذلك أنه ركب والدنا

البحر من بلد كذا وكذا فهاجت علينا الرياح واختلفت فكسرت السفينة وفرق الله شملنا. فلما سمع الآخر ذلك قال: وكيف كان اسم والدتك يا أخى؟ قال: فلانة قال: وما اسم والدك: قال فلان. فترامى الأخ على أخيه وصاح قائلاً: أنت أخى والله حقا وجعل كل واحد منهما يحدث أخاه بما جرى عليه فى صفره والأم تسمع الكلام ولكنها كتمت أمرها وصبرت نفسها.

فلما طلع الفجر قال أحدهما للآخر: سر يا أخى نتحدث فى منزلى، قال: نعم. فسارا وأتى الرجل فوجد المرأة فى كرب شديد فقال لها: ما دهاك وما أصابك؟ قالت: بعثت إلى الليلة من أرادنى بالسوء وكنت منهما فى كرب شديد.

فغضب التاجر وتوجه إلى الملك وأخبره بما فعل الأمينان، فأحضرهما الملك بسرعة وكان يحبهما لما تحقق فيهما من الأمانة والديانة. ثم أمر بإحضار المرأة حتى تذكر ما كان منهما مشافهة فجىء بها وأحضرت، فقال لها: أيتها المرأة ماذا رأيت من هذين الأمينين؟

فقالت: أيها الملك أسألك بالله العظيم، رب العرش الكريم، إلا ما أمرتهما أن يعيدا كلامهما الذى تكلما به البارحة. فقال لهما الملك: قولا ما قلتماه ولا تكتما منه شيئًا فأعادا كلامهما، وإذ الملك قام من فوق سريره وصاح صيحة عظيمة وترامى عليهما واعتنقهما وقال: والله أنتما ولداى حقا فكشفت المرأة عن وجهها وقالت: أنا والله أمهما.

فاجتمعوا جميعًا وصاروا فى ألذ عيش وأهناه، إلى أن أبادهم الموت. فسبحان من إذا قصده العبد نجاه. ولم يخيب ما أمله فيه ورجاه. وما أحسن ما قيل فى هذا المعنى.

لكل شىء من الأشياء ميقات ... والأمر فيه أخى محو وإثبات
لا تجزعن لأمر قد دهيت به ... فقد أتانا بيسر العسر آيات
ورب ذى كربة باتت مضرتها ... تبدو وباطنها فيه المسرات
وكم مهان عيون الناس تشنؤه ... من الهوان تغشته الكرامات
هذا الذى ناله كرب وكابده ... ضر وحلت به فى الوقت آفات
وفرق الدهر منه شمل ألفته ... فكلهم بعد طول الجمع أشتات
أعطاه مولاه خيرًا ثم جاء بهم ... وفى الجميع إلى المولى إشارات
سبحان من عمت الأكوان قدرته ... وأخبرت بتدانيه الدلالات
فهو القريب ولكن لا يكيفه ... عقل وليست تدانيه المسافات

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية أبى الحسن الدراج مع أبى جعفر المجذوم

قالت شهرزاد: حكى أن أبا الحسن الدراج قال: كنت كثيرًا ما آتى مكة زادها الله شرفًا، وكان الناس يتبعوننى لمعرفتى بالطريق وحفظ المناهل. فاتفق فى عام من الأعوام أنى أردت الوصول إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، وقلت فى نفسى: أنا عارف بالطريق فأذهب وحدى. ومشيت حتى وصلت إلى القادسية فدخلتها وأتيت المسجد فرأيت رجلاً مجذومًا قاعدًا فى المحراب، فلما رآنى قال: يا أبا الحسن أسألك الصحبة إلى مكة؟ فقلت فى نفسى: إنى فررت من الأصحاب وكيف أصحب المجذومين ثم قلت له: إنى لا

أصحب أحدًا. فسكت عنى فلما أصبح الصباح مشيت فى الطريق وحدى، ولم أزل منفردًا حتى وصلت إلى العقبة ودخلت المسجد. فلما دخلته وجدت الرجل المجذوم فى المحراب فقلت فى نفسى: سبحان الله كيف سبقني هذا إلى ههنا، فرفع رأسه إلى وتبسم وقال: يا أبا الحسن يصنع الضعيف ما يتعجب منه القوى، فبت تلك الليلة متحيرًا مما رأيت. فلما أصبحت سلكت الطريق وحدى، فلما وصلت إلى عرفات وقصدت المسجد إذا الرجل قاعد فى المحراب فتراميت عليه وقلت له: يا سيدى أسألك الصحبة وجعلت أقبل قدميه، فقال: ليس لى إلى ذلك سبيل. فجعلت أبكى وأنتحب لما حرمت من صحبته، فقال: هون عليك فإنه لا ينفعك البكاء وإجراء العبرات.

ثم أنشد هذه الأبيات:

أتبكى على بعدى ومنك جرى البعد	وتطلب ردا حين لا يمكن الرد
نظرت إلى ضعفى وظاهر علتى	وقلت سقيم لا يروح ولا يغدو
ألم تر أن الله جل جلاله	يمن بلطف ما تخيله العبد
لئن كنت فى رأى العيون كما ترى	وبالجسم من فرط الزمانة ما يبدو
وليس معى زاد يوصلنى إلى	محل به يأتى إلى سيدى الوفد
فلى خالق الطافه بى خفية	وليس له ند ولا منه لى بد
فسر سالما عنى ودعنى وغربتى	فإن الغريب الفرد يؤنسه الفرد

فانصرفت من عنده وكنت بعد ذلك لا آتى منهلا إلا وجدته قد سبقنى. فلما وصلت إلى المدينة غاب عنى أثره وعمى على خبره، فلقيت أبا يزيد البسطامى وأبا بكر الشبلى وطوائف الشيوخ وأخبرتهم بقصتى وشكوت إليهم قضيتى فقالوا: هيهات أن تنال بعد ذلك صحبته، هذا أبو جعفر المجذوم بحرمته تستسقى الأنواء، وببركته يستجاب الدعاء.

فلما سمعت منهم هذا الكلام زاد شوقى إلى لقائه وسألت الله أن يجمعنى عليه، فبينما أنا واقف بعرفات فإذا بجاذب يجذبنى من خلفى، فالتفت إليه فإذا هو ذلك الرجل فلما رأيته صحت صيحة عظيمة ووقعت مغشيا على، فلما أفقت ما وجدته فزاد وجدى لذلك وضاقت على المسالك، وسألت الله تعالى رؤيته، فلم يكن إلا أيام قلائل وإذا به يجذبنى من خلفى فالتفت إليه فقال: عزمت عليك أن تأتينى وتسأل حاجتك فسألته أن يدعو لى ثلاث دعوات: الأولى: أن يحبب الله إلى الفقر، والثانية أن لا أبيت على رزق معلوم والثالثة: أن يرزقنى النظر إلى وجهه الكريم. فدعا لى هذه الدعوات وغاب عنى.

وقد استجاب الله دعاءه لى، أما الأولى فإن الله حبب إلى الفقر فوالله ما فى الدنيا شىء هو أحب إلى منه وأما الثانية فإنى منذ كذا سنة ما بت على رزق معلوم ومع ذلك لا يحوجنى الله إلى شىء، وإنى لأرجو أن يمن الله على بالثالثة ويكون قد أجاب فيها كما أجاب فى الاثنتين قبلها إنه كريم مفضال، ورحم الله من قال:

زى الفقير تبذل ووقار	ولباسه الخلقان والأطمار
والاصفرار يزينه ولا ربما	بسرارها تتزين الأقمار
قد شفه طول القيام بليله	ودموعه من جفنه مدرار

فأتيـتـه فى داره لتكـاره — وجليسـه فى ليله الجبـار
إن الفقيـر به يفـاك الملتجى — وكـذلك الأنهـار والأطيـار
ولأجلـه يجـرى الإلـه بـلاءه — ويفـضلـه تتـنـزل الأمطار
وإذا دعـا يومًـا بكشف ملمـة — هلك الظلـوم وعطـل الجبـار
فالخلق أجمعهم مريض مدنف — وهو الطبيب المشفق المدرار
سيمـاه تبدو إن نظرت لوجهه — صفت القلوب ولاحت الأنوار
يا رغبـا عنهم ولم تر فضلهم — حجبتك ويحك عنهم الأوزار
ترجو لحاقهم وأنت مقيد — قد أخرتك عن المنى أوزار
لو كنت تعرف قدرهم لأجبتهم — وجرت لهم من جفنك الأنهار
أنى إلى المزكوم شم أزاهر — الثوب يعرف قدره السمسار
فاسرع إلى مولاك واسأل وصله — فعسى تساعد سعيك الأقدار
وتراح من فرط التباعد والقلى — وتنال ما تهوى وما تختار
فجنانه رحب لكل مؤمل — وهو الإله الواحد القهار

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية حاسب كريم الدين بن دانيال الحكيم

قالت شهرزاد: حكى أنه كان فى قديم الزمان، وسالف العصر والأوان، حكيم من حكماء اليونان وكان ذلك الحكيم يسمى دانيال، وكان له تلامذة وجنود. وكانت حكماء اليونان يذعنون لأمره ويعولون على علومه، ومع هذا لم يرزق ولدًا ذكرًا، فبينما هو ذات ليلة من الليالى يفتكر بنفسه ويبكى على عدم ولد يرثه فى علومه من بعده إذ خطر بباله أن الله سبحانه يجيب دعوة من إليه أناب، وأنه ليس على باب فضله بواب، ويرزق من يشاء بغير حساب، ولا يرد سائلاً إذا سأله بل يجزل الخير والإحسان له، فسأل الله تعالى الكريم أن يرزقه ولدًا يخلفه من بعده ويجزل له الإحسان من عنده.

فاستجاب الله دعاءه وحملت امرأته، ثم بعد أيام سافر إلى مكان فى مركب فانكسر به المركب وراحت كتبه فى البحر وطلع هو على لوح من تلك السفينة وكان معه خمس ورقات بقيت من الكتب التى وقعت منه فى البحر، فلما رجع إلى بيته وضع تلك الأوراق فى صندوق وقفل عليها وكانت زوجته قد ظهر عليها حملها. فقال لها: اعلمى أن قد دنت وفاتى وقرب انتقالى من دار الفناء إلى دار البقاء. وأنت حامل فربما تلدين بعد موتى صبيا ذكرًا، فإذا وضعته فسمه حاسبًا كريم الدين وربيه أحسن التربية، فإذا كبر وقال لك: ما خلف لى أبى من الميراث؟ فأعطه هذه الخمس ورقات، فإذا قرأها يصير أعلم أهل زمانه، ثم إنه ودعها وشهق شهقة ففارق الدنيا وما فيها رحمة الله تعالى عليه.

فبكى عليه أهله وأصحابه، ثم غسلوه وأخرجوه خرجة عظيمة ودفنوه ورجعوا، ثم إن زوجته بعد أيام قلائل وضعت ولدا مليحًا فسمته حاسبًا كريم الدين كما أوصاها به، ولما ولدت أحضرت له المنجمين فحسبوا طالعه وناظره من الكواكب ثم قالوا لها: اعلمى أيتها المرأة أن هذا المولود يعيش أيامًا كثيرة ولكن بعد شدة تحصل له فى مبدأ عمره فإذا نجا منها فإنه

يعطى بعد ذلك علم الحكمة. ثم مضى المنجمون إلى حال سبيلهم.

فأرضعته اللبن سنتين وفطمته، فلما بلغ سنتين وضعته فى المكتب ليتعلم شيئًا من العلم فلم يتعلم، فأخرجته من المكتب ووضعته فى الصنعة فلم يتعلم شيئًا من الصنعة ولم يطلع من يده شيء من الشغل فبكت أمه من أجل ذلك. فقال لها الناس: زوجيه لعله يحمل هم زوجته ويتخذ له صنعة. فقامت وخطبت بنتًا وزوجته بها: ومكث على ذلك الحال مدة من الزمان وهو لم يتخذ له صنعة أبدا، ثم إنهم كان لهم جيران حطابون فأتوا إلى أمه وقالوا لها: اشترى لابنك حماراً وحبلاً وفأسًا ويروح معنا إلى الجبل فنحتطب نحن وإياه ويكون ثمن الحطب له ولنا وينفق عليكم مما يخصه.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما سمعت أمه ذلك من الحطابين فرحت فرحًا شديدًا واشترت لابنها حمارًا وحبلا وفأسًا وأخذته وتوجهت إلى الحطابين وسلمته إليهم وأوصتهم عليه، فقالوا لها: لا تحملى هم هذا الولد فربنا يرزقه وهو ابن شيخنا. ثم أخذوه معهم وتوجهوا إلى الجبل فقطعوا الحطب وحملوا حميرهم وأتوا على المدينة وباعوا الحطب وأنفقوا على عيالهم، ثم إنهم رجعوا إلى الاحتطاب فى ثانى يوم وثالث يوم، ولم يزالوا على هذه الحالة مدة الزمن، واتفق أنهم ذهبوا إلى الاحتطاب فى بعض الأيام فنزلت عليهم مطرة عظيمة اضطرتهم إلى الالتجاء إلى مغارة عظيمة ليداروا أنفسهم فيها من ذلك المطر، فقام من عندهم حاسب كريم الدين وجلس وحده فى مكان من تلك المغارة وصار يضرب الأرض بالفأس على سبيل التسلية، فسمع حس الأرض خالية من تحت الفأس، فلما عرف أنها خالية مكث يحفر ساعة فرأى بلاطة مدورة وفيها حلقة. فلما رأى ذلك فرح ونادى لجماعة الحطابين فحضروا إليه فرأوا تلك البلاطة فتسارعوا إليها وقلعوها، فوجدوا تحتها بابًا ففتحوه فإذا هو جب ملآن عسل نحل، فقال الحطابون لبعضهم: هذا جب ملآن عسلاً وما لنا إلا أن نروح إلى المدينة ونأتى بظرف ونعبئ هذا العسل فيها ونبيعها ونقتسم حقه، وواحد منا يقعد عنده ليحفظه من غيرنا. فقال حاسب: أنا أقعد وأحرسه حتى تروحوا وتأتوا بالظروف فتركوا حاسب كريم الدين يحرس لهم الجب وذهبوا إلى المدينة وأتوا بظروف وعبوها من ذلك العسل وحملوا حميرهم ورجعوا إلى المدينة وباعوا ذلك العسل، ثم عادوا إلى ذلك الجب ثانى مرة، وما زالوا على هذه الحالة مدة من الزمان وهم يبيتون فى تلك المدينة ويرجعون إلى الجب يعبون من ذلك العسل وحاسب كريم الدين قاعد يحرس لهم الجب. فقالوا لبعضهم يومًا من الأيام: إن الذى لقى جب العسل حاسب كريم الدين وفى غد ينزل إلى المدينة ويدعى علينا ويأخذ ثمن العسل ويقول: أنا الذى لقيته، وما لنا خلاص من ذلك إلا أن ننزله فى الجب ليعبئ العسل الذى بقى فيه ونتركه فيموت كمدا ولا يدرى به أحد. فاتفق الجميع على هذا الأمر ثم ساروا وما زالوا سائرين حتى أتوا إلى الجب فقالوا له: يا حاسب انزل الجب وعبئ لنا العسل الذى بقى فيه. فنزل حاسب كريم الدين فى الجب وعبأ لهم العسل الذى بقى فيه وقال لهم: اسحبونى فما بقى فيه شيء، فلم يرد عليه أحد منهم جوابًا وحملوا حميرهم وساروا إلى المدينة وتركوه فى

الجب وحده وصار يستغيث ويبكى ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم قد مت كمدًا.

هذا ما كان من أمر حاسب كريم، وأما ما كان من أمر الحطابين فإنهم لما وصلوا إلى المدينة باعوا العسل وراحوا إلى أم حاسب وهم يبكون وقالوا لها: يعيش رأسك فى ابنك حاسب، فقالت لهم: ما سبب موته؟ فقالوا لها: إنا كنا قاعدين فوق الجبل فأمطرت علينا السماء مطرًا عظيمًا فأوينا إلى مغادرة لنتدارى فيها من ذلك المطر، فلم نشعر إلا وحمار ابنك هرب فى الوادى فذهب خلفه ليرده من الوادى وكان فيه ذئب عظيم فافترس ابنك وأكل الحمار، فلما سمعت أمه كلام الحطابين لطمت على وجهها وحثت التراب على رأسها، وأقامت عزاءه وصار الحطابون يجيئون لها بالأكل والشرب فى كل يوم، هذا ما كان من أمر أمه، وأما ما كان من أمر الحطابين فإنهم فتحوا لهم دكاكين وصاروا تجارًا ولم يزالوا فى أكل وشرب وضحك ولعب.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.



حكاية ملكة الحيات

قالت شهرزاد: وأما ما كان من أمر حاسب كريم الدين فإنه صار يبكى وينتحب، فبينما هو قاعد على هذه الحالة وإذا بعقرب كبير وقع عليه فقام وقتله، ثم تفكر فى نفسه وقال: إن الجب كان ملآن عسلاً فمن أين يأتى هذا العقرب، فقام ينظر إلى المكان الذى وقع منه العقرب وصار يلتفت يمينًا وشمالاً فى الجب فرأى المكان الذى وقع منه العقرب يلوح منه النور، فأخرج سكينًا كانت معه ووسع ذلك المكان حتى صار قدر الطاقة وخرج منه وتمشى ساعة فى داخله فرأى دهليزًا عظيما فمشى فيه فرأى بابًا عظيمًا من الحديد الأسود وعليه قفل من الفضة وعلى ذلك القفل مفتاح من الذهب، فتقدم إلى ذلك الباب ونظر من خلاله فرأى نوراً يلوح من داخله، فأخذ المفتاح وفتح الباب وعبر إلى داخله وتمشى ساعة حتى وصل إلى بحيرة عظيمة، فرأى فى تلك البحيرة شيئًا يلمع مثل الماء، فلم يزل يمشى حتى وصل إليه، فرأى تلاً عاليا من الزبرجد الأخضر وعليه تخت منصوب من الذهب مرصع بأنواع الجواهر وحول ذلك التخت كراسى منصوبة بعضها من الذهب وبعضها من الفضة وبعضها من الزمرد الأخضر، فلما أتى إلى تلك الكراسى تنهد ثم عدها فرآها اثنى عشر ألف كرسى، فطلع على ذلك التخت المنصوب فى وسط تلك الكراسى وقعد عليه وصار يتعجب من تلك البحيرة وتلك الكراسى المنصوبة، ولم يزل متعجبًا حتى غلب عليه النوم فنام ساعة وإذا هو يسمع نفخًا وصفيرًا وهرجًا عظيمًا، ففتح عينه وقعد فرأى على الكراسى حيات عظيمة طول كل حية مائة ذراع.

فحصل لحاسب كريم الدين من ذلك فزع عظيم ونشف ريقه من شدة خوفه ويئس من الحياة وخاف خوفًا عظيمًا ورأى عين كل حية تتوقد مثل الجمر وهن فوق الكراسى والتفت إلى البحيرة فرأى فيها حيات صغارًا لا يعلم عددها إلا الله تعالى، وبعد ساعة أقبلت عليه حية عظيمة مثل البغل وعلى ظهر تلك الحية طبق من الذهب وفى وسط هذا الطبق حية تضىء مثل البلور ووجهها وجه إنسان وهى تتكلم بلسان فصيح، فلما قربت من حاسب كريم الدين سلمت عليه فرد عليها التحية، ثم أقبلت حية من تلك الحيات التى فوق الكراسى إلى

ذلك الطبق وحملت الحية التى فوقه وحطته على كرسى من تلك الكراسى ثم إن تلك الحية زعقت على تلك الحيات بلغتها فخرت جميع تلك الحيات فوق كراسيها ودعين لها، وأشارت إليهن بالجلوس فجلسن. ثم إن تلك الحية قالت لحاسب كريم الدين: لا تخف منا أيها الشاب فإنى أنا ملكة هذه الحيات وسلطانتهن.

فلما سمع حاسب كريم الدين ذلك الكلام من الحية اطمأن قلبه، ثم إن الحية أشارت إلى تلك الحيات أن يأتين بشىء من الأكل، فأتين بتفاح وعنب ورمان وفستق وبندق وجوز ولوز وموز ووضعته قدام حاسب كريم الدين. ثم قالت له ملكة الحيات: مرحبًا بك يا شاب ما اسمك؟ فقال له: اسمى حاسب كريم الدين. فقالت له: يا حاسب كل من هذه الفواكه فما عندنا طعام غيرها ولا تخف منا أبدًا.

فلما سمع حاسب هذا الكلام من الحية أكل حتى اكتفى وحمد الله تعالى، فلما اكتفى من الأكل رفع السماط من قدامه، ثم بعد ذلك قالت له ملكة الحيات: أخبرنى يا حاسب من أين أنت ومن أين أتيت إلى هذا المكان وما جرى لك؟ فحكى لها حاسب جميع ما جرى لأبيه وكيف ولدته أمه ووضعته فى المكتب وهو ابن خمس سنين ولم يتعلم شيئًا من العلم وكيف وضعته فى الصنعة وكيف اشترت أمه له الحمار وصار حطابًا وكيف لقى جب العسل وكيف تركه رفقاؤه الحطابون فى الجب وراحوا وكيف نزل عليه العقرب وطلع فى الجب وأتى إلى الباب الحديد وفتحه حتى وصل إلى ملكة الحيات التى يكلمها ثم قال لها: وهذه حكايتى من أولها إلى آخرها والله أعلم بما يحصل لى بعد هذا كله.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

حكاية بلوقيا

قالت شهرزاد: فلما سمعت ملكة الحيات حكاية حاسب كريم الدين من أولها إلى آخرها قالت له: ما يحصل لك إلا كل خير ولكن أريد منك يا حاسب أن تقعد عندى مدة من الزمان حتى أحكى لك حكايتى وأخبرك بما جرى لى من العجائب، فقال: سمعًا وطاعة فيما تأمريننى به، فقالت له: اعلم يا حاسب أنه كان بمدينة مصر ملك من بنى إسرائيل وكان له ولد اسمه بلوقيا وكان هذا الملك عالمًا عابدًا مكبا على قراءة كتب العلم، فلما ضعف وأشرف على الموت طلعت له أكابر دولته ليسلموا عليه، فلما جلسوا عنده وسلموا عليه قال لهم: يا قوم اعلموا أنه قد دنا رحيلى من الدنيا إلى الآخرة وما لى عندكم شىء أوصيكم به إلا ابنى بلوقيا فاستوصوا به. ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وشهق شهقة ففارق الدنيا رحمة الله عليه. فجهزوه وغسلوه ودفنوه وأخرجوه خرجة عظيمة وجعلوا ولده بلوقيا سلطانًا عليهم وكان ولده عادلاً فى الرعية واستراحت الناس فى زمانه. فاتفق فى بعض الأيام أنه فتح خزائن أبيه ليتفرج فيها، ففتح خزانة من تلك الخزائن فوجد فيها صورة باب ففتحه ودخل فإذا هى خلوة صغيرة وفيها عمود من الرخام الأبيض وفوقه صندوق من الأبنوس، فأخذه بلوقيا وفتحه فوجد فيه صندوقًا آخر من الذهب ففتحه فرأى فى داخله كتابًا ففتح بلوقيا الكتاب وقرأه

فرأى فيه صفة محمد ﷺ وأنه يبعث فى آخر الأزمان ويكون سيد الأولين والآخرين.

فلما قرأ بلوقيا هذا الكتاب وعرف صفات سيدنا محمد ﷺ تعلق قلبه بحبه، ثم إن بلوقيا جمع أكابر بنى إسرائيل من الكهان والأحبار والرهبان وأطلعهم على ذلك الكتاب وقرأه عليهم وقال: يا قوم ينبغى أن أخرج أبى من قبره وأحرقه، فقال له قومه: لأى شىء تحرقه؟ فقال لهم بلوقيا: لأنه أخفى عنى هذا الكتاب ولم يظهره لى وقد كان استخرجه من التوراة ومن صحف إبراهيم ووضع هذا الكتاب فى خزائنه من خزنته ولم يطلع عليه أحدًا من الناس، فقال له القوم: يا ملكنا إن أباك قد مات وهو الآن فى التراب وأمره مفوض إلى ربه ولا تخرجه من قبره.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من أكابر بنى إسرائيل عرف أنهم لا يمكنونه من أبيه فتركهم ودخل إلى أمه وقال لها: يا أمى إنى رأيت فى خزائن أبى كتابًا فيه صفة محمد ﷺ وهو نبى يبعث فى آخر الزمان وقد تعلق قلبى بحبه وأنا أريد أن أسيح فى البلاد حتى أجتمع به فإننى إن لم أجتمع به مت غرامًا فى حبه.

ثم نزع الملك ثيابه ولبس عباءة وزربولاً وقال: لا تنسينى يا أمى من الدعاء، فبكت عليه أمه وقالت له: كيف يكون حالنا بعدك؟ قال بلوقيا: ما بقى لى صبر أبدا وقد فوضت أمرى وأمرك إلى الله تعالى، ثم خرج سائحًا نحو الشام ولم يدر به أحد من قومه وسار حتى وصل إلى ساحل البحر فرأى مركبًا فنزل فيه مع الركاب وسار بهم المركب إلى أن أقبلوا على جزيرة وطلع معهم ثم انفرد عنهم فى الجزيرة وقعد تحت شجرة، فغلب عليه النوم فنام.

ثم إنه أفاق من نومه وقام إلى المركب لينزل به فرأى المركب قد أقلع ورأى فى تلك الجزيرة حيات مثل الجمال، ومثل النخل، وهن يذكرن الله عز وجل ويصلين على محمد ﷺ ويصحن بالتهليل والتسبيح، فلما رأى ذلك بلوقيا تعجب غاية العجب.

ثم إن الحيات لما رأت بلوقيا اجتمعت عليه وقالت له حية منهم: من تكون ومن أين أتيت وما اسمك وإلى أين رائح؟ فقال لها: اسمى بلوقيا وأنا من بنى إسرائيل وخرجت هائمًا فى حب محمد ﷺ وفى طلبه، فما تكن أنتن أيتها الخليقة الشريفة؟ فقالت له الحيات: نحن من سكان جهنم وقد خلقنا الله نقمة على الكافرين، فقال لهن: وما الذى جاء بكن إلى هذا المكان؟ فقالت له الحيات: اعلم يا بلوقيا أن جهنم من كثرة غليانها تتنفس فى السنة مرتين مرة فى الشتاء ومرة فى الصيف، واعلم أن كثرة الحر من شدة فيحها إذ تخرج نفسها ترمينا من بطنها وعندما تسحب نفسها تردنا إليها، فقال لهن بلوقيا: هل فى جنهم أكبر منكن؟ فقالت له الحيات: إننا ما نخرج مع تنفسها إلا لصغرنا فى جهنم كل حية لو عبر أكبر ما فينا فى أنفها لم تحس به. فقال لهن بلوقيا:

أنتن تذكرن الله وتصلين على محمد ومن أين تعرفن محمدًا ﷺ؟ فقلن: يا بلوقيا إن اسم محمد مكتوب على باب الجنة ولولاه ما خلق الله المخلوقات ولا جنة ولا نارًا ولا سماء ولا أرضًا لأن الله لم يخلق جميع الموجودات إلا من أجل محمد ﷺ وقرن اسمه باسمه فى كل

مكان ولأجل هذا نحن نحب محمدًا ﷺ.

فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من الحيات زاد غرامه فى حب محمد ﷺ وعظم اشتياقه إليه، ثم إن بلوقيا ودعهن وسار حتى وصل إلى شاطئ البحر فرأى مركبًا راسيًا فى جنب الجزيرة فنزل فيه مع ركابه وسار بهم. وما زالوا سائرين حتى وصلوا إلى جزيرة أخرى فطلع عليها وتمشى ساعة فرأى فيها حيات كبارًا وصغارًا لا يعلم عددها إلا الله، وبينها حية بيضاء أبيض من البلور وهى جالسة فى طبق من الذهب وذلك الطبق على ظهر حية مثل الفيل وتلك الحية ملكة الحيات وهى أنا يا حاسب.

ثم إن حاسبًا سأل ملكة الحيات وقال لها: وأى شىء جرى لك مع بلوقيا؟ فقالت الحية: يا حاسب اعلم أنى لما نظرت إلى بلوقيا سلمت عليه فرد على السلام وقلت له:

من أنت وما شأنك ومن أين أقبلت وإلى أين تذهب وما اسمك؟ فقال: أنا من بنى إسرائيل واسمى بلوقيا وأنا سائح فى حب محمد ﷺ وفى طلبه فإنى رأيت صفاته فى الكتب المنزلة، ثم إن بلوقيا سألنى وقال لى: أى شىء أنت وما شأنك وما هذه الحيات التى حولك؟ فقلت له: يا بلوقيا أنا ملكة الحيات وإذا اجتمعت بمحمد ﷺ فاقرئه منى السلام، ثم إن بلوقيا ودعنى ونزل فى المركب وسار حتى وصل إلى بيت المقدس.

وكان فى بيت المقدس رجل تمكن من جمع العلوم وكان متقنًا علم الهندسة وعلم الفلك والحساب والسيمياء الروحانى، وكن يقرأ التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وكان يقال له: عفان، وقد وجد فى كتاب عنده أن كل من لبس خاتم سيدنا سليمان انقادت له الإنس والجن والطير والوحش وجميع المخلوقات، ورأى فى بعض الكتب أنه لما توفى سيدنا سليمان وضعوه فى تابوت وعدوا به سبعة أبحر وكان الخاتم فى أصبعه ولا يقدر أحد من الإنس ولا من الجن أن يأخذ ذلك الخاتم ولا يقدر أحد من أصحاب المراكب أن يروح بمركبه إلى ذلك المكان فى السبعة الأبحر التى عدوها بتابوته، ووجد فى بعض الكتب أيضًا أن بين الأعشاب عشبًا كل من أخذ منه شيئًا وعصره وأخذ ماءه ودهن به قدميه فإنه يمشى على أى بحر ولا تبتل قدماه، ولا يقدر أحد على تحصيل ذلك إلا إذا كانت معه ملكة الحيات، ثم إن بلوقيا دخل البيت المقدس وجلس فى مكان يعبد الله تعالى. فبينما هو جالس يعبد الله إذ أقبل عليه عفان وسلم عليه فرد عليه السلام، ثم إن عفان نظر إلى بلوقيا فرآه يقرأ فى التوراة وهو جالس يعبد الله تعالى، فتقدم إليه وقال له: أيها الرجل ما اسمك ومن أين أتيت وإلى أين أنت ذاهب؟ فقال له: اسمى بلوقيا وأنا من مدينة مصر وخرجت سائحًا فى طلب محمد ﷺ، فقال عفان لبلوقيا: قم معى إلى منزلى حتى أضيفك، فقال: سمعًا وطاعة، فأخذ عفان بيد بلوقيا وذهب إلى منزله وأكرمه غاية الإكرام وبعد ذلك قال أخبرنى يا أخى بخبرك ومن أين عرفت محمدًا ﷺ حتى تعلق قلبك بحبه وذهبت فى طلبه ومن دلك على هذا الطريق؟ فحكى له بلوقيا حكايته من الأول إلى الآخر.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فلما سمع عفان كلامه كاد أن يذهب عقله وتعجب من ذلك غاية العجب. ثم إن عفان قال لبلوقيا: اجمعنى على ملكة الحيات وأنا أجمعك على محمد ﷺ لأن

زمان مبعث محمد ﷺ بعيد، وإذا ظفرنا بملكة الحيات نضعها فى قفص ونروح بها إلى الأعشاب التى فى الجبال وكل عشب جزنا عليه وهى معنا ينطق ويخبر بمنفعته بقدرة الله تعالى فإنى قد وجدت عندى فى الكتب أن فى الأعشاب عشبًا كل من أخذه ودقه وأخذ ماءه ودهن به قدميه ومشى على أى بحر خلقه الله تعالى لم يبتل له قدم، فإذا أخذنا ملكة الحيات تدلنا على هذا العشب وإذا وجدناه نأخذه وندقه ونأخذ ماءه، ثم نطلقها إلى حال سبيلها، وندهن بذلك الماء أقدامنا ونعدى السبعة الأبحر ونصل إلى مدفن سيدنا سليمان ونأخذ الخاتم من أصبعه ونحكم كما حكم سيدنا سليمان ونصل إلى مقصودنا، وبعد ذلك ندخل بحر الظلمات ونشرب من ماء الحياة فيمهلنا الله إلى آخر الزمان ونجتمع بمحمد ﷺ . فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من عفان قال له: يا عفان أنا أجمعك بملكة الحيات وأريك مكانها، فقام عفان وصنع له قفصًا من حديد وأخذ معه قدحين وملأ أحدهما خمرًا وملأ الآخر لبنا وسار عفان هو وبلوقيا أيامًا وليالى حتى وصلا إلى الجزيرة التى فيها ملكة الحيات فطلع عفان وبلوقيا إلى الجزيرة وتمشيا فيها وبعد ذلك وضع عفان القفص ونصب فيه فخا ووضع فيه القدحين المملوئين خمرًا ولبنًا ثم تباعدا عن القفص واستخفيا ساعة. ثم أقبلت ملكة الحيات على القفص حتى قربت من القدحين فتأملت فيهما ساعة، فلما شمت رائحة اللبن نزلت من فوق ظهر الحية التي هى فوقها وطلعت من الطبق ودخلت القفص وأتت إلى القدح الذي فيه الخمر وشربت منه، فلما شربت من ذلك القدح داخ رأسها ونامت فلما رأى ذلك عفان تقدم إلى القفص وقفله على ملكة الحيات ثم أخذها هو وبلوقيا وسارا فلما أفاقت رأت روحها فى قفص من حديد والقفص على رأس رجل ويجانبه بلوقيا، فلما رأت ملكة الحيات بلوقيا قالت له: هذا جزاء من لا يؤذى بنى آدم؟ فرد عليها بلوقيا وقال لها: لا تخافى يا ملكة الحيات، فإننا لا نؤذيك أبدًا ولكن نريد منك أن تدلينا على عشب بين الأعشاب كل من أخذه ودقه واستخرج ماءه ودهن به قدميه ومشى على أى بحر خلقه الله تعالى لا تبتل قدماه، فإذا وجدنا ذلك العشب أخذناه ونرجع بك إلى مكانك ونطلقك إلى حال سبيلك.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: ثم إن عفان وبلوقيا سارا بملكة الحيات نحو الجبال التى فيها الأعشاب ودارا بها على جميع الأعشاب وصار كل عشب ينطق ويخبر بمنفعته بإذن الله تعالى.

فبينما هما فى هذا الأمر والأعشاب تنطق يمينًا وشمالا وتخبر بمنافعها وإذا بعشب نطق وقال أنا العشب الذى كل من أخذنى ودقنى وأخذ مائى ودهن به قدميه وجاز على أى بحر خلقه الله تعالى لم تبتل قدماه، فلما سمع عفان كلام العشب حط القفص وأخذا من ذلك العشب ما يكفيهما ودقاه وعصراه وأخذا ماءه وجعلاه فى زجاجتين وحفظاهما والذى فضل دهنا به أقدامهما.

ثم إن بلوقيا وعفان أخذا ملكة الحيات وسارا بها ليالى وأيامًا حتى وصلا إلى الجزيرة التى كانت فيها، ففتح عفان باب القفص وخرجت منه ملكة الحيات، فلما خرجت قالت لهما: فما تصنعان بهذا الماء؟ فقالا لها: مرادنا أن ندهن به أقدامنا حتى نتجاوز السبعة الأبحار

ونصل إلى مدفن سيدنا سليمان ونأخذ الخاتم من أصبعه، فقالت ملكة الحيات:

هيهات أن تقدرا على أخذ الخاتم. فقالا لها: لأى شيء؟ فقالت: لهما: لأن الله تعالى من على سليمان بإعطاء ذلك الخاتم وخصه بذلك لأنه قال: ﴿رب هب لى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب﴾ فما لكما وذلك الخاتم، ثم قالت لهما: لو أخذتما من العشب الذى كل من أكل منه لا يموت إلى النفخة الأولى وهو بين تلك الأعشاب لكان أنفع لكما من هذا الذى أخذتماه فإنه لا يحصل لكما من مقصودكما، فلما سمعا كلامها ندما ندمًا عظيمًا وسارا إلى حال سبيلهما.

هذا ما كان من أمرهما، وأما ما كان من أمر ملكة الحيات فإنها أتت إلى عساكرها فرأتها قد ضاعت مصالحها وضعف قويها وضعيفها مات. فلما رأت الحيات ملكتهن بينهن فرحن والتممن حولها وقلن لها: ما خبرك وأين كنت؟ فحكت لهن جميع ما جرى لها مع عفان وبلوقيا، ثم بعد ذلك جمعت جنودها وتوجهت بهن إلى جبل قاف لأنها كانت تشتى فيه وتصيف فى المكان الذى رآها فيه حاسب كريم الدين، ثم إن ملكة الحيات قالت: يا حاسب كريم الدين هذه حكايتى وما جرى لى.

فتعجب حاسب من كلام الحية ثم قال لها: أريد من فضلك أن تأمرى أحدًا من أعوانك أن يخرجنى إلى وجه الأرض وأروح إلى أهلى، فقالت له ملكة الحيات: يا حاسب ليس لك رواح من عندنا حتى يدخل فصل الشتاء وتروح معنا إلى جبل قاف، تتفرج فيه على تلال ورمل وأشجار وأطيار تسبح الواحد القهار وتتفرج على مردة وعفاريت وجان ما يعلم عددهم إلا الله تعالى.

فلما سمع حاسب كريم الدين كلام ملكة الحيات صار مهمومًا مغمومًا، ثم قال لها: أعلمينى بعفان وبلوقيا لما فارقاك سارا هل عديا السبعة الأبحر ووصلا إلى مدفن سيدنا سليمان أم لا، وإذا كانا وصلا مدفن سيدنا سليمان هل قدروا على أخذ الخاتم أم لا؟ فقالت له: اعلم أن عفان وبلوقيا لما فارقانى وسارا دهنا أقدامهما من ذلك الماء ومشيا على وجه البحر وسارا يتفرجان على عجائب البحار، وما زالا سائرين من بحر إلى بحر حتى عديا السبعة الأبحر ولما عديا تلك البحار وجدا جبلا عظيمًا شاهقا فى الهواء وهو من الزمرد الأحمر، وفيه عين ماء تجرى وتراب ذلك الجبل كله من المسك، فلما وصلا إلى ذلك المكان فرحا وقالا: قد بلغنا مقصودنا.

ثم سارا حتى وصلا إلى جبل عال فمشيا فيه فرأيا مغارة من بعيد فى ذلك الجبل وعليها قبة عظيمة والنور يلوح منها، فلما رأيا تلك المغارة قصداها حتى وصلا إليها، فدخلا فرأيا فيها تختًا منصوبًا من الذهب مرصعا بأنواع الجواهر وحوله كراس منصوبة لا يحصى لها عددًا إلا الله تعالى، ورأيا السيد سليمان نائمًا فوق ذلك التخت وعليه حلة من الحرير الأخضر مزركشة بالذهب مرصعة بنفيس المعادن من الجواهر ويده اليمنى على صدره والخاتم فى أصبعه ونور الخاتم يغلب على نور تلك الجواهر التى فى ذلك المكان.

ثم إن عفان علم بلوقيا أقسامًا وعزائم وقال له: اقرأ هذه القسائم ولا تترك قراءتها حتى آخذ الخاتم، ثم تقدم عفان إلى التخت حتى قرب منه، وإذا بحية عظيمة طلعت من تحت التخت، وزعقت زعقة عظيمة فارتعد ذلك المكان من زعقتها وصار الشرر يطير من فمها، ثم

إن الحية قالت لعفان: إن لم ترجع هلكت، فاشتغل عفان بالأقسام ولم ينزعج من تلك الحية فنفخت عليه الحية نفخة عظيمة كادت أن تحرق ذلك المكان وقالت له: يا ويلك إن لم ترجع أحرقتك، فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من الحية استولى عليه الخوف وطلع من المغارة وأما عفان فإنه لم ينزعج من ذلك بل تقدم إلى السيد سليمان ومد يده ولمس الخاتم وأراد أن يسحبه من أصبع السيد سليمان وإذا بالحية نفخت على عفان فأحرقته فصار كومة من رماد.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: هذا ما كان من أمره، وأما ما كان من أمر بلوقيا فإنه وقع مغشيا عليه من هذا الأمر، وأمر الرب جل جلاله ملكًا أن يهبط إلى الأرض قبل أن تنفخ الحية على بلوقيا، فهبط إلى الأرض بسرعة فرأى بلوقيا مغشيا عليه ورأى عفان احترق من نفخة الحية، فأتى الملك إلى بلوقيا، وأيقظه من غشيته، فلما أفاق سلم عليه الملك وقال له:

من أين أتيتما إلى هذا المكان؟ فحكى له بلوقيا جميع حكايته من الأول إلى الآخر. ثم قال له: اعلم أنني ما أتيت إلى هذا المكان إلا بسبب محمد ﷺ فإن عفان أخبرني أنه يبعث في آخر الزمان ولا يجتمع به إلا من يعيش إلى ذلك الوقت، ولا يعيش إلى ذلك الوقت إلا من شرب من ماء الحياة ولا يمكن ذلك إلا بحصول خاتم سليمان عليه السلام فصحبته إلى هذا المكان وها هو قد احترق ومرادي أن تخبرني بمحمد أين يكون؟ فقال له الملك: يا بلوقيا اذهب إلى حال سبيلك فإن زمان محمد بعيد.

ثم ارتفع الملك إلى السماء من وقته وأما بلوقيا فإنه صار يبكي بكاء شديدا وندم على ما فعل وتفكر في قول ملكة الحيات هيهات أن يقدر أحد على أخذ الخاتم، وتحير بلوقيا في نفسه ويكى ، ثم إنه نزل من الجبل وسار ، ولم يزل سائراً حتى قرب من شاطئ البحر وقعد هناك ساعة يتعجب من تلك الجبال والبحار والجزائر ثم بات تلك الليلة في ذلك الموضع ولما أصبح الصباح دهن قدميه من الماء الذي كان أخذه من المشب ونزل البحر وسار ماشيا فيه أياماً وليالي وهو يتعجب من أهوال البحر وعجائبه وغرائبه .

وما زال سائراً على وجه الماء حتى وصل إلى جزيرة كأنها الجنة ، فطلع بلوقيا إلى تلك الجزيرة وصار يتعجب منها ومن حسنها وساح فيها فرآها جزيرة عظيمة ترابها الزعفران وحصاها من الياقوت والمعادن الفاخرة وسياجها الياسمين وزرعها من أحسن الأشجار وأبهج الرياحين وأطيبها ، وفيها عيون جارية وحطبها من العود القماري والعود القاقلي وغابها قصب السكر وحولها الورد والنرجس والعبهر والقرنفل ، والأقحوان والسوسن والبنفسج وكل ذلك فيها أشكال وألوان ، وأطيارها تناغي على تلك الأشجار وهي مليحة الصفات واسعة الجهات كثيرة الخيرات ، قد حوت جميع الحسن والمعاني ، وتغريد أطيارها ألطف من رنات المثاني ، وأشجارها باسقة ، وأطيارها ناطقة ، وأنهارها دافقة وعيونها جارية ، ومياهها حالية ، وفيها الغزلان تمرح والجآذر تسبح ، والأطيار تناغي على تلك الأغصان وتسلي الولهان . فتعجب بلوقيا من هذه الجزيرة وعلم أنه قد تاه عن الطريق التي أتى منها أول مرة حين كان معه عفان، فساح في تلك الجزيرة وتفرج فيها إلى وقت المساء ، فلما أمسى عليه الليل طلع على

شجرة عالية لينام فوقها وصار يتفكر فى حسن تلك الجزيرة ، فبينما هو فوق تلك الشجرة على تلك الحالة وإذا بالبحر قد اختبط وطلع منه حيوان عظيم وصاح صياحًا عظيمًا حتى انزعجت حيوانات تلك الجزيرة من صياحه ، فنظر إليه بلوقيا وهو جالس على الشجرة فرآه حيوانًا عظيمًا . فصار يتعجب منه .

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد : فلم يشعر بعد ساعة إلا وطلع خلفه من البحر وحوش مختلفة الألوان وفى يد كل وحش منها جوهرة تضيء مثل السراج حتى صارت الجزيرة مثل النهار من ضياء الجواهر . وبعد ساعة أقبلت من الجزيرة وحوش لا يعلم عددها إلا الله تعالى ، فنظر إليها بلوقيا فرآها وحوش الفلاة من سباع ونمور وفهود وغير ذلك من حيوانات البر ولم تزل وحوش البر مقبلة حتى اجتمعت مع وحوش البحر فى جانب الجزيرة وصارت تتحدث إلى الصباح .

فلما أصبح الصباح افترقت عن بعضها ومضى كل واحد منها على حال سبيله ، فلما رآها بلوقيا خاف ونزل من فوق الشجرة وسار إلى شاطئ البحر ودهن قدميه من الماء الذى معه ونزل البحر الثانى وسار على وجه الماء ليالى وأيامًا حتى وصل إلى جبل عظيم وتحت ذلك الجبل واد ما له آخر وذلك الوادى حجارته من المغناطيس ووحوشه سباع وأرانب ونمور فطلع بلوقيا إلى ذلك الجبل وساح فيه من مكان إلى مكان حتى أمسى عليه المساء فجلس تحت قنة من قنن ذلك الجبل بجانب البحر وصار يأكل من ذلك السمك وإذا بنمر عظيم أقبل على بلوقيا وأراد أن يفترسه ، فالتفت بلوقيا إلى ذلك النمر فرآه هاجمًا عليه ليفترسه . فدهن قدميه من الماء الذى معه ونزل البحر الثالث هربًا من ذلك النمر وسار على وجه الماء فى الظلام وكانت ليلة سوداء ذات ريح عظيم .

وما زال سائرا حتى أقبل على جزيرة فطلع عليها فرأى فيها أشجارًا رطبة ويابسة فأخذ بلوقيا من ثمر تلك الأشجار وأكل وحمد الله تعالى ودار فيها يتفرج إلى وقت المساء ، فنام فى تلك الجزيرة .

فلما أصبح الصباح صار يتأمل فى جهاتها ، ولم يزل يتفرج فيها مدة عشرة أيام وبعد ذلك توجه إلى شاطئ البحر ، ودهن قدميه ونزل فى البحر الرابع ومشى على وجه الماء ليلا ونهارا حتى وصل إلى جزيرة ، فرأى أرضها من الرمل الناعم الأبيض وليس فيها شيء من الشجر ولا من الزرع ، فتمشى فيها ساعة فوجد وحشها الصقور وهى ممششة فى ذلك الرمل فلما رأى ذلك دهن قدميه ونزل البحر الخامس وسار فوق الماء وما زال سائرًا ليلاً ونهارًا حتى أقبل على جزيرة صغيرة أرضها وجبالها مثل البلور وفيها العروق التى يصنع منها الذهب وفيها أشجار غريبة ما رأى مثلها فى سياحته وأزهارها كلون الذهب .

فطلع بلوقيا إلى تلك الجزيرة وصار يتفرج فيها إلى وقت المساء ، فلما جن عليه الظلام صارت الأزهار تضيء فى تلك الجزيرة كالنجوم ، فتعجب بلوقيا من هذه الجزيرة وقال: إن الأزهار التى فى هذه الجزيرة هى التى تيبس من الشم وتسقط على الأرض فتضربها الرياح فتجتمع تحت الحجارة وتصير إكسيرًا فيأخذونها ويصنعون منها الذهب . ثم إن بلوقيا نام فى

تلك الجزيرة إلى وقت الصباح وعند طلوع الشمس دهن قدميه من الماء الذى معه ونزل البحر السادس وسار ليالى وأيامًا حتى أقبل على جزيرة ، فطلع عليها وتمشى فيها ساعة فرأى فيها جبلين وعليهما أشجار كثيرة وأثمار تلك الأشجار كرؤوس آدميين وهى معلقة من شعورها ورأى فيها أشجارًا أخرى أثمارها طيور خضر معلقة من أرجلها وفيها أشجار تتوقد مثل الصبر وكل من سقط عليه نقطة من تلك الفواكه احترق بها ، ورأى بها فواكه تبكى وفواكه تضحك ، ورأى بلوقيا فى تلك الجزيرة عجائب كثيرة ، ثم إنه تمشى إلى شاطئ البحر فرأى شجرة عظيمة فجلس تحتها إلى وقت العشاء .

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

❖ ❖ ❖

قالت شهرزاد : فلما أظلم الظلام طلع فوق تلك الشجرة وصار يتفكر فى مصنوعات الله ، فبينما هو كذلك وإذا بالبحر قد اختبط وطلع منه بنات البحر وفى يد كل واحدة منهن جوهرة تضىء مثل الصباح وسرن حتى أتين تحت تلك الشجرة وجلسن ولعبن ورقصن وطربن فصار بلوقيا يتفرج عليهن وهن فى هذه الحالة ، ولم يزلن فى لعب إلى الصباح .

فلما أصبح الصباح نزلن إلى البحر فتعجب منهن بلوقيا ونزل من فوق الشجرة ودهن قدميه من الماء الذى معه ونزل البحر السابع وسار ، ولم يزل سائرًا مدة شهرين وهو لا ينظر جبلاً ولا جزيرة ولا برا ولا واديا ولا ساحلاً ، حتى قطع ذلك البحر وقاسى فيه جوعًا عظيمًا حتى صار يخطف السمك من البحر ويأكله نيئًا من شدة جوعه ، ولم يزل سائرًا على هذه الحالة حتى انتهى إلى جزيرة أشجارها كثيرة وأنهارها غريزة ، فطلع إلى تلك الجزيرة وصار يمشى فيها ويتفرج يمينًا وشمالاً وكان ذلك فى وقت الضحى . وما زال يتمشى حتى أقبل على شجرة تفاح فمد يده ليأكل من تلك الشجرة وإذا بشخص صاح عليه من تلك الشجرة وقال له : إن تقربت إلى هذه الشجرة وأكلت منها شيئًا قسمتك نصفين . فنظر بلوقيا إلى ذلك الشخص فرآه طويلاً طوله أربعون ذراعًا ، بذراع أهل ذلك الزمان ، فلما رآه بلوقيا خاف منه خوفًا شديدًا وامتنع عن تلك الشجرة ، ثم قال له بلوقيا : لأى شىء تمنعنى من الأكل من هذه الشجرة ؟ فقال له : لأنك ابن آدم وأبوك آدم نسى عهد الله فعصاه وأكل من الشجرة . فقال له بلوقيا : أى شىء أنت ولمن هذه الجزيرة وهذه الأشجار وما اسمك ؟ فقال له الشخص : أنا اسمى شراهيا وهذه الأشجار والجزيرة للملك صخر وأنا من أعوانه وقد وكلنى على هذه الجزيرة .

ثم إن شراهيا سأل بلوقيا وقال له : من أنت ومن أين أتيت إلى هذه البلاد ؟ فحكى له بلوقيا حكايته من الأول إلى الآخر ، فقال له شراهيا : لا تخف ، ثم جاء له بشىء من الأكل فأكل بلوقيا حتى اكتفى . ثم ودعه وسار ولم يزل سائرًا مده عشرة أيام فبينما هو سائر فى جبال ورمال إذ نظر غبرة عاقدة فى الجو فقصد بلوقيا صوب تلك الغبرة فسمع صياحًا وضربًا وهرجًا عظيمًا فمشى بلوقيا نحو تلك الغبرة حتى وصل إلى واد عظيم طوله مسيرة شهرين . ثم تأمل بلوقيا فى جهة ذلك الصياح فرأى ناسًا راكبين على خيل وهم يقتتلون مع بعضهم وقد جرى الدم بينهم حتى صار مثل النهر ولهم أصوات مثل الرعد وفى أيديهم رماح وسيوف وأعمدة من الحديد وقسى ونبال وهم فى قتال عظيم ، فأخذه خوف شديد وتحير فى أمره .

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد : فبينما هو كذلك وإذا هم رأوه ، فلما رأوه امتنعوا عن بعضهم وتركوا الحرب، ثم أتت إليه طائفه منهم ، فلما قربوا منه تعجبوا من خلقته ، ثم تقدم إليه فارس منهم وقال له : أى شىء أنت ومن أين أتيت وإلى أين رائح ومن دلك على هذا الطريق حتى وصلت إلى بلادنا ؟ فقال له بلوقيا : أنا من بنى آدم وجئت هائما فى حب محمد ﷺ ولكنى تهت عن الطريق ، فقال له الفارس : نحن ما رأينا ابن آدم قط ولا أتى إلى هذه الأرض ، وصاروا يتعجبون منه ومن كلامه فسألهم بلوقيا : أى شىء أنتم أيتها الخليقة ؟ فقال له الفارس : نحن من الجان ، فقال له بلوقيا : أيها الفارس ما سبب القتال الذى بينكم وأين مسكنكم وما اسم هذا الوادى وهذه الأراضى ؟ فقال له الفارس : نحن مسكننا الأرض البيضاء وفي كل عام يأمرنا الله تعالى أن نأتي إلى هذه الأرض ونغازى الجان الكافرين، فقال له بلوقيا: وأين الأرض البيضاء؟ فقال له الفارس : خلف جبل قاف بمسيرة خمس وسبعين سنة ، وهذه الأرض يقال لها أرض شداد بن عاد ونحن أتينا إليها لنغازى فيها وما لنا شغل سوى التسبيح والتقديس ، ولنا ملك يقال له الملك صخر وما يمكن إلا أن تروح معنا إليه حتى ينظرك ويتفرج عليك .

ثم إنهم ساروا وبلوقيا معهم حتى أتوا منزلهم ، فنظر بلوقيا خيامًا عظيمة من الحرير الأخضر لا يعلم عددها إلا الله تعالى ورأى بينها خيمة منصوبة من الحرير الأحمر ، واتساعها مقدار ألف ذراع وأطنابها من الحرير الأزرق ، وأوتادها من الذهب والفضة ، فتعجب بلوقيا من تلك الخيمة ، ثم إنهم ساروا به حتى أقبلوا على الخيمة فإذا هى خيمة الملك صخر ، ثم دخلوا به حتى أتوا قدام الملك صخر فنظر بلوقيا إلى الملك فرآه جالسًا على تخت عظيم من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجواهر ، وعلى يمينه ملوك الجان وعلى يساره الحكماء والأمراء وأرباب الدولة وغيرهم .

فلما رآه الملك صخر أمر أن يدخلوا به عنده ، فدخلوا به عند الملك فتقدم بلوقيا وسلم عليه وقبل الأرض بين يديه ، فرد عليه الملك صخر السلام ثم قال له : ادن منى أيها الرجل فدنا منه بلوقيا حتى صار بين يديه ، فعند ذلك أمر الملك صخر أن ينصبوا له كرسيا بجانبه فنصبوا له كرسيا بجانب الملك ، ثم أمره الملك صخر أن يجلس على ذلك الكرسى فجلس بلوقيا عليه ، ثم إن الملك صخرًا سأل بلوقيا وقال له : أى شىء أنت ؟ فقال له : أنا من بنى آدم من بنى إسرائيل . فقال له الملك صخر : احك لى حكايتك وأخبرنى بما جرى لك وكيف أتيت إلى هذه الأرض ؟ فحكى له بلوقيا جميع ما جرى له فى سياحته من الأول إلى الآخر ، فتعجب الملك صخر من كلامه .

ثم أمر الفراشين أن يأتوا بسماط ومدوه ، ثم إنهم أتوا بصوانى من الذهب الأحمر وصوانى من الفضة وصوانى من النحاس وبعض الصوانى فيها خمسون جملاً مسلوقة وبعضها فيه عشرون جملاً وبعضها فيه خمسون رأسًا من الغنم وعدد الصوانى ألف وخمسمائة صينية فلما رأى بلوقيا ذلك تعجب منه غاية العجب ثم إنهم أكلوا وأكل بلوقيا معهم حتى اكتفى وحمد الله تعالى وبعد ذلك رفعوا الطعام وأتوا بفواكه فأكلوا ، ثم بعد ذلك سبحوا الله تعالى وصلوا

على نبيه محمد ﷺ ، فلما سمع بلوقيا ذكر محمد تعجب وقال للملك صخر: أريد أن أسألك بعض مسائل ؟ فقال له الملك صخر : سل ما تريد ، فقال له : أى شيء أنتم ومن أين أصلكم ومن أين تعرفون محمداً ﷺ حتى تصلوا عليه ، وتحبوه ؟ .

فقال له الملك صخر : يا بلوقيا إن الله تعالى خلق النار سبع طبقات بعضها فوق بعض وبين كل طبقة مسيرة ألف عام ، وجعل اسم الطبقة الأولى جهنم وأعدها لعصاة المؤمنين الذين يموتون من غير توبة ، واسم الطبقة الثانية : لظى وأعدها للكفار ، واسم الطبقة الثالثة: الجحيم وأعدها ليأجوج ومأجوج ، واسم الطبقة الرابعة : السعير وأعدها لقوم إبليس ، واسم الخامسة : سقر وأعدها لتارك الصلاة ، واسم السادسة : الحطمة وأعدها لليهود والنصارى ، واسم السابعة : الهاوية وأعدها للمنافقين. فهذه السبع الطبقات. فقال له بلوقيا : لعل جهنم أهون عذابًا من الجميع لأنها هى الطبقة الفوقانية، قال الملك صخر: نعم هى أهون الجميع عذابًا ومع ذلك فيها ألف جبل من النار وفى كل جبل سبعون ألف واد من النار وفى كل واد سبعون ألف مدينة من النار، وفى كل مدينة سبعون ألف قلعة من النار وفى كل قلعة سبعون ألف بيت من النار، وفي كل بيت سبعون ألف تخت من النار، وفي كل تخت سبعون ألف نوع من العذاب، وما فى جميع طبقات النار يا بلوقيا أهون عذابًا من عذابها لأنها هى الطبقة الأولى وأما الباقى فلا يعلم عدد ما فيه من العذاب إلا الله تعالى.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من الملك صخر وقع مغشيا عليه، فلما أفاق من غشيته بكى وقال: يا ملك كيف يكون حالنا؟ فقال له الملك صخر: يا بلوقيا لا تخف واعلم أن كل من كان يحب محمدًا لم تحرقه النار وهو معتوق لأجل محمد ﷺ وكل من كان على ملته تهرب منه النار، وأما نحن فخلقنا الله تعالى من النار وأول ما خلق الله المخلوقات فى جهنم خلق شخصين من جنوده أحدهما اسمه خليت والآخر اسمه مليت، وجعل خليت على صورة أسد ومليت على صورة ذئب، فتوالد منهما حيات وعقارب ومسكنها فى النار ليعذب الله بها من يدخلها، ثم إن تلك الحيات والعقارب تناسلت وتكاثرت،ثم إن نسل خليت ومليت وهم سبعة ذكور أطاعوا والدهم إلا واحدًا منهم عصى والده فصار دودة وتلك الدودة هى إبليس لعنه الله تعالى، وكان من المقربين فإنه عبد الله تعالى حتى ارتفع إلى السماء وتقرب من الرحمن وصار رئيس المقربين.

ولما خلق الله تعالى آدم عليه السلام أمر إبليس بالسجود له فامتنع من ذلك فطرده الله تعالى ولعنه، فلما تناسل جاءت منه الشياطين، وأما الستة الذكور الذين قبله فهن الجان المؤمنون ونحن من نسلهم وهذا أصلنا يا بلوقيا، فتعجب بلوقيا من كلام الملك صخر ثم إنه قال: يا ملك أريد منك أن تأمر واحدًا من أعوانك أن يوصلنى إلى بلادى فقال له الملك صخر: ما نقدر أن نفعل شيئًا من ذلك إلا إن أمرنا الله تعالى ولكن يا بلوقيا إن شئت الذهاب من عندنا فإنى أحضر لك فرسًا من خيلى وأركبك على ظهرها وآمرها أن تسير بك إلى آخر حكمى، فإذا وصلت إلى آخر حكمى يلاقيك جماعة ملك اسمه براخيا فينظرون الفرس فيعرفونها وينزلونك من فوقها ويرسلونها إلينا وهذا الذى نقدر عليه لا غير.

فلما سمع بلوقيا هذا الكلام بكى وقال للملك: افعل ما تريد، فأمر الملك أن يأتوا له

بالفرس فأتوا له بالفرس وأركبوه على ظهرها وقالوا له: احذر أن تنزل من فوق ظهرها أو تضربها أو تصيح فى وجهها فإن فعلت ذلك، أهلكتك بل استمر راكبًا عليها مع السكون حتى تقف بك فانزل عن ظهرها ورح إلى حال سبيلك، فقال له بلوقيا: سمعًا وطاعة، ثم ركب الفرس وسار فى الخيام مدة طويلة ولم يمر فى سيره إلا على مطبخ الملك صخر فنظر بلوقيا إلى قدور معلقة فى كل قدر خمسون جملاً والنار تلتهب من تحتها، فلما رأى بلوقيا تلك القدور وكبرها تأملها وتعجب منها وأكثر التعجب والتأمل فيها، فنظر إليه الملك فرآه متعجبًا من المطبخ فظن الملك فى نفسه أنه جائع فأمر أن يجيئوا له بجملين مشويين وربطوهما خلفه على ظهر الفرس.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: ثم إنه ودعهم وسار حتى وصل إلى آخر حكم الملك صخر، فوقفت الفرس فنزل عنها بلوقيا ينفض تراب السفر من ثيابه وإذا برجال أتوا إليه ونظروا الفرس فعرفوها فأخذوها وساروا وبلوقيا معهم حتى وصلوا إلى الملك براخيا، فلما دخل بلوقيا على الملك براخيا سلم عليه فرد عليه السلام، ثم إن بلوقيا نظر إلى الملك فرآه جالسًا فى صيوان عظيم وحوله عساكر وأبطال وملوك الجان على يمينه وشماله، ثم إن الملك أمر بلوقيا أن يدنو منه فتقدم بلوقيا إليه فأجلسه الملك بجانبه وأمر أن يأتوا بالسماط، فنظر بلوقيا إلى حال الملك براخيا فرآه مثل حال الملك صخر ولما حضرت الأطعمة أكلوا وأكل بلوقيا حتى اكتفى وحمد الله تعالى، ثم إنهم رفعوا الأطعمة وأتوا بالفاكهة فأكلوا.

ثم إن الملك براخيا سأل بلوقيا وقال له: متى فارقت الملك صخر؟ فقال له: من مدة يومين. قال الملك براخيا لبلوقيا: أتدرى مسافة كم يوم سافرت فى هذين اليومين؟

قال لا، قال: مسيرة سبعين شهرًا ولكنك لما ركبت الفرس فزعت منك وعلمت أنك ابن آدم وأرادت أن ترميك عن ظهرها فأثقلوها بهذين الجملين.

فلما سمع بلوقيا ذلك الكلام من الملك براخيا تعجب وحمد الله تعالى على السلامة ثم إن الملك براخيا قال لبلوقيا: أخبرنى بما جرى لك وكيف أتيت إلى هذه البلاد؟ فحكى له بلوقيا جميع ما جرى له فلما سمع الملك كلامه تعجب منه ومكث بلوقيا عنده مدة شهرين.

فلما سمع حاسب كلام ملكة الحيات تعجب منه غاية العجب ثم قال لها: أريد من فضلك وإحسانك أن تأمرى أحدًا من أعوانك أن يخرجنى إلى وجه الأرض حتى أروح إلى أهلى، فقالت له ملكة الحيات: يا حاسب كريم الدين اعلم إنك متى خرجت إلى وجه الأرض تروح إلى أهلك ثم تدخل الحمام وتغتسل وبمجرد ما تفرغ من غسلك أموت أنا لأن ذلك يكون سببًا لموتى، فقال حاسب: أنا أحلف لك أنى لا أدخل الحمام طول عمرى وإذا وجب على الغسل أغتسل فى بيتى. فقالت له ملكة الحيات: لو حلفت لى مائة يمين ما أصدقك فإن هذا الأمر لا يكون واعلم أنك ابن آدم ما لك عهد لأن أباك آدم قد عاهد الله ونقض عهده وكان الله تعالى خمر طينته أربعين صباحًا وأسجد له ملائكته، وبعد ذلك نكث العهد ونسيه وخالف أمر ربه.

فلما سمع حاسب ذلك الكلام سكت وبكى ومكث يبكى مدة عشرة أيام، ثم قال لها حاسب: أخبرينى بالذى جرى لبلوقيا بعد قعوده شهرين عند الملك براخيا؟ فقالت له: اعلم يا

حاسب أن بلوقيا بعد قعوده عند الملك براخيا ودعه وسار فى البرارى ليلاً ونهارًا حتى وصل إلى جبل عال، فطلع ذلك الجبل فرأى فوقه ملكًا عظيمًا جالسًا على ذلك الجبل وهو يذكر الله تعالى ويصلى على محمد وبين يدى الملك لوح مكتوب فيه شىء أبيض وشىء أسود، وهو ينظر فى اللوح وله جناحان أحدهما ممدود بالمشرق والآخر ممدود بالمغرب، فأقبل عليه بلوقيا وسلم عليه فرد عليه السلام، ثم إن الملك سأل بلوقيا وقال له: من أنت ومن أين أتيت وإلى أين أنت رائح وما اسمك؟ فقال بلوقيا: أنا من بنى آدم من قوم بنى إسرائيل وأنا سائح فى حب محمد ﷺ واسمى بلوقيا فقال: ما الذى جرى لك فى مجيئك إلى هذه الأرض؟ فحكى له بلوقيا جميع ما جرى له.

فلما سمع الملك من بلوقيا ذلك الكلام تعجب منه، ثم إن بلوقيا سأل الملك وقال له: أخبرنى أنت الآخر بهذا اللوح وأى شىء مكتوب فيه وما هذا الأمر الذى أنت فيه وما اسمك؟ فقال له الملك: أنا اسمى ميخائيل وأنا موكل بتصريف الليل والنهار، وهذا شغلى إلى يوم القيامة فلما سمع بلوقيا ذلك الكلام تعجب منه ومن صورة ذلك الملك ومن هيبته وعظم خلقته، ثم إن بلوقيا ودع ذلك الملك وسار ليلاً ونهارًا حتى وصل إلى مرج عظيم، فتمشى فى ذلك المرج فرأى فيه سبعة أنهر ورأى أشجاراً كثيرة فتعجب بلوقيا من ذلك المرج العظيم وسار فى جوانبه فرأى فيه شجرة عظيمة وتحت تلك الشجرة أربعة ملائكة، فتقدم إليهم بلوقيا ونظر إلى خلقتهم فرأى واحدًا منهم صورته صورة بنى آدم والثانى صورته صورة وحش والثالث صورته صورة طير والرابع صورته صورة ثور وهم مشغولون بذكر الله تعالى ويقول كل منهم: إلهى وسيدى ومولاى بحقك وبجاه نبيك محمد ﷺ أن تغفر لكل مخلوق خلقته على صورتى وتسامحه إنك على كل شىء قدير.

فلما سمع بلوقيا منهم ذلك الكلام تعجب وسار من عندهم ليلاً ونهارًا حتى وصل إلى جبل قاف فطلع فوقه فرأى هناك ملكًا عظيمًا وهو جالس يسبح الله تعالى ويقدسه ويصلى على محمد ﷺ ورأى ذلك الملك فى قبض وبسط وطى ونشر. فبينما هو فى هذا الأمر إذ أقبل عليه بلوقيا وسلم عليه، فرد الملك عليه السلام وقال له: أى شىء أنت ومن أين أتيت وإلى أين أنت رائح وما اسمك؟ فقال بلوقيا: أنا من بنى إسرائيل من بنى آدم واسمى بلوقيا وأنا سائح فى حب محمد ﷺ ولكن تهت فى طريقى. وحكى له جميع ما جرى له، فلما فرغ بلوقيا من حكايته سأل الملك وقال له: من أنت وما هذا الجبل وما هذا الشغل الذى أنت فيه؟ فقال له الملك: اعلم يا بلوقيا أن هذا جبل قاف المحيط بالدنيا وكل أرض خلقها الله فى الدنيا قبضتها فى يدى فإذا أراد الله تعالى بتلك الأرض شيئًا من زلزلة أو قحط أو خصب أو قتال أو صلح أمرنى أن أفعله وأنا فى مكانى واعلم أن يدى قابضة بعروق الأرض.

فقال بلوقيا للملك: هل خلق الله فى جبل قاف أرضًا غير هذه الأرض التى أنت فيها؟ قال الملك: نعم خلق أرضًا بيضاء مثل الفضة، وما يعلم قدر اتساعها إلا الله تعالى وأسكنها ملائكة أكلهم وشربهم التسبيح والتقديس والإكثار من الصلاة على محمد ﷺ وفى كل ليلة جمعة يأتون إلى هذا الجبل ويجتمعون ويدعون الله تعالى طول الليل إلى وقت الصباح ويهدون ثواب ذلك التسبيح والتقديس والعبادات للمذنبين من أمة محمد ﷺ ولكل من اغتسل غسل الجمعة، وهذا حالهم إلى يوم القيامة.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: ثم إن بلوقيا سأل الملك وقال له: هل خلق الله جبالاً خلف جبل قاف؟ فقال الملك: نعم، خلف جبل قاف جبل قدره مسيرة خمسمائة عام وهو من الثلج والبرد وهو الذى رد حر جهنم، وخلف جبل قاف أربعون أرضًا كل أرض منها قدر الدنيا أربعين مرة منها ما هو من الذهب ومنها ما هو من الفضة ومنها ما هو من الياقوت، ولكل أرض من تلك الأراضى لون، وأسكن الله فى تلك الأراضى ملائكة لا شغل لهم سوى التسبيح والتقديس والتهليل والتكبير ويدعون الله تعالى إلى أمة محمد ﷺ ولا يعرفون حواء ولا آدم ولا ليلاً ولا نهارًا، واعلم يا بلوقيا أن الأراضى سبع طباق بعضها فوق بعض وخلق الله ملكًا من الملائكة لا يعلم أوصافه ولا قدره إلا الله عز وجل، وهو حامل السبع الأراضى على كاهله، وخلق الله تعالى تحت ذلك الملك صخرة وخلق الله تعالى تحت تلك الصخرة ثوراً وخلق الله تحت ذلك الثور حوتًا، وخلق الله تحت ذلك الحوت بحرًا عظيمًا وقد أعلم الله تعالى عيسى عليه السلام بذلك الحوت، فقال له: يا رب أرنى ذلك الحوت حتى أنظر إليه، فأمر الله تعالى ملكًا من الملائكة أن يأخذ عيسى ويروح به إلى الحوت حتى ينظره. فأتى ذلك الملك إلى عيسى عليه السلام وأخذه وأتى به إلى البحر الذى فيه الحوت وقال له: انظر يا عيسى إلى الحوت.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: فنظر عيسى إلى الحوت فلم يره، فمر الحوت على عيسى مثل البرق، فأوحى الله إلى عيسى وقال له: يا عيسى هل رأيت الحوت وهل علمت طوله وعرضه؟ فقال عيسى: وعزتك وجلالك ما رأيته ولكن مر على ثور عظيم قدره مسافة ثلاثة أيام ولم أعرف ما شأن ذلك الثور، فقال الله له: يا عيسى ذلك الذى مر عليك وقدره مسافة ثلاثة أيام إنما هو رأس الثور، واعلم يا عيسى أننى فى كل يوم أخلق أربعين حوتًا مثل ذلك الحوت، فلما سمع ذلك الكلام تعجب من قدرة الله تعالى. ثم إن بلوقيا سأل الملك وقال له: أى شىء خلق الله تحت البحر الذى فيه الحوت؟ فقال له الملك: خلق الله تحت البحر هواء عظيمًا وخلق الله تحت الهواء نارًا وخلق الله تحت النار حية عظيمة اسمها فلق ولولا خوف تلك الحية من الله تعالى لابتلعت جميع ما فوقها من الهواء والنار والملك وما حمله ولم تحس بذلك الملك.

ولما خلق الله تعالى تلك الحية أوحى إليها انى أريد منك أن أودع عندك أمانة فاحفظيها فقالت الحية: افعل ما تريد فقال الله لتلك الحية: افتحى فاك ففتحـ[illegible]ـها فأدخل الله جهنم فى بطنها وقال لها: احفظى جهنم إلى يوم القيامة، فإذا جاء يوم القيـ[illegible]ـة يأمر الله ملائكته أن يأتوا ومعهم سلاسل يقودون بها جهنم إلى المحشر ويأمر الله تعالى جهنم أن تفتح أبوابها فتفتحها ويطير منها شرر كبار أكثر من الجبال.

فلما سمع بلوقيا ذلك الكلام من الملك بكى بكاءً شديدًا، ثم إنه ودع الملك وسار إلى ناحية الغرب حتى أقبل على شخصين فرآهما جالسين وعندهما باب عظيم مقفول، فلما قرب منهما رأى أحدهما صورته صورة أسد، والآخر صورته صورة ثور، فسلم عليهما بلوقيا، فردا عليه السلام، ثم إنهما سألاه وقالا له: أى شىء أنت ومن أين أتيت وإلى أين أنت رائح؟ فقال لهما بلوقيا: أنا من بنى آدم وأنا سائح فى حب محمد ﷺ ولكن تهت عن طريقى، ثم إن بلوقيا سألهما وقال لهما: أى شىء أنتما وما هذا الباب الذى عندكما؟ فقالا له: نحن حراس هذا

الباب الذى تراه وما لنا شغل سوى التسبيح والتقديس والصلاة على محمد ﷺ فلما سمع بلوقيا هذا الكلام تعجب وقال لهما: أى شيء داخل هذا الباب؟ فقالا: لا ندرى.

فقال لهما: بحق ربكما الجليل أن تفتحا لى هذا الباب حتى أنظر إلى أى شيء داخله، فقالا له: ما نقدر أن نفتح هذا الباب ولا يقدر على فتحه أحد من المخلوقين إلا الأمين جبريل عليه السلام (١).

فلما سمع بلوقيا ذلك تضرع إلى الله تعالى وقال: يا رب ائتنى بالأمين جبريل ليفتح لى هذا الباب حتى أنظر ما داخله، فاستجاب الله دعاءه وأمر الأمين جبريل أن ينزل إلى الأرض ويفتح باب مجمع البحرين حتى ينظره بلوقيا. فنزل جبريل إلى بلوقيا وسلم عليه وذهب إلى ذلك الباب وفتحه. ثم إن جبريل قال لبلوقيا: ادخل إلى هذا الباب فإن الله أمرنى أن أفتحه لك. فدخل بلوقيا وسار فيه. ثم إن جبريل قفل الباب وارتفع إلى السماء، ورأى بلوقيا فى داخل الباب بحرًا عظيمًا نصفه مالح ونصفه حلو وحول ذلك البحر جبلان وهذان الجبلان من الياقوت الأحمر.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت شهرزاد: وسار بلوقيا حتى أقبل على هذين الجبلين فرأى فيهما ملائكة مشغولين بالتسبيح والتقديس، فلما رآهم بلوقيا سلم عليهم فردوا عليه السلام، فسألهم بلوقيا عن البحر وعن هذين الجبلين، فقال له الملائكة: إن هذا مكان تحت العرش وإن هذا البحر يمد كل بحر فى الدنيا ونحن نقسم هذا الماء ونسوقه إلى الأراضى، المالح للأرض المالحة والحلو للأرض الحلوة، وهذان الجبلان خلقهما الله تعالى ليحفظا هذا الماء وهذا أمرنا إلى يوم القيامة، ثم إنهم سألوه وقالوا له: من أين أقبلت وإلى أين أنت رائح؟

فحكى لهم بلوقيا حكايته من الأول إلى الآخر، ثم إن بلوقيا سألهم عن الطريق فقالوا له: اطلع هنا على ظهر هذا البحر فأخذ بلوقيا من الماء الذى معه ودهن قدميه وودعهم وسار على ظهر البحر ليلاً ونهارًا.

فبينما هو سائر وإذا هو ينظر شابا مليحًا سائراً على ظهر البحر فأتى إليه وسلم عليه، فرد عليه السلام، ثم إن بلوقيا لما فارق الشاب رأى أربعة ملائكة سائرين على وجه البحر وسيرهم مثل البرق الخاطف، فتقدم بلوقيا ووقف فى طريقهم، فلما وصلوا إليه سلم عليهم بلوقيا، وقال لهم: أريد أن أسألكم بحق العزيز الجليل ما اسمكم ومن أين أتيتم وإلى أين تذهبون؟ فقال واحد منهم: أنا اسمى جبريل والثانى اسمه إسرافيل، والثالث اسمه ميكائيل، والرابع اسمه عزرائيل، وقد ظهر فى المشرق ثعبان عظيم وذلك الثعبان خرب ألف مدينة وأكل أهلها وقد أمرنا الله تعالى أن نروح إليه ونمسكه ونرميه فى جهنم، فتعجب منهم بلوقيا ومن عظمهم وسار على عادته ليلاً ونهارًا حتى وصل إلى جزيرة فطلع عليها وتمشى فيها ساعة فرأى شابا مليحًا والنور يلوح من وجهه فلما قرب منه بلوقيا رآه جالسًا بين قبرين مبنيين وهو ينوح ويبكى، فأتى إليه بلوقيا وسلم عليه فرد عليه السلام، ثم أن بلوقيا سأل الشاب وقال له:

---

(١) ليعلم ان هذا قصص خيالي لا يمت للحقيقة بسبب.

ما شأنك وما اسمك وما هذان القبران المبنيان اللذان أنت جالس بينهما وما هذا البكاء الذى أنت فيه؟ فالتفت الشاب إلى بلوقيا وبكى بكاءً شديدًا حتى بل ثيابه من دموعه وقال لبلوقيا: اعلم يا أخى أن حكايتى عجيبة وقصتى غريبة وأحب أن تجلس عندى حتى تحكى لى ما رأيت فى عمرك وما سبب مجيئك إلى هذا المكان وما اسمك وإلى أين أنت رائح وأحكى لك أنا الآخر حكايتى، فجلس بلوقيا عند الشاب وأخبره بجميع ما وقع له فى سياحته من الأول إلى الآخر وأخبره كيف مات والده وخلفه وكيف فتح الخلوة ورأى فيها الصندوق وكيف رأى الكتاب الذى فيه صفة محمد ﷺ وكيف تعلق قلبه به وخرج سائحًا فى حبه وأخبره بجميع ما وقع له إلى أن وصل إليه، ثم قال له: هذه حكايتى بتمامها والله أعلم وما أدرى بالذى يجرى علىّ بعد ذلك.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

◆ ◆ ◆

قالت شهرزاد: فلما سمع الشاب كلامه تنهد وقال له: يا مسكين أى شىء رأيت فى عمرك؟ اعلم يا بلوقيا أنى رأيت السيد سليمان فى زمانه ورأيت شيئًا لا يُعد ولا يحصى وحكايتى عجيبة وقصتى غريبة وأريد منك أن تقعد عندى حتى أحكى لك حكايتى وأخبرك بسبب قعودى هنا. فلما سمع حاسب هذا الكلام من الحية تعجب وقال: يا ملكة الحيات بالله عليك أن تعتقينى وتأمرى أحد خدمك أن يخرجنى إلى وجه الأرض وأحلف لك يمينًا أننى لا أدخل الحمام طول عمرى. فقالت له: إن هذا أمر لا يكون ولا أصدقك فى يمينك، فلما سمع منها ذلك بكى وبكت الحيات جميعًا لأجله وصارت تتشفع له عند الملكة وتقول لها: نريد منك أن تأمرى إحدانا أن تخرجه إلى وجه الأرض، ويحلف لك يمينًا أنه لن يدخل الحمام طول عمره، وكانت ملكة الحيات اسمها يمليخا، فلما سمعت يمليخا منهن ذلك الكلام أقبلت على حاسب وحلفته فحلف لها. ثم أمرت حية أن تخرجه إلى وجه الأرض فأتته وأرادت أن تخرجه.

فلما أتت الحية لتخرجه قالت لملكة الحيات: أريد منك أن تحكى لى حكاية الشاب الذى قعد عند بلوقيا ورآه جالسًا بين القبرين: فقالت: اعلم يا حاسب أن بلوقيا جلس عند الشاب وحكى له حكايته من أولها إلى آخرها لأجل أن يحكى له الآخر قصته ويخبره بما جرى له فى عمره ويعرفه بسبب قعوده بين القبرين، اعلم يا حاسب أن بلوقيا لما حكى للشاب حكايته، قال له الشاب: وأى شىء رأيت من العجائب يا مسكين، أنا رأيت السيد سليمان فى زمانه ورأيت عجائب لا تُعد ولا تحصى، واعلم يا أخى أن أبى كان ملكًا، يقال له الملك طيغموس وكان يحكم على بلاد كابل وعلى بنى شهلان وهم عشرة آلاف بهلوان كل بهلوان منهم يحكم على مائة مدينة ومائة قلعة بأسوارها وكان يحكم على سبعة سلاطين ويحمل له المال من المشرق إلى المغرب، وكان عادلاً فى حكمه وقد أعطاه الله تعالى كل هذا ومَنّ عليه بذلك الملك العظيم، ولم يكن له ولد، وكان مراده فى عمره أن يرزقه ولدًا ذكرًا ليخلفه فى ملكه بعد موته.

فاتفق أنه طلب العلماء والمنجمين وأرباب المعرفة والتقويم يومًا من الأيام وقال لهم:

انظروا طالعى وهل يرزقنى الله فى عمرى ولدًا ذكرًا فيخلفنى فى ملكى؟ ففتح المنجمون الكتب وحسبوا طالعه وناظره من الكواكب، ثم قالوا له: اعلم أيها الملك أنك ترزق ولدًا ذكرًا ولا يكون ذلك الولد إلا من بنت ملك خراسان.

فلما سمع طيغموس ذلك منهم فرح فرحًا شديداً وأعطى المنجمين والحكماء مالاً كثيرا لا يُعد ولا يحصى وذهبوا إلى حال سبيلهم، وكان عند الملك طيغموس وزير كبير وكان بهلوانًا عظيمًا مقومًا بألف فارس وكان اسمه عين زار، فقال له: يا عين زار أريد منك أن تتجهز للسفر إلى بلاد خراسان وتخطب لى بنت الملك بهروان ملك خراسان، وحكى الملك طيغموس لوزيره عين زار ما أخبره به المنجمون فلما سمع الوزير ذلك الكلام من الملك طيغموس ذهب من وقته وساعته وتجهز للسفر، ثم برز إلى خارج المدينة بالعساكر والأبطال والجيوش.

وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

— تم بعون الله —

المجلد الثانى من كتاب " ألف ليلة وليلة "

ويليه إن شاء الله المجلد الثالث، وأوله الليلة (٥٠٠)

حكاية بلوقيا مع جانشاه

فهرس كتاب
ألف ليلة وليلة

